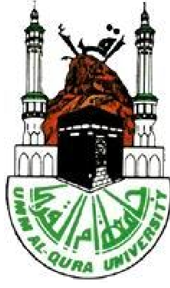
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



البابوية عند النصرانية

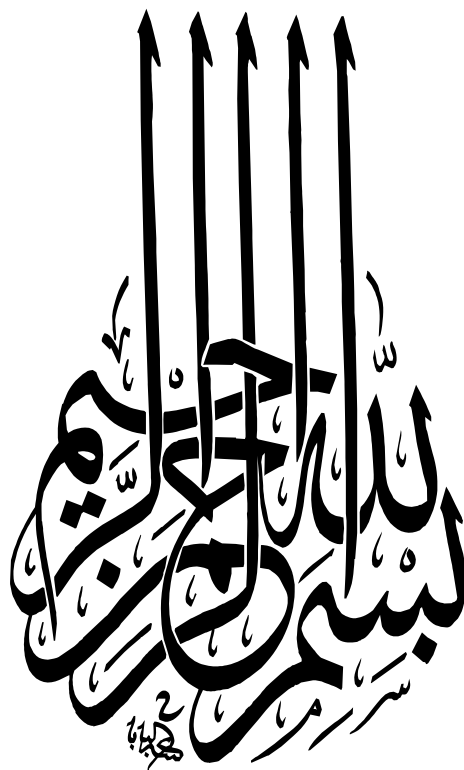
دراسة عقدية مقارنة

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة

إعداد الطالب:
موسى بن عقيلي بن أحمد الشيخي
الرقم الجامعي: ٤٣٠٧٧٠١٧

إشراف فضيلة الشيخ:
الأستاذ الدكتور/ أحمد السيد علي رمضان

الفصل الدراسي الثاني:١٤٣٣هـ – ١٤٣٤هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

اسم الباحث: موسى بن عقيلي بن أحمد الشيخي.

عنوان الرسالة: البابوية في الديانة النصرانية وآثارها العقدية دراسة نقدية مقارنة.

تعد البابوية المنصب الديني الأعلى في الديانة النصرانية، ويُلَقَّب صاحب هذا المنصب بالبابا، أوالبطريرك، أوالراعي، وقد تناولت الدراسة ما يتعلق بالبابوية من حيث النشأة، والأصول، والخصائص الفكرية، والعقائد، والآثار الناتجة عنها، من خلال الدراسة المقارنة بين طوائفها الثلاث، ثم استعرضت علاقتها بالإسلام منذ ظهوره إلى الوقت الحاضر، ثم جاءت أبواب هذا البحث كما يلي:

الباب الأول: البابوية عند الكاثوليك، وتحدثتُ فيه عن نشأة البابوية، وأصولها وخصائصها الفكرية، وآثارها.

الباب الثاني: البطريركية عند الأرثوذكس، وتحدثتُ فيه عن تعريف الأرثوذكس، وتاريخهم، والفرق بينهم وبين الكاثوليك، ونشأة البطريركيات الأرثوذكسية، وأصولها وخصائصها الفكرية، وآثارها.

الباب الثالث: وتحدثتُ فيه عن البروتستانت من حيث نشأتهم، وأصولهم وخصائصهم الفكرية، وموقفهم من البابوية، وآثار ذلك الموقف.

الباب الرابع: موقف البابوية من الإسلام، وتحدثتُ فيه عن علاقة الطوائف الثلاث بالإسلام، ومصادر الصورة التي رسمتها الكنيسة عن الإسلام، وأسباب ذلك.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها في خاتمة البحث ما يلي:

١ - أن أعظم ما استندت عليه البابوية عند الكاثوليك هو سلطان بطرس

المزعوم.

٢- أن الأرثوذكس لم يختلفوا كثيراً عن الكاثوليك في تعظيم أسقفهم إلا من حيث التطبيق العملي.

٣- أن الكنيسة هي المسؤولة عن الصورة المغلوطة عن الإسلام، الباقية إلى اليوم.

٤- أن البروتستانت ليس لديهم رئاسة عامة مثل الكاثوليك أو الأرثوذكس.



Research summary

.**Written by**: Mosa Agili Ahmad Alshaikhi

Title of the research: Popery in Christianity and its .ideological effects

.**Critical Comparative Study**

Popery is considered as the highest position in the Christianity. The owner of this position is called as Pope in the Catholicism, Patriarch in the Orthodoxy and Patron in the Protestantism. In this study, I revealed what is related to Popery regarding to its first origin, intellectual characteristics and the ideologies relating to it and their the resulting effects. I revealed all that through a comparison between the three Christian denominations. Then I demonstrated the relationship between them and .Islam since the beginning of Islam until now

The chapters of the research come as follows

Chapter one: Popery in Catholicism, showing the .genesis of it , its intellectual characteristics ,and its effects

Chapter two: Patriarchate in Orthodoxy, showing the definition and history of Orthodox, the difference between them and Catholics, the beginning of Orthodox Patriarchs, and their intellectual characteristics ,in addition to their

.effects

Chapter three: I demonstrated the Protestantism, their fist origins, their intellectual characteristics ,and their .attitude against Popery

Chapter four: Popery's attitude against Islam. I revealed the relationship between the three denominations and Islam, the sources of notions and figures they acquired .about Islam including the reasons



المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، أكمل لنا الدين، وأتمَّ علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينا، فله الحمد عدد خلقه، ومداد كلماته، وزِنَة عرشه، ورضا نفسه، له الحمد، وسعت رحمته كل شيء، وسبح بحمده كل شي، وأحاط بكل شيء عِلْما.

وأصلي وأسلِّمُ على خير البرية، وأزكى البشرية، مَنْ أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، فقام بأداء الأمانة خير قيام، ونصح للأمة أعظم النصح، وبلَّغ الرسالة أحسن البلاغ، حتى ترك أمته على أعظم حجة، وأبين محجة، فلا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتنكب طريقها إلا مخذول، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وأزواجه وذريته، وعلى كل من أقتفى أثره، وسار على منهجه إلى يوم الدين أما بعد:

فإن من أعظم نعم الله تعالى على العباد - بعد نعمة الخلق والإيجاد - نعمة الهداية إلى الى الحق والرشاد، ولأجل تحقيق هذه الغاية الكبرى أرسل الله تعالى إلى خلقه الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وأقام الصراط، ونصب الميزان، وخلق الجنة والنار، ليميز أولياءه أهل الإيمان عن أعداءه أهل الجحود والكفران.

وشاء الله تعالى بمنِّه وفضله أن يجعل أمة الإسلام آخر الأمم، وخيرها، وأكرمها عليه، فاختار لها خير الأديان، وأعظم الرسل، وأحسن الكتب، واختص نبيها بما لم يسبقه إليه أحد من الأنبياء، كما اختص أمته بما لم تناله أمَّة من الأمم، وكانت رسالته ﷺ نوراً أضاء الكون، وبدَّد ظلمات الجهل والكفر، وسعادةً للبشرية من شقاء العبودية لغير الله، واتباع الهوى، فبه ﷺ انتقلت البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان والأهواء الباطلة إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا بالكفر والعصيان إلى سعة الدنيا والآخرة بالتقوى والإيمان.

ولما بلَغَ دينُه أرجاء الأرض تشرف به كل من انتسب إليه، وسعد به كل من أراد

الله له الخير من عباده، كما شرق به كل حاسد أو حاقد أو مستكبر.

وكان من أكثر الأمم في ذلك الوقت سلطة وأتباعا أمة النصارى، وهي أقرب الأمم عهداً بأمة الإسلام، حيث كان عيسى عليه السلام آخر الأنبياء، قبل محمد ﷺ، وأقربهم من حيث الزمن إليه، وأكثرهم بشارة به، وبأمته، وبقرب بعثته وظهور أمره.

ومع معرفتهم الكبيرة به، فقد انصرف الكثير منهم عن قبول رسالته واتباعه، وكانت لهم إزاء رسالته مواقف متباينة، كتباينهم واختلافهم فيما بينهم، وكان احتكاكهم بالمسلمين احتكاكا مبكرا يعود إلى زمن النبي ﷺ.

وقد لفت نظري عندما كنت أقرأ في تاريخ العلاقة بين الإسلام والنصرانية بطوائفها المختلفة أثر زعماء النصرانية - الذين أُطلق عليهم باباوات، أو بطاركة، أو أساقفة، أورعاة، إلى غير ذلك من الألقاب - على دين النصرانية، ودورهم في إدخال الشرك والبدع على الرسالة الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام، ثم وجدتُ مصداقَ ذلك في قول الله تعالى عن هؤلاء الزعماء: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

وعند ذلك رغبت في بحث هذا الموضوع، وبعد استخارة الله العليم الخبير واستشارة أهل الاختصاص، عقدت العزم على تناول هذا الموضوع بالدراسة ضمن متطلبات الحصول على درجة الدكتوراة.

وإضافةً إلى ما سبق فقد كانت هناك أسبابٌ أخرى دفعتني لدراسة الموضوع ومنها:

١ - أن الديانة النصرانية في الوقت الحاضر هي أكثر الديانات أتباعاً في العالم، ولها النصيب الأكبر في قيادة العالم، من خلال المؤسسات، والمنظمات الدولية، كما أن أنشطتها الفكرية والتنصيرية، قد امتدات إلى أجزاء واسعة من العالم الإسلامي.

وتوجيه الدراسة إلى ديانةٍ تحتل هذه المكانة، وتملك هذا التأثير، وتقوم بهذه

الأنشطة أمرٌ في غاية الأهمية للمسلمين.

٢- أن هذه الديانة كان لها مواقف مؤثرة، ومتباينةٌ من الإسلام منذ ظهوره في زمن النبي ﷺ، إلى وقتنا المعاصر، واستجلاء هذه العلاقة، ومعرفة أسبابها هو من استبانة سبيل المجرمين والضالين، كما أنه يعين على تحديد طريقة التعامل معهم في الوقت الحاضر.

٣- وجود التباين بين هذه الطوائف فيما بينها، وفي التعامل مع المسلمين، وهذا الأمر رجح عندي جعل هذه الدراسة دراسةً مقارنة؛ لكي تتضح أوجه التشابه والتباين بينها.

٤- ارتباط عددٍ من العقائد والمظاهر الوثنية بهؤلاء الزعماء، إما دعوةً أو تبنياً لها، أو إقراراً وسكوتاً عليها، وقد دعاني ذلك إلى محاولة الكشف عن هذه العقائد، وبيان مدى ارتباطها بهؤلاء الزعماء.

٥- عدم وجود دراسةٍ علميةٍ متخصصةٍ في هذا الموضوع، رغم أهميته التي ظهرت، لي، وذلك بحسب البحث، وسؤال أهل الاختصاص.

۞ الدراسات السابقة:

لم أقف بعد البحث والسؤال على دراسةٍ علميةٍ متخصصةٍ في موضوع البابوية، ولكني وقفت على أربع رسائل علمية تناولت البحث في الطوائف النصرانية الكبرى، وهي كما يأتي:

١- الطائفة الكاثوليكية وأثرها على العالم الاسلامي، للباحث الدكتور: محمد بن علي آل عمر الزيلعي، وهي رسالة دكتوراه قدمت لجامعة أم القرى، ونشرها مركز البحوث والدراسات بمجلة البيان،عام ١٤٣١هـ.

٢- الأرثوذكس عقيدتها، وواقعها، وأثرها على العالم الإسلامي، للباحث الدكتور: أحمد بن مؤنس بن خلف الخالدي، وهي رسالة دكتوراه غير مطبوعة،قدمت

لجامعة أم القرى، ونوقشت عام ١٤٣٤هـ.

٣- الروم الأرثوذكس، عرض ودراسة في ضوء العقيدة الإسلامية، للباحث الدكتور:عبدالله بن علي الشهري، وهي رسالة دكتوراه غير مطبوعة، قدمت لجامعة الملك سعود، ونوقشت عام ١٤٣٣هـ .

٤- البروتستانتية وأثرها على العالم الإسلامي، للدكتورة مريم بنت بنيان الحربي، وهي رسالة دكتوراه غير مطبوعة، قدمت لجامعة أم القرى، ونوقشت عام ١٤٣٠هـ.

وجميع هذه الرسائل لم تناقش موضوع الدراسة، ولكنني استفدت منها، حيث ناقشت عقائد الطوائف الثلاث، وتاريخها، وأثرها على العالم الإسلامي.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المناهج التالية:

١- المنهج الوصفي القائم على عرض أفكار الموضوع، حسب تسلسلها المنطقي، بحسب الخطة الموضوعة.

٢- المنهج التحليلي، من خلال تحليل النصوص والأفكار، وبيان ما يستنبط منها.

٣- المنهج النقدي، وذلك في نقد الأفكار، عن طريق الأدلة الشرعية، أو الأدلة من كتب النصارى، أو الدليل العقلي، أو التاريخي، أو غير ذلك من الأدلة.

٤- المنهج المقارن؛ لتحديد جوانب الاتفاق، والاختلاف بين الطوائف النصرانية.

ومن أهم الخطوات التي التزمت بها في ذلك البحث ما يأتي:

١- الاعتماد على المصادر الأساسية، والكتب المعتمدة عند كل طائفةٍ من

الطوائف النصرانية، بحسب ما أمكنني الوصول إليه من تلك المصادر.

٢- اعتمدت في النقل عن ما يُسَمَّى بالكتاب المقدس على نسخةٍ واحدة، وهي الأكثر انتشاراً في المكتبات العربية، وهي نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

٣- جميع النصوص المنقولة أضعها بين حاصرتين صغيرتين، هكذا « »، ولم أتدخل بشيءٍ عند كتابة هذه النصوص، على رغم ما فيها من أخطاء، من جهة اللغة، أو الأسلوب؛ حفاظاً على الأمانة من جهة، ولتعذر ذلك من الناحية العملية، لكثرة النصوص، وقد أُعلِّق على النص، إذا كان لذلك أهمية، أو حاجة.

٤- عند نقل الآيات أعزوها إلى السورة، وأذكر رقم الآية، كما أذكر من أخرج الحديث بصورة مختصرة.

٥- العبارات التي أتحفظ عليها ذكرتها كما هي عندما أكون ناقلا؛ وذلك لكثرة تكرار هذه العبارات، أما عند التقرير فاذكر العبارة التي أرى صحتها، أو اذكر ما يدل على عدم موافقتي عليها، مثل: ما يُسَمَّى بكذا، كما يرون ونحوها، وأكثر هذه العبارات تكراراً، هي: المسيحية، أو المسيحيين، الكتاب المقدس، المجامع المقدسة، الرسل(ويقصد بهم تلاميذ المسيح)، القِدِّيسين .

٦- ترجمتُ ترجمةً مختصرةً للأعلام مقتصراً على المشهورين ومن له تأثير؛ لكثرة الأسماء الواردة، وعرَّفت بالأماكن والطوائف والفرق والمصطلحات التي تحتاج إلى تعريف، في الحواشي، بحسب ما تيسر لي من مصادر الترجمة، وما لم أجد له ترجمة تركته كما هو دون أن أعلق على ذلك تجنباً للتكرار واكتفاءاً بالإشارة عليه هنا.

٧- علَّقْتُ باختصار على ما رأيت أنه بحاجةٍ إلى تعليقٍ في الحاشية.

٨- ذيلتُ البحث بالخاتمة، والفهارس العلمية.

خطة البحث:

بعد الاستعانة بالله تعالى، جعلت هذه الدراسة تحت عنوان: (البابوية في الديانة النصرانية، وآثارها العقدية، دراسة نقدية مقارنة)، ووضعت خطة هذا البحث على النحو الآتي:

١ - مقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

الباب الأول: البابوية عند الكاثوليك، ويشتمل على الفصول الآتية:

الفصل الأول: نشأة البابوية، وأصولها، وخصائصها الفكرية، ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: نشأة البابوية.

المبحث الثاني: الأصول الفكرية للبابوية.

المبحث الثالث: خصائص البابوية.

الفصل الثاني: آثار البابوية العقدية على الكنيسة ، ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: العقائد التي انفرد بها الكاثوليك دون سائر الطوائف.

المبحث الثاني: العقائد والسلطات المرتبطة بشخصية البابا.

المبحث الثالث: مبدأ الكهنوت.

الفصل الثالث: آثار البابوية على المجتمع الأوروبي، ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: أثر البابوية على حضارة أوربا في القرون الوسطى

المبحث الثاني: أثر البابوية في ظهورالعداء للدين في أوربا.

الباب الثاني: البطريركية عند الأرثوذكس، ويشتمل على الفصول الآتية:

الفصل الأول: حقيقة البطريركية عند الأرثوذكس والفرق بينها وبين

البابوية عند الكاثوليك، ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: التعريف بالأرثوذكس.

المبحث الثاني: تاريخ الأرثوذكس.

المبحث الثالث: الفرق بين الأرثوذكس والكاثوليك والفرق بين الأرثوذكس أنفسهم .

الفصل الثاني: نشأة البطريركيات في المشرق وأصولها وخصائصها، ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: نشأة البطريركيات الأرثوذكسية.

المبحث الثاني: أصول البطريركيات الأرثوذكسية الفكرية.

المبحث الثالث: خصائص البطريركيات الأرثوذكسية.

الفصل الثالث: آثار البطريركيات الأرثوذكسية، ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: الرهبنة.

المبحث الثاني: الخوارق والمعجزات.

المبحث الثالث: عبادة المقتنيات والرموز الكنسية.

المبحث الرابع: عبادة المُقَدَّسِين ورموز الكنيسة.

المبحث الخامس: الآثار الأخرى.

الباب الثالث: موقف البروتستانت من البابوية، وآثاره، ويشتمل على الفصول الآتية:

الفصل الأول: نشأة البروتستانت، وأصولهم، وخصائصهم، ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول:نشأة البروتستانت.

المبحث الثاني: أصول البروتستانت الفكرية.

المبحث الثالث: خصائص البروتستانت.

الفصل الثاني: موقف البروتستانت من مفهوم وسلطة وإضافات البابوية، ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: موقف البروتستانت من مفهوم البابوية.

المبحث الثاني: موقف البروتستانت من سلطة البابوية.

المبحث الثالث: موقف البروتستانت من الإضافات البابوية.

الفصل الثالث: آثار موقف البروتستانت من البابوية، ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: آثار موقف البروتستانت على الكنيسة.

المبحث الثاني: آثار موقف البروتستانت على المجتمع الغربي.

الباب الرابع: موقف البابوية من الإسلام قديما وحديثا، ويشتمل على الفصول الآتية:

الفصل الأول: مراحل العلاقة بين البابوية والإسلام، ويشمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: علاقة الكاثوليك بالإسلام.

المبحث الثاني:علاقة الأرثوذكس بالإسلام.

المبحث الثالث: علاقة البروتستانت بالإسلام.

الفصل الثاني: موقف الكنيسة من الإسلام دراسةً وتحليلاً.

المبحث الأول: مصادر الصورة التي رسمتها النصرانية عن الإسلام.

المبحث الثاني: أسباب موقف النصارى من الإسلام.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج التوصيات التي توصلت إليها.

الفهارس العلمية التفصيلية، وهي فهرس الآيات، والأحاديث، والأعلام، والأماكن، والفِرَق والطوائف، والمصطلحات، والمراجع، والموضوعات.

صعوبات البحث:

من أهم الصعوبات التي واجهتني في البحث ما يأتي:

١- تشعب جوانب الموضوع، حيث إن مجال البحث يشمل جميع الطوائف النصرانية، والباب الرابع منه يشتمل على تاريخ العلاقة، منذ ظهور الإسلام إلى يومنا الحاضر، وهذه الصعوبة اقتضت بذل المزيد من الجهد، وتطلبت مزيداً من الوقت.

كما دعتني إلى مراعاة ذلك الاعتبار من خلال وضع خطة مناسبة تلم أطراف الموضوع.

٢- عدم توفر أغلب المصادر الأساسية في مكتبات المملكة، وهذا اقتضى السفر إلى عددٍ من البلاد العربية التي تتوفر بها تلك المصادر،وانتظار أوقات المعارض الدولية للكتاب للاستفادة منها.

٣- عائق اللغة، وهذا الأمر استدعى البحث عن الكتب المترجمة قدر الاستطاعة، كما دفعني إلى تعلم اللغة الإنجليزية، من خلال الدروس والدورات المتاحة، ولازلت في بداية الطريق، طالباً من الله تعالى أن يمنحني توفيقه، ويقضي حاجتي، وهو الجواد الكريم.

وفي ختام هذه المقدمة أرجو من الله الكريم ﷻ أن يتقبل مني هذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، كما أرجوه أن ينفع به كل من وصل إليه واطلع عليه، كما أرجوه سبحانه أن يكون مفتاحاً لدراساتٍ أخرى في مجال العلاقة بين الإسلام والديانات الأخرى، وأن يكون مرجعاً يستفيد منه الدعاة إلى الله تعالى، وخاصة

المهتمون بشأن الإسلام، والمهتمون بدعوة النصارى، من الجهات والمؤسسات الدعوية التي تهتم بدعوة الجاليات في بلادنا.

وأتوجه بالشكر العظيم الذي ليس له انتهاء للمولى ﷻ الذي وفقني لسلوك طريق العلم، ووفقني لإتمام هذا البحث، ثم الشكر لكل من قدم إليَّ إحساناً، وأسدى إليَّ معروفاً، وأخص بالذكر:

١- جامعة أم القرى، ممثلةً في كلية الدعوة وأصول الدين، وقسم العقيدة، الذين تحقق بسببهم، بعد فضل الله تعالى إنجاز هذا البحث.

٢- سعادة المشرف على هذا البحث: الدكتور أحمد السيد علي رمضان، الذي أكرمني بتواضعه، وأفادني بتوجيهه، وبذل لي من وقته، وأسأل الله تعالى أن يجزيه أحسن الجزاء ويمتعه بالصحة والعافية، ثم سعادة المشرف الدكتور علي المقوشي الذي أكمل المسيرة باقتدار وأكرمني بدماثة خلقه وحسن توجيهه وأسأل الله تعالى أن يجزيه عني أحسن الجزاء .

ثم الشكر موصول لصاحبي الفضيلة المناقشين لهذه الرسالة الدكتور علي بن حسن الألمعي والدكتور عبدالله بن علي سمك الذين قبلا مناقشة هذه الرسالة وقد رأيت في تعاملي القصير معهما أخلاق الأنبياء وتواضع العلماء وإحسان الأوفياء فلهما مني أجزل الشكر وأخلص الدعاء بأن يمتعهما الله تعالى بعدحلية الإيمان وزينة التقوى بوافر الصحة وتمام العافية وأسأل الله تعالى أن يجعل في توجيهاتهما مع توجيه فضيلة المشرف أحسن حلية وأجمل زينة لهذه الأطروحة.

٣- الوالدة الغالية التي أحسنت أليَّ بحسن تربيتها، وغمرتني بحنانها، وأحاطتني بدعائها، مما كان له أحسن الأثر على نفسي، وأعظم الدافع لمواصلة المشوار والصبر على معوقات الطريق.

وأسأل الله تعالى أن يجزيها خير ما يجزي أماً عن أبنائها، وأن يرفع عنها كل بأس ويلبسها لباس الصحة العافية، ويعينني على برها ما دمتُ حيا.والشكر موصول

لجميع أخوتي وأخواتي الذين وقفوا معي طيلة مدة البحث بل وقبله وبعده ولا يزال أحسانهم إلي موصول، وأسأل الله تعالى أن يجزيهم عني خير الجزاء ويوفقني لرد الإحسان ما بقيت.

٤- أسرتي الكريمة، الزوجة الفاضلة، التي ضحت من أجلي لإتمام هذا البحث ثم الأبناء الكرام محمد ومعاذ وعاصم ومالك وعلي الذين تنازلوا عن بعض حقوقهم لأجلي ، وأسأل الله تعالى أن يشرح صدورهم بالإيمان، ويزينها بالتقوى، وأن يجعلهم قرة عين لنا، وينفع بهم أمة الإسلام، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

٥- فضيلة الدكتور: أحمد بن سليم الحربي الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم والآداب بمحافظة بلجرشي التابعة لجامعة الباحة، والدكتور أحمد بن عمر السيد رئيس قسم الشريعة بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة نجران الذين أفاداني بآراءهما ، وقدما لي العون، فلهما مني أوفى الشكر، وأسأل الله تعالى أن يجزيهما عني خير الجزاء.

وفي ختام هذا البيان أتوجه إلى المولى الكريم أن يبارك لنا وللحاضرين في هذا اللقاء العلمي وأن يتفضل علينا بخير ما يتفضل به على عباده المؤمنين وأن يرفع في درجاتنا أجمعين اللهم أعطنا ولا تحرمنا وأكرمنا ولا تهنا وأثرنا ولا تؤثر علينا وزدنا ولا تنقصنا وارضنا وأرض عنا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

مصطلحات البحث:

تعريف البابوية:

البابوية نسبة إلى البابا، ويرى المؤرخ سعيد بن البطريق أن لفظ البابا بمعنى الجد، أي أب الآباء[(١)].

أما المؤرخ المعاصر أسد رستم فيرى أن أصل هذه الكلمة يوناني وأنها مأخوذة من الكلمة "باباس"، ومعناها الأب[(٢)].

وأول من أُطلق عليه هذا اللقب هو ياروكلا (هرقل)، وهو البطرك الثالث عشر في الكنيسة القبطية.

وأما سبب هذه التسمية فإنه منذ عهد حنانيا الذي خلف مرقس المدعو بالرسول على كرسي الإسكندرية لم يكن هناك أساقفة حتى جاء البطرك ديمتروس (البطرك الثاني عشر) الذي أقام ثلاثة أساقفة، وكان أول من أصلح أساقفة بأرض مصر، ثم جاء البطرك ياروكلا ووضع عشرين أسقفاً فسُمِعت العامة يسمون البطرك أباً فقالوا: إذا كنا نحن نسمي الأسقف أبا والأسقف يسمي البطرك أباً فيجب علينا نحن أن نسمي البطرك بابا، أي جد إذ كان أب الآبا[(٣)].

وبعد ذلك انتقل هذا اللقب إلى كرسي روما باعتبار أنه كرسي بطرس رئيس الرسل عند الكاثوليك واستمر ذلك حتى عصرنا الحاضر، كما أنه لا يزال يطلق أيضاً على رئيس الكنيسة القبطية مع وصفه بالبطريرك كذلك فيقال له بابا الإسكندرية

---

(١) انظر: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص: ٩٦ .

(٢) انظر: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم:(١/ ٩٦).

(٣) انظر: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص: ٩٦ .

وبطريرك الكرازة المرقسية[١].

تعريف البطريركية:

البطريـرك لفـظ يونـاني مركـب مـن كلمـة "Patria "، وتعنـي العـشيرة، و"Archi"، وتعنـي الـرئيس، ومعنـى الكلمـة المركبـة شـيخ العـشيرة أو رئـيس العشيرة[٢].

وقد وردت هذه الكلمة في الترجمة السبعينية للعهد القديم وتعني (أب شعب)، كما أطلقت عند الإنجيليين على إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأبناء يعقوب عليهم السلام.وأطلقت في التقليد الكنسي أيضاً على تلاميذ المسيح ﷺ وعلى التلاميذ السبعين أيضاً، وهي تعني في الكنيسة (أب الآباء)، أو (رئيس الآباء)، وعلى ذلك فهي تعني نفس المعنى لكلمة البابا، ولم تعرف كلمة بطريرك إلا في القرن الخامس الميلادي، حيث استخدم هذا اللقب أول مرة في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير(٤٠١-٤٥٠م) [٣]، وعلى ذلك فالبطريركية هي النظام الذي يعتمد سلطة الأب.

تعريف الرعاة(خدام الكلمة):

يختص هذا اللقب بالكنيسة البروتستانتية دون غيرها، حيث لا يوجد عندهم مصطلح البابا أو البطريرك، بل هم ينفون فكرة الرئاسة العامة على الكنيسة من أصلها، ويجعلون الرئيس الأعلى والوحيد للكنيسة هو المسيح نفسه.

ولذلك فهم يطلقون لقب"راعي الكنيسة"، أو "خادم الكلمة" على من يقوم بشئون الكنيسة الإدارية واللاهوتية، ويقولون إن هذا المسمى لا يعني رئاسة ذات

---

(١) انظر: تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي. للمقريزي، ص: ٤٤، معجم الأديان، تحرير: جون. ر. هينليس، ص:٥٢٦.

(٢) انظر: كنيسة مدينة الله العظمى. د.أسد رستم (١/ ٤٠٤).

(٣) انظر: معجم المصطلحات الكنسية، للراهب أثناسيوس المقاري :(١/ ٢٣٥).

سلطة – كما عند الطوائف الأخرى – ، وإنما هو شخص يقوم بتنظيم شئون الكنيسة فقط، ولذلك لا نجد تعريفاً محدداً لهذا اللقب وإنما نجد أوصافاً لمهامه.

وقد جاء في وصف واجبات خادم الكلمة بأنه من يقوم بالنداء بالإنجيل، وشرح الكلمة، وممارسة الفرائض، وتعليم الشعب وإرشادهم والإشراف والتدبير مع بقية الأعضاء[1].



(١) انظر: دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر، ص:٩٣ .

الباب الأول

الباب الأول

البابوية عند الكاثوليك

وفيه ثلاثة فصول وهي :

۞ الفصل الأول : نشأة البابوية، وأصولها، وخصائصها.

۞ الفصل الثاني : آثار البابوية العقدية على الكنيسة.

۞ الفصل الثالث : آثار البابوية العقدية على المجتمع الأوربي.

الفصل الأول

نشأة البابوية، وأصولها الفكرية، وخصائصها

وفيه ثلاثة مباحث: -

- المبحث الأول: نشأة البابوية.
- المبحث الثاني: الأصول الفكرية للبابوية.
- المبحث الثالث: خصائص البابوية.

* * * ** * * *

المبحث الأول

نشأة البابوية

ويشتمل على مدخل وأربعة مطالب:

- المطلب الأول: مرحلة التأسيس والتكوين.
- المطلب الثاني: مرحلة القوة والزعامة.
- المطلب الثالث: بداية ضعف السلطة البابوية.
- المطلب الرابع: البابوية في العصر الحاضر.

* * * ** * * *

مدخــــل

ينسب الباباوات رئاسة الكنيسة إلى بطرس(١)، وهو عند الكاثوليك خليفة الرب، ووارث سلطانه، ورئيس جماعة الرسل، ورئاسته باقية إلى الأبد، من خلال خلفاءه باباوات رومة(٢).

وبهذا الاعتبار، تكون نشأة البابوية قد بدأت بعد رفع المسيح عليه السلام(٣)، وتولي بطرس رئاسة الجماعة بعده.

وأما من حيث القوة والتأثير وظهور السلطة، فإن ذلك لم يتشكل إلا في وقتٍ متأخرٍ من رفع المسيح عليه السلام، قد يمتد إلى منتصف القرن الرابع الميلادي، الذي كان قرناً فاصلاً في تاريخ النصرانية.

وبالنظر إلى تاريخ البابوية، تظهر لنا أربعة مراحل متميزة، يمكن اجمالها، فيما يأتي:

١- مرحلة التأسيس والتكوين.

٢- مرحلة القوة والزعامة على العالم الغربي.

٣- مرحلة الضعف والانحسار.

---

(١) بطرس: اسم يوناني، معناه صخرة أو حجر، والذي سماه بذلك -كما يرى النصارى- هو المسيح عليه السلام، واسمه قبل ذلك سمعان بن يونا، ولد في مدينة بيت صيدا، وكانت مهنته صيد السمك، ثم تبع المسيح عليه السلام، وأصبح تلميذا له. انظر: معجم الباباوات، خوان دثيو، ص:٧، قاموس الكتاب المقدس، لنخبة من اللاهوتيين، ص:١٧٤ .

(٢) انظر: الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض، للأب: خليل أدَّة اليسوعي، ص:١٠٠،المجمل في تاريخ الكنيسة، الأب: أنطوان الفرغاني، ص:٢٩ .

(٣) يعبر النصارى عن رفع المسيح عليه السلام بلفظ "الصعود"، لأنهم ينكرون رفعه على الوجه الذي يؤمن به المسلمون، وينسبون إليه الصعود، إشارة إلى ألوهيته.

٤- البابوية في العصر الحاضر.

وسوف أفصل الحديث عن هذه المراحل من خلال المطالب الآتية.



المطلب الأول: مرحلة التأسيس والتكوين

تأسست البابوية – كما يرى الكاثوليك – على يد بطرس الذي يتبوأ أعظم منزلة؛ فهو الذي أقامه الرب مقامه من بعده، ومنحه سلطانه، بقوله: «وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات»(١).

وهذا النص هو الأصل الذي استند عليه الكاثوليك في القول برئاسة كنيسة روما، وزعامتها للعالم النصراني بأكمله(٢)، ومن أجل ذلك خلعوا على شخصية بطرس جملةً من الألقاب، والمميزات، بل حتى الخوارق؛ فهو هامة الرسل عندهم، وأول من اعترف بأن المسيح ابن الله، ولذلك منحه سلطانه، وهو الذي قاد أتباع المسيح عليه السلام،بعد خيانة يهوذا(٣)، ووضع أسس الكنيسة مؤسسةً منظمة، وباشر دعوته لليهود، فاستجاب له في اليوم الأول ثلاثة آلاف نفس(٤)، وشُفي على يديه الكثير من المرضى – بزعمهم –(٥).

---

(١) متى: (١٦/ ١٨).

(٢) ادعى الكاثوليك زعامتهم للعالم النصراني بأكمله، وأن كنيستهم هي الكنيسة المسكونية الجامعة الوحيدة، ولكن هذه الدعوى بقيت نظرية، أما في الواقع – ولأسباب كثيرة – فلم تخرج عن زعامة العالم الغربي فقط.

(٣) يهوذا الاسخريوطي بن سمعان الاسخريوطي، وهو أحد تلامذة المسيح بحسب اعتقاد النصارى، وهو الذي خان سيده. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص: ١٣٧.

(٤) انظر: أعمال الرسل:(١٢/ ١٤-٤١).

(٥) انظر: المجمل في تاريخ الكنيسة الجامعة، الأب: أنطوان الفرغاني، ص:٢٩، معجم الباباوات، خوان داثيو، ص:٧.

وبالرغم من هذه المنزلة التي تبوأها بطرس إلا أن تاريخه بعد هذه الفترة يكتنفه الكثير من الغموض، والمعلومات المتوفرة بشأن ذهابه إلى روما ووفاته بها شحيحة جداً، حتى إن أشهر المصادر التاريخية، مثل كتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري(١)، وأشهر المصادر النصرانية على الإطلاق، مثل سفر أعمال الرسل، ورسائل بطرس الأولى والثانية، لا تذكر عنه أكثر من أنه توفي في روما، ودفن بها، وإن كان الكاثوليك يدَّعون أنه مكث في روما خمساً وعشرين سنة، وكانت وفاته – بحسب رأي يوسابيوس – سنة ٦٧م.

وإذا كان الغموض وقلة المعلومات هو الصفة السائدة للفترة التي عاش فيها بطرس في روما، فقد لازم هذا الوصف الفترة التالية لحياته، حيث امتدت هذه الفترة إلى أواخر القرن الرابع الميلادي، بسبب صمت أهم المصادر التاريخية عن ذكر التفاصيل لهذه الفترة، ولا يوجد فيها ذكر لباباوات ذوي تأثير، أوسلطةٍ ذات صبغةٍ عالمية، بل لا يُعرف عن الكثير من الباباوات في تلك الفترة أكثر من أسمائهم(٢).

ويعود السبب الذي أدى إلى تلك الحالة التي اتصفت بها تلك الفترة إلى الاضطهاد الذي لقيته الكنيسة من قبل خصومها، سواءاً كانوا من اليهود، الذين رأوا أن الديانة الجديدة تسعى لإلغاء الشريعة اليهودية، لتحل بديلاً عنها، أو الرومان الذين وجدوا أن أصحاب هذه الديانة لا يترددون على الهياكل الوثنية، ولا يسجدون للأصنام، أو يقدمون لها الضحايا، ويرفضون عبادة الإمبراطور، ولذا فهم يشكلون

---

(١) يوسابيوس: من أشهر وأقدم مؤرخي الكنيسة، كان أسقفاً لقيصرية، له كتاب "تاريخ الكنيسة"، وهو من أشهر الكتب في تاريخ الكنيسة، و"حياة قسطنطين العظيم"، ويقال أنه كان متأثراً بآراء آريوس. انظر: تاريخ الكنيسة، يوسابيوس، مقدمة المعرب، حياة قسطنطين العظيم، ص:(٣٠-٥٣)، باختصار وتصرف.

(٢) انظر: الكنيسة في التاريخ، الخولي ناصر الجميل: (١/ ١٣٨)، تاريخ الكنيسة المسيحية، سمير نوف: (٤٠-٤٣)، أوربا العصور الوسطى، د. سعيد عاشور:(١/ ٧١).

خطراً يهدد استقرار الإمبراطورية، ووحدتها السياسية، ولذلك كان الجزء الأكبر من هذه الاضطهادات – لأسبابٍ مختلفةٍ بعضها ديني، وبعضها سياسي، وبعضها شخصي – من قبل الأباطرة الرومان، وقد ذكر المؤرخون في هذا المجال عشرة اضطهادات كبرى، ضد النصارى، بدأت باضطهاد نيرون(١)، عام ٦٤م، وانتهت باضطهاد الإمبراطور ديوكليسيان(٢)، في عام ٣٠٣م(٣) .

وفي هذا المناخ الذي ساد تلك الفترة، لم تتوقف الكنيسة عن نشاطها، وجذب الأتباع إليها، ولكنها لم تستطع الإعلان، عن ذلك؛ خوفاً من القضاء عليها، ووأدها في مهدها، من قبل أعدائها، الذين يملكون زمام السلطة، واستمر هذا الحال حتى جاء عام ٣١٣م، حيث بدأ فيه موقف الإمبراطورية يتغير تدريجياً، نحو الديانة الجديدة، من العداء إلى التسامح، وصدر في هذا العام مرسوم ميلانو الشهير، من الإمبراطور قسطنطين(٤)، وقضى بالمساواة بين الديانة النصرانية والوثنية، في الاعتبار الرسمي، والحقوق المدنية، وردت الكنائس والأوقاف المصادرة إلى الكنيسة، وحازت النصرانية على الحرية الكاملة.

---

(١) نيرون: (٣٧-٦٨م) إمبراطور روماني، من أكبر الطغاة في التاريخ الروماني، اشتهر باضطهاد النصارى، عام ٦٤م، واتهامهم بإحراق روما، ومات منتحراً. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص:٥٨٣ .

(٢) ديوكليسيان: ويسمى أيضاً "ديوقليتيانس"(٢٥٤-٣١٣م) من كبار أباطرة الرومان، أعاد تنظيم الإمبراطورية، وأنشأ النظام الرباعي، وبدأ أعنف اضطهاد للنصارى، عام (٣٠٣-٣٠٤)، واستقال عام٣٠٥م . المصدر نفسه، ص:٢٥٦ .

(٣) انظر: المجمل في تاريخ الكنيسة، أنطوان الفرغاني ص: (١٦-٢٠) .

(٤) قسطنطين: من أعظم الأباطرة الرومان، تولى العرش بين (٣٠٥-٣٣٥م)، وأول من أعلن تنصره، وفي عهده اعتنقت الإمبراطورية الرومانية النصرانية، وانتهى عهد الاضطهاد للنصارى، وعقد أكبر وأخطر المجامع النصرانية، وهو مجمع نيقية، الذي أقر عقيدة ألوهية المسيح عليه السلام.انظر: حياة قسطنطين العظيم، يوسابيوس القيصري: (٢٤-٧٨) .

وبهذا المرسوم انتهى عهد الاضطهاد، وانتقل النصارى من المخابيء إلى الكنائس الفخمة، وأخذ النصارى ينشرون الإنجيل جهاراً، حتى عمت دعوتهم جميع أنحاء الإمبراطورية، وتُوِّج هذا النصر بإعلان قسطنطين دخوله في النصرانية، ومنذ ذلك الوقت أصبحت النصرانية دين الإمبراطورية الرسمي، وابتدأت بذلك مرحلةٌ جديدةٌ من تاريخها[1].

---

(١) انظر: المجمل في تاريخ الكنيسة الجامعة، أنطوان الفرغاني، ص: ٢١ .

المطلب الثاني: مرحلة القوة والزعامة

كان إعلان قسطنطين دخوله في النصرانية نقطةً فاصلةً في تاريخها؛ فقد انتقلت النصرانية بموجبه من الاضطهاد، إلى الحرية، وأصبحت الدولة هي الحامية لهذه الديانة، واستطاع رجال الكنيسة مع مرور الأيام أن ينالوا أعلى المناصب في الإمبراطورية.

واستغلت الكنيسة – ومنها الكنيسة الغربية - هذه الأوضاع في نشر مذهبها في أنحاء المعمورة.

ولم يكن لكنيسة روما – من الناحية التاريخية – أيُّ تقدمٍ على بقية الكنائس، على مدار القرون الثلاثة الأولى، بل كانت الكنائس الرئيسة، وهي كنيسة روما، وأنطاكية، والإسكندرية على قدم المساواة، على اعتبار أن هذه الكنائس أسسها الرسل حسب زعمهم؛ حيث أسس بطرس كنيسة روما، وكنيسة أنطاكية، وأقام بها سبع سنوات، وأسس مرقس كنيسة الإسكندرية[(١)].

وهذه المساواة أعلنها المجمع المسكوني الأول الذي عقد في نيقية[(٢)] عام ٣٢٥م، في قانونه السادس الذي جاء في شرحه: «يعتبر هذا القانون أهم قوانين المجمع، لأنه أثبت المساواة في الولاية والسلطة، بين أسقف روما، وبطريركي الإسكندرية وأنطاكية»[(٣)].

---

(١) انظر: المجمل في تاريخ الكنيسة الجامعة، الأب أنطوان الفرغاني، ص: ٤٥، تاريخ الإصلاح الديني في القرن السادس عشر، ميريل دوبينياه، ص:٥ .

(٢) نيقية: من أعمال أسطنبول على الجزء الشرقي، وهي مدينة أنيقة، وقع بها أول مجامع النصارى. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي:(٥/ ٣٣٣).

(٣) المجمع المسكوني الأول – نيقية الأول (٣٢٥)، الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، ص:١٨٣ .

وبعد هذا المجمع بخمس سنوات، نقل قسطنطين عاصمة الإمبراطورية إلى القسطنطينية، بعد أن أصبح الحاكم الأوحد لجميع الإمبراطورية[١]، وكان لهذا الحدث الأثر الكبير في صعود البابوية في العالم الغربي، عندما استغلت الفراغ السياسي الذي تركه انتقال الإمبراطور، في الوقت الذي خضعت فيه الكنائس الشرقية لسلطة الإمبراطور حتى في أدق المسائل الدينية.

ومن هذا الوقت ابتدأ الأساقفة الرومان يظهرون روح الاستقلال، والاعتداد بالبابوية، الذي تعاظم جدا، فيما بعد[٢]، حيث رأوا أن رحيل الأباطرة عن روما، وتجنبهم للمصير الذي آل إليه بطاركة الشرق بسبب إقامة الأباطرة في القسطنطينية هو الفرصة الذهبية لصناعة "النظرية البابوية"، وتطبيقها عملياً، على الأقل في العالم الغربي[٣]، فسعى أسقف روما لاحتلال مكان الإمبراطور، ووراثة مركزه باعتباره حاكماً مطلقاً، ومصدراً للتشريع – حسب زعمهم – .

وقد تحدث أحد المؤرخين عن أثر انتقال الأباطرة عن روما بقوله: «... ولهذا فلو بقي الأباطرة في روما، لأصبح الباباوات رهن إشارة هؤلاء الأباطرة، ووكلائهم، ولضاعت عليهم السلطة الأدبية اللازمة لإقامة الاستقلال الديني على أساس متين»[٤].

بدأت الكنيسة الرومانية خطواتها الأولى في مشروع "الزعامة البابوية"،بعد مجمع نيقية، وارتكزت على ركيزتين أساسيتين:

الأولى: الدعوة إلى الزعامة البابوية نظرياً . والثانية: اتخاذ خطوات عملية نحو

---

(١) انظر:تاريخ بيزنطة، جان كلوشينيه، ص:١١ .

(٢) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص: ١٩٢ .

(٣) انظر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، هـ . أ . ل فشر: (١/ ١٠٦) .

(٤) العلاقات السياسية والدينية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني . د. عادل زيتون، ص: ٩٩ .

ذلك الهدف، وسأتحدث عن ذلك بشيء من التفصيل.

صناعة النظرية البابوية:

اعتمدت الكنيسة الرومانية في صناعة النظرية البابوية على أسلوبين:

الأول: الاتكاء على المكانة التاريخية لروما. والثاني: إقامة السند الديني لهذة النظرية.

المكانة التاريخية لروما:

تأسست مدينة روما عام ٧٥٣ ق.م، على يد روميولس[١]، وأصبحت بعد ذلك من أهم المدن التاريخية؛ حيث إنها عاصمة الإمبراطورية، وقبلة العالم في ذلك الوقت، وملتقى ساسته، وهي في نظر معظميها بابل الثانية، التي أراد الله أن يستخدمها للسيطرة على الكون، وقد اتسع نفوذها، ليشمل حوض البحر المتوسط بأكمله، ومنها انتشرت العلوم، والآداب، والفلسفة، والقوانين التي أصبحت تدرس في أرجاء العالم[٢].

وقد اتكأ أساقفة الرومان، على هذه المكانة التاريخية – إضافة إلى المكانة السياسية لها قبل انتقال الإمبراطور إلى القسطنطينية –، وقالوا: «إن توحيد المذاهب وتجنيس الطقوس تطلَّب أن يكون هناك أسقف على الأساقفة، للرجوع إليه في كل مواضع الشك، وتصبح الشعوب المسيحية تابعة لزعيم واحد، وكنيسة واحدة، لها الصدارة على جميع الكنائس... ثم إنه صار من المتعين جرياً على المنطق السائد وقتذاك

---

(١) روميولس: مؤسس روما الأسطوري، وأول ملوكها (٧٥٣-٧١٥ق.م)، ومن الأساطير المتعلقة بحياته ما قيل إنه غذته ذئبة بحليبها، مع أخيه التوأم، واحتضنه أحد الرعاة. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص: ٢٧١ .

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، لنخبة من اللاهوتيين، ص: ٤١٧، مدينة الله، أوغسطينوس: (٣/ ٣٧) .

أن يكون للكنيسة رئيسٌ أعلى، كما للإمبراطورية إمبراطور»[1].

وقد لقي نهوض الأسقف الروماني لهذه الرعاية ترحيباً واسعاً في أوربا، خاصة لدى الإيطاليين، وإن لم يجد مثل ذلك لدى الكنائس الشرقية التي ولَّت وجهها نحو كنيسة الشرق.

وظلت هذه الدعوة التي ادعاها أساقفة روما موضع أخذٍ وردٍّ ونقاشٍ عنيف دون أن يعترف النصارى بحقوق البابوية الرومانية اعترافاً إجماعياً، واقتصر الأمر على الكنائس بغرب أوربا.

السند الديني للزعامة البابوية:

أدت الحجة التاريخية لمكانة روما دورها في الاتجاه نحو الزعامة البابوية، ولكن الأسلوب الأكثر تأثيراً، كان هو السند الديني لهذه النظرية، الذي يقوم على مبدأي الرئاسة، والانتقال.

ويقصد بالرئاسة: رئاسة بطرس للكنيسة جمعاء، ويقصد بالانتقال: انتقال هذه الرئاسة في سلسلةٍ متصلةٍ ومحفوظةٍ في أساقفة روما من بطرس إلى آخر بابا .

ويحشد الأساقفة الكثير من الحجج على المبدأ الأول، ومن تلك الحجج ما يأتي:

١ - أن الرب نفسه هو الذي اصطفى بطرس، وفضله على سائر الرسل، ومنحه سلطانه، ويسمى عندهم "سلطان الحل والعقد"، وتقوم هذه الحجة على نصٍ ورَدَ في الإنجيل ينسب إلى المسيح عليه السلام .

٢- الفضائل التي تميز بها بطرس عن بقية الرسل عندهم .

٣- قيادته لتلاميذ المسيح عليه السلام بعد صعوده مباشرة[2].

---

(١) تاريخ أوربا الوسطى، هـ.أ.ل.فشر: (١/ ١٠٤)، بتصرف يسير .

(٢) انظر: الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض، خليل أدَّه اليسوعي، ص: ٦٦-٧٧، والمجمل في =

وسأناقش ذلك في موضعه من هذا البحث إن شاء الله .

ومما له علاقة بالمكانة الدينية لروما، ما استند عليه الكاثوليك في تحقيق الزعامة البابوية من وجود قبري بطرس وبولس في روما، ونشأت هذه المكانة من كون هذين الرسولين من أعظم الرسل عند طوائف النصارى، وقد بلغ من منزلتهما أن قبريهما أصبحا من أعظم الأماكن وأقدسها للحج والزيارة، حيث يزورهما الآلاف المؤلفة في كل سنة.

ومما يوضح ذلك، ما ذكره أحد الآباء القدماء، وهو يوحنا فم الذهب(١)، وقد تحدث عن عظمة روما، وما تميزت به على سائر المدن النصرانية من القداسة والهيبة، بسبب احتوائها على رفات الرسولين بطرس وبولس، يقول في ذلك: «ولهذا السبب أحب روما حباً جماً، واستطيع أن أصفها وأمدحها لأسباب وأسباب من عظمتها الخالدة...» (٢).

هذه أهم الركائز التي ارتكزت عليها الكنيسة الكاثوليكية في تحقيق الزعامة على العالم الغربي من الناحية النظرية، غير أنها لم تقف عند هذا الحد، بل اتخذت خطواتٍ عملية، تمثلت فيما يأتي:

= تاريخ الكنيسة، أنطوان الفرغاني: (٢٩-٣١) .

(١) يوحنا فم الذهب: ولد في مدينة أنطاكية، وبعد أن دخل في النصرانية التحق بجماعة ديرية لدراسة الكتاب المقدس، ثم رُسِم شماساً عام، ٣٧١م، ثم انتقل إلى أحد الجبال لممارسة الحياة النسكية، وبعدما اعتلت صحته عاد إلى أنطاكية، وعمل ككاهن لمدة ثنتي عشرة سنة، اهتم فيها بالوعظ حتى علا صيته، وأصبح رئيساً على أساقفة القسطنطينية، عام ٣٩٨م، له مؤلفات كثيرة، منها العظات، والأبحاث والمقالات، والرسائل. انظر: قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، الآب: جوزيف كميل جبارة، ص:(٥٧٩-٥٨٢).

(٢) تاريخ أوروبا الوسيط، فشر: (١/ ١٥-١٠٦)

١ - أعمال أسهمت في الاتجاه نحو الزعامة البابوية.

٢ - دور الباباوات الكبار في الزعامة البابوية.

الأعمال التي أسهمت في الزعامة البابوية:

أولاً: ترجمة الإنجيل إلى اللغة اللاتينية:

كانت اللغة المستخدمة في الكنيسة الرومانية في القرون الأولى هي اللغة اليونانية؛ لأنها لغة الثقافة والعلم في ذلك الوقت، وفي القرن الثالث حلت اللغة اللاتينية محل اللغة اليونانية وأصبحت اللغة الرسمية للكنيسة، واستخدمت في العبادة والطقوس، والمخابرات الرسمية والتأليف، بسبب كثرة العنصر الروماني في روما [١].

وعند ذلك، وللحاجة إلى الاطّلاع على الإنجيل باللغة التي يفهمها الغالبية من الشعب، انبرى "هيروثيمس"[٢]، لنقل الإنجيل إلى اللغة اللاتنية، بتكليفٍ من البابا دامسس الأول[٣]، عندما كان أمين السر للبابوية، وقام بهذه الترجمة عن النص العبري والآرامي، وقد اشتهرت هذه الترجمة باسم "الترجمة الشائعة".

ويعتبر الكاثوليك أن القيام بهذا العمل قد رسخ أكثر فأكثر مبدأ أولية روما[٤]

---

(١) انظر: آباء الكنيسة، أسد رستم، ص: ١٥٩.

(٢) هيروثيمس: (٣٤٧- ٣٩٧م) من كبار المؤلفين باللغة اللاتينية، ولد في ألماسيا (يوغسلافيا الحالية)، وعهد إليه بالترجمة اللاتينية للكتاب المقدس في القرن الرابع. انظر: قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، جوزيف كميل جبارة، ص:٥٤ .

(٣) دامسس الأول: هو البابا السابع والثلاثون، من أعظم بابوات القرن الرابع، وهو الذي انتصر على الآريوسين، وأضعف شوكتهم. انظر: معجم البابوات، خوان داثيو، ص:٢٦.

(٤) انظر: معجم البابوات، خوان داثيو، ص٢٦، قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، جوزيف جبارة: (١/ ٤٩٢)، دليل إلى قراءة الكنيسة، الأب جان كمبني: (١٤٧-١٤٨).

ثانياً: كتابات أوغسطين:

يعتبر أوغسطين(٣٥٤-٤٣٠م) أعظم الآباء الفلاسفة عند النصارى، وأكثرهم تأثيراً في الفكر الغربي، وأغزرهم إنتاجا، وقد تحدث هو عن نفسه، بأنه كتب حتى سنة ٤٢٧م ثلاثة وتسعين كتاباً، مؤلفة من ٢٣٢ جزءاً فضلاً عن مواعظه التي بلغت (٣٦٣ عظة)، ورسائله التي تجاوزت ٢٧٠ رسالة(١)، وقد ساهمت هذه الشخصية الكبيرة في دفع الكنيسة نحو الزعامة البابوية، ويمكن ملاحظة ذلك، من خلال ثلاثة مجالات:

١- علاقته بروما:

بدأت علاقة أوغسطين بروما منذ اللحظة الأولى من حياته الدينية، فقد كان اعتناقه للنصرانية، بسبب تأثير امبروسيوس أسقف ميلانو صاحب المواعظ والتفسيرات الكتابية الشهيرة.

وبعد اعتناقه للنصرانية انصرف إلى قراءة ما يسمَّى بالكتاب المقدس، ولما توجه إلى "هيبون"(٢)،سنة ٣٩١م التقى بأسقفها الذي رسمه كاهناً معاوناً، ثم خلفه على الكرسي الأسقفي عام ٣٩٥ أو ٣٩٧م.

وقد كان لهذه البيئة التي عاش فيها أوغسطين أثرها في دفاعه عن الكنيسة الكاثولكية، ورفع منزلة روما، كما سيأتي لذلك مزيد من التفصيل.

٢- معاصرته لسقوط روما:

سقطت روما على يد الأريك زعيم القوط سنة٤١٠م، وكان سقوطها في حد

---

(١) انظر: قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، ص: ١٢٩، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي، ص: ١٤٨.

(٢) هيبون: مدينة قديمة في نوميديا، آثارها قرب عنابة بالجزائر، وهي حاليا بين تونس والجزائر. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص: ٦٠٥ .

ذاتـه مـن الأسـباب المهمـة في تقـدم الكنيـسة الكاثولكيـة، ولكـن هـذا الحـدث ألهـب أوغسطين لتأليف كتابه الشهير "مدينة الله"، الذي تضمن تمجيداً عظيماً لمدينة روما، ودفاعاً عن الكنيسة أمام اتهام الوثنيين، بأنها المسئولة عـن الانحطـاط الـذي آلـت إليـه المدينـة الرومانيـة وأدى إلى سـقوطها نهائيـاً عـلى أيـدي القـوط، وكـلا الأمـرين (تمجيـد روما، والدفاع عن الكنيسة)، أديا إلى تعزيز مكانة الكنيسة الكاثوليكية.

ومن أقوال أوغسطين في تمجيد روما: «إننا نسمي مدينة الله تلك التي يـشهد لهـا الكتاب المقدس، بما له من سلطة إلهيه، قلدته إياها العناية الإلهية، ففاقت كل ما أنجزته سـائر الأمـم، وسـيطرت عـلى كـل نـوع مـن القـوى العقليـة، حتـى قـال فيهـا المزمـور: (٨٦/ ٣) : يحدث عنك بالمفاخر يا مدينـة الله، وفي مزمـور آخـر: (٤٧/ ٢-٩) :الـرب عظـيم ومـسبح جـداً في مدينـة إلهنـا جبـل قدسـه بهجـة الأرض كلهـا... تعرفنـا هـذه الشهادات، وكثيرٌ سواها، إذا ذكرناها، طال بنا الكلام، بوجـود مدينـة الله نتـوق إلى أن نسكن فيها بالمحبة التي يلهمنا إياها مؤسسها باني المدينة المقدسة»[١].

وفي هذا النص بيان لبعض ميزات رومـا كـما يراهـا أوغـسطين، والتلمـيح إلى أن هذا المجد كان بفضل المسيحيين، الذين يسبحون الرب في هذه المدينة، وهـذا التمجيـد رفع مكانة البابوية إلى منزلة عليا.

وفي الحقيقة ليس للمسيحيين فضل على روما إلا نشر النصرانية المحرفة التي تقر بالتثليث وبألوهيـة المـسيح عليه السلام وسـائر أنـواع الـشرك الـذي اشـتملت عليـه عقائـدهم المحرفة وطقوسهم المبتدعة.

٣- دفاعه عن النصارى ضد خصومهم:

منـذ تـولى أوغـسطين أسـقفية هيبـون، دافـع عـن الكنيـسة إزاء جميـع البـدع التـي واجهتهـا مـن قبـل خـصومها، فقـضى الجـزء الأكـبر مـن حياتـه في محاربـة مـا واجـه

---

(١) مدينة الله، أوغسطين: (٢/ ٥).

الكنيسة[١]. وهذا الدفاع الذي قام به أوغسطين، كما أنه أكسبه شهرةً كبيرةً لدى النصارى، فإنه في الوقت نفسه عزز زعامة الكنيسة الكاثوليكية، ورفع مكانتها على جميع الكنائس؛ لأن دفاعه عن الكنيسة لم يكن في الحقيقة إلا دفاعاً عن الكاثوليك، كما صرح باسمهم، في مواضع كثيرةٍ من كتاباته، واعتبر أن أعداءهم هم أعداء الإيمان المسيحي والكاثوليكي، فنجده يقول: «ومنذ أن تخف المشاكل الخارجية، تاركاً هدوءاً ظاهرياً أو حقيقياً، حاملة لاسيما إلى الضعفاء تعزية كبرى، يظهر دوماً عددٌ كبيرٌ من الأعداء الداخليين الذين يضربون بفسادهم قلب الأبرار؛ لأنها تُعتبَر مناسبةً للتجديف على الاسم المسيحي والكاثوليكي»[٢]

ودفاع أوغسطين هنا عن النصرانية إنما هو دفاع عن النصرانية المحرفة التي نشرها زعمائها في أوربا وورثتها البابوية وليس دفاعاً عما جاء به المسيح ﷺ من الرسالة الداعية إلى التوحيد والسالمة من الشرك.

ثالثاً: دور الباباوات الكبار في الزعامة البابوية:

في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية كان هناك باباوات لهم أثرٌ كبيرٌ في إرساء الزعامة البابوية لقرون طويلة، وسنعرض فيما يأتي أهم الباباوات الذين أثروا في تاريخ الكنيسة، ومن هؤلاء:

أولاً: البابا لاون الأول (٤٤٠-٤٦١م):

يلقب هذا البابا بالعظيم، أو الكبير، وهو البابا الأربعون في سلسلة الباباوات الكاثوليك، وبمجهوداته رُفع مقام الأسقف الروماني إلى درجة لم تكن معروفةً من قبل، وهي جعل البابا ممثلاً لبطرس، فكان يقول: «إن الرسول كان يدعى بطرس، أي الصخرة، وبهذا الاسم هو الأساس، وأصبح كرسيه السلطة الفائقة التي لا تنتهي،

---

(١) لتفصيل ذلك، انظر: قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، الأب جوزيف جبارة: (١/ ١٢٩).

(٢) مدينة الله: (٣/ ٨٩).

لذلك فليعلم الأخوة أنه هو رئيس جميع الأساقفة، وأن المسيح لا يهب مواهبه إلا بواسطته، مع أنه لا يظن بها على أحد»[1].

وكان هذا البابا ينسب كل ما يفعله الباباوات أو يقولونه إلى بطرس، «فما أصبنا في فعل شيءٍ، أو في صدور قرار، وما حصلنا عليه من شيء من رحمة الله، بما درجنا كل يوم على تأديته، من صلوات وتوسلات، ليس إلا من عمل بطرس، ومن خلاله، ذلك الذي تتركز قوته في مقره والذي تفوق سلطته كل شيء»[2].

ويعتبر هذا البابا مؤسس النظرية البطرسية التي تزعم «أن المسيح قصد أن يكون بطرس، وكل من يخلفه في كرسيه رئيساً للكنيسة بأسرها، فهو الصخرة أو الأساس الذي قامت عليه الكنيسة، ولذا يجب أن يتمتع بسلطانٍ مطلقٍ على العقيدة والأخلاق بوصفه نائباً للمسيح على الأرض، وهكذا يكون أسقف روما هو الوحيد الذي يمتلك مفاتيح ملكوت السماوات، وهو وحده نائب المسيح على الأرض، وهو الراعي الأول لشعب المسيح »[3].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن ليو الكبير هو «أول من افتتح العصر الذهبي في تاريخ البابوية الوسيطة، عندما أكد سلطة البابا انطلاقاً من النظرية البطرسية، وأصبحت صياغته للعقيدة المسيحية هي الصيغة الرسمية للكنيسة الكاثوليكية»[4].

وإضافةً إلى اختراع المذهب البطرسي، فقد استطاع ليو أن يستصدر من الإمبراطور فالنتينيان الثالث(٤٢٥-٤٥٤م) [5] مرسوماً عام ٤٤٥م يخول كنيسة

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص:١٩٣.

(٢) تاريخ أوروبا العصور الوسطى، السيد الباز العريني، ص: (١٦٢/ ١٨١)، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.سعيد عاشور، ص:٥١.

(٣) التاريخ الوسيط، نورمان ف. كانتور، ص: ٨٦.

(٤) العلاقة السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، د.عادل زيتون، ص:١٠١، بتصرف يسير.

(٥) فالنتينيان الثالث: إمبراطور الغرب، كان تابعاً لإمبراطور الشرق ثيودوسيوس الثاني، اغتال =

بطرس أن تتبوأ المقام الأول بين كنائس العالم عامة، والإشراف على كنائس الغرب خاصة، وقد عزز هذا المرسوم مركز روما، وجعل رئيسها يلقب بـ "أسقف العالم"[(1)].

وبعد هذا التأسيس الذي قام به البابا باشر أعماله البابوية، وقام بمفاوضات الإمبراطورية بدلاً من الإمبراطور، وبالفعل وجدت الإمبراطورية في شخصيته خليفةً عن الإمبراطور، باعتباره القوة التي تلم شمل الغرب، وأصبح ليو أعظم اسمٍ يشار إليه بالبنان في الإمبراطورية إن لم نقل المسيحية كافة، وتم في عهده الاعتراف بسيطرة البابوية على جميع الكنائس المحلية في الغرب[(2)].

ومن الأحداث المهمة المتعلقة بهذا البابا هو عقد مجمع خلقدونية الذي أقر عقائد الشرك، وانفصلت بعده الكنيسة القبطية انفصالاً كاملاً عن كنيسة روما الكاثوليكية وكنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية- كما سيأتي- .

ثانياً: غريغوريوس الكبير (٥٩٠-٦٠٤م):

هو البابا الرابع والستون، ويلقب بـ "أبي البابوية"، بسبب أعماله الكثيرة وأنشطته العديدة، وقوة نفوذه، التي أصبحت مثلاً يحتذي به الباباوات من بعده، وهو أول من لقب بـ "خادم خدام الله"، ومن أهم المجالات التي اهتم بها ما يأتي:

١- الإصلاح الداخلي:

سعى هذا البابا إلى الاهتمام بالكنيسة من الداخل، فقام بكتابة الشروح على ما يسمى بالكتاب المقدس، وعقد الحوارات والمواعظ، وقد بلغت خطاباته في هذه الفترة ما يقارب (٨٥٠) خطاباً، مما يدل على حماسه للإصلاح، كما قام بإصلاح إداري

= آيتيوس فاغتاله أنصار آيتيوس. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص:٤٠٤ .

(١) انظر: حضارة أوروبا في العصور الوسطى، د.محمود عمران، ص: ٩٧-٩٨.

(٢) انظر: التاريخ الوسيط، نورمان ف. كانتور: (٨٥-٨٧)، مختصر تاريخ الكنيسة، أندروملر، ص:١٩٣، أوروبا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور: (١/ ٧١).

في عدد من الكنائس، وادخل تحسينات على طريقة إقامة الشعائر الدينية، وبهذه الأعمال استطاع إحكام الإشراف على الجهاز الكنسي في الغرب[١].

٢ـ النشاط الاجتماعي:

تزامن مع الإصلاح الداخلي نشاط اجتماعي ظاهر، تمثل في مساعدة المحتاجين والفقراء، حيث أغدق عليهم من أموال الكنيسة، ومن "أوقاف بطرس" التي تكاثرت في عهده، وقد جعل هذا العمل رسالةً أساسيةً من رسائل الكنيسة وواجبات الأساقفة، حيث يقول: «لا يظن الأسقف أن عمله يقوم في القراءة والوعظ فحسب، أو في الاعتكاف والدرس، بينما يده مغلولة عن الإحسان، بل يجب عليه أن يبسط يده بسخاء، يشترك في احتياجات المحتاجين، ويشعر بأعواز الغير كأنها أعوازه؛ لأنه بدون هذه الصفات يكون تعب الأسقفية تعباً فارغاً عديم الفائدة»[٢].

٣ـ المجال السياسي:

اهتم غريغوريوس بالعمل السياسي، في الوقت الذي كان الأعداء يحيطون بروما من كل جانب، وقد لاحظ أن الإمبراطور بعيدٌ عن هذه الأحداث، ووجد نفسه ملزماً أن يحل محل السلطة الزمنية، ويتصرف أمام الأعداء كأنه حاكم سياسي، حيث أنقذ روما من أعدائها، ودفع الضريبة التي فرضها البرابرة من أموال الكنيسة، حتى استطاعت الكنيسة أن تحل محل الامبراطورية في إيطاليا[٣].

٤ـ النشاط التنصيري:

قام البابا بنشاط يعد من أخطر ما قام به، وهو التنصير، ففي عهده انطلقت

---

(١) انظر: معجم البابوات، خوان داثيو، ص:٤٤، مختصر تاريخ الكنيسة،ملر، ص:٩٩، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، د.محمود عمران، ص: ٩٨-٩٩.

(٢) تاريخ الكنيسة، ملر، ص:١٩٤.

(٣) انظر: معجم البابوات، خوان داثيو، ص:٤٤.

البعثات التنصيرية تجوب أنحاء أوروبا لأول مرة،واستطاع تنصير البرابرة الغزاة، واستطاع مندوبو البابا أن يدخلوا دولاً كبيرة، كبريطانيا إلى حظيرة البابوية الرومانية[١].

وكان البابا يقوم بهذه الأنشطة الواسعة، وهو ينطلق من حقيقة أن البابا يتصرف على اعتبار أنه نائب المسيح على الأرض؛ لأنه أسقف روما، وكانت محصلة هذا النشاط أنه اعتبر في نظر المؤرخين مؤسس البابوية في العصور الوسطى[٢].

ثالثاً: البابا غريغوريوس السابع:

هو ابن فلاح، ولد في عام ١٠٢٠م، في سوانا ثوسكانا، وكان أبرز رهبان ديركلوني[٣]، كان ذا شخصية قوية على خصومه،حتى أطلقوا عليه "الشيطان المقدس" تولى عرش البابوية عام١٠٧٣م[٤].

ويعتبر هذا البابا أول من طبق على نطاق واسع "نظرية السمو البابوي"، وكان يقدر ضخامة هذه المهمة، حتى قال:« إنني لا أقبل البقاء في روما يوماً واحداً إذا أدركت أنني عديم الجدوى للكنيسة »[٥].

كان هذا البابا يتكلم عن نفسه بوصفه خليفة بطرس، وتابع يسوع، والناطق بلسان الله، وكان غرضه المعلن من البداية هو الحصول على الحرية الكاملة

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة، ملر، ص:١٩٨.

(٢) انظر: التاريخ الوسيط، نورمان ف. كانتور، ص:٢٣٠.

(٣) كلوني: هي مدينة فرنسية اشتهرت بديرها، وهو دير بنديكتي اطلق حركة إصلاحية تهدف إلى دعوة أوروبا إلى المسيحية، وشكَّل في نهاية القرن العاشر وفي القرن الحادي عشر مع الاديرة البنديكتية الأخرى أقوى مؤسسة دينية وأوسعها نفوذا في أوروبا.موسوعة ويكيبيديا الحرة.

(٤) انظر: معجم البابوات، خوان داثيو، ص:٩١، التاريخ الوسيط، نورمان ف. كانتور، ص: (٣٠٥-٣٦٠).

(٥) أوروبا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور: (١/ ٣٣١).

والاستقلال التام للكهنوت، وفصله عن كل تدخل إمبراطوري أو علماني من أي نوع، وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية كان يؤكد بكل تشدد: أن السلطة الروحية هي أسمى من السلطة الزمنية، وأكثر منها شرعية، وكان يردد عبارته الشهيرة: «إن قوة الملوك مستمدة من كبرياء البشر، وقوة رجال الدين مستمدة من رحمة الله. إن البابا سيد الأباطرة، لأنه يستمد قداسته من تراث سلفه القديس بطرس»(١).

قدم هذا البابا مشروعاً إصلاحياً كبيراً للكنيسة الرومانية عرف باسم الإصلاح الجريجوري، وكانت غايته النهوض بالسلطة البابوية وجمع قوانينها وتنظيمها، وقد بدأ هذا المشروع قبل توليه السلطة، وفي ولايته واصل البحث في هذا المشروع، حتى نشر تقريرا عن السلطة ، عرف باسم(Dictatuspape)، ويعني الإرادة البابوية، أو الأوامر البابوية، ويتكون من سبعة وعشرين نقطة تحدد سلطة البابا بوصفه خليفة لبطرس، وقد نُشر بعد وفاته بقليل، أي حوالي سنة ١٠٨٧م، ومن أهم بنوده:

١- الرب وحده هو الذي أسس الكنيسة الرومانية، والمنصب البابوي فقط صاحب السلطة العالمية.

٢- البابا وحده هو الذي يملك حق عزل الأساقفة أو إعادتهم لوظائفهم السابقة، أو نقلهم إلى أسقفيات أخرى، ولا يمكن أن يكون ثمة مجلس كنسي شرعي دون موافقته.

٣- البابا يسمو فوق كل إنسان، فالرب وحده هو الذي يحكم على كل أعماله، وهو فوق كل الأحكام، وباستحقاقات القديس بطرس صار مقدسا تقديساً تاما.

٤- من حق البابا وحده الاحتفاظ بالشارات الإمبراطورية، وله الحق في عزل الأباطرة، وتحرير الرعايا من واجب الخضوع لهم، وأن القانون يقضي بأن يتقدم الرعايا باتهاماتهم ضد حكامهم إلى المحكمة البابوية، وجميع الأمراء مرغمون على

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة، ملر، ص:٢٤٢-٢٤٣.

تقبيل قدميه.

٥- إن الكنيسة لم تقم لتكن خادمةً للأمراء، بل تكون سيدةً عليهم؛ وإذا كانت قد تسلمت من الله السلطان بأن تربط وتحل في السماء، فبالأولى جداً أن يكون لها نفس هذا السلطان في الأمور الأرضية[(١)].

هذه أهم بنود الوثيقة، وهي تهدف أن تكون السلطة المطلقة العالمية والشرعية الوحيدة لأسقف روما وحده نائب المسيح على الأرض، والذين يخضعون لهذه السلطة هم فقط الذين يمكنهم أن يأملوا في أن تضمهم مدينة الرب.

ولم يتوقف إصلاح البابا عند هذا الحد، بل أدخل إصلاحاتٍ كبرى تتعلق بأهم المشكلات التي كانت تواجه الكنيسة، في تلك الفترة، وهي السيمونية[(٢)]، وزواج القساوسة، والتقليد العلماني[(٣)].

فأما الأمر الأول والثاني، فبعد توليه العرش بسنةٍ واحدةٍ عقد مجمعاً عظيماً في روما، لمناقشة هاتين المشكلتين، وقد تم إقرار العزوبة دون معارضة، واتخذت القرارات الآتية:

---

(١) انظر: التاريخ الوسيط، نورمان ف. كانتور، ٣٥٦، مختصر تاريخ الكنيسة، ملر، ص:٢٤٣، التاريخ الأسود للكنيسة، القس دي روزا، ص:٥٤، أوروبا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور:(١/ ٣٣٢).

(٢) السيمونية: نسبة إلى سيمون(الساحر)، الذي أراد أن يشتري موهبة الرب بدراهم، وتعرف بأنها المتاجرة بموهبة الله في الكنيسة، وتعني: الحصول على المناصب الكهنوتية مقابل مبلغ من المال.انظر: معجم المصطلحات الكنسية، الراهب القس أثناسيوس المقاري:(٢/ ٢٣٤).

(٣) التقليد العلماني: هو أن يقوم الحكام العلمانيون – من أباطرة وملوك وأمراء – بتقليد رجال الدين مهام مناصبهم الدينية، والمعروف أن القانون الكنسي نص منذ القدم على أن يكون تعيين القساوسة بواسطة أساقفتهم، وأن يقوم القساوسة وغيرهم من رعايا الأسقفية بانتخاب الأسقف، وأخيرًا يعتمد كبير الأساقفة (البابا) هذا الاختيار. انظر: محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية، د. يواقيم رزق مرقس، ضمن موقع تاريخ الكنيسة الغربية الإلكتروني.

١- القساوسة لا يتزوجون.

٢- القساوسة المتزوجون يجب عليهم أن يتركوا نسائهم أو يتخلوا عن مناصبهم الكهنوتية.

٣- لا يقبل أي واحد في المستقبل ضمن الكهنوت المقدس ما لم يكن ذا عفةٍ لا تقهر (غير متزوج).

كما تم في هذه المجمع إصدار قانون بإلغاء السيمونية، وبهذه القرارات كتبت الرسائل البابوية إلى الأساقفة، والأمراء، والملوك، وكافة الموظفين يطلب إليهم أن يعزلوا ويطردوا بلا أدنى رحمة جميع القساوسة المتزوجين أو السيمونيين، وأن يرفضوا جميع خدماتهم الكنسية، وكل من يخالف ذلك يعرض نفسه للعقاب الشديد[١].

وتطبيق هذا القرار كان يعني تحرير جميع رجال الدين من إشراف الملوك والأمراء في مختلف البلاد، وهو ما ينذر بصدامٍ عنيفٍ بين السلطة الكنسية والسلطة الزمنية على مستوى أوروبا كلها، وهذا ما حدث بالفعل، ومن أهم الشواهد التاريخية على ذلك ما حدث بين البابا وإمبراطور ألمانيا الملك هنري الرابع[٢]، حيث عارض الأخير القرار البابوي الخاص بتعيين الأساقفة، وأعلن سقوط غريغوريوس، لكن البابا خلع هنري الرابع وحلَّ رعاياه من قسم الطاعة له، حتى تذلل الملك أمام البابا وذهب إليه، وبقي أمام قصره ثلاثة أيام، حافي القدمين باكيا، وهو تحت الثلج، ولم يستضيفه البابا إلا في اليوم الرابع، وغفر له، بعد أن وعد بقبول أي عقاب يفرضه البابا[٣].

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، ملر، ص: ٢٤٣-٢٤٤.

(٢) هنري: أو هاينرش إمبراطور ألماني عاش في الفترة بين (١٠٠٥-١١٠٦م)، وتولى العرش وهو صغير، وحكم حوالي خمسين سنة، وعاش صراعاً مريراً مع البابا غريغوريوس السابع انتهى بخضوعه له عام ١٠٧٧م . انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص: ٥٩٩ .

(٣) لتفاصيل هذا الحدث انظر: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي، ص:١٧٤، التاريخ

من خلال ما سبق عرضه يتبين لنا الدور الكبير الذي قام به الباب غريغوريوس لنصرة السمو البابوي، حتى عُد الأب الروحي والشرارة البادئة للمذهب الكاثوليكي الروماني، وأصبح لقب الباباوات "خلفاء المسيح" بدلاً من "خلفاء بطرس"، وبذلك ثبتت للباباوات سلطة قوية وغير قابلةٍ للمناقشة أو النقد قروناً طويلةً من بعده[١].

رابعاً: إنوقنطيوس (إنوشنتيوس) الثالث(١١٩٨-١٢١٦م):

كان يُطْلَق على هذا البابا قبل انتخابه لوتسهير كونت سيني، وهو أحد أعظم الباباوات في هذه الحقبة من تاريخ الكنيسة[٢].

سار هذا البابا على نهج سلفه غريغوريوس في إعلاء السلطة البابوية، وقد ارتفع الكرسي البابوي في عهده إلى القمة، واعتبر القرن الثالث عشر منار البابوية الساطع الذي بلغت فيه أوج مجدها، واستطاع تنفيذ المشروعات الجريئة التي رسمها سلفه غريغوريوس السابع، حتى تحقق الهدف الذي كان يشغل الباباوات من قبله، وهو تحقيق الرئاسة الكهنوتية، والسيادة الملكية، والسيطرة على جميع ملوك الأرض، وأصبح بابا روما من ذلك الوقت هو القوة المطلقة السلطان التي تحرك بيدٍ لا رقيب عليها، وبمثابرةٍ لا تعرف الكلل أو الملل دولاب البابوية عامة للوصول للزعامة العليا والاحتفاظ بها على كرِّ الأيام ومرِّ الأعوام[٣].

بدأ هذا البابا في السعي لتحقيق هدفه منذ اللحظة الأولى لتوليه العرش ف«كان حفل تنصيبه مثلاً لتغير حال الكنيسة، فبدلاً من أن يلبس العباءة الباباوية بيضاء اللون ارتدى عباءة الملك المرصعة بالجواهر، وتغيرت كلمات التنصيب التي يتلوها أحد

= الأسود للكنيسة، القس دي روزا، ص:٥٦، معجم الباباوات، خوان داثيو، ص:٩٦.

(١) التاريخ الأسود، ص:٥٧ .

(٢) انظر: معجم البابوات، خوان داثيو، ص: ١١٨ .

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة، جون لوريمر: (٤/ ٢٨)، مختصر تاريخ الكنيسة، ملر،٣٠٥ .

الأرشدياكونات[١]، فأصبحت:«تسّلم هذا التاج وأعلن أنك أبو الملوك والقياصرة، وحاكم العالم خليفة المسيح في الأرض»[٢].

ثم مضى هذا البابا في شرح "نظرية السلطة البابوية"، وتحدث أحيانا عن "الحكم الإلهي"، ومن أهم أقواله:

١- قال في رسالةٍ إلى القنصل أشريوس من فلورنسا، ٣٠ تشرين الأول ١١٩٨م، تحت عنوان:(السلطة المزدوجة على الأرض) «كما أن الله خالق الكون كله، جعل في فلك السماء نيِّرين كبيرين، الأكبر لسلطان النهار، والأصغر لسلطان الليل، كذلك جعل في فلك الكنيسة الجامعة التي تدعى سماء رتبتين عظيمتين، كبرى، كما للنهار، ترعى النفوس، وأخرى أصغر منها، كما لليل، ترعى الأجساد، وهما السلطة الحبرية، والسلطة الملكية، وكما أن القمر يتلقى النور من الشمس، وهو في الحقيقة أصغر منها، سواءاً كان ذلك في حجمه أو صنعته، وسواءاً كان في منزلته أو في أثره، فيلقى السلطان الملكي من السلطة الحبرية رونق رتبته، فبمقدار ما يثبت عليها نظره يتألق بنور أعظم، وبمقدار ما يميل عنها بنظره يفقد رونقه»[٣].

٢- ثم مضى يؤكد سمو السلطة البابوية على كل سلطة، وعلو منزلة البابا من خلال النصوص الكتابية، ومن ذلك:

- «إلى البابا يقال في شخص النبي: قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب والممالك تتطلع، وتهدم، وتبنى، وتغرس (إرميا: ١/ ١٠) ».

- هكذا دُعي آخرون لجزء من المسؤولية، لكن بطرس وحده اتخذ لنفسه كمال

---

(١) الأرشدياكون: كلمة يونانية تعني رئيس الشمامسة، والأرشدياكون هو راعي الطقوس الكنسية. انظر: معجم المصطلحات الكنسية، الراهب القس:أثناسيوس المقاري:(١/ ٨٩).

(٢) التاريخ الأسود للكنيسة، القس دي روزا، ص:٥٧.

(٣) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنسنغر-هونرمان: (١/ ٢٥٨-٢٥٩).

القوة. أنت إذا ترى من هو الخادم المُعَيَّن رئيسا على أهل البيت إنه حقا نائب يسوع المسيح، خليفة بطرس.

- أدنى من الله (البابا) لكن أعلى من الإنسان، يحاكم الجميع، ولا يحاكمه أحد[1].

أما على الصعيد العملي، فقد مارس سلطته المطلقة على الأباطرة، حتى أخضعهم لسلطانه، وكما فعل غريغوريوس مع الملك هنري الرابع فعل إنوشنتيوس مع ملك انجلترا، فقد قام الأخير باختيار شخصيةٍ معينةٍ لأسقفية كنتربرى، لكن البابا كان لديه شخصٌ آخر، وبقوة التهديدات البابوية، مثل الحرم البابوي، استطاع إنوشنتيوس أن يفرض إرادته على الملك حتى سار إليه ذليلاً حافي القدمين في شوارع كنتربري، وركع كي يتلقى الجلدات من الرهبان، ورضي أن يدفع ضريبةً سنويةً للفاتيكان مقدارها ١٠٠٠ مارك؛ استرضاءً للأسقف الروماني.

ومما له علاقةٌ بسمو البابوية دخول إنوشينتيوس على مسرح الحروب الصليبية، وإنْ كانت هذه الحروب قد بدأت قبله بقرن من الزمان[2] إلا أنه شارك في بعضها، فقد سيرت الحملة الصليبية الرابعة(١٢٠٢-١٢٠٤م) في عهده، واحتلت بيزنطة وأعملت فيها النهب والحرق حتى أصبحت إمبراطورية لاتينية[3].

والمقصود هنا الإشارة إلى أمرين: الأول: كانت الحروب الصليبية مظهراً من مظاهر توحيد الشعوب والممالك النصرانية في أوروبا تحت راية واحدة.

الثاني: لم يكن حامل هذه الراية سوى البابا، ولم تنطلق الجيوش إلا باسمه، وبحسب توجيهه، وكانت رصيداً إضافياً نحو سلطة البابا وزعامته المطلقة.

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة، لوريمر: (٤/ ٢٨).

(٢) بدأت الحروب الصليبية عام ١.٩٦م، على يد أوربان الثاني.

(٣) خرجت هذه الحملة – لأسباب كثيرة – إلى غير الهدف الرئيسي المعلن وهو استرجاع الأراضي المقدسة، وانقاذ القبر المقدس من أيدي الأعداء (المسلمين).

المطلب الثالث: بداية ضعف السلطة البابوية

بعد أن بلغت السلطة البابوية ذروتها، وأصبح الأسقف الروماني صاحب السلطة المطلقة على العالم النصراني، وذلك على عهد إنوشينتيوس، بدأت بعد ذلك أحداث اتجهت بالكنيسة الرومانية نحو الضعف، ثم الانقسام، وحتى الانحطاط، وسأشير في هذا المطلب إلى أهم الأحداث في هذا السياق.

الصراعات بين البابوية والإمبراطورية:

كان المبدأ الذي قامت عليه العصور الوسطى، فيما يتعلق بالعلاقة بين البابوية والإمبراطورية هو مبدأ "السيفين"، أو "القوتين"، ويعني أن تقتصر سلطة الكنيسة على الشؤون الروحية، والدولة تشمل سلطتها الأمور المدنية والسياسية.

ولكن البابوية في سيرها نحو السلطة المطلقة أخذت في انتهاك هذا المبدأ شيئاً فشيئاً، وبلغ هذا الانتهاك ذروته عندما أنكر البابا بونيفاس الثامن(١٢٩٤-١٣٠٣م) حق الملوك في فرض ضريبة على الإكليروس[١]، ووضع سياسات تطالب بالسلطة المطلقة للبابوية على كل الناس، وأعاد تعريف السيفين في مرسوم بابوي يسمى "يونام سانكت Unam Sanctun"، وجعل السيفين الروحي والمادي كليهما في يد الكنيسة، لكن يستخدم الأول بواسطة الكاهن، والثاني بواسطة الملوك وقادة الجيش ولكن بمشيئة الكاهن وموافقته[٢].

وبذلك تم إخضاع السلطة الدنيوية للروحية.

ومن هذا الحدث وأحداث أخرى مشابهة من الباباوات السابقين، تولد غضبٌ

---

(١) الإكليروس: مجموعة الإكليريكين، أي غير العلمانيين. وهناك الإكليروس القانوني الذي أعضاءه رهبان، والعلماني الذي لا ينتمي إلى مؤسسة رهبانية. انظر: معجم الإيمان، الأب صبحي حموي اليسوعي،ص:٥٧ .

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة، لوريمر، ص:٣٠.

عارمٌ، وعداءٌ مستمرٌ لدى الملوك الأوروبيين تجاه البابوية التي انتزعت منهم سلطانهم، وقد اتخذ هذا العداء صورة الصراع بين السلطتين، وإن كان في الغالب ينتهي بسيطرة الكنيسة، إلا أن الملوك لم يستسلموا لذلك وجاهدوا بكل سبيل، كلما سنحت لهم الفرصة لاستعادة حقهم "المقدس"، وإن كانوا –أيضاً– في كثيرٍ من الأحيان يلجأون إلى الامتثال خوفاً من بطش الكنيسة، وسلاحها الشهير "الحرم البابوي"[(١)]، ولكن هذا الصراع مع مرور السنين، وتلاحق الأحداث أضعف هيبة الكنيسة، وأحياناً كسر من كبريائها، لدى الملوك والشعوب على السواء.

ومن الأحداث الشهيرة التي كسرت كبرياء الكنيسة وأسقطت هيبتها حادثة نهاية البابا بونيفاس، وكانت كما يأتي:

كانت علاقة البابا بونيفاس مع الملك الفرنسي متوترة، فقد كان هذا الملك في نظر البابا غير مطيع، ولا يتعظ بالتهديد فكتب إليه كتاباً يبين فيه مكانة الكنيسة وسلطتها، وعلاقتها بالسلطة الزمنية وفق نظرية السيفين – المعدلة –، وختمه بقوله: «ونحن نؤكد أنه يجب على كل مخلوق أن يكون تابعاً لراعي الكنيسة حتى ينال الخلاص»، ولما وصل هذا الكتاب إلى فيليب ثار هو ورجال بلاط قصره ثورةً عارمةً على هذا التهديد السافر، وبدأ يؤلِّب الرأي العام ضده، ثم وضع خطة مع أحد مستشاريه تقتضي باختطاف البابا وترحيله إلى فرنسا، وتقديمه للمحاكمة أمام مجلسٍ عامٍّ يقضي بتنحيته عن منصبه فوراً، وتم الإعداد لتنفيذ هذه الخطة بستمائةٍ من الفرسان وألفٍ من مشاة الملك، وساعدهم على ذلك خيانة حارس المدينة التي يسكنها البابا، فلما وصلوا إلى قصر البابا وضيقوا عليه حتى أملوا عليه شروط الملك فيليب، ومنها أن يعيد أساقفة آل كولونيا إلى الكنيسة، وأن يتنحى عن منصبه، ويسلم نفسه لأحد حلفاء الملك من آل كولونيا بدون شروط رفض البابا، فواصل الجيش

---

(١) الحرم الكنسي: هو عقوبة الإخراج من شركة الكنيسة، ولا يعمل إلا بضمانات معينة. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: (٢/ ١٢).

قتاله العنيف حتى وصلوا إلى حجرة البابا وصكه أحد الجنود، ثم تدخل أهالي بلدة إنياني لصالح البابا حتى أفرجوا عنه بعد ثلاثة أيام من الحبس، فخرج وقد أصبح مختلاً وخائفاً من دس السم له، وتم ترحيله إلى روما وقضى بها خمسة وأربعين يوما يعض على يديه كالكلب، ويخبط رأسه في الحائط، وعند دفنه لم يحضر مراسيم دفنه إلا القليل، وكتب على قبره عبارة:« وصل إلى الكرسي كثعلب، وحكم كأسد، ومات ككلب»[1].

هذه الحادثة العنيفة هزت أوربا، وكسرت شموخ البابوية وأرغمت أنفها في التراب، فضعف سلطانها وقلت هيبتها، وقدمت رسالةً واضحة، مفادها أن الدول القومية في أوروبا بدأت تتقدم، وتدرك مدى قوتها، ولم تعد تقبل أن تنحني في ذل للسلطان البابوي.

انتقال الكرسي الرسولي إلى فرنسا وانقسام الباباوات:

كانت نهاية البابا بونيفاس المخزية قد أدهشت العالم النصراني، وكان لها تداعيات كبرى، واعتبر بعض المؤرخين أن تلك اللحظة هي بداية انهيار البابوية[2]، وإخفاق الجهود الجبارة التي بذلها غريغوريوس السابع، وحتى أيام بونيفاس الثامن، لإنشاء سلطةٍ عالمية، بإخضاع الملوك للباباوات، وبدأ في المقابل انتصار القومية عليها، حتى في إيطاليا نفسها؛ فقد رفضت جمهوريات إيطالية سيطرة الكنيسة عليها، ورأت عدة دولٍ أوروبية أن بابوية تختار لها باستمرار أحبار فرنسيين (١٣٠٥-١٣٧٨م)، يكادون يكونون سجناء عند ملوك فرنسا، رأوا أنها قوة معادية لها، وأخذت هذه الدول تغفل ما تصدره هذه البابوية من أوامر الحرمان، واللعنات، وتزداد جرأةً على

---

(١) انظر: التاريخ الأسود للكنيسة، دي روزا، ص:٦٥-٦٨، مختصر تاريخ الكنيسة، ملر: (٣٧٣-٣٧٥)، تاريخ الكنيسة، لوريمر: (٤/ ٣٠-٣١).

(٢) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، ملر، ص:٣٧٥.

ذلك، كلما مضت الأيام[١].

وكانت الخطوات الأولى في خضوع البابوية للمملكة الفرنسية هي ما قام به بندكتوس الحادي عشر[٢]، الذي خلف بونيفاس الثامن واعتلى عرش البابوية عام ١٣٠٤م، فقد قام هذا البابا الذي لم تدم ولايته إلا فترةً قصيرةً بأمرين خطيرين: الأول: هروبه من روما خوفاً على نفسه من أعداء البابوية إلى بيروجيا.

الثاني: أنه بعد توليه العرش أعلن براءة الملك الفرنسي من الهجوم على بونيفاس الثامن، وألغى مرسوم الحرمان الذي صدر بحقه، وعدَّل الأمر بما يرضي الملك[٣]، وكانت هذه الخطوة مقدمةً للحدث الأكبر الذي جاء بعد ذلك.

انتقال البابوية إلى أفنيون:

لم ترضي هذه التنازلات البابوية كبرياء الملك الفرنسي، فاستمر في الضغط على البابا الفرنسي، إقليمندس الخامس[٤]، الذي خلف بندكت الحادي عشر، حتى انتقل إلى المدينة الفرنسية "أفنيون"، وبذلك انتقلت البابوية من أيدي الإيطاليين لصالح الفرنسيين وغطت مدينة أفنيون على المدينة الخالدة، بعد أن كانت مدينةً لا شأن لها.

وقد بقيت البابوية في أفنيون لأكثر من سبعين سنة، تعاقب عليها باباوات كلهم فرنسيون، في فترة أطلق عليها مصطلح "السبي البابوي"[٥].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص:٣٧٥.

(٢) بندكتوس الحادي عشر: هو الكاردينال نقولا بوكاسيني، الراهب الدومنيكاني، تولى العرش خلفا لبونيفاس، ولم يدم طويلا(١٣٠٤م). انظر: معجم البابوات، خوان داثيو، ص:١٤٤ .

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة المفصل: (٢/ ٢٦٨)، تاريخ الكنيسة، لوريمر: (٤/ ٣١).

(٤) إقليمندس الخامس: اسمه ريمون برتراند دي غوت استقر عرشه في مدينة أفنيون الفرنسية، وعاش في دير للرهبنة الدومنيكانية. انظر: معجم البابوات، خوان داثيو، ص:١٤٧ .

(٥) تشبيهاً لها بالفترة التي تم فيها سبي اليهود إلى أرض بابل على يد ملك الآشوريين سرجون، عام٧٢٢ق.م .

وكان انتقال الباباوات إضافةً إلى فسادهم وانشغالهم بالشهوات كافياً للنيل من منزلة الكنيسة وسلطانها، فقد بدا للناس أن البابوية لم تعد قوةً عالمية، بل أضحت آلاتٍ مطيعةً في يد فرنسا.

ومن الشواهد على ذلك رفض الألمان كل تدخل من جانب الباباوات في انتخاب ملوكهم وأباطرتهم، ولما رفض رؤساء الأديرة في أسقفية كولوني عام ١٣٧٢م، أن يؤدوا العشور إلى البابا غريغورس الحادي عشر[١]، أعلنوا جهرة أن الكرسي الرسولي قد انحط إلى الدرك الأسفل من الاحتقار، أما رجال الكنيسة، فقد أظهروا لهم ضروب الاحتقار، لأن الكنيسة لم تعد تختار رسلها من الواعظين أو المصلحين، بل من الرجال المتباهين الماكرين الأنانيين الشرهين، وقد بلغت الحال من السوء درجة يندر معها أن تجد مسيحيين إلا بالاسم[٢].

الانقسام البابوي:

بعد غربة دامت لأكثر من سبعين سنة للبابوية في أفنيون صمم البابا غريغوريوس الحادي عشر على إعادة الكرسي البابوي إلى رومة، وتحقق ذلك في ظروفٍ سيئة؛ حيث أن الكرادلة[٣] كان أغلبهم فرنسيين، ولم يسرهم أن يتركوا مدينتهم المفضلة، ولكن البابا استطاع أن يتمركز في رومة حتى توفي عام ١٣٧٨م، ولم يرد الرومانيون أن يغادر الكرسي الروماني مرةً أخرى، فانتخب الكرادلة البابا الإيطالي

---

(١) غريغوريوس الحادي عشر: (١٣٧٠-١٣٧٨م)، هو آخر بابا فرنسي، مثقف وحكيم، كان محبا للفنون والآداب، وجمع في مكتبة أفنيون عددا من المخطوطات الثمينة. انظر: معجم الباباوات، ص: ١٥٦ .

(٢) قصة الحضارة: (١٨/ ١٠٢)، بتصرف يسير.

(٣) الكرادلة: جمع كاردينال، وهي كلمة لاتينية معناها الرزات التي يدور عليها الباب وتحمله، فالكرادلة هم الذين تجري إدارة الكنيسة على أيديهم. انظر: المجمل في تاريخ الكنيسة، الأب: أنطوان الفرغاني، ص:٧٣ .

"أوربانوس السادس"[1]، ولكنه ضيق على الكرادلة فغادروا رومة، وتذرعوا بأن انتخاب البابا وقع تحت ضغطٍ شعبي، وأصروا على انتخاب بابا جديد، فاختاروا البابا "إقليمنضس السابع"[2]، واعترف به ملك فرنسا، وحدث بذلك انشقاق في العالم النصراني إلى قسمين دام أربعين سنة، وبعد وفاة البابوين، انتخب بديلا عنهما "بونيفانيوس التاسع"[3] عام ١٣٨٩م في رومة، وبندكتوس الثالث عشر في أفنيون عام ١٣٩٤م، وتألم الشعب النصراني بذلك، واستغل الملوك هذا الحدث للتدخل في شؤون الكنائس في دولهم، وقرر كرادلة الطرفين عقد مجمع عام ١٣٩٤م، وانتخب بابا جديداً، اتخذ اسم " الاسكندر الخامس"، ولم يتنازل البابوان السابقان، فأصبح للعالم النصراني ثلاثة باباوات في وقت واحد.

ولم تنتهي هذه الأزمة إلا بعقد مجمع كونستانس(١٤١٤-١٤١٨م)، الذي قرر خلع الباباوات الثلاثة، وتعيين بابا جديد اتخذ اسم "مرتين الخامس"[4]، وانتهى

---

(١) أوربانوس السادس: اسمه برتولومي برينيانو، رئيس أساقفة باري، من أصل نابوليتاني (روماني)، اساء استعمال السلطة مما ساهم في انشقاق الكرادلة الفرنسيين عنه. انظر: معجم البابوات، خوان داثيو، ص:(١٥٨-١٥٩) .

(٢) إقليمنضس السابع: كان اسمه يوليوس المديتشي، شهدت فترة بابويته أحداث كثيرة وكبيرة، من هجوم بعض الدول الأوربية على البابوية، وحصار العثمانيين، وظهور حركات الإصلاح، وتوفي وسط تفكك سلطة الكنيسة الرومانية. انظر: معجم الباباوات، ص:٢٠٧ وما بعدها.

(٣) بونيفاقيوس التاسع: (١٣٨٩-١٤٠٤)، اسمه بييترو توماتشيللي، كان كاردينال نابولي، اختاره الكرادلة الأربعة عشر المجتمعون في رومة. ولم يوافقهم الكرادلة الفرنسيون واستمر الشقاق بين الفريقين. انظر: معجم البابوات، ص: ١٥٩ وما بعدها .

(٤) مرتين الخامس: هو أوتون كولونا، آخر بابا من عائلة كولونا الرومانية النافذة، تولى العرش بين (١٤١٧-١٤٣١م)، من أهم أعماله اعادة بناء رومة. انظر: معجم البابوات، خوان داثيو، ص:(١٦٣-١٦٤) .

بذلك الشقاق المرير، وقد ذهبت معه هيبة البابوية، وسموها لدى النصارى.

ضعف البابوية الداخلي:

شكلت الأحداث السابقة ضرباتٍ قويةً أصابت الجسم البابوي، وأضعفته وكانت هناك أحداثٌ أخرى لا تقل عنها من حيث القوة والتأثير، ولكنها أصابت الجسم من الداخل، وأضعفت قواه، وجلبت عليه الأعداء من كل جانب، ويمكن إبراز أهم جوانب الضعف الداخلي من خلال النقاط الآتية:

الدين الذي تحمله الكنيسة:

كانت الكنيسة الكاثوليكية على وجه الخصوص تحمل ديناً هو أبعد ما يكون عما جاء به المسيح عليه السلام؛ حيث أُدخِلت فيه من العقائد الفاسدة، والشرائع المبتدعة التي ابتدعها الأحبار والرهبان ما كان كافياً لفقدان قوته وأثره، وانصراف الناس عنه، وأصبح الدين محصوراً فيما بين العبد وكاهنه الذي ارتبط به منذ ولادته حتى وفاته، وذلك من خلال أسرارٍ، لا يستسيغها العقل، ولا يسع العبد إزائها إلا التسليم دون نقاش، وأصبحت التوبة والتحلل من الذنوب- وإن كانت من الكبائر- مرتبطةً بدراهم معدودةٍ تقدم للكنيسة، أو عملٍ يقدم سخرةً لها، فما أن ترن دراهم التائب في صندوق الكنيسة، أو تقع في جيوب مندوبي البابا إلا وقد حلت عليه المغفرة، بل أصبح في مقدوره أن يشتري مقعده من الجنة، من خلال ما أطلق عليه فيما بعد بـ"صكوك الغفران".

وقد أفقدت هذه الأعمال كل ثقة فيما يقوله رجال الدين أو يفعلونه، بل أدرك الناس أنهم لا يفعلون ذلك إلا لملء بطونهم، وإشباع غرائزهم، وزيادة مداخيلهم.

لم يكن دين الكنيسة البابوية هو رسالة المسيح عليه السلام الصافية التي جاء بها من عند الله، بل كان خليطاً من مباديء وطقوس تعود إلى العقائد الدينية قبل المسيح عليه السلام،

وخاصة ما يتعلق بالتضحية، والكهانة، وطبيعة الإله[1].

وقد كان رجال الكنيسة يشعرون بخواء دينهم الكنسي، ولذلك لم يسمحوا بأي نقاش، ولم يتسامحوا في أي مخالفة، بل عدوا ذلك هرطقة[2] وإلحاداً يقتضي إيقاع أشد العذاب على من يصدر منه.

وليس الغرض تفصيل الحديث عن دين الكنيسة، ولكن أكتفي بهذه الشهادة الهامة التي تدل على المطلوب.

يقول المؤرخ الكبير ويلز[3]، متحدثاً عن الحالة التي كانت الكنيسة تشعر بها تجاه دينها: «ونظراً لأن كثيراً منهم كانوا على الأرجح يُسرُّون الريبة في سلامة بنيان مبادئهم الضخم المحكم وصحته المطلقة، لم يسمحوا بأية مناقشة فيه. كانوا لا يتحملون أسئلةً ولا يتسامحون في مخالفة، لا لأنهم على ثقة من عقيدتهم، بل لأنهم كانوا غير واثقين منها» [4].

حال رجال الدين:

إضافة إلى فساد دين الكنيسة فقد أضاف رجالها سوءاً آخر، يتمثل في تركهم المهمة التي يفترض أن يقوموا بها، وهي الوعظ والإصلاح والدعوة إلى العفة والطهر -كما هو في بقايا دينهم- وانصرافهم إلى أمور الدنيا، وجمع المال والثروة، حتى

---

(١) انظر: معالم تاريخ الإنسانية، هـ. ج. ويلز: (٣/ ٩٠٢).

(٢) الهرطقة: ضد الرأي المستقيم، وتعني عند النصارى من لا يوافق على صيغة الإيمان. انظر: معجم الإيمان المسيحي، اختيار صبحي حموي اليسوعي، ص: ٢٥٠.

(٣) هربرت جورج ويلز: أديب ومفكر وصحفي وعالم اجتماع ومؤرخ إنجليزي، ولد في بروملي، في مقاطعة كنت في إنجلترا عام ١٨٦٦م، وتوفي عام ١٩٤٦م، تفرغ كليا للكتابة عام ١٨٩٤م، له عدة روايات، ومن أهم كتبه موجز تاريخ العالم الذي نشره عام ١٩٢٠م، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في مجلدين ليكون من أوائل من كتب التاريخ متوجها إلى عامة الشعب، وله كتاب معالم تاريخ الإنسانية في خمسة مجلدات. انظر: موسوعة ويكبيديا الحرة.

(٤) معالم تاريخ الإنسانية: (٣/ ٩٠٢-٩٠٣).

تحقق لهم ذلك، ثم انغمسوا في الشهوات ووقعوا في صنوف الرذيلة، وأنواع الموبقات، حتى أصبح الحديث عن فسق رجال الدين وفجورهم مادة دسمة جاهزة، لكل من أراد الكتابة من خصومهم، حتى كتب في ذلك كبار الأدباء، والشعراء في ذلك العصر، وطفحت كتاباتهم بذكر الكثير من المخازي(١)، ومن الشواهد على ذلك ما ذكره بترارك(٢) عن أفنيون التي يسميها بابل: «بابل العاصية، جحيم الأرض، بالوعة الرذيلة، ومستودع أقذار العالم. لا تجد فيها إيماناً، ولا إحساناً، ولا دينا ولا خوف من الله... لقد تجمعت فيها أقذار العالم وخبائثه... ترى كبار السن من رجالها يندفعون غير مبالين إلى أحضان فينوس، لا يبالون بكبر سنهم أو كرامتهم، أو مالهم من سلطان، بل يرتكبون كل عار، كأن مجدهم كله لا يعتمد على صليب المسيح، بل يقوم على المأكل والمشرب، والسكر، والدعارة... فالفسق ومضاجعة المحارم، وهتك الأعراض، والزنا هي أعظم المباهج الشهوانية لمهازل رؤساء الكنيسة»(٣).

هكذا أصبح حال الكنيسة، أكثر الناس أموالاً، وأكثرهم فسادا، وبذلك أصبحوا بحق من أعظم أسباب صد الناس عن الدين، وقد جلّى القرآن الكريم هذه الحقيقة بأبلغ عبارة، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة:٣٤].

---

(١) بطبيعة الحال لا ينطبق ذلك على كل رجال الكنيسة، ولكنه كان سمة ظاهرة فيهم.

(٢) بترارك: شاعر وأديب ايطالي عاش في القرن الرابع عشر، وأجمع النقاد أنَّه أول الكتاب الإنسانيين، هاجر هو وزوجته وابنته إلى أفنيون، وفيها شاهد ما عليه رجال الدين من الفساد، وبدأ في انتقاد الكنيسة الكاثوليكية، ثم انتقل إلى مدينة بولونيا، ثم عاد بعدها إلى أفنيون وألقى بنفسه في غمار الشعر القديم وأدب الغرام انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت:(١٨/ ٣-١٣) .والإنسانية: اتجاه فكري فلسفي ظهر أولاً في إيطاليا ثم انتشر في أوربا في عصر النهضة ويقوم على التركيز على الفردية الإنسانية وقصر الاهتمام على المظاهر المادية. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف: د.حماد الجهني رحمه الله : (٢/ ٨٠٩-٨١٠).

(٣) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت: (١٨/ ١٠٠).

وقد كانت هذه المظاهر مقدمات لكل التغيرات التي طرأت على الكنيسة في القرون التالية إلى يومنا هذا.

كما كانت الوقود الذي أشعل نار الثورة والعداء ضد الكنيسة، وأغرى الفلاسفة، والنقاد بدراستها يسمى بالكتاب المقدس وإخراج المضاف من الثابت، وكشف تضليل وتزوير باباوات روما.



المطلب الرابع: البابوية في العصر الحاضر

يعتبر البابا رئيس السلطة العليا للكنيسة الكاثوليكية، ويحمل لقب خليفة بطرس، ونائب المسيح على الأرض، وأسقف روما، وبطريرك الغرب، ورأس الكنيسة المنظور، والحبر الأعظم، والأب الأقدس، وصاحب القداسة، وسيد أو ملك الفاتيكان، ويتمتع بصلاحيات غير محدودة مدى الحياة، وهو المسئول عن كل ما يتعلق بالكنيسة في العالم(١).

ويدير البابا جميع شؤون الكنيسة التي تتألف من ثلاث مراتب: الكهنة، ثم الأساقفة ثم البابا نفسه، ويساعده في ذلك الكرادلة، وهم الذين ينتخبون البابا ولا ينتخب إلا منهم، وهم فئتان: الأولى:معاونو البابا، ورجال حكومته، ورؤساء دواوينه، وهؤلاء يقيمون معه أو بالقرب منه في حاضرة الفاتيكان، أو في القصور والبنايات الملحقة بها في رومة، وهم تقريباً ثلث الكرادلة، الثانية: بطاركة الكنائس الشرقية، وبعض أساقفة العواصم والمدن الكبرى في العالم، وهؤلاء هم أعوان البابا الخاصين، مع احتفاظهم بكراسيهم في أبرشياتهم، وقيامهم بسياسة شعوبهم، ويبلغ عدد الكرادلة، كما في إحصائية ٢٠٠٥م، ١٢٠ كاردينالاً، يقيم منهم ٥٨ في الفاتيكان، وأما بقيتهم فينتشرون حول العالم كرؤساء أساقفة للكنيسة.

ويقوم بإدارة الكنيسة في الوقت الحاضر أحد عشر مجمعاً، وهي بحسب أقدميتها كما يلي: السنودس(٢)، مجمع الأساقفة، مجمع الأسرار، مجمع الإكليروس

---

(١) انظر: دولة الفاتيكان، جان نوفل، ص:٣٣، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، ص:٧٧، موسوعة الأديان الميسرة، لجنة من المؤلفين برئاسة أحمد راتب عرموش، ص:٣٨٤، موسوعة ويكيبيديا الحرة.

(٢) السنودس:كلمة أصلها يوناني، وتعني اجتماع أو مجمع، ويقصد بها المجمع الكنسي سواء المكاني أو المسكوني. انظر: معجم المصطلحات الكنسية، القس الراهب أثناسيوس المقاري، ص: ٢٢٩ .

العلماني والشعب المسيحي، مجمع الرهبان، مجمع نشر الإيمان، مجمع الطقوس، مجمع الاحتفالات، مجمع الشئون الخارقة للعادة، مجمع المدارس الإكليرية والجامعات، مجمع الكنيسة الشرقية.

ولكل مجمع كاردينالٌ يرأسه، يدعى مقدم المجمع أي رئيسه، باستثناء ثلاثة مجامع يرأسها البابا بنفسه، وهي مجمع السنودس،مجمع الأساقفة، ومجمع الكنيسة الشرقية، ويلي الرئيس في المجمع أسقف يدعى المعاون.

أما المجمع الذي يرأسه البابا فالكاردينال المكلف بإدارته يدعى سكرتير المجمع(١).

طريقة انتخاب البابا:

ينتخب البابا الجديد من قبل الكرادلة وحدهم دون غيرهم، وفق الخطوات التالية:

١- بعد وفاة البابا السابق أو تنحيته أو إستقالته يجمع عميد الكرادلة زملائه الموجودين في روما كل يوم، ويتلون دستور الانتخاب الذي أصلحه البابا بيوس الثاني عشر(٢) سنة ١٩٥٤م، وبه رسم طريقة انتخاب البابا بالتفصيل.

٢- يتلف خاتم البابا السابق، وتحدد قاعة لكل كاردينال للإقامة فيها حتى التئام المجمع، ويحدد يوم التئام المجمع وساعته.

٣- ينعزل الكرادلة عن العالم الخارجي طيلة فترة الانتخاب، ويحق للكاردينال أن يصطحب إلى المجمع اثنين من المعاونين أحدهما من الإكليروس والآخر علماني.

---

(١) انظر: دولة الفاتيكان، جان نوفل، ص:٤٨ ، ١٣٣، موسوعة ويكيبيديا الحرة.

(٢) بيوس الثاني عشر: (١٩٣٩-١٩٥٨م)، اسمه أوجين بتشيللي، وأصله من روما، تميز بفصاحة، وذاكرة عجيبة، وموهبة في اتقان اللغات، وكان مهتما بالدفاع عن فكرة توحيد أوربا. انظر: معجم الباباوات، خوان داثيو، ص: ٣٥٢ وما بعدها.

٤- تعقد القرعة في المعبد السيستي، وقبل ذهاب الكرادلة إليه، يعقدون احتفالاً في كنيسة مار بطرس، ويدعون إلى انتخاب راعٍ ذي جدارة للكنيسة الرومانية في أقصر وقت ممكن.

٥- عند دخول المعبد تتلى صلوات، ويخرج الجميع، ولا يبقى سوى الكرادلة، ثم يتلى دستور الانتخاب مرة أخرى، ويقسم الكرادلة على حفظ حرمة الدستور قائلين: نعد ونصدح ونقسم أن الذي ينتخب من بيننا حبراً رومانيا بإرادة الله لن يني أبداً عن المطالبة والمناداة بكل حزم وعزم بكامل حقوق الحبر الأعظم بدون استثناء الحقوق الزمنية، وكذلك بحبرية الكرسي الرسولي، وعليه فور ارتقاءه عرش الحبرية أن يجدد هذا الوعد معززاً بالقسم.

٦- تقفل أبواب المجمع، ويدعى جميع المشاركين للاجتماع في المعبد.

٧- يُعِدُّ الخدام كانوناً قديماً تحرق فيه أوراق القرعة بعد كل دورة، فإذا لم يتم الانتخاب يضاف إلى الأوراق تبنٌ رطبٌ ويحرق معها فيخرج الدخان أسود فيعرف الجمهور أن البابا لم ينتخب بعد.

٨- يشترط في التصويت أكثرية الثلثين بزيادة واحد، وإذا توفرت الأكثرية القانونية، وأعلن اسم المنتخب يسأله عميد الكرادلة عن قبوله بالانتخاب والاسم الذي يدعى به بوصفه حبراً أعظماً.

٩- بعد الانتخاب تحرق أوراق القرعة بدون إضافة التبن ويتصاعد الدخان بلونٍ أبيض علامةً على أنه تم اختيار البابا، ثم يذهب أحد أمراء الكنيسة إلى الشرفة التي تطل من كنيسة بطرس على الساحة الكبيرة التي يحتشد فيها الجمهور فيذيع الخبر قائلاً: «إنني أبشركم بفرج عظيم أنه صار لنا بابا السيد الوافر الاحترام الكاردينال....» (١).

---

(١) انظر: دولة الفاتيكان، ص: (٢٤٣-٢٥٤)، بتصرف.

دولة الفاتيكان:

الفاتيكان دولة ذات سيادة، رئيسها البابا الروماني، وهي أصغر دولةٍ في العالم، حيث تبلغ مساحتها ..٤٤ كلم٢، وأقل دولة من حيث عدد السكان، حيث لا يتجاوز عدد سكانها ١٠٠٠ نسمة، والفاتيكان هو اسم إحدى تلال روما، وتقع على الضفة اليمنى من نهر التيبر، ورغم كونها أصغر دولة في العالم إلا أنها تعد مركز القيادة الروحية للكنيسة الكاثوليكية في العالم، التي يربو عدد أتباعها على ١٤٧أ١ مليار نسمة، وتقلص سلطانها الزمني عن الولايات الايطالية بعد أن وقعت مع الحكومة الإيطالية معاهدة اللاتيران عام ١٩٢٩م، التي قضت بتنازل الفاتيكان عن جميع الولايات الايطالية، مقابل ٧٥٠ مليون ليرة دفعتها الحكومة تعويضاً عن أملاك الكنيسة، وأصبحت بذلك دولةً مستقلة.

وتضمنت المعاهدة ثلاث اتفاقيات نظمت العلاقة بين الفاتيكان والدولة الإيطالية، ونصت الاتفاقية على أن يكون الفاتيكان جزءاً مستقلاً عن إيطاليا، وأن تكون إدارته الكاملة للبابا، وكذلك إدارة جميع الكنائس في روما.

وتشمل الفاتيكان ثلاثة معالم رئيسية:

١ - كاتدرائية القديس بطرس، وهي أكبر كنيسةٍ في العالم، وتضم ساحةً كبيرةً أمامها.

٢- القصر الرسولي الذي يشمل عدة مباني منفصلة تغطي سكن البابا، وقاعة الاجتماعات الرسمية، وممرات عدد من المجامع إلى جانب مكتبة الفاتيكان الضخمة التي يتجاوز عدد الكتب فيها مليوني كتاب وكذلك المتاحف، والأرشيف.

٣- حدائق الفاتيكان التي تغطي منطقة واسعة من مساحة الدولة(١).

ويبلغ عدد الدول التي تتبادل التمثيل الدبلوماسي مع الفاتيكان ١٧٨ دولة،

---

(١) معجم الأديان المسيحي، الأب صبحي حموي اليسوعي، ص:٣٤٩، موسوعة ويكيبديا.

إضافةً إلى أكثر من ٣٨ منظمة وجمعية عالمية، وهي عضو مراقب في منظمة الأمم المتحدة[1]، وتوجد ١٦ دولة لا تتبادل معها التمثيل الدبلوماسي، منها ٩ دول إسلامية، وأربعة شيوعية، ودولتان بوذيتان، و دولة توفالو، وأحدث دولةٍ افتتحت علاقة مع الفاتيكان هي الإمارات العربية المتحدة عام ٢٠٠٧م، وبتسوانا٢٠٠٩م.

وقد تم ادراجها عام ١٩٨٤م على لائحة اليونسكو[2]، لمواقع التراث العالمي الموجودة بها، وهي معقل اللغة اللاتينية، ولها مطبعة وصحيفتين، وإذاعة، وتدير عدداً كبيراً من الجامعات العالمية[3].

وأما الكنائس الكاثوليكية التابعة لها في المشرق، فهي سبع كنائس كبرى وهي:

١-كنيسة الأرمن الكاثوليك.

٢- كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك.

٣- كنيسة السريان الكاثوليك.

٤- كنيسة الأقباط الكاثوليك.

٥- الكنيسة الكلدانية السريانية الشرقية الكاثوليكية.

٦- الكنيسة اللاتينية الأورشليمية.

---

(١) منظمة الأمم المتحدة: هيئة عالمية مؤلفة من عدة دول وتقرر أنها تهدف إلى نشر السلام العالمي، والأمن، والتعاون، ومقرها نيويورك، وتأسست عام ١٩٤٥م. انظر: معجم الأفكار والأعلام، هتشنسون، ص:٤٦ .

(٢) اليونسكو: تأسست منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اليونسكو، عام ١٩٤٥م، و هي تتألف اليوم من ١٩٣ دولة عضوا، ومقرهافي باريس،حيث افتتح في عام ١٩٥٨م ولها أكثر من٥٠ مكتبا ميدانيا في جميع أنحاء العالم. انظر: موقع المنظمة على الشبكة العنكبوتية(باللغة العربية).

(٣) انظر: معجم الأديان المسيحي، الأب صبحي حموي اليسوعي، ص:٣٤٩، موسوعة ويكيبيديا.

٧- الكنيسة المارونية[١]

البابا الحالي:

انتخب البابا الجديد الذي حمل اسم فرانسيس بعد مجمع هو الأقصر في تاريخ المجامع المغلقة، وكان اسمه قبل الانتخاب خورخي ماريو بير جوليو، وهو أول بابا من العالم الجديد(أمريكا الجنوبية والأرجنتين)، وأول بابا من خارج أوروبا، وأول بابا من الرهبان، وهو عضو في الرهبنة اليسوعية، فهو أول بابا يسوعي، وهو محسوبٌ على الجناح الإصلاحي، وقد شغل منصب رئيس أساقفة بيونس آيرس قبل انتخابه، ويتقن اللغات الاسبانية، والايطالية، واللاتينية، والألمانية، والفرنسية، والأوكرانية، بالإضافة إلى الإنجليزية.

وقد تم تتويجه رسمياً في ساحة القديس بطرس في ١٩ مارس ٢٠١٣م، وقد انضم البابا إلى السلك الكنسي وعمره٢١ سنة، وانظم إلى الرهبنة اليسوعية في ١١ مارس ١٩٥٨م، ودرس العلوم الإنسانية واللاهوتية في سانتياغو في تشيلي، ثم تابع دراسته في الفلسفة واللاهوت في الأرجنتين في المعهد الإكليريكي في ديفتو فيلا ثم في جامعة سان ماكسيمو دي ميغيل، وتابع دراسته في الأدب وعلم النفس بين عامي ١٩٦٤-١٩٦٥م في جامعة ديلا أنما كيولا دا في سانتا، وفي عام ١٩٦٧م أنهى دراسته اللاهوتية ورسم كاهناً في ١٩٦٩م.

وفي عام ١٩٩٢م اختاره البابا يوحنا بولس الثاني ليكون أسقفاً مساعداً لرئيس أساقفة بيونس آيرس، وله اسهامٌ قويٌ في حركة التنصير، وفي الحوار المسكوني.

وهو أول بابا لا يختار اسماً استعمله أحد أسلافه وهو أول بابا سمي باسم

---

(١) انظر: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة –الكنائس الشرقية الكاثوليكية، إشراف سيادة المطران يوسف ضرغام، ص: ١٥، وما بعدها .

فرنسيس، وقد جاءت التسمية تأسياً بالقديس فرانسيس الأسيزي[١] الذي لعب دورا هاماً في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية.

ويسعى هذا البابا إلى إنهاء أي مظهر من مظاهر الانشقاق مع الكنائس الأرثوذكسية، ولذلك قال بعد انتخابه: «إن جميع المؤمنين يجب أن يكونوا واحدا»، ولذلك حضر حفل تنصيبه بطريرك القسطنطينية برثلماوس الأول علامةً على صدق الأخوة بين الكنيستين وتميز أيضاً بعلاقاته مع اليهود في الأرجنتين.

له مؤلفاتٌ عديدةٌ منها:

١- في السماء والأرض.

٢- رسائل دعوية وجهها بحكم كونه أسقفاً.

٣- الحوارات بين يوحنا بولس الثاني و فيديل كاسترو ١٩٩٨م.

٤- الفساد والخطيئة.

٥- القوة الحقيقية هي الخدمة، وغيرها[٢].

وقد جاء انتخاب هذا البابا بعد استقالةٍ مفاجئةٍ من سلفه البابا بندكتس السادس عشر[٣].

---

(١) فرنسيس الأسيزي: (١١٨٢-١٢٢٦م)، إيطالي مؤسس رهبانية الفرنسيسكان، ولد في أسيزي، وكان أثره الديني كبيرا في الغرب طيلة القرون الوسطى. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص:٤١٢ .

(٢) انظر: الموسوعة الحرة(ويكيبيديا).

(٣) قيل حول استقالته أمور منها: كثرة الفضائح البابوية، خاصة الجنسية، إسلام بعض الشخصيات الكبيرة داخل الفاتيكان، اختفاء نسخ من الإنجيل تحوي البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم قديما، (كلها قيل وربما تظهر الأيام المزيد من التفاصيل).

قائمة بالباباوات الكاثوليك:

تحوي قائمة الفاتيكان السنوية على ٢٦٥ فترة بابوية، تعاقب خلالها ٢٦٣ رجلاً، ذلك بسبب تنحي وعودة البابا بينذكتوس الرابع ثلاث مرات خلال القرن الحادي عشر وقد افتتحت السلطات الرسمية في الفاتيكان العام ٢٠٠١ دراسة دقيقة لتاريخ البابوات بهدف وضع سجل تاريخي شامل ودقيق ورفع حوالي ٢٠٠ بابا إلى درجة القديسين من القديس بطرس وحتى يوحنا بولس الثاني. وهذه قائمة بأسماء هؤلاء الباباوات:

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
القديس بطرس الرسول	سمعان (سيمون)	توفي ٦٤ م
سانت لينوس		٦٦- ٧٨ م
سانت Anacletus (كليتوس)		٧٩-٩١ م
سانت كليمنت الأول		٩١-١٠٠ م
سانت ايفارستوس		١٠٠-١٠٩ م
سانت الكسندر الأول		١٠٩-١١٦ م
سانت سيكستوس أنا		١١٦-١٢٥ م
سانت Telesphorus		١٢٥-١٣٦ م
سانت Hyginus		١٣٦-١٤٢ م
القديس بيوس الأول		١٤٢-١٥٥ م
سانت Anicetus		١٥٥-١٦٦ م
سانت سوتر		١٦٦-١٧٤ م
سانت Eleutherius (Eleutherus)		١٧٤-١٨٩ م
سانت فيكتور الأول		١٨٩-١٩٨م
سانت Zephyrinus		١٩٨-٢١٧م
سانت Callistus (Calixtus) أنا		٢١٧-٢٢٢م
سانت Hippolytus		٢١٧-٢٣٥م
.		

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
سانت الحضري الأول		٢٢٢-٢٣٠ م
سانت Pontianus (بونتيان)		٢٣٠ – ٢٣٥م
سانت Anterus		٢٣٥- ٢٣٦م
سانت فابيان		٢٣٦ -٢٥٠ م
سانت كورنيليوس		٢٥١ – ٢٥٣م
Novatian		٢٥١ -٢٥٨ م
سانت لوسيوس أنا		٢٥ يونيو و ٥ مارس ٢٥٣ ، ٢٥٤
سانت ستيفن أنا		١٢ مايو ، ٢ أغسطس ٢٥٤ ، ٢٥٧
سانت سيكستوس الثاني		٣٠ أغسطس ، ٦ أغسطس ٢٥٧ ، ٢٥٨
سانت ديونيسيوس		٢٢ يوليو و ٢٦ ديسمبر ٢٦٠ ، ٢٦٨
سانت فيليكس أنا		٣ يناير ، ٢٦٩ ، ٣٠ ديسمبر ، ٢٧٤
سانت Eutychian		٤ يناير ، ٧ ديسمبر ٢٧٥ ، ٢٨٣
سانت غايوس (كيوس)		١٧ ديسمبر ، ٢٨٣ ، ٢٢ أبريل ، ٢٩٦
سانت Marcellinus		٣٠ يونيو ، ٢٩٦ ، c.304
سانت مارسيلو أنا		نوفمبر ، ٣٠٦ ، ١٦ يناير ، ٣٠٨
القديس أوسابيوس		١٨ أبريل و ٢١ تشرين الأول / أكتوبر ٣١٠ ، ٣١٠
سانت Miltiades (Melchiades)		٢ يوليو ، ٣١١ ، ١١ يناير ، ٣١٤
سانت سيلفستر الأول		٣١ يناير ، ٣١٤ ، ٣١ ديسمبر ، ٣٣٥
	.	
سانت مارك		١٨ يناير و ٧ تشرين الأول / أكتوبر ٣٣٦ ، ٣٣٦

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
سانت جوليوس الأول		٦ فبراير ، ٣٣٧ ، ١٢ أبريل ، ٣٥٢
Liberius		١٧ مايو ، ٣٥٢ ، ٢٤ سبتمبر ، ٣٦٦
فيليكس الثاني		c.355 - 22 نوفمبر ، ٣٦٥
سانت داماسوس الأول		١ أكتوبر و ١١ ديسمبر ٣٦٦ ، ٣٨٤
لنأخذ		سبتمبر ٣٦٦ نوفمبر ٣٦٧
سانت Siricius		ديسمبر ٣٨٤ ، ٢٦ نوفمبر ، ٣٩٩
سانت أناستاسيوس الأول		٢٧ نوفمبر و ١٩ ديسمبر ٣٩٩ ، ٤٠١
سانت أنا بريئة		٢٢ ديسمبر ، ١٢ مارس ٤٠١ ، ٤١٧
سانت Zosimus		١٨ مارس ، ٢٦ ديسمبر ٤١٧ ، ٤١٨
سانت بونيفاس أنا		٢٨ ديسمبر ، ٤١٨، ٤ سبتمبر ، ٤٢٢
Eulalius		٢٧ ديسمبر ، ٤١٨، ٣ أبريل ، ٤١٩
سانت سلستين أنا		١٠ سبتمبر ، ٤٢٢ ، ٢٧ يوليو ، ٤٣٢
سانت سيكستوس الثالث		٣١ يوليو و ١٩ أغسطس ٤٣٢ ، ٤٤٠
سانت ليو الأول		أغسطس ، ٤٤٠ ، ١٠ نوفمبر ، ٤٦١
سانت هيلاري (Hilarus)		١٩ نوفمبر ، ٤٦١ ، ٢٩ فبراير ، ٤٦٨
سانت Simplicius		٣ مارس و ١٠ مارس ٤٦٨ ، ٤٨٣
سانت فيليكس الثالث (الثاني)		١٣ مارس ، ٤٨٣ ، ١ مارس ، ٤٩٢
.		
سانت جيلاسيوس الأول		١ مارس ، ٤٩٢ ، ٢١

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
		نوفمبر ، ٤٩٦
أناستاسيوس الثاني		٢٤ نوفمبر ، ٤٩٦ ، ١٩ نوفمبر ، ٤٩٨
سانت Symmachus		٢٢ نوفمبر ، ١٩ يوليو ٤٩٨ ، ٥١٤
لورانس		٢٢ نوفمبر ، ٤٩٨ فبراير ٤٩٩
سانت هورميسداس		٢٠ يوليو ، ٦ أغسطس ٥١٤ ، ٥٢٣
سانت جون لي		أغسطس ١٣ ، ٥٢٣، ١٨ مايو ، ٥٢٦
سانت فيليكس الرابع (الثالث)		يوليو ١٢ ، ٥٢٦ ، ٢٢ سبتمبر ، ٥٣٠
بونيفاس الثاني		٢٢ سبتمبر و ١٧ تشرين الأول / أكتوبر ٥٣٠ ، ٥٣٢
ديسقوروس		٢٢ سبتمبر و ١٤ تشرين الأول / أكتوبر ٥٣٠ ، ٥٣٠
جون الثاني	زئبق	٢ يناير ، ٥٣٣ ، ٨ مايو ، ٥٣٥
سانت Agapitus أنا		١٣ مايو ، ٥٣٥ ، ٢٢ أبريل ، ٥٣٦
سانت Silverius		٨ يونيو ، ٥٣٦ ، ١١ نوفمبر ، ٥٣٧
Vigilius		c.538 - 7 يونيو ، ٥٥٥
أنا بيلاجيوس		أبريل ١٦ ، ٣ مارس ٥٥٦ ، ٥٦١
يوحنا الثالث	Catelinus	١٧ يوليو و ١٣ يوليو ٥٦١ ، ٥٧٤
أنا بنديكت		٢ يونيو ، ٥٧٥ ، ٣٠ يوليو ، ٥٧٩
بيلاجيوس الثاني		٢٦ نوفمبر ، ٥٧٩ ، ٧ فبراير ، ٥٩٠
سانت غريغوري الأول		٣ سبتمبر ، ١٢ مارس

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
		٥٩٠ ، ٦٠٤
.		
Sabinian		١٣ سبتمبر ، ٦٠٤ ، ٢٢ فبراير ، ٦٠٦
بونيفاس الثالث		١٩ فبراير ، ٦٠٧ ، ١٢ نوفمبر ، ٦٠٧
سانت بونيفاس الرابع		١٥ سبتمبر ، ٦٠٨ ، ٨ مايو ، ٦١٥
سانت Deusdedit أنا		أكتوبر ١٩ ، ٦١٥ ، ٨ نوفمبر ، ٦١٨
بونيفاس الخامس		٢٣ ديسمبر ، ٢٥ تشرين الأول / أكتوبر ٦١٩ ، ٦٢٥
أنا Honorius		٢٧ أكتوبر و ١٢ تشرين الأول / أكتوبر ٦٢٥ ، ٦٣٨
Severinus		٢٨ مايو ، ٢ أغسطس ٦٤٠ ، ٦٤٠
جون الرابع		٢٤ ديسمبر ، ١٢ تشرين الأول / أكتوبر ٦٤٠، ٦٤٢
ثيودور الأول		٢٤ نوفمبر ، ٦٤٢ ، ١٤ مايو ، ٦٤٩
سانت مارتن لي		٥ يوليو ، ٦٤٩ ، ١٧ يونيو ، ٦٥٣
سانت أنا يوجين		أغسطس ١٠ ، ٦٥٤ ، ٢ يونيو ، ٦٥٧
سانت Vitalian		٣٠ يونيو ، ٦٥٧ ، ٢٧ يناير ، ٦٧٢
Deusdedit الثالث (Adeodadus الثاني)		١١ أبريل ، ٦٧٢ ، ١٧ يونيو ، ٦٧٦
Donus		٢ نوفمبر ، ٦٧٦ ، ١١ أبريل ، ٦٧٨
سانت Agatho		٢٧ يونيو ، ٦٧٨ ، ١٠ يناير ، ٦٨١
سانت ليو الثاني		١٧ أغسطس ، ٣ يوليو

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
		٦٨٢ ، ٦٨٣
سانت بنديكت الثاني		٢٦ يونيو ، ٦٨٤ ، ٨ مايو ، ٦٨٥
جون الخامس		٢٣ يوليو و ٢ أغسطس ٦٨٥ ، ٦٨٦
.		
Conon		أكتوبر ٢١ ، ٦٨٦ ، ٢١ سبتمبر ، و ٦٨٧
ثيودور		٦٨٧
فصحى		٦٨٧
القديس سرجيوس الأول		١٥ ديسمبر ، ٦٨٧ ، ٩ سبتمبر ، ٧٠١
جون السادس		أكتوبر ٣٠ ، ٧٠١ ، ١١ يناير ، ٧٠٥
جون السابع		١ مارس ، ٧٠٥ ، ١٨ أكتوبر ، و ٧٠٧
Sisinnius		١٥ يناير ، ٧٠٨ ـ ٤ فبراير ، ٧٠٨
قسطنطين		٢٥ مارس ، ٧٠٨ ـ ٩ أبريل ، و ٧١٥
سانت غريغوري الثاني		١٩ مايو ، ٧١٥ ، ١١ فبراير ، ٧٣١
غريغوري الثالث سانت		١٨ مارس ، ٧٣١ ، ٢٨ نوفمبر ، ٧٤١
سانت زاكاري (سانت Zacharius)		٣ ديسمبر ، ١٥ مارس ٧٤١ ، ٧٥٢
ستيفن		٢٢ مارس ، ٢٥ مارس ٧٥٢ ، ٧٥٢
ستيفن الثاني (الثالث)		٢٦ مارس ، ٧٥٢ ، ٢٦ أبريل ، ٧٥٧
سانت بول أنا		٢٩ مايو ، ٧٥٧ ، ٢٨ يونيو ، ٧٦٧
قسطنطين		٥ يوليو ، ٧٦٧ ، ٦ أغسطس ، ٧٦٨
فيليب		٣١ يوليو ، ٧٦٨
ستيفن الثالث (الرابع)		أغسطس ٧ ، ٧٦٨ ،

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
		٢٤ يناير ، ٧٧٢
ادريان الاول (هادريان الأول)		١ فبراير ، ٢٥ ديسمبر ٧٧٢ ، ٧٩٥
	.	
سانت ليو الثالث		٢٦ ديسمبر ، ٧٩٥، ١٢ يونيو ، ٨١٦
ستيفن الرابع (الخامس)		٢٢ يونيو ، ٨١٦ ، ٢٤ يناير ، ٨١٧
سانت عيد الفصح الأول		٢٤ يناير ، ٨١٧ ، ١١ فبراير ، ٨٢٤
يوجين الثاني		فبراير ٨٢٤ ٨٢٧ أغسطس
عيد الحب		أغسطس سبتمبر ٨٢٧ ٨٢٧
غريغوري الرابع		٨٢٧ ـ ٢٥ يناير ، ٨٤٤
جون		كانون الثاني / يناير ٨٤٤
سرجيوس الثاني		كانون الثاني / يناير ٨٤٤ ، ٢٧ يناير ، ٨٤٧
سانت ليو الرابع		١٠ أبريل و ١٧ يوليو ٨٤٧ ، ٨٥٥
بنديكت الثالث		٢٩ سبتمبر ، ٨٥٥ ، ١٧ أبريل ، و ٨٥٨
أناستاسيوس (Bibliothecarius)		أغسطس سبتمبر ٨٥٥ ٨٥٥
سانت نيكولاس الأول		٢٤ أبريل ، ٨٥٨ ، ١٣ نوفمبر ، ٨٦٧
ادريان الثاني (هادريان الثاني)		١٤ ديسمبر ، ٨٦٧ ديسمبر ، ٨٧٢
جون الثامن		١٤ ديسمبر ، ١٦ ديسمبر ٨٧٢ ، ٨٨٢
أنا مارينوس		١٦ ديسمبر ، ٨٨٢ ، ١٥ مايو ، ٨٨٤
سانت ادريان الثالث (سانت هادريان الثالث)		١٧ مايو ، ٨٨٤ سبتمبر ٨٨٥
ستيفن الخامس (السادس)		سبتمبر ٨٨٥ ، ١٤

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
		سبتمبر ، ٨٩١
Formosus		٦ أكتوبر ، ٨٩١ ، ٤ أبريل ، ٨٩٦
.		
بونيفاس السادس		أبريل ٨٩٦
ستيفن السادس (السابع)		أيار / مايو ٨٩٧ ٨٩٦ أغسطس
رومانوس		أغسطس نوفمبر ٨٩٧ ٨٩٧
ثيودور الثاني		نوفمبر ٨٩٧
جون التاسع		كانون الثاني / يناير ٩٠٠ ٨٩٨ يان
بنديكت الرابع		أيار / مايو ٩٠٣ ٩٠٠ أغسطس
ليو الخامس		أغسطس سبتمبر ٩٠٣ ٩٠٣
كريستوفر		سبتمبر ٩٠٤ ٩٠٣ يان
سرجيوس الثالث		٢٩ يناير ، ٩٠٤ ، ١٤ أبريل ، ٩١١
أناستاسيوس الثالث		c.Aug c.Jun ٩١١ 913
اندو		c.Aug 913 - 914 c.Mar
جون س		مارس أيار / مايو ٩١٤ ـ ٩٢٨
ليو السادس		أيار / مايو ٩٢٨ ٩٢٨ ديسمبر
ستيفن السابع (الثامن)		ديسمبر ٩٢٨ ٩٣١ فبراير
جون الحادي عشر		فبراير ٩٣٦ ٩٣١ يان
ليو السابع		٣ يناير ، ١٣ يوليو ٩٣٦ ، ٩٣٩
ستيفن الثامن (التاسع)		يوليو ١٤ ، تشرين الأول / أكتوبر ٩٣٩ ٩٤٢
مارينوس الثاني		أكتوبر ٣٠ ، ٩٤٢ ، ٩٤٦ أيار / مايو

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
.		
Agapetus (الثاني Agapitus)		١٠ مايو ، ٩٤٦ ديسمبر ٩٥٥
جون الثاني عشر	أوكتافيان	١٦ ديسمبر ، ٩٥٥ ، ١٤ مايو ، ٩٦٤
ليو الثامن		٤ ديسمبر ، ٩٦٣ ، ١ مارس ، ٩٦٥
بنديكتوس الخامس		٢٢ مايو ، ٩٦٤ ، ٢٣ يونيو ، ٩٦٤
جون الثالث عشر		أكتوبر ١ ، ٩٦٥ ، ٦ سبتمبر ، ٩٧٢
بنديكت السادس		١٩ يناير ، ٩٧٣ يوليو ٩٧٤
بونيفاس السابع	فرانكو	٢٠ يونيو يوليو ٩٧٤ ، ٩٨٥
بنديكت السادس عشر السابع		أكتوبر ١٠ يوليو ٩٧٤ ، ٩٨٣
جون الرابع عشر	بيتر Canepanova	٢٠ ديسمبر أغسطس ٩٨٣ ، ٩٨٤
جون الخامس عشر		أغسطس ٩٩٦ ٩٨٥ مارس
غريغوري الخامس	برونو	٣ مايو ، ٩٩٦ ، ١٨ فبراير ، ٩٩٩
جون السادس عشر	جون Philagathos	فبراير أيار / مايو إلى ٩٩٨ ٩٩٧
سيلفستر الثاني	Gerbert	أبريل ٢ ، ٩٩٩ ، ١٢ مايو ١٠٠٣
جون السابع عشر	جون Sicco	١٦ مايو ١٠٠٣ ، ٦ نوفمبر ١٠٠٣
جون الثامن عشر	جون Fasanus	٢٥ ديسمبر ١٠٠٣ ، يوليو ١٠٠٩
سرجيوس الرابع	بيتر	٣١ يوليو ١٠٠٩ ، ١٢ مايو ١٠١٢
بنديكت الثامن	Theophylact	١٧ مايو ١٠١٢ ، ٩ أبريل ١٠٢٤
جريجوري		١٠١٢

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
.		
جون التاسع عشر	رومانوس	١٩ أبريل ، ١٠٢٤ ٢٠ تشرين الأول / أكتوبر ، ١٠٣٢
بنديكت التاسع	Theophylact	٢١ أكتوبر ١٠٣٢ سبتمبر ، ١٠٤٤
--		١٠ مارس ١٠٤٥ ، ١ مايو ١٠٤٥
--		٨ نوفمبر ، ١٠٤٧ ١٦ يوليو ، ١٠٤٨
سيلفستر الثالث	جون سابينا	٢٠ يناير ١٠٤٥ ، ١٠ مايو ١٠٤٥
غريغوري السادس	جون جراتيان	١ مايو ، ١٠٤٥ ٢٠ ديسمبر ، ١٠٤٦
كليمنت الثاني	Suidger	٢٤ ديسمبر ، ١٠٤٦ ٩ تشرين الأول / أكتوبر ، ١٠٤٧
داماسوس الثاني	Poppo	١٧ يوليو ، ١٠٤٨ ٩ أغسطس ، ١٠٤٨
سانت ليو التاسع	برونو	١٢ فبراير ١٠٤٩ ، ١٩ أبريل ١٠٥٤
المنتصر الثاني	جيبهارد	١٣ أبريل ١٠٥٥ ، ٢٨ يوليو ١٠٥٧
ستيفن التاسع (س)	فريدريك لورين	٢ أغسطس ، ١٠٥٧ ٢٩ مارس ، ١٠٥٨
بنديكت العاشر	جون Mincius	٥ أبريل ١٠٥٨ ، ٢٤ يناير ١٠٥٩
نيقولا الثاني	جيرارد	٦ ديسمبر ، ١٠٥٨ ١٩ يوليو ، ١٠٦١
الكسندر الثاني	انسيلم	٣٠ سبتمبر ١٠٦١ ، ٢١ أبريل ١٠٧٣
(Honorius الثاني)	بيتر Cadalus	٢٨ أكتوبر ١٠٦١ ، ٣١ مايو ١٠٦٤
القديس غريغوريوس السابع	هيلدبراند	٢٢ أبريل ١٠٧٣ ، ٢٥ مايو ١٠٨٥
كليمنت الثالث	غيبرت	٢٤ مارس ١٠٨٤ ، ٨

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
		سبتمبر ١١٠٠
المنتصر الثالث	Daufer ((Daufari	٩ مايو ١٠٨٧ ، ١٦ سبتمبر ١٠٨٧
.		
أوربان الثاني	أودو (Eudes)	١٢ مارس ، ١٠٨٨ ٢٩ يوليو ، ١٠٩٩
عيد الفصح الثاني	Rainerius	١٣ أغسطس ١٠٩٩ ، ٢١ يناير ١١١٨
ثيودوريك		Sep 1101 1100 يناير
ألبرت (Adalbert)		١١٠١
سيلفستر الرابع	Maginulf	١٨ نوفمبر ١١٠٥ ، ١٢ أبريل ١١١١
جيلاسيوس الثاني	جون عايتا	٢٤ يناير ١١١٨ ، ٢٩ يناير ١١١٩
غريغوري الثامن	موريس Burdinus	٨ مارس ١١١٨ ، أبريل ١١٢١
Calistus الثاني	غيدو	٢ فبراير ، ١١١٩ ١٤ ديسمبر ، ١١٢٤
سلستين الثاني	تيوبالدو Boccapecci	١٥-١٦ ديسمبر ، ١١٢٤
Honorius الثاني	لامبرتو من أوستيا	٢١ ديسمبر ١١٢٤ ، ١٣ فبراير ١١٣٠
الأبرياء الثاني	غريغوريو Papareschi	١٤ فبراير ١١٣٠ ، ٢٤ سبتمبر ١١٤٣
Anacletus الثاني	بيترو Pierleoni	١٤ فبراير ١١٣٠ ، ٢٥ يناير ١١٣٨
فيكتور الرابع	غريغوريو كونتي	مارس ١١٣٨ ، ٢٩ مايو ١١٣٨
سلستين الثاني	غيدو لسيتا diCastello	٢٦ سبتمبر ١١٤٣ ، ٨ مايو ١١٤٤
لوسيوس الثاني	Gherardo Caccianemici	١٢ مارس ١١٤٤ ، ١٥ فبراير ١١٤٥
يوجين الثالث	برناردو بغناتيلي	فبراير ١٥ ، ٨ يوليو ١١٤٥ ، و ١١٥٣

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
أناستاسيوس الرابع	كورادو	٨ يوليو ، ٣ ديسمبر ١١٥٣ ، و ١١٥٤
أدريان الرابع (رابعا هادريان)	نيكولاس Breakspear	٤ ديسمبر ١١٥٤ ، ١ سبتمبر ١١٥٩
.		
ألكسندر الثالث	اورلاندو (رولاند) Bandinelli	٧ سبتمبر ١١٥٩ ، ٣٠ أغسطس ١١٨١
فيكتور الرابع	Ottaviano	٧ سبتمبر ١١٥٩ ، ٢٠ أبريل ١١٦٤
عيد الفصح الثالث	غيدو من كريما	٢٢ أبريل ١١٦٤ ، ٢٠ سبتمبر ١١٦٨
Calistus الثالث	جيوفاني	٢٩ سبتمبر ١١٦٨ أغسطس ، ١١٧٨
الأبرياء الثالث	اندو	٢٩ سبتمبر ١١٧٩ ، يناير ١١٨٠
لوسيوس الثالث	أوبالدو Allucingoli	١ سبتمبر ١١٨١ ، ٢٥ نوفمبر ١١٨٥
الحضري الثالث	أمبرتو Crivelli	٢٥ نوفمبر ، ١١٨٥ ٢٠ تشرين الأول / أكتوبر ١١٨٧ ،
غريغوري الثامن	ألبرتو دي مورا	٢١ أكتوبر ، ١١٨٧ ١٧ ديسمبر ، ١١٨٧
كليمنت الثالث	باولو سكولاري	١٩ ديسمبر ١١٨٧ ، مارس ١١٩١
سلستين الثالث	جياسينتو بوبو	مارس ١١٩١ ، ٨ يناير ١١٩٨
الأبرياء الثالث	Lotario	٨ يناير (١٦) ١١٩٨ - يوليو ، ١٢١٦
Honorius الثالث	Cencio Savelli	١٨ يوليو ١٢١٦ ، ١٨ مارس ١٢٢٧
غريغوري التاسع	أوغو (Ugolino)	١٩ مارس ، ١٢٢٧ ٢٢ أغسطس ، ١٢٤١
سلستين الرابع	Goffredo دا كاستيغليون	٢٥ أكتوبر ١٢٤١ ، ١٠ نوفمبر ١٢٤١
الابرياء الرابع	Sinibaldo فيشي	٢٥ يونيو ، ١٢٤٣ ٧ ديسمبر ، ١٢٥٤

تواريخ عهد	الاسم الأصلي	البابا
١٢ ديسمبر ١٢٥٤ ، ٢٥ مايو ١٢٦١	رينالدو ، عد من سيني	**الكسندر الرابع**
٢٩ أغسطس و ٢ تشرين الأول / أكتوبر ١٢٦١ ، ١٢٦٤	جاك Pantal ، على	**الحضري الرابع**
٥ فبراير ١٢٦٥ ـ ٢٩ نوفمبر ١٢٦٨	الرجل Foulques	**كليمنت الرابع**
.		
١ سبتمبر ١٢٧١ ، ١٠ يناير ١٢٧٦	تيدالدو فيسكونتي	**غريغوري العاشر**
٢١ يناير ١٢٧٦ ، ٢٢ يونيو ١٢٧٦	بيار Tarentaise	**الأبرياء الخامس**
١١ يوليو ١٢٧٦ ، ١٨ أغسطس ١٢٧٦	Ottobono فيشي	**ادريان الخامس** (الخامس هادريان)
٨ سبتمبر ١٢٧٦ ، ٢٠ مايو ١٢٧٧	بيدرو جولياو (بيتر الاسباني)	**جون القرن الحادي والعشرين**
٢٥ نوفمبر ، ١٢٧٧ ٢٢ أغسطس ، ١٢٨٠	جيوفاني غايتانو	**نيكولاس الثالث**
٢٢ فبراير ١٢٨١ ، ٢٨ مارس ١٢٨٥	سيمون دي بري (بريون)	**مارتن الرابع**
٢ أبريل ١٢٨٥ ، ٣ أبريل ١٢٨٧	جياكومو Savelli	**Honorius الرابع**
٢٢ فبراير ١٢٨٨ ، ٤ أبريل ١٢٩٢	جيرولامو Masci	**نيكولاس الرابع**
٥ يوليو ، ١٢٩٤ ١٣ ديسمبر ، ١٢٩٤	بيترو ديل Morrone	**سانت سلستين الخامس**
٢٤ ديسمبر ، ١٢٩٤ ١١ تشرين الأول / أكتوبر ١٣٠٣ ،	بينيديتو Caetani	**بونيفاس الثامن**
أكتوبر ٢٢ ، ٧ يوليو ١٣٠٣ ، و ١٣٠٤	• نيكول Boccasino	**بنديكت الحادي عشر**
٥ يونيو ١٣٠٥ ، ٢٠ أبريل ١٣١٤	حصلت برتراند دي	**كليمان الخامس**
٧ أغسطس ، ١٣١٦ ٤ ديسمبر ، ١٣٣٤	جاك DuŠse	**يوحنا الثاني والعشرون**
١٢ مايو ، ٢٥ يوليو	بيترو	نيكولاس الخامس

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
	Rainalducci	١٣٢٨ ، و ١٣٣٠
بنديكت السادس عشر الثاني عشر	جاك فورنييه	٢٠ ديسمبر ١٣٣٤ ، ٢٥ أبريل ١٣٤٢
كليمنت السادس	بيير من أكثر وردية d' Egleton	٧ مايو ، ٦ ديسمبر ١٣٤٢ ، و ١٣٥٢
الأبرياء السادس	اتيان أوبيرت	١٨ ديسمبر ١٣٥٢ ، ١٢ سبتمبر ١٣٦٢
الحضرية الخامس	غيوم دي Grimoard	٢٨ سبتمبر ، ١٣٦٢ ١٩ ديسمبر ، ١٣٧٠
.		
غريغوري الحادي عشر	بيير روجر دي بوفور	٣٠ ديسمبر ١٣٧٠ ، ٢٧ مارس ١٣٧٨
الحضري السادس	بارتولوميو Prignano	٨ أبريل ، ١٣٧٨ ١٥ تشرين الأول / أكتوبر ، ١٣٨٩
كليمنت السابع	روبرت من كامبراي	٢٠ سبتمبر ١٣٧٨ ، ١٦ سبتمبر ١٣٩٤
بونيفاس التاسع	بيترو Tomacelli	٢ نوفمبر ١٣٨٩ ، ١ أكتوبر ١٤٠٤
بنديكت الثالث عشر	بيدرو دي لونا	٢٨ سبتمبر ، ١٣٩٤ ٢٦ يوليو ، ١٤١٧
الأبرياء السابع	كوزيمو غير اليهود de'Migliorati	١٧ أكتوبر ١٤٠٤ ، ٦ نوفمبر ١٤٠٦
غريغوري الثاني عشر	انجيلو Correr	٣٠ نوفمبر ، ١٤٠٦ ٤ يوليو ، ١٤١٥
الكسندر الخامس	بيترو Philarghi	٢٦ يونيو ١٤٠٩ ، ٣ مايو ١٤١٠
يوحنا الثالث والعشرون	يطرأ كوسا	١٧ مايو ١٤١٠ ، ٢٩ مايو ١٤١٥
مارتن الخامس	اودو كولونا	١١ نوفمبر ١٤١٧ ، ٢٠ فبراير ١٤٣١
كليمنت الثامن	جيل سانشيز مو ¤ أوقية	١٠ يونيو ، ١٤٢٣ ٢٦ يوليو ، ١٤٢٩
بنديكت الرابع عشر	برنار غارنييه	١٢ نوفمبر ١٤٢٥ --؟
يوجين الرابع	غابرييل Condulmaro	٣ مارس ١٤٣١ ، ٢٣ فبراير ١٤٤٧

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
فيليكس الخامس	أماديوس الثامن ، دوق سافوي	٥ نوفمبر ١٤٣٩ ، ٧ أبريل ١٤٤٩
نيكولاس الخامس	توماسو Parentucelli	٦ مارس ١٤٤٧ ، ٢٤ مارس ١٤٥٥
Callistus الثالث	ألفونسو deBorja (بورجيا)	٨ أبريل ، ٦ أغسطس ١٤٥٥ ، و ١٤٥٨
بيوس الثاني	Enea Silvo	١٩ أغسطس ، ١٤٥٨ ١٥ أغسطس ، ١٤٦٤
Piccolomini (بولس الثاني)	بيترو باربو	٣٠ أغسطس ، ١٤٦٤ ٢٦ يوليو ، ١٤٧١
.		
سيكستوس الرابع	Franceso ديلا روفيري	٩ أغسطس ، ١٤٧١ ١٢ أغسطس ، ١٤٨٤
الابرياء الثامن	جيوفاني باتيستا سي آي بي •	٢٩ أغسطس ، ١٤٨٤ ٢٥ يوليو ، ١٤٩٢
الكسندر السادس	رودريغو deBorja بورخا ذ	١١ أغسطس ١٤٩٢ ، ١٨ أغسطس ١٥٠٣
بيوس الثالث	فرانشيسكو Todeschini	٢٢ سبتمبر ١٥٠٣ ، ١٨ أكتوبر ١٥٠٣
يوليوس الثاني	جوليانو ديل روفيري	١ نوفمبر ١٥٠٣ ، ٢١ فبراير ١٥١٣
ليو العاشر	جيوفاني دي ' ميديسي	١١ مارس ١٥١٣ ، ١ ديسمبر ١٥٢١
أدريان السادس (هادريان السادس)	ادريان Dedal	٩ يناير ١٥٢٢ ، ١٤ سبتمبر ١٥٢٣
كليمنت السابع	جوليو دي ميديشي	١٩ نوفمبر ١٥٢٣ ، ٢٥ سبتمبر ١٥٣٤
بولس الثالث	اليساندرو فارنيزي	١٣ أكتوبر ١٥٣٤ ، ١٠ نوفمبر ١٥٤٩
جوليوس الثالث	جيوفاني ماريا ديل مونتي	٨ فبراير ، ١٥٥٠ ٢٣ مارس ، ١٥٥٥
مارسيلو الثاني	مارسيلو Cervini	٩ أبريل ١٥٥٥ ، ١ مايو ١٥٥٥
بول الرابع	Giampietro كارافا	٢٣ مايو ١٥٥٥ ، ١٨ أغسطس ١٥٥٩

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
بيوس الرابع	جيوفاني انجيلو ميديسي	٢٥ ديسمبر ، ٩ ديسمبر ١٥٥٩ و ١٥٦٥
القديس بيوس الخامس	ميشيل Ghislieri	٧ يناير ١٥٦٦ ، ١ مايو ١٥٧٢
غريغوري الثالث عشر	أوغو Boncompagni	١٤ مايو ١٥٧٢ ، ١٠ أبريل ١٥٨٥
سيكستوس الخامس	فيليس بريتي	٢٤ أبريل ١٥٨٥ ، ٢٧ أغسطس ١٥٩٠
الحضري السابع	جيامباتيستا Castagna	١٥ سبتمبر ١٥٩٠ ، ٢٧ سبتمبر ١٥٩٠
غريغوري الرابع عشر	نيكول Sfondrati •	٥ ديسمبر ، ١٦ تشرين الأول / أكتوبر ١٥٩٠ ، و ١٥٩١
.		
تاسعا الأبرياء	جيوفاني أنطونيو Fachinetti	٢٩ أكتوبر ١٥٩١ ، ٣٠ ديسمبر ١٥٩١
كليمنت الثامن	إيبوليتو Aldobrandini	٣٠ يناير ، ١٥٩٢ ٥ مارس ، ١٦٠٥
ليو الحادي عشر	اليساندرو Ottaviano de'Medici	١ أبريل ١٦٠٥ ، ٢٧ أبريل ١٦٠٥
بول الخامس	كاميو بورغيزي	١٦ مايو ١٦٠٥ ، ٢٨ يناير ١٦٢١
غريغوري الخامس عشر	اليساندرو Ludovisi	٩ فبراير ، ١٦٢١ ٨ يوليو ، ١٦٢٣
الحضري الثامن	Mafeo بربريني	٦ أغسطس ، ١٦٢٣ ٢٩ يوليو ، ١٦٤٤
الأبرياء العاشر	جيامباتيستا Pamfili	١٥ سبتمبر ١٦٤٤ ، ١ يناير ١٦٥٥
ألكسندر السابع	فابيو بارازو	٧ أبريل ١٦٥٥ ، ٢٢ مايو ١٦٦٧
كليمنت التاسع	جوليو روسبيجليوسى	٢٠ يونيو ، ١٦٦٧ ٩ ديسمبر ، ١٦٦٩
كليمنت العاشر	إميليو Altieri	٢٩ أبريل ، ١٦٧٠ ٢٢ يوليو ، ١٦٧٦
الأبرياء الحادي عشر	بينيديتو	٢١ سبتمبر ، ١٦٧٦

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
	عن الحضور	١٢ أغسطس ، ١٦٨٩
الكسندر الثامن	بيترو Ottoboni	٦ أكتوبر ١٦٨٩ ، ١ فبراير ١٦٩١
الأبرياء الثاني عشر	أنطونيو بغناتيلي	١٢ يوليو ١٦٩١ ، ٢٧ سبتمبر ١٧٠٠
كليمان الحادي عشر	جيوفاني فرانشيسكو الألباني	٢٣ نوفمبر ، ١٧٠٠ ١٩ مارس ، ١٧٢١
الأبرياء الثالث عشر	مايكل أنجلو دي كونتي	٨ مايو ، ١٧٢١ ٧ مارس ، ١٧٢٤
بنديكت الثالث عشر	بيترو فرانشيسكو أورسيني	٢٩ مايو ١٧٢٤ ، ٢١ فبراير ١٧٣٠
كليمنت الثاني عشر	لورنزو Corsini	١٢ يوليو ١٧٣٠ ، ٦ فبراير ١٧٤٠
بنديكت الرابع عشر	بروسبيرو لورنزو Lambertini	١٧ أغسطس ١٧٤٠، ٣ مايو ١٧٥٨
.		
كليمان الثالث عشر	ديلا توري كارلو Rezzonico	٦ يوليو ١٧٥٨ ، ٢ فبراير ١٧٦٩
كليمنت الرابع عشر	لورنزو Ganganelli	١٩ مايو ١٧٦٩ ، ٢٢ سبتمبر ١٧٧٤
بيوس السادس	جيوفاني انجيلو Brachi	١٥ فبراير ، ١٧٧٥ ٢٩ أغسطس ، ١٧٩٩
بيوس السابع	لويجي Barnab... كيارامونتي	١٤ مارس ، ١٨٠٠ ٢٠ يوليو ، ١٨٢٣
ليو الثاني عشر	أنيبالي Sermattei ديلا Genga	٢٨ سبتمبر ١٨٢٣ ، ١٠ فبراير ١٨٢٩
بيوس الثامن	فرانشيسكو سافاريو كاستيغليون	٣١ مارس ١٨٢٩ ، ٣٠ نوفمبر ١٨٣٠
غريغوري السادس عشر	بارتولوميو ألبرت Cappellari	٢ فبراير ١٨٣١ ، ١ يونيو ١٨٤٦
بيوس التاسع	جيوفاني ماريا Mastai - فيريتي	١٦ يونيو ١٨٤٦ ، ٧ فبراير ١٨٧٨
لاوون الثالث عشر	دجواكينو فينتشنزو بيسي	٢٠ فبراير ، ١٨٧٨ ٢٠ يوليو ، ١٩٠٣
سانت بيوس العاشر	جوزيبي Melchiorre Sarto	٤ أغسطس ، ١٩٠٣ ٢٠ أغسطس ، ١٩١٤

البابا	الاسم الأصلي	تواريخ عهد
بنديكتوس الخامس عشر	جياكومو ديلا كييزا	٣ سبتمبر ١٩١٤ ، ٢٢ يناير ١٩٢٢
بيوس الحادي عشر	امبروجيو داميانو اشيل Ratti	٦ فبراير ١٩٢٢ ، ١٠ فبراير ١٩٣٩
بيوس الثاني عشر	يوجينيو ماريا جيوفاني Pacelli	٢ مارس ، ١٩٣٩ ٩ تشرين الأول / أكتوبر ، ١٩٥٨
يوحنا الثالث والعشرون	أنجيلو جوزيبي رونكالي	٢٨ أكتوبر ١٩٥٨ ، ٣ يونيو ١٩٦٣
بولس السادس	جيوفاني باتيستا Montini	٢١ يونيو ، ١٩٦٣ ٦ أغسطس ، ١٩٧٨
يوحنا بولس الأول	ألبينو لوتشياني	٢٦ أغسطس ١٩٧٨ ، ٢٨ سبتمبر ١٩٧٨
يوحنا بولس الثاني	كارول فويتيلا	١٦ أكتوبر ١٩٧٨ -- ٢ أبريل ٢٠٠٥
بنديكتوس السادس عشر	جوزيف راتسينجر	١٩ أبريل ٢٠٠٥ --

المبحث الثاني

الأصول الفكرية للبابوية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: رئاسة كنيسة روما على جميع الكنائس.
- المطلب الثاني: انتقال السلطة في سلسلة متصلة إلى باباوات روما.
- المطلب الثالث:تحليل ومناقشة.

* * * ** * * *

المبحث الثاني: الأصول الفكرية للبابوية

بلغت الكنيسة الكاثوليكية من خلال سياسة باباواتها سلطةً عظيمة؛ فمن حيث الزمان، امتد سلطانها لما يقارب الألف سنة(من القرن السادس إلى القرن السادس عشر)، كما امتد سلطانها المكاني ليشمل أغلب أوروبا، وكانت القوة الوحيدة الموحدة في هذه المنطقة الواسعة التي كانت تسمى بالإمبراطورية الرومانية المقدسة، وكان أباطرتها يتوجون على أيدي الباباوات في الشؤون الروحية والدنيوية على حد سواء[1].

وقد استند الباباوات في الوصول إلى هذه السلطة الواسعة من الناحية الفكرية على أصلين أساسيين:

الأول:رئاسة كنيسة روما على جميع الكنائس.

الثاني: انتقال هذه الرئاسة في سلسلة محفوظة من بطرس إلى باباوات روما إلى اليوم.

وسوف نتحدث عن هذه الأصلين بشيء من التفصيل:



(١) انظر: تاريخ الكنيسة، لجون لوريمر: (٥/ ٢٧).

المطلب الأول: رئاسة كنيسة روما على جميع الكنائس

يستند هذا المبدأ على أن بطرس هو رئيس جميع الرسل، ورئيس الكنيسة المنظور، وتحشد الكنيسة الكاثوليكية الكثير من الحجج، ومن أهمها ما يأتي:

الحجة الأولى: أن الرب منح سلطانه لبطرس، وأقامه نائباً له، ورئيساً على الرسل.

وقد جاء في الفصل الأول من وثائق المجمع الفاتيكاني الأول الجلسة الثالثة(٢٤/ ٤/ ١٨٧٠م) في الدستور العقائدي ما يلي: «نعلم إذاً ونعلن حسب شهادة الإنجيل، أن أولية سلطة القضاء على كنيسة الله كلها وعد المسيح ربنا بها الطوباوي الرسول بطرس وأعطاه إياها مباشرة رأساً... ولسمعان وحده منح يسوع، بعد قيامته، سلطة الراعي الأعظم والرئيس الأعلى على قطيعه»[(١)].

وعمدة الكاثوليك في استدلالهم على الفقرة الأولى من هذه الحجة هي ما ورد في سفر متّى: « وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ» [(٢)].

وقد جاء هذا النص في النسخة الكاثوليكية لما يسمَّى بالكتاب المقدس تحت عنوان: (يسوع يمنح بطرس سلطانا خاصاً)، وجاء في عنوان الفقرات السابقة له: (بطرس يشهد بلاهوت يسوع)، ثم جاء في شرح هذه الفقرة: «وتستند الكنيسة الكاثوليكية إلى هذا النص وتبنى عليه تعليمها القائل بأن خلفاء بطرس يرثون

---

(١) الإيمان الكاثوليكي، الأب صبحي حموي اليسوعي، ص:٢٤٦.

(٢) متى: (١٦/ ١٨).

رئاسته»[١].

وهذا الترتيب بين الفقرات يوحي بأن هذا السلطان الممنوح لبطرس كما يزعم الكاثوليك كان مكافئةً على اعترافه بألوهية المسيح، وهو ما صرح به الأب أنطون الفرغاني، حيث قال:«وبطرس هو الذي في قيصرية فيلبوس[٢] جاهر بإيمانه بالمسيح عندما كان كثيرون من التلاميذ يترددون إذ قال: أنت المسيح ابن الله الحي فكافأه المسيح وأعطاه السلطة العليا في الكنيسة إذ قال أنت الصفاة...» [٣].

ويقول المفسر وليام كارلي في بيان أهمية هذه الفقرة: «إن هذه العبارة من المسيح لبطرس ليست سهلةً فقد أعطاه المسيح بعض الامتيازات، وبعض المسؤوليات، فالعبارة تشير إلى سلطةٍ فريدةٍ وقوةٍ خاصةٍ لبطرس؛ ومن ذلك أن يكون بطرس الخادم الأمين للملكوت، الذي معه المفتاح يفتح باب الملكوت أمام الراغبين في الخلاص»[٤].

وهذا الأصل الفكري عند الكاثوليك هو عقيدةٌ يعتقدونها، ويستدلون أيضاً على خلافة بطرس للمسيح- الرب في نظرهم- في رئاسته على الكنيسة بما ورد في سفر يوحنا، حيث قال المسيح لبطرس بعد قيامه من القبر -بزعمهم-: «ارع خرافي..ارع غنمي..ارع غنمي»[٥].

---

(١) متى: (١٦/ ١٨)، شرح العبارة: ١٠ .

(٢) قيصرية فيلوبوس: هي بانياس الحديثة المبنية عند سفح جبل الشيخ على بعد ٣٠ ميلاً شمالي بحر الجليل فيها مياة غزيرة وحقول خصبة وغابات تحيط بها، ومعنى قيصرية فيلبوس:محب الخيل القاطع. انظر: قاموس الكتاب المقدس، لنخبة من اللاهوتيين،ص:٧٥٥، وجمان من فضة (قاموس أعلام الكتاب المقدس)، ص:١٦٢ .

(٣) المجمل في تاريخ الكنيسة، ص:٢٩.

(٤) وليام باركلي، تفسير متى: (١/ ٣١٦-٣١٨).

(٥) يوحنا: (٢١/ ١٥-١٨)، وفي كتاب المجمل في تاريخ الكنيسة، ارع خرافي،ارع نعاجي، ارع غنمي.

يقول الأب خليل أدَّه اليسوعي «...وكلف بطرس ثلاثاً أيضا، رعاية خرافه. فهل كان الرب يستطيع أن يسلم ملء السلطة إلى بطرس بكلام أفصح وأوجز؟... فالعمل الذي كلف به الرب بطرس هو إذاً عمل الرئيس الأعلى: كأنه يقول له: «يا بطرس أنا الراعي الصالح الحقيقي، ولكني مبتعد عن خرافي لأدخل دار ملكي الأبدي فلتكن أنت راعيها ولا تنسى أنها خرافي لا خرافك فما أنت إذاً راعٍ إلا بالنيابة عني فبطرس أقامه الرب الراعي لخرافه بالنيابة عنه واستودعه سلطته ليقوم بمهمته»[1].

الحجة الثانية: الميزات والفضائل التي تميز بها عن بقية الرسل.

يرى الكاثوليك أن بطرس قد تميز من بين الرسل بميزاتٍ أهلته أن يكون المقدم على جميع الرسل والرئيس على الكنيسة جمعاء، ومن هذه المميزات ما يأتي:

١- هو الذي جاهر بأن المسيح هو ابن الله الحي، فيما تردد الكثير من تلاميذه.

٢- ظهر على يديه بعض المعجزات مثل: اصطياد السمكة التي خرج من فمها فضة، وشفاء ابنة يئير[2]، وعندما سجن خلصه الملك بصورة عجيبة.

٣- المسيح ميزه بأمورٍ منها: أنه غير اسمه إلى بطرس الذي معناه الصخرة، وكان المسيح يسكن في بيته بكفر ناحوم[3]، مع وجود منازل أخرى، واختار سفينته ليعلم منها الشعب لما ازدحمت عليه الجموع، وظهر له وحده دون بقية الرسل، عندما خرج من القبر[4].

---

(١) الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض، ص: (٧٦-٧٧).

(٢) يئير: اسم عبري معناه ينير. وهوأحد بني إسرائيل، انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص:١٠٤٣ .

(٣) اسم عبري معناه قرية ناحوم، وهي قرية واقعة على الشاطيء الشمالي الغربي لبحر الجليل(فلسطين). انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص:٧٨٢ .

(٤) الكنيسة أو مملكة المسيح، ص: (٦٧-٦٨)، والمجمل في تاريخ الكنيسة، ص: ٢٩.

الحجة الثالثة: قيادته الفعلية لجماعة الرسل بعد المسيح:

تقول الكنيسة الكاثوليكية في سياق احتجاجها على رئاسة بطرس إنه مارس فعلياً قيادة الرسل منذ أن صعد المسيح، وأنه«استلم فعلاً إدارة الكنيسة فإذا هو يبشر يوم العنصرة[1] ويتنصر على يديه ثلاثة آلاف رجل وهو الذي يقيم فيها رسولاً مقام يهوذا ويُدعى إلى السامرة[2] لمنح التثبيت ويسجن ويخلصه ملاك الرب بصورة عجائبية، ثم يؤسس الكنيسة في يافا[3] وفي قيصرية[4]، حيث يقبل في الكنيسة القائد كورنيلوس باكورة الوثنيين ثم يبشر في أنطاكية وأخيراً في رومة»[5].

وهذه القيادة الفعلية للكنيسة تدل على رئاسته دون غيره ممن يُسمَّى بالرسل.

---

(١) العنصرة: هي اليوم العاشر بعد صعود المسيح عند النصارى، والعنصرة نسبة إلى عنصر النار، لأنها ظهرت عندما حل الروح القدس على التلاميذ في ذلك اليوم. انظر: تاريخ الأمة القبطية، لجنة التاريخ القبطي، ص: ٤٢-٤٣ .

(٢) السامرة: اسم عبراني معناه " مركز الحارس"، عاصمة الأسباط العشرة، وهي محصنة ببرج عظيم في الجنوب الغربي، تعرضت للغزو البابلي عام ٧٢٤ ق.م . انظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين، ص:٤٤٨ .

(٣) يافا: اسم كنعاني معناه جمال، وهي مدينة قديمة على شاطيء البحر المتوسط تقع في الجزء الغربي الشمالي لأورشليم. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص:١٠٤٧ .

(٤) قيصرية: أهم المدن في فلسطين، تقع على البحر على بعد ٤٤ ميلا جنوب عكا.انظر: المصدر نفسه، ص:٧٥٥ .

(٥) المجمل في تاريخ الكنيسة، ص: (٢٩-٣٠).

المطلب الثاني: انتقال السلطة في سلسلة متصلة إلى باباوات روما

ينص هذا المبدأ على أن رئاسة الكنيسة التي هي حقٌ لبطرس انتقلت في سلسلةٍ متصلةٍ ومحفوظةٍ إلى خلفائه وهم باباوات روما، وهي باقيةٌ كذلك إلى أبد الدهر.

ووفقاً لهذا المبدأ فإن البابا الروماني قد حصل على نفس السلطة التي مُنِحت لبطرس، فهو ممثل الله على الأرض، ونائب يسوع المسيح، ورئيس الكنيسة المنظور(١).

يقول الأب جان نوفل: «إن البابا وفقاً لعقيدتنا، ممثل الله على الأرض، ونائب يسوع المسيح، ورئيس الكنيسة المنظور...»(٢).

وقد أكد المجمع الفاتيكاني الأول هذا المبدأ حيث جاء في إحدى وثائقه: «لا يشك أحدٌ وتعلم جميع الأجيال، أن القديس الطوباوي بطرس، رئيس الرسل وهامتهم. عمود الإيمان وركن الكنيسة الكاثوليكية قد نال مفاتيح ملكوت ربنا يسوع المسيح، مخلص الجنس البشري وخادمه، فحتى الآن ودائماً هو الذي في شخص خلفائه أساقفة كرسي رومة المقدس الذي أسسه وكرسه بدمه يحي ويرأس ويمارس سلطة الحكم(٣).

وتؤكد الكنيسة بأنه من يجلس على الكرسي الروماني كان يملأ نفس السلطة التي كانت لبطرس: «وبالتالي، فكل من يخلف بطرس على هذا الكرسي ينال بحكم

---

(١) انظر: المجمل في تاريخ الكنيسة، ص:٣١، الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض، ص:١٠٠، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢٧٤-٢٧٥).

(٢) دولة الفاتيكان، ص:٣٣.

(٣) الإيمان الكاثوليكي، الأب صبحي حموي اليسوعي، ص:٢٤٧.

تأسيس المسيح نفسه، أولية بطرس على الكنيسة كلها»[1].

ولم أجد للكنيسة الكاثوليكية أدلةً من نصوص الأناجيل -كما في المبدأ الأول- ولكنها تستند إلى أمورٍ أخرى، حاصلها ما يأتي:

١- أن الكنائس المعروفة عند الكل هي كنيسة رومة، وأنطاكية، والقسطنطينية، والإسكندرية، وأورشليم، وليست هناك كنيسة نسبت إليها الخلافة البطرسية غير كنيسة رومة، وهذه الكنائس الأربع (غير كنيسة رومة) لم تدع ولا يمكنها أن تدع الرئاسة العامة بعد بطرس فإذا لم تكن الرئاسة العامة في هذه الكنائس الأربع لزم أن تكون في كنيسة رومة.

٢- منذ بداية تاريخ الكنيسة ادعت كنيسة رومة بالرئاسة على الكنيسة جمعاء، لأنها كنيسة بطرس، وعرف لها العالم ذلك بلا نزاع.

٣- أن لوائح الأساقفة الذين تعاقبوا على كرسي روما تبدأ من بطرس، مما يدل على أن الذين أتوا بعده هم خلفاؤه، ولذلك سمي كرسي رومة كرسي بطرس كما في كتابات الآباء[2].



---

(١) المصدر السابق.

(٢) الكنيسة أو مملكة المسيح، ص: (١٠٠-١٠٥)، بتصرف.

المطلب الثالث: تحليل ومناقشة

التحليل:

١ - يتضح لنا مما سبق عرضه أن الأصل الفكري الذي قامت عليه البابوية يعود إلى أمرين: الرئاسة، أي رئاسة الكنيسة الروحانية على جميع الكنائس اعتماداً على رئاسة بطرس على جميع الرسل، ومبدأ الانتقال، أي انتقال هذه الرئاسة بما تتضمنه من سلطة إلى باباوات روما، كما يتضمن المبدأ الثاني أيضاً بقاء هذه الرئاسة إلى منتهى الدهر.

٢ - إنَّ أعظم النصوص الإنجيلية التي استند إليها الباباوات هما نص "أنت بطرس"، و"ارع خرافي"، وكانت النظرية البطرسية هي أقوى مستندات البابوية عبر التاريخ.

٣- في الحقيقة المبدأ الأول هو الأساس والمبدأ الثاني متفرعٌ عنه، ولذلك سيكون التركيز عليه في المناقشة؛ لأن إبطال الأساس إبطالٌ لما تفرع عنه.

٤ - ستكون طريقة المناقشة بالرد الإجمالي على رئاسة كنيسة روما على جميع الكنائس، ثم الرد التفصيلي على الحجج التي يستند إليها الكاثوليك، ثم الرد على مبدأ انتقال الرئاسة إلى أساقفة روما دون غيرهم.

المناقشة: الرد المجمل على رئاسة كنيسة روما على جميع الكنائس:

الوجه الأول: أن رئاسة كنيسة روما مبنية على رئاسة بطرس على جميع الرسل. وهذا الأصل الفكري على أهميته وكثرة الاستدلال عليه لا يوجد عليه دليلٌ صريح من أسفار العهد الجديد، فلا يوجد دليلٌ واحدٌ يصرح بأن بطرس هو رئيسٌ على الرسل، وغاية ما يذكره المحتجون هو من باب الاستنباط من بعض النصوص، ولأجل هذه الحقيقة لم تسلم الطوائف الأخرى لهذا الأصل، بل عارضته بصورٍ مختلفة، وصلت عند بعضهم إلى حد أن اعتبرت ذلك مجرد بدعةٍ من سائر البدع الكاثوليكية، وعملية تزويرٍ فارغةٍ ارتكبها بعض الباباوات لتأييد سلطانهم، وخاصة

أمام الحكام الزمنيين.

الوجه الثاني: دلت نصوص العهد الجديد على المساواة بين الرسل، وعدم تميز أحدهم عن البقية، وعلى هذا الأصل أيضاً جرت كتابات الآباء الأقدمين.

فالنصوص الكثيرة تدل على أن المسيح كان يخاطب جميع الرسل بدرجةٍ واحدةٍ دون تقديم أحد على أحدٍ، ومن الأدلة على ذلك ما يأتي:

١- جاء في أهم النصوص في إرسال الرسل الإثنى عشر ما يلي: «ثم دعا تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها، ويشفوا كل مرض وكل ضعف... هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق الأمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت اسرائيل الضالة، وفيم أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين: انه قد اقترب ملكوت السماوات. اشفوا مرضى، طهروا برصاً، أقيموا موتى، أخرجوا شياطين. مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا...»[1].

٢- «كما أرسلني الأب كذلك أنا أرسلكم»[2].

٣- «من قبلكم فقد قبلني»[3].

٤- جاء في نصٍ مهمٍ يدل على ما يسميه النصارى "سلطان الحل والعقد" ما يأتي: «الحق أقول لكم: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء»[4].

٥- «الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتموني، في التجديد، متى جلس ابن

---

(١) متى: (١٠/ ١-٨)، ومرقس: (٦/ ٧-١٣) بنفس المعنى مع اختلاف في العبارة.

(٢) يوحنا (٢٠/ ٢١).

(٣) متى (١٠/ ٤٠).

(٤) المصدر نفسه (١٨/ ١٨-١٩).

الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على إثني عشر كرسياً تدينون أسباط اسرائيل الإثني عشر»(١).

٦- «ودعا تلاميذه الإثني عشر وأعطاهم قوةً وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمراض وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى»(٢).

٧- «وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم، وقال لهم: سلامٌ لكم فجزعوا وخافوا، وظنوا أنهم نظروا روحاً فقال لهم: ما بالكم مضطربين، لماذا تخطر أفكار في قلوبكم؟. انظروا يدي ورجلي: إني أنا هو: حسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي... وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأنه يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم، وأنتم شهود لذلك... وأخرجهم خارجاً إلى بيت عتيا ورفع يديه وباركهم»(٣).

٨- «فحين كان العشاء، وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الأسخريوطي لأن يسلمه، يسوع وهو عالم أن الأب قد دفع كل شيء إلى يديه، وأنه من عند الله خرج، وإلى الله يمضي، قام عن العشاء، وخلع ثيابه، وأخذ منشفة واتزر بها، ثم صب ماء في مغسل وابتدأ بغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها»(٤).

٩- جاء عند ذكر الصلاة لأجلهم ما يأتي: «أنا أظهرت اسمك للناس الذي أعطيتني من العالم كانوا لك وأعطيتهم، وقد حفظوا كلامك والآن علموا أن كل ما

---

(١) المصدر السابق (١٩/ ٢٨-٢٩).

(٢) لوقا: (٩/ ١-٦).

(٣) المصدر نفسه: (٢٤/ ٣٦-٥٢).

(٤) يوحنا: (١٣/ ٢-٦).

أعطيتني هو من عندك، لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم، وهم قبلوا وعلموا يقيناً أني خرجت من عندك؛ وآمنوا أنك أنت أرسلتني، من أجلهم أنا أسأل؛ لست أسأل من أجل العالم، بل من أجل الذين أعطيتني لأنهم لك؛ وكل ماهو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي وأنا ممجد فيهم، ولست أنا بعد في العالم، وأما هؤلاء فهم في العالم، وأنا آتي إليك أيها الأب القدوس، إحفظهم في اسمك الذين أعطيتني ..لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير»[1].

هذه بعض النصوص من أهم أسفار العهد الجديد، وهي الأناجيل الأربعة وكلها يدل على أن المسيح لم يفرق بين هؤلاء الرسل، بل قد ساوى بينهم ولم يميز أحداً منهم بميزةٍ واحدة؛ فقد ساوى بينهم في:

١ - السلطان الممنوح لهم على الأرواح النجسة.

٢ - القدرة على شفاء المرضى.

٣-إرسالهم للكرازة بالإنجيل.

٤ - أن من قبلهم فقد قبل المسيح.

٥ - ما يُسمَّى سلطان الحل والعقد.

٦ - أوامره لهم.

٧ - اتباعهم له.

٨ - جلوسهم على إثني عشر كرسياً يوم الدينونة.

٩ - إخباره لهم بما سيحدث له (بزعمهم) من آلام، والموت، والقيام بعد الموت.

١٠ - الاستشهاد بهم على قيامته.

١١ - مباركته لهم وغسل أرجلهم.

---

(١) المصدر السابق: (١٧/ ٦-١٦).

١٢- حفظهم كلام الرب.

١٣- علمهم بأن كل ما أخذوه هو من الرب.

١٤- علمهم اليقيني بأنه من عند الله وقبولهم لذلك، وإيمانهم برسالته.

١٥- دعاؤه لهم بالحفظ من الشيطان.

وإذا كان الرب (بزعمهم) قد ساوى بين جميع الرسل، كما جاء في أهم مصادرهم، فكيف يدعي الكاثوليك بعد ذلك بأن بطرس قد قد تميز عن بقيتهم فضلاً عن أن يكون رئيساً لهم؟!.

وتأسيساً على ما سبق؛ فقد جاء في كتاب "التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية" وهو من أهم المصادر الحديثة للتعليم الكاثوليكي، وقد اعتمده البابا يوحنا بولس الثاني عام ١٩٩٧م جاء في هذا الكتاب مما يخص موضوعنا ما يأتي:

١- تحت عنوان:(الكنيسة رسولية): الكنيسة رسولية؛ لأنها مؤسسةٌ على الرسل، فلقد بنيت ولا تزال مبنيةً على "أساس الرسل"، وهم شهود مختارون ومرسلون من قبل المسيح نفسه.

٢- «أيها الأب الأزلي، أنك لا تهمل قطيعك، بل تحافظ عليه برسلك الطوباويين[١] في ظل حمايتك الدائمة، أنك تسوسه أيضاً بهؤلاء الرعاة أنفسهم الذين يواصلون عمل ابنك».

٣- وجاء تحت عنوان: (رسالة الرسل): يسوع هو رسول الأب، ومنذ بدأ رسالته دعا الذين أرادهم فأقبلوا إليه، وعين منهم اثنى عشر ليكونوا معه، ولكي يرسلهم للكرازة، وقد أصبحوا من ذلك الحين رسله وبهم نتابع رسالته الخاصة؛

(١) الطوباوي: المؤمن الراقد(الميت) الذي يتمتع بالسعادة الأبدية، وفي القانون الغربي: الذي طوبته الكنيسة(اطلقت عليه لقب الطوباوي)، وهو لقب مدح. انظر: معجم الإيمان المسيحي،ص:٣١٢ .

وهكذا فعملهم متابعة لرسالته الخاصة.

٤- لقد ضمهم يسوع إلى الرسالة التي قبلها من أبيه، فرسل المسيح يعلمون أن الله أقامهم "خدَمَة العهد الجديد" "خدَمة لله"، "سفراء المسيح"، "خدام المسيح ووكلاء أسرار الله".

٥- في مهمة الرسل خاصية لا يمكن أن تكون في غيره، وهو أنهم الشهود المختارون لقيامة الرب وأركان الكنيسة[١].

وهكذا يتضح من هذه الفقرات الواردة في أهم مصادر الكاثوليك أن رسل المسيح متساوون في كل شيء، ولا يتميز أحدهم عن غيره فأين دعوى تميز بطرس فضلاً عن رئاسته من أهم كتب التعليم الكاثوليكي.

الوجه الثالث:لو صحت رئاسة بطرس وتأسيس كنيسة روما لكان بذلك مخالفاً لأمر المسيح، وذلك من جهتين:

الأول: خروجه عن موطن اليهود، وهو أرض السامرة.

الثاني: دعوته لغير اليهود من أهل الأوثان، وهم سكان روما الأصليين، وبخروج بطرس من أرض اليهود وذهابه إلى روما، ودعوته للوثنيين يكون قد خالف أمر المسيح عندما اختار الرسل الاثني عشر وأرسلهم وأوصاهم قائلاً: «لا تسلكوا طريقاً إلى الوثنيين ، ولا تدخلوا مدينة للسامريين، بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بيت اسرائيل»[٢].

ودلت أسفار العهد الجديد على أن بطرس هو رسول أهل (الختان)، وأما بولس فهو رسول الأمم (أهل الغرلة) «...إذا رأوا أني أوتمنت على أهل الغرلة، كما بطرس على أهل الختان، فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان كان عمل فيَّ أيضا

---

(١) التعلم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، لجنة النشر التابعة للفكر الرسولي،: (٢٧٣-٢٧٤).

(٢) متى: (١٠/ ٥-٦).

للأمم»[1].

وعلى هذا النص يكون بطرس قد تخلى عن دوره في دعوة أهل الختان وذهب إلى أهل الأوثان.

الوجه الرابع: لو كانت الرئاسة على كرسي روما حقاً لأحدٍ من الرسل لكان أولى بذلك بولس لا بطرس وذلك من عدة أوجه:

١ - أنه رسول الأمم وأهل الأوثان، وبطرس رسول أهل الختان، وقد أشرت إلى ذلك من قبل، ونضيف بأن تخصيص بولس للأمم بحسب ما جاء في سفر أعمال الرسل جاء من الرب نفسه، كما في سفر أعمال الرسل أن الرب قال له: «فقال لي: اذهب إني مرسلك إلى بلاد بعيدة إلى الوثنيين»[2] ولم يَرِدْ مثل ذلك لبطرس، بل جاء في هذا السفر ما يدل على تخصيص بولس وحده بالذهاب إلى رومة والشهادة فيها للمسيح: «وفي الليلة التالية وقف به الرب، وقال ثق يا بولس، لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم هكذا ينبغي أن تشهد في رومة أيضاً»[3].

وبولس هو محرف ديانة المسيح عليه السلام ولكن الاستشهاد بهذا النص هو من باب الإلزام بما ورد في كتب القوم.

وبناءاً على ما سبق فتأسيس كنيسة روما إذاً هو من اختصاص بولس، لأن الرب أرسله إلى الأمم، وكلَّفَه بالشهادة له فيها، وائتمنه على أهل الأوثان.

٢ - دلت أسفار العهد الجديد وخاصة سفر أعمال الرسل أن عمل بولس أكبر من عمل بطرس، وأن ما ورد عن بولس أضعاف ما ورد عن بطرس فزيارة بولس للمدن أكثر من زيارة بطرس، كما أن لبولس رحلات كبرى تُسمَّى بالرحلات

---

(١) رسالة بولس لأهل غلاطية: (٢/ ٧-٩).

(٢) أعمال الرسل: (٢٢/ ٢١).

(٣) المصدر نفسه: (٢٣/ ١١).

التبشيرية، وهي ثلاث رحلاتٍ زار فيها الكثير من المدن، فيما لا يذكر لبطرس إلا رحلة واحدة إلى روما، وأيضاً فإننا نجد لبولس أربع عشرة رسالة، منها رسالتان موجهتان إلى رومة، بينما لا يوجد لبطرس إلا رسالتان ليس فيهما رسالة إلى روما.

وهذا العرض يبين أن حجم عمل بطرس أمام بولس لا يؤهله أن يتولى رئاسة الكنيسة.

الوجه الخامس: لو كانت هناك كنيسةٌ تستحق الرئاسة على الجميع لكانت أورشليم، وإذا كان الكاثوليك يقدمون كنيسة روما باعتبار قدسية المكان الذي وصل إليه بطرس وبولس وبشَّرا فيه، وماتا فيه، وبقي رفاتهما، فالمكان الذي شهد ولادة المسيح (الرب بزعمهم)، وانتشار دعوته، وموته فيه، واحتوى جسده قبل قيامته أولى من المكان الذي شهد مثل ذلك لتلميذ من تلاميذه.

وهذا الرد هو من باب الإلزام فقط بما يعتقدون، وليس تسليما بذلك.

الوجه السادس: أن هذه الرئاسة ليست محل اتفاق بين طوائف النصارى، فالطوائف الأخرى غير الكاثوليك يخالفون في ذلك على صورٍ مختلفةٍ من أهمها:

الصورة الأولى:نفي مبدأ الرئاسة في الكنيسة مطلقاً واعتبار الأساقفة سواء.

يستدل أصحاب هذا الرأي بشهادة جيروم[1]، وهو أحد الآباء القدماء الثقات في التعليم عند الكنيسة الكاثوليكية، حيث يقول في كلامه عن الأسقف: «حيثما وجد أسقف سواء كان في روما، أو في القسطنطينية أو في الإسكندرية فإن كرامته واحدة، وكهنوته واحد، فلا الثروة أو ضعة الفقر تزيده أو تنقص من قدره عن كونه أسقفاً،

---

(١) جيروم: أحد أكبر لاهوتيي الكنيسة في القرن الرابع، عاش في الفترة(٣٤٧-٤٢٠م)، هاجم رجال الدين، ورحل من رومة إلى فلسطين من أجل ترجمة التوراة من العبرية إلى اللاتينية، وهي من أهم أعماله، وألف عن سيرة من يسمى بالقديسين من النصارى. موسوعة ويكبيديا الحرة. مادة: جيروم .

فالجميع سواء خلفاء الرسل»[1].

الصورة الثانية: اعتبار الرئاسة لبولس دون بطرس:

وعلى ذلك سار بعض المؤرخين من الأرثوذكس، ومنهم الأنبا يوأنس الذي يرى أن القول بأن المسيح أقام بطرس نائباً عنه على الأرض ورئيساً على الكنيسة، وأنه مؤسس كنيسة روما، وأنه أقام بها خمساً وعشرين سنة محض ادعاءات من الباباوية لا تستحق الرد، ثم ينتقل منها إلى ذكر أن بولس هو مؤسس كرسي روما، وخلاصة أدلته ما يأتي:

١ - تدل أسفار العهد الجديد على أن بولس رسول الأمم، ورومية هي عاصمة العالم الوثني، والكنيسة التي تأسست فيها هي كنيسة أممية وليست يهودية، وكان بولس هو رسول الأمم، كما أن بطرس هو رسول الختان.

٢ - مبدأ بولس في الكرازة أنه لا يكرز في مكان كرز فيه آخر، وقد ذكره في رسالته إلى أهل رومية، مما يدل على أن أحداً من الرسل لم يذهب إلى تلك المدينة .

٣- صلات بولس بأهل رومية:

فرسالة بولس إلى أهل رومية حافلةٌ بعددٍ كبيرٍ من أسماء النصارى الرومان- يهوداً وأمميين- يبعث إليهم بولس بتحياته وتقديره مما يقطع أن له صلةً وثيقةً بهم، وهو يشرح في هذه الرسالة أنه كثيراً ما قصد أنه يأتي إليهم ولكنه منع، وأنه مشتاقٌ أن يراهم، والرسالة تشعر بأنه حتى وقت كتابتها عام ٥٨م لم تكن هناك أي كنيسةٍ مؤسسةٍ من هيئةٍ رسوليةٍ؛ لأن الرسالة موجهةً إلى جميع الموجودين في رومية.

٤ -كرازة بولس في رومية:

أسفار العهد الجديد لا تحتوي على أي إشارةٍ لكرازة بطرس في رومية، لكنها

---

(١) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، نيافة الأنبا يؤانس، ص:١٦٤.

أشارت إلى أن بولس وصل إلى رومية وكرز بها.

الصورة الثالثة: الطعن في أدلة رئاسة كنيسة روما أو في بعض التفاصيل المتعلقة بها، وإثبات أنه ذهب إليها في آخر حياته فقط.

يقول المؤرخ أفغراف سميرنوف: «والأنباء المعتبرة أكثر صدقاً هي أن الرسول بطرس بعد المجمع الرسولي زار أنطاكية ثم بشَّر يهود الشتات في بنطس(١) وغلاطية(٢) وكبادوكيا(٣) وآسيا بثينية(٤) الذين بعث إليهم برسالته الأولى، ثم بشَّر بصحبة الإنجيلي مرقس في بابل التي في مصر حيث أسس مرقس كنيسة الإسكندرية، وزار الرسول بطرس كورنثوس(٥) بعد أن أسس فيها الرسول بولس كنيسة؛ وأخيراً في زمن تملك نيرون زار رومية حيث احتمل موت الشهادة في سنة ٦٦ أو٦٧م،أما أخبار الكنيسة الرومانية بأن الرسول بطرس كان أسقفاً على رومية في مدة عشرين سنة(٦) من سنة٤٢م حتى ٦٧م فتخالف ما ورد في أعمال الرسل ولا تثبت أمام النقد»(٧).

---

(١) بنطس: اسم يوناني معناه "البحر"، وهو اسم المقاطعة الشمالية الشرقية من آسيا الصغرى، وكان يسكنها اليهود، ووجه إليها بولس إحدى رسائله. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص: ١٩٠ .

(٢) غلاطية: ولاية في القسم الأوسط من شبه جزيرة آسيا الصغرى، وهي من المدن التي زارها بولس، وأرسل إلى أهلها رسالته المشهورة. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص: ٦٦. .

(٣) كبَّدوكية: أكبر ولايات آسيا الصغرى القديمة، وهي سهل مرتفع تخترقه سلاسل من الجبال. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص: ٧٥٨ .

(٤) آسيا بثينية: مقاطعة في الشمال الغربي من آسيا الصغرى.انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص:١٦٢.

(٥) كورنثوس: عاصمة مقاطعة بلاد اليونان، وكانت من البلاد المشهورة، تقع على بعد ٤٠ ميلاً غرب أثينا، اشتهرت بالخلاعة، حتى أصبحت مضرب المثل في ذلك. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص: ٧٩٦ .

(٦) هكذا العبارة في النص والصواب خمس وعشرين سنة كما يدل بقية السياق.

(٧) تاريخ الكنيسة المسيحية: (٣٣-٣٤).

ويذكر مؤرخ الخَرِّيدة النفيسة في تاريخ الكنيسة بعض الاعتراضات ومنها:

ينص إجماع المؤرخين على أن بطرس سجن بأورشليم سنة ٤٤م فكيف نوفق بينه وبين ذهاب بطرس إلى رومة آخر سنة ٤٢م، ومنها أنه في سنة ٤٥م أمر القيصر كلوديوس[١] بنفي المسيحين واليهود من رومية- كما ذكر المطران يوسف الدبس فكيف يتحقق ذلك مع قصد كل من بطرس ومرقس المملكة الرومانية والإقامة فيها مع نفي اليهود والمسيحيين منها، ثم يؤكد هذا المؤرخ أن بطرس ذهب إلى روما في آخر حياته استناداً إلى شهادة المؤرخ الشهير أوريجانوس[٢] حيث قال: «إنما وصل بطرس إلى رومية آخر حياته».

ويؤكد هذا الرأي أصحاب موسوعة آباء الكنيسة، حيث ذكروا عند سيرة بطرس: «أما عند وصول بطرس إلى روما، فهنا الأمر محل جدل، فلا يوجد دليلٌ على أنه أسس الكنيسة هناك، وأنه قام بخدمتها ربع قرن من الزمان حتى استشهاده ولو أنه كان مقيماً في روما في الفترة بين سنتي٦٥و٦٧م فيكون أمراً غير مفهوم أن يكتب بولس إلى الرومانيين دون أن يشير إليه، ولا تكون ثمة إشارةٍ إلى وجوده هناك في سفر أعمال الرسل لو كان موجوداً بالمدينة حين كان بولس موجوداً بها[٣].

---

(١) كلوديوس قيصر: (٤١-٥٤)، ابن دروسوس، ولد في ليون من أعمال غالية، أتقن اللاتينية واليونانية، وأحاط بالعلوم والفلسفة والدين، وأحاط بتاريخ رومة وتقاليدها. انظر: عصر أوغسطوس قيصر وخلفائه، أسد رستم، ص:١٨٥ وما بعدها.

(٢) أوريجانوس: ولد عام ١٨٥م، في عائلة نصرانية إسكندرانية الأصل، وأوكل إليه التدريس بمدرسة الإسكندرية الشهيرة، وزار مدناً عدة من أجل التعليم، ورسم كاهناً في فلسطين، ثم عاد إلى قيصرية فلسطين وأسس بها مدرسة للتعليم، وبقي في رئاستها لمدة عشرين سنة، وترك أعمالاً أدبية كثيرة قدرت بثماني مائة عنوان، من أشهرها المباديء، وخطاب الحقيقة، والسداسي، توفي سنة ٢٥٣م، ودفن في مدينة صور. انظر: قاموس أعلام الفكر الديني، جوزيف كميل جبارة، ص: ١١٦ .

(٣) موسوعة آباء الكنيسة: (١/ ٧٨).

الرد التفصيلي على حجج الكنيسة الرومانية:

الرد على الحجة الأولى: وهو سلطان بطرس: والجواب عليه من وجوه:

الوجه الأول: أن المسيح عليه السلام بحسب هذا النص قد منح هذا السلطان لبطرس في حضور بقية التلاميذ، وهو من أعظم النصوص عند الكاثوليك، كما أنه أساس النظرية البطرسية التي تقوم عليها البابوية، ومع ذلك فلم يرد هذا النص إلا في إنجيل متى بينما خلت منه جميع أسفار العهد الجديد البالغ عددها عند الكاثوليك سبعة وعشرين سفراً وهذا يلقي بظلال الشك على هذا النص، فكيف لم يروه بقية التلاميذ الذين سمعوه أو يرويه على الأقل يوحنا الذي ينسب إليه الإنجيل وهو موصوف عند النصارى بأنه مقربٌ من المسيح وملقبٌ بالحبيب، وقد أدّى هذا الشك إلى اعتقاد المخالفين للكنيسة الكاثوليكية بأن هذا النص قد وضعه أصحاب المصالح من الرومانيين منذ الجيل الثالث أو الرابع(١).

الوجه الثاني: ورد عقب هذا النص بفقراتٍ قليلة ما يناقضه أشد المناقضة فقد جاء وصف بطرس بأنه شيطان، ومعثرة، ومنافق يهتم بالذي للناس لا بالذي لله«..فالتفت وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان! أنت معثرةٌ لي؛ لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس»(٢).

بل ورد في نفس الإنجيل أن المسيح عليه السلام قد أخبر بأن بطرس سوف ينكره ثلاث مرات: « قال له يسوع: الحق أقول: لك أنك في هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرني ثلاث مرات. قال له بطرس: ولو اضطررت لأن أموت معك لا أنكرك»، ومع هذا الوعد الذي قطعه على نفسه وقدم من أجله روحه نقضه ووقع فيما تنبأ به المسيح عليه السلام:« أما بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار فجاءت إليه جارية قائلة: وأنت كنت

---

(١) انظر: أفكار ورجال، كزين برنتن، ص:١٩٣.

(٢) متى: (١٨/ ٢٣).

مع يسوع الجليلي فأنكر قدام الجميع قائلاً: لست أدري ما تقولين. ثم إذا خرج إلى الدهليز رأته أخرى، فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصري فأنكر أيضاً بقسم: إني لست أعرف الرجل، وبعد قليل جاء القيَّام وقالوا لبطرس: حقاً أنت أيضاً منهم، فإن لغتك تظهرك!، فابتدأ حينئذٍ يلعن ويحلف: إني لا أعرف الرجل»(1).

فإذا كان بطرس موصوفاً بأنه شيطانٌ، ومعثرةٌ، ومنافقٌ، وأنه قد أنكر ربه ثلاث مرات، ولم يرد مثل ذلك عن بقية التلاميذ فإن الأولى أن يطرد بطرس من هذه الجماعة، كما طرد يهوذا الإسخريوطي عندما خان المسيح عليه السلام، لا أن يكون رئيساً عليهم.

الوجه الثالث: أن هذا السلطان الممنوح لبطرس – على فرض صحته – لم يكن مختصاً به فقد نسب إلى المسيح عليه السلام أنه منح مثل هذا السلطان لجميع الرسل في نفس الإنجيل« فالحق أقول لكم: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء. وأقول لكم أيضاً إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبي الذي في السماوات لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم»(2).

فهذا النص جاء بعد النص السابق، وفيه أن السلطان الممنوح من الرب لجميع التلاميذ، بل فيه توسيعٌ لدائرة هذا السلطان حتى أصبحت تشمل كل اثنين يتفقان على طلب ما فإنه يتحقق لهما في السماء، بل أن كل اثنين يجتمعان من أجل الرب يكون معهما في ذلك الاجتماع.

الوجه الرابع: أن هذا السلطان يتضمن أموراً باطلة، مثل عقيدة ألوهية المسيح عليه السلام، وبنوته لله، وأن له ملكوت السموات، كما أن عيسى عليه السلام نفسه لا يملك هذا السلطان الذي لا يعني سوى إقرار الشرك بالله ومنازعته في ربوبيته وألوهيته وملكه.

---

(1) المصدر السابق: (26/ 69-74).

(2) المصدر السابق: (18/ 18-20).

الرد على الدليل الثاني: «ارع خرافي»:

يمكن الرد على هذا النص من وجوه:

الوجه الأول:إن الاستدلال بهذا النص على رئاسة بطرس ترد عليه إشكالاتٌ عديدة من أهمها تكرار سؤال المسيح لبطرس بقوله:(أتحبني) يحمل في جنباته الشك في هذه المحبة، فلو كان بطرس صادقاً في محبته فلماذا يكرر المسيح هذا السؤال؟، فهذا التكرار أدعى إلى الشك منه إلى التكريم، ولذلك قال بعض شراح الإنجيل: أن هذا التكرار إنما أراد به المسيح ﷺ تذكيره بقضيته السابقة، عندما أنكر المسيح ﷺ ثلاث مرات، مع أنه قطع الوعد على نفسه ألا ينكر المسيح ﷺ ولو أنكره الجميع، فكيف يجتمع تذكيره بخطيئته الأولى وتكريمه بهذه الرئاسة؟![1].

الوجه الثاني:

لا يحمل النص أي تميزٍ لبطرس يؤهله لهذا التكريم بل الذي ورد خلاف ذلك فقد ورد في النص أن المسيح ﷺ عندما وقف على الشاطيء لم يعرفه أحد، وأن أول من عرفه هو تلميذه يوحنا الذي كان يحب المسيح ﷺ أيضاً، وأما بطرس فقد ورد في النص أنه لما عرف أنه الرب اتزر بثوبه لأنه كان عرياناً ثم ألقى بنفسه في البحر، وأما التلاميذ فجاءوا بالسفينة ووجدوا شبكة السمك، وقال المسيح ﷺ لهم: قدموا السمك الذي اصطدتم الآن، فصعد سمعان بطرس وجر الشبكة إلى الأرض وهي مكتظةٌ بالسمك، وبعد تناول الطعام قال يسوع لسمعان بطرس: يا سمعان أتحبني؟[2].

وإذا كان بطرس قد كان عرياناً بخلاف بقية التلاميذ وألقى بنفسه في البحر بعد معرفة يسوع وأن المسيح ﷺ طلب من التلاميذ أن يقدموا من السمك الذي صاده

---

(١) شرح إنجيل يوحنا بإشراف البابا شنودة، ص:٦٦٩.

(٢) انظر: إنجيل يوحنا الاصحاح: الحادي والعشرين.

فاستجابوا له، فكيف يكون التكريم بعد ذلك لبطرس الذي كان عرياناً وألقى بنفسه في البحر ويترك التلاميذ الذين خاطبهم واستجابوا لندائه، بل كيف يترك يوحنا الذي لم يذكر عنه ما ينقص من قدره –كما هو حال بطرس- بل وُصِف بأنه المختص دون غيره بحب المسيح عليه السلام له، كما أن هذا التكريم يتعارض مع ما سبق من وصف بطرس بأنه شيطان و ومعثرة ومنافق، بل ومنكر للمسيح عليه السلام ثلاث مرات.

الوجه الثالث: هذا النص على فرض صحته لا يدل على خصوصية بطرس بالرسالة؛ لأن الوعود التي قطعها الرب لبطرس قطعها أيضاً في مناسبات أخرى للاثني عشر[(١)]، بل إن النص الذي يعتمد عليه النصارى بجميع طوائفهم في الدعوة إلى النصرانية كان لجميع التلاميذ «وأما التلاميذ الأحد عشر[(٢)] فذهبوا إلى الجبل الذي كان يسوع قد عينه لهم في الجليل، فلما رأوه سجدوا له، فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: إني قد أعطيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فأذهبوا اذن وتلمذوا جميع الأمم وعلموهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به، وهائنذا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر»[(٣)]، فهذا نص التنصير عند النصارى يساوي بين جميع التلاميذ في الأمر بتعليمهم الأمم، وحفظ وصية الرب، وبقاءه معهم إلى إنقضاء الدهر فأين الخصوصية المزعومة لبطرس؟!.

الرد على الحجة الثانية:

الوجه الأول: المميزات والفضائل التي تميز بطرس بها عن بقية الرسل منها ما هو إقرار لعقيدة الشرك، كقولهم بأنه أول من جاهر بأن المسيح عليه السلام ابن الله، فإن صح هذا النص فإنه يعني أن بطرس أول من حرف دين المسيح عليه السلام وأدخل الشرك؛ في رسالته لأن المسيح عليه السلام كان يعترف بأن الله إلهه وإله جميع الناس: « قال لها يسوع: لا

(١) الأسقف في الكنيسة، مجموعة من المؤلفين، ص:٧٢.

(٢) باستثناء يهوذا الأسقريوطي الخائن للمسيح.

(٣) متى: (١٦-٢٠).

تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي، وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم»[1].

ومن هذه المميزات ما ورد مثله لبقية التلاميذ مثل التأييد بالمعجزات وشفاء المرضى، ونيلهم سلطان على الشياطين؛ فقد ورد أن المسيح عليه السلام: «دعا تلاميذه الاثنى عشر، وأعطاهم قوةً وسلطاناً على جميع الشياطين، وشفاء الأمراض، وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله، ويشفوا المرضى»[2].

كما تذكر بعض أسفار النصارى أن الآيات قد أيد بها الرب جميع التلاميذ ولم يخص بها بطرس « وجرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب... وكان مؤمنون ينظمون للرب أكثر، جماهير من رجال ونساء، حتى إنهم كانوا يحملون المرضى خارجاً في الشوارع ويضعونهم على فرش وأسرة» [3].

وهكذا نرى في هذا النص أن الآيات والعجائب قد أيد بها الرب جميع الرسل ولم تكن مقصورةً على بطرس.

الوجه الثاني: أن الرب – بزعمهم – قد ساوى بين جميع الرسل في كل شيء، فالرب بحسب هذه الأسفار هو الذي اختار الاثني عشر، وسماهم، وقام بتعليمهم، وتثقيفهم، وتفسير الأمثلة لهم، ومحبتهم، وعلمهم حفظ وصية الرب، وأخبر عن بقاءه معهم إلى انقضاء الدهر، وجعل رسالتهم رسالته، وطاعتهم طاعة له، وأعطاهم سلطانه، وأيضاً فقد تساوى هؤلاء الرسل في نزول روح القدس عليهم، وشهودهم قيامة المسيح عليه السلام (بزعمهم)، وحتى مغفرتهم للذنوب، وأن منزلتهم تضاهي منزلة الأنبياء أو أعظم، وكذلك منزلتهم يوم الدينونة، وقد سبق ذكر تفصيل ذلك.

---

(١) يوحنا: (١١/ ٢٥)

(٢) لوقا: (٩/ ١-٢).

(٣) أعمال الرسل: (٥/ ١٢-١٤).

فأين الرئاسة التي يدعيها الكاثوليك لبطرس بل أين الخصوصية لبطرس دون بقية الرسل؟!.

الرد على الحجة الثالثة: قيادته الفعلية لجماعة الرسل بعد صعود المسيح:

١- سبق بيان أن المسيح عليه السلام وصف بطرس بأنه معثرةٌ وشيطانٌ ومنافقٌ بل أخبر بأنه سينكره ثلاث مرات، وقد حدث ذلك، وهذه الصفات المذمومة لم ترد في حق غيره من الرسل وهي تدل على استحقاق الطرد من هذه الجماعة أو أن يكون من أقل الرسل شأناً لا أن يكون قائداً ورئيساً للكنيسة.

٢- قيادته للتلاميذ على فرض التسليم بها ليس فيها دلالة في ذاتها بمعنى أنه لا يدل على أفضلية مطلقة لبطرس؛ لأن قيادته قد تكون لاعتبار آخر أو لاختيار التلاميذ له ولكنها لا تدل على رئاسة كنيسة روما.

الرد على مبدأ انتقال الرئاسة في سلسلة محفوظة إلى باباوات روما:

الوجه الأول:

إبطال الأصل الأول، وهو رئاسة كنيسة روما، كما سبق .

الوجه الثاني:

ذكر بعض المؤرخين أن الرئاسة العامة لجميع الكنائس لم تظهر خلال القرون الأربعة الأولى، وإنما ظهرت بعد ذلك، وقد ذكر المؤرخ النصراني "برنتن"[(١)] أنه «لم يكن للكنيسة رئيس واحد طيلة القرون الأربعة الأولى»[(٢)].

الوجه الثالث: أن بطرس نُسِب إليه تأسيس كنائس أخرى غير كنيسة روما؛ فقد نسب إليه تأسيس كنيسة أنطاكية- على قول بعض النصارى- وكنيسة الإسكندرية

---

(١) برنتن: أستاذ التاريخ بجامعة هارفارد بأمريكا. انظر مقدمة كتاب أفكار ورجال.

(٢) أفكار ورجال، ص:١٩٣.

أرسل إليها مرقس، وأنابه عليها، فلماذا كان أساقفة روما هم وحدهم خلفاء بطرس دون غيرهم ممن تولى رئاسة الكنائس الأخرى التي أسسها بطرس، أو أحد تلاميذه.



المبحث الثالث: خصائص البابوية عند الكاثوليك

تدَّعي الكنيسة الكاثوليكية اليوم زعامة العالم النصراني، مستندةً على مبدأي الرئاسة والانتقال التي سبق الحديث عنهما، وهي تدعي في هذا السياق أن لها مجموعة من الخصائص التي تتميز عن غيرها وتوجب لها هذه المكانة الرفيعة.

وقد جاء تفصيل هذه الصفات في أهم المراجع التعليمية الكاثوليكية، وهو كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية(١)، الذي صدر عن لجنة النشر التابعة للكرسي الرسولي للفاتيكان، واعتمده البابا يوحنا بولس الثاني في ١١ تشرين الأول عام ١٩٩٢م، في الذكرى الثلاثين لافتتاح المجمع الفاتيكاني الثاني، وترى الكنيسة الكاثوليكية أنها تستقي هذه الخصائص من ينبوعها الإلهي وهي على النحو الآتي:

أولاً: الكنيسة واحدة:

تعلِّم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أنها الكنيسة الأصلية التي بناها يسوع، وأن الكنائس الغير كاثوليكية هي انحراف عن الكثلكة، وترى أن وجوه هذه الوحدة تكمن في وحدة الإله الواحد (وهو عندهم الأب، والابن، والروح القدس)، ووحدة المؤسس (وهو عندهم الابن المتجسد الذي أصلح بصليبه ما بين البشر، وجعلهم شعباً واحداً)، ووحدة الروح القدس(الذي يسكن في المؤمنين ويسوس الكنيسة

---

(١) مما يشير إلى أهمية هذا الكتاب لدى الكنيسة الكاثوليكية، ما ذكره الكاردينال جوزيف راتسنجر (Joseph Ratzinger)، وهو البابا بنديكتس السادس عشر الذي استقال عام ٢٠١٣م، وقد كان رئيس هيئة الأساقفة العالمية المكلفة باصدار الكتاب، قال: «سيكرس وجود الكنيسة في العالم إذ سيكون الكتاب الأول من نوعه الذي سيقدم البحث الكامل عن الإيمان والكنيسة وسيدعم كتبا كثيرة لا تحتوي من هذا التعليم إلا مقاطع أو فقرات عامة»، وقدم له البابا يوحنا بولس الثاني في مقدمته الأصلية اللاتينية بقوله: «لذا فإن ظهور كتاب الدين الكاثوليكي أكبر حدث في تاريخ الكنيسة منذ أكثر من ٤٠٠ سنة. انظر: مقدمة الكتاب.

كلها)، ويقولون عن هذه الوحدة «ياله من سرٍّ عجيب: أبٌ واحدٌ للكون، وكلمةٌ واحدةٌ للكون، وكذلك روحٌ قدسٍ واحد، هو في كل مكان. وعذراءُ واحدةٌ صارت أماً، ويطيب لي أن أسميها الكنيسة»[1].

وتعتقد أنها وحدها التي تسلمت مقاليد الكنيسة، من المسيح مباشرة بواسطة الرسول بطرس، ولذا فإن أمر قيادة النصارى ونشر دينهم موكول إلى الكاثوليك؛ لأنهم المؤتمنون على العهد الجديد، وعن طريق هذه الكنيسة وحدها يتم الخلاص الذي هو مطلب كل مسيحي، وهذه الوحدة باقية في الكنيسة الكاثوليكية، ولا يمكن أن تزول، ولكن ستظل في نموٍ مطردٍ يوماً بعد يوم إلى منتهى الدهر[2].

ولكن هذه الدعوى الكاثوليكية تتهادى أمام الواقع الذي يعج بالانقسامات والنزاعات، والخلافات، بل حتى الحروب بين الطوائف النصرانية.

ولذا نجد أن موقف الكاثوليك من الطوائف الأخرى غير الكاثوليكية يعتريه الكثير من الإشكالات؛ لأنها ترى أنها في ظل رئاسة بطرس الكنيسة الأصل والامتداد الصحيح لكنيسة يسوع، والطوائف الأخرى هي التي انفصلت عنها بذنوب أفرادٍ من هذه الطوائف، ولذلك فهم لم يقروا بالإيمان الكامل، ولم يحافظوا على الوحدة مع الكنيسة الأم، ولذلك فالنظرة إليهم لا تتجاوز حد المحبة والاحترام الأخوي[3] في أحسن الأحوال، وإلا فقد وجدت نصوص تدل على أنها قد حكمت بالحرم على من أنكر رئاسة بطرس أو اعتقد أنها ليست مباشرة من المسيح نفسه: «فإن قال أحد بأن المسيح ربنا لم يقم الطوباوي بطرس هامة جميع الرسل ورأس الكنيسة المناضلة المنظور، أو بأن هذا الرسول لم يمنح رأساً ومباشرة من المسيح ربنا إلا أولية فخرية، لا

---

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، لجنة النشر التابعة للكرسي الرسولي، ص: (٢٦٠-٢٦١).

(٢) المصدر نفسه: (٢٦١-٢٦٣).

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص: ٢٦٢، المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني- الوثائق المجمعية، ص: ٦٤، تحت عنوان: دستور عقائدي في الكنيسة.

أولية سلطة قضائية حقيقية بالمعنى الحصري فليكن مبسلاً»[١].

وفي نصوصٍ صريحةٍ أخرى تنفي الكاثوليكية الخلاص – الذي هو غاية كل مسيحي وبوابة الدخول إلى المجد الأبوي- عمن لم يخضع للسلطة الكاثوليكية، أو رفض الطاعة للحبر الروماني، ومن هذه النصوص: «وبذلك لا يمكن أن ينال أحدٌ الخلاص إن علم أن الكنيسة أسسها المسيح ولم يقبل مع ذلك أن يخضع لها أو رفض الطاعة للحبر الروماني نائب المسيح في الأرض»[٢]

ومما سبق ذكره فإن الكنيسة الكاثوليكية تلجأ إلى وسائل متعددة، لأجل الوحدة بين المسيحيين، منها الصلاة المشتركة، والتعارف الأخوي المتبادل، والتنشئة المسكونية للكهنة، والحوار بين اللاهوتيين، والتعاون مع المسيحيين في شتى المجالات.

ولكن الحقيقة أن هذه الوسائل ما هي إلا محاولةٌ إلى إعادة هذه الطوائف إلى حظيرة الكثلكة مرة أخرى و«حسب الطريقة التي ارتآها المسيح، في قطيعٍ واحدٍ بقيادةِ الراعي الواحد»[٣].

والطريقة الحقيقية التي ارتآها المسيح عليه السلام هي الدعوة إلى التوحيد وليست الطريقة التي يدعو إليها الكاثوليك.

ولذلك فإن هذه الدعوة لم تلق قبولاً لدى الطوائف الأخرى، ولم تحقق على أرض الواقع نجاحاًكبيراً بسبب هذه النظرة التي يراها المخالفون روحاً استعمارية جديدةً لا يمكن قبولها[٤].

---

(١) الإيمان الكاثوليكي- نصوص تعليمية صادرة من السلطة الكنسية- عربها الأب، صبحي حموي اليسوعي،: (٢٤٦-٢٤٧).

(٢) المصدر نفسه، ص:٢٥٦ .

(٣) المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، ص: ٦٥ .

(٤) انظر: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، نيافة الأنبا يؤانسس، ص: ١٧٣.

ثانياً: الكنيسة مقدسة:

تصف الكنيسة الكاثوليكية نفسها بأنها مقدسة، وتشمل القداسة في نظرهم القداسة في الزمن، ويشيرون بذلك إلى وجود المسيح مع الرب ومع الروح القدس (تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا)، كما تشمل القداسة الشعب الذي يُدعى أعضاؤه بالمُقَدَّسين، وكذلك الكنيسة مقدسةٌ بمعنى أن أعمالها موجهةٌ إلى تقديس البشر للمسيح، وتمجيد الرب وتجعل ذلك غايتها وهدفها، وتدعو جميع الشعب إلى السعي في اكتسابها «إن جميع المؤمنين ولهم مثل هذا القدر من وسائل الخلاص العظيمة، يدعوهم الرب، أياً كانت حالهم ووضعهم، وكلاً في طريقته إلى كمال القداسة التي مثالها كمال الأب»[1].

ويبالغ الكاثوليك في الحديث عن المحبة باعتبارها روح القداسة التي تعيدها إلى غايتها، وتوقفها توقف لرسالة الكنيسة: «أدركت أنه لو كان للكنيسة جسد مؤلف من عدة أعضاء، لما كان ينقصها الأهم والأنبل، أدركت أن الكنيسة تملك قلباً، وأن هذا القلب يضطرم حبا؛ أدركت أن الحب وحده هو الذي كان يحرك أعضاء الكنيسة، وأنه لو خمد الحب لتوقف الرسل عن التبشير بالإنجيل، وتمنع الشهداء عن بذل دمهم؛ أدركت أن الحب يحتوي جميع الدعوات، وأن الحب هو كل شيء، وأنه يشمل جميع الأزمان وجميع الأمكنة؛ إنه أزلي»[2].

وعند دراسة كلام الكاثوليك عن القداسة، نلحظ ما يلي:

أولاً: لا يخلو الحديث عن معاني شركية:

حديث الكاثوليك عن القداسة وكون المسيح قد أسلم نفسه للكنيسة، من أجل أن يقدمها مبنيٌّ على عقيدة التثليث وبنوة المسيح لله و «ذلك أن المسيح ابن الله الذي

---

(١) التعليم المسيحي، ص: ٢٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ص:٢٦٥.

هو مع الأب والروح وحده القدوس»[1].

وكذلك رفع المسيح ﷺ إلى منزلة الربوبية، ونسبة مغفرة الخطايا إليه بموته على الصليب - كما يزعمون -، «فيما كان المسيح القدوس البريء والذي لا عيب فيه لم يعرف الخطيئة بل أتى ليكفر عن خطايا الشعب...» [2].

ثانياً: التناقض بين القداسة وأمورٍ أخرى:

يقع الكاثوليك في التناقض عندما يتحدثون عن القداسة، فهم يعتقدون أن المسيح ﷺ إنما جاء ليكفر عن خطايا الشعب، وكذلك يقولون أن سر العماد إنما شُرِع لتكفير الخطيئة، ومع ذلك يقولون إن الكنيسة تضم في حضنها الخطاة، وهي التي تقدسهم وتطهرهم؛ فإذا كان الفداء بالمسيح ﷺ مكفراً فلماذا التعميد، وإذا كان الفداء والعماد مكفراً فما الحاجة إلى أن تقدسهم الكنيسة مرة أخرى؛ فإما أن تبطل عقيدتهم في الفداء والعماد وإما أن يكون قولهم في القداسة باطلاً.

ثم يقع التناقض مرةً أخرى حينما يقولون: «أن الكنيسة في آن واحد مقدسة، ومفتقرةٌ دائماً إلى التطهير»[3]، وكيف تكون الكنيسة مقدسةً وهي مفتقرةٌ إلى التطهير.

ثالثاً: كاثوليكية:

لفظة "كاثوليكية" تعني الجامعة، والشمولية، وهي إحدى صفات الكنيسة المعلنة في قانون الإيمان النيقاوي- القسطنطيني [4].

ويراد بها عند الكاثوليك معنى مزدوجاً: الأول: حضور المسيح ﷺ فيها، فالكاثوليك يعتقدون باتحاد المسيح ﷺ في الكنيسة، ويقولون: «حيث يكون المسيح

(١) التعليم المسيحي، ص: ٢٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٦٥.

(٤) معجم الإيمان المسيحي، الأب صبحي حموي اليسوعي، ٣٩٠.

يسوع تكون الكنيسة الكاثوليكية»[1].

ونتيجة لهذا الاتحاد عندهم نيل الخلاص الكامل، ويُلْحظ على هذا النص حصر الكنيسة التي أسسها المسيح ﷺ برأيهم في الكثلكة دون غيرها.

المعنى الثاني: أن المسيح ﷺ أرسل إلى الجنس البشري بكامله وهو ما يطلقون عليه عالمية الرسالة، وتعني أن جميع الناس مدعوون للدخول في الكثلكة وهي شعب الله الجديد.

وهذه الصفة هي المستند الأساسي للتنصير الكاثوليكي الذي يسمونه "التبشير"، وقد أكدت على أهميتها السلطة الكنسية، ولاسيما بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، حيث جاء في إحدى وثائقه الهامة: «إن جميع الناس مدعوون لأن يكونوا من شعب الله الجديد.

لذلك يجب أن يمتد هذا الشعب مع بقائه واحداً وحيداً على العالم بأسره، وعلى جميع الأزمان، لكي تتم مقاصد إرادة الله الذي خلق في البدء الطبيعة البشرية واحدة، ويريد أن يجمع أخيراً في الوحدة أبناءه المتفرقين»[2].

« وأن هذا الطابع، طابع الشمول، الذي يلقى النور على شعب الله هو عطيةٌ من الرب نفسه، تسعى بقوتها الكنيسة الكاثوليكية سعياً فعّالاً مستمراً إلى جمع البشرية بأسرها مع كل ما تنطوي عليه من خير تحت رأسها الذي هو المسيح في وحدة الروح القدس»[3].

---

(١) التعليم المسيحي، ص: ٢٦٦.

(٢) المجمع السكوني الفاتيكاني الثاني-الوثائق المجمعية، ص:٦٣ .

(٣) التعليم المسيحي، ص: ٢٦٦، وانظر: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دينسنغر- هونرمان: (٢/ ١٣٦-٢٣٧)، المجمع السكوني الفاتيكاني الثاني-الوثائق المجمعية، ص:٦١، الإيمان الكاثوليكي -نصوص تعليمية صادرة عن السلطة الكنسية، عربها الأب صبحي حموي اليسوعي، ص:٢٧٧.

وهذا النص في غاية الأهمية، حيث يشتمل على المضامين التالية:

١ - جميع الناس مدعوون لأن يكونوا من شعب الله الجديد.

٢ - استمرار الشعب الجديد مع بقاءه واحداً.

٣- وحدة هذا الشعب تحقيق للإرادة الإلهية.

٤ - أن هذا الشعب الواحد الذي يحقق إرادة الله لن يكون إلا تحت راية الكاثوليك دون غيرهم.

وقد جاءت أقوالهم صريحةً في هذه الفقرة، في أهم مصادرهم، فقد جاء في تعليم السلطة الكنسية: « فمع هذه الكنيسة وبسبب أصلها الأسمي، يجب أن تتفق كل كنيسة، أي مؤمنوا كل مكان»[(١)]؛ وفي عبارة أكثر صراحة: «إن طابع الشمول الذي يحمل شعب الله هو عطية الرب عينه. بفضله تحاول الكنيسة الكاثوليكية بصورة فعالة ومستمرة أن تجمع البشرية بكاملها وكل خيورها تحت المسيح الرأس في وحدة روحه»[(٢)].

وهكذا يتبين لنا من هذه النصوص أن الكنيسة الكاثوليكية تهدف من الناحية النظرية إلى كثلكة شعوب العالم جميعها، وتوحيدها تحت مسمى شعب الله الجديد وتحت راية المسيح عليه السلام بزعمهم ، أما من الناحية الواقعية فإن هذا الهدف يبدوا بعيد المنال لأسباب كثيرة ليس هنا مجال تفصيلها[(٣)].

---

(١) التعليم المسحي، ص: ٢٦٧.

(٢) المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني- الرئاسة المجمعية، ص: ٦٢، تحت عنوان: دستور عقائدي في الكنيسة.

(٣) تدل آخر الاحصاءات على تقدم في أعداد المسلمين وتناقص في أعداد النصارى ومنهم الكاثوليك والحمد لله. ومن آخر هذه الإحصاءات تقرير جاء تحت عنوان: مستقبل السكان المسلمين في العالم توقعات بين عامي (٢٠١٠و ٢٠٣٠) وضعه Pew Research Center's Forum on =

وهذه الدعوة التي تدعو إليها الكنيسة الكاثوليكية نظرياً وتسعى لتفعيلها عملياً من خلال وسائل عدة، أهمها التنصير تتناقض مع رسالة المسيح عليه السلام؛ فمن المعلوم أن دعوة المسيح عليه السلام كانت خاصة لبني اسرائيل، وقد ورد في أسفار العهد الجديد عند توجيه المسيح لتلاميذه بالدعوة: «هؤلاء الإثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: «إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامرية لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت اسرئيل الضالة»[1].

فهذه عبارةٌ جامعةٌ تتضمن أمراً ونهياً؛ أمراً بدعوة بني إسرائيل خاصة، ونهياً عن دعوة غيرهم من الأمم، وهذا يقتضي أن الكاثوليك والنصارى عموماً قد خرجوا عما حدده لهم المسيح عليه السلام، وعليه فدعوى عالمية الرسالة ليست إلا بدعة من بدع النصارى التي ابتدعوها في دينهم.

وكما كانت رسالة المسيح عليه السلام خاصة من حيث المدعوين فقد كانت خاصة أيضا من حيث زمنها، فبعد أن بعث محمد ﷺ لم يبق على الأرض ديناً مقبولاً يرتضيه الله عز وجل إلا الإسلام.

رابعا: رسولية:

الكنيسة الكاثوليكية كنيسةٌ رسوليةٌ؛ لأنها مؤسسةٌ على الرسل، وذلك يتضمن عندهم ثلاثة أمور: الأول: أنها مبنيةٌ على أساس الرسل الذين اختارهم وأرسلهم المسيح عليه السلام نفسه، الثاني: أن التعليم الذي تحفظه وتنقله هو تعليم الرسل أنفسهم، الثالث:أن الرسل لا يزالون يعلِّمون ويسوسون الكنيسة إلى عودة المسيح عليه السلام، من خلال الأساقفة.

= Religion & Public Life.، وهي منظمة غير حزبية مقرَّها الرئيسي في واشنطن العاصمة. الرابط. www.alukah.net

(١) متى: (١٠/ ٥-٧).

والرسول الذي تنسب الكنيسة الكاثوليكية نفسها إليه هو بطرس هامة الرسل الذي سلمه المسيح عليه السلام رئاسة الكنيسة الرومانية، ومنحه سلطانه وأعطاه مفاتيح الحل والعقد - كما بيَّنا من قبل -.

وغرض الكنيسة الرومانية من هذه النسبة هو وصل سندها إلى المسيح عليه السلام نفسه،وأنه هو الذي يسوسها،كما أنه حاضرٌ فيها،لتبرر بذلك دعوى رئاستها لجميع الكنائس وامتداد سلطانها عليها.

وهذه الدعوة وإن زعمت أنها من خصائصها إلا أنه يعارضها دعوى الطوائف الأخرى أن رئاستها رسولية أيضاً،فجميع الكنائس الأخرى أورشليم، الإسكندرية، أنطاكية، ما عدا القسطنطينية التي ظهرت متأخرةً في القرن الرابع الميلادي تدعي أن رئاستها رسولية[1] فلا يُسَّلم لكنيسة روما اختصاصها بذلك.

خامساً: خصائص أخرى تذكرها الكنيسة:

هناك خصائص أخرى تذكرها الكنيسة تتعلق بالسلطة الكنسية، وهي تنقسم إلى نوعين:

الأول: السلطة المدنية(الزمنية):

ازداد نفوذ الكرسي الرسولي مكانةً ومقاماً خاصة عندما انحلت السلطة المدنية بسقوط الإمبراطورية الرومانية، فحلَّت سلطة البابا مكانها، وأصبح الباباوات حماة الدين والمدنية تجاه القبائل المعادية لروما، وقد اجتمعت رعايا إيطاليا حول الباباوات وخضعت لسلطتهم حتى تكونت ما يُسمَّى بـ"المملكة البابوية"، ودخل الباباوات في صفوف الملوك، بل تفوقوا عليهم، وأصبح بأيديهم تتويج الأباطرة أو خلعهم[2].

---

(١) انظر: المجمل في تاريخ الكنيسة، أنطوان الفرغاني، ص: ٧٣.

(٢) انظر: المطلب الثاني في نشأة الكنيسة.

ثانياً: السلطة الروحية:

سلطة البابا على الكنيسة هي سلطةٌ مطلقة؛ لأنه خليفة بطرس،والنائب الحقيقي للسيد المسيح ﷺ، وأبو المسيحيين ومعلمهم، وعليه فسلطته تتصف بما يأتي:

١ - سلطةٌ عامة: تتناول الكنيسة كلها، الأساقفة وأتباعهم، الأفراد والجماعات، ولا يمكن لأحدٍ أن يقيدها مهما كانت رتبته في الكنيسة؛ لأن البابا سلَّمه الرب كل خرافه، فمن لا يرعاه بطرس أو خلفاؤه، فليس من خراف المسيح ﷺ.

٢ - دائمةٌ: أي ليست مقتصرةً على بعض الظروف، بل تشمل كل الظروف وكل الأحوال، كسلطة السيد المسيح ﷺ، الذي هو نائبه.

٣- أسقفيةٌ: أي أن الحبر الروماني يستطيع أن يعمل في أي كنيسة ومن أي طقس كانت، لأنه الراعي العام، والأسقف ما هو إلا راعٍ خاص لقطيع معين.

٤ - مباشرةٌ: أي أن الحبر الروماني لا يحتاج إلى واسطةٍ ليكون عمله شرعياً؛ لأن سلطته التامة تتناول كل فردٍ من أفراد الكنيسة.

٥ - كليةٌ: أي تشمل كل أنواع السلطة الكهنوتية، والتعليمية، والإدارية، فلا توجد في الكنيسة الكاثوليكية كنيسةٌ مستقلةٌ بنظامها الداخلي، بحيث لا تحتاج إلى الرجوع إلى السلطة الرومانية المركزية[(١)].

وقد حدد هذه السلطات المجمع الفاتيكاني المسكوني الأول سنة ١٨٧٠م، برئاسة البابا بيوس التاسع[(٢)]، ومن أهم الفقرات المتعلقة بهذه المسألة ما جاء في

---

(١) انظر: الكنيسة أو مملكة المسيح، ص: (١٣١-١٣٤).

(٢) بيوس التاسع: (١٨٤٦-١٨٧٨) اسمه جيوفاني ماريا ماستاي فرِّيتي،كانت فترة بابويته من أطول الفترات، وشهدت أحداث كبيرة، مثل زوال سلطان الباباوات الزمني، وإنشاء مملكة إيطاليا، وإنشاء الإمبراطورية الألمانية، وشجب العلمانية الحديثة، والمجمع المسكوني الفاتيكاني الأول الذي قرر عصمة البابا. انظر: معجم الباباوات، ص:٣١٧ .

جلسته الرابعة في الفصل الثالث: «وهكذا إذن نعلّم ونعلن أن الكنيسة الرومانية لها، بتدبير الرب على الكنائس الأخرى جميعها، أولية سلطان عادي، وأن سلطان الحبر الروماني هذا، الذي هو أسقفي حقاً، هو مباشر. فعلى جميع الرعاة، من كل الطقوس وكل المراتب، وعلى المؤمنين، أفراداً أو جماعات، واجب الخضوع التراتبي والطاعة الحقيقية، لا في المسائل المتعلّقة بالإيمان والأخلاق فحسب، ولكن أيضاً في تلك المرتبطة بنظام وسياسة الكنيسة المنتشرة في العالم كله؛ بحيث تكون الكنيسة وهي تحافظ على وحدة الشركة وإعلان الإيمان مع الحبر الروماني، رعية واحدة لراعٍ واحدٍ؛ هذه هي عقيدة الكنيسة الكاثوليكية ، التي لا يستطيع أحد أن يزيغ عنها دون خطرٍ على الإيمان والإخلاص»[1].

هذه هي سلطة البابا في كنيسته، وهي سلطةٌ مطلقةٌ تشمل كل شيءٍ في الكنيسة، وليس أمام أتباع الكنيسة إلا الخضوع الكامل لنائب المسيح على الأرض.

(١) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٢/ ٦٤٨).

الفصل الثاني

آثار البابوية العقدية على الكنيسة

وفيه مدخل وثلاثة مباحث : -

* المبحث الأول: العقائد التي انفرد بها الكاثوليك عن سائر الطوائف.

* المبحث الثاني: العقائد والسلطات المرتبطة بشخصية البابا.

* المبحث الثالث: مبدأ الكهنوت.

* *   * ** *   * *

مدخـــل

لم يكن الدين الذي حملت لواءه الكنيسة هو الدين الصحيح الذي جاء به عيسى عليه السلام من عند الله، ولم يكن قانون إيمان الكنيسة الكاثوليكية الذي اتفقت عليه طوائف النصارى، وأقره المجمع المسكوني الأول الذي عقد في نيقية عام ٣٢٥م سوى مجموعة من العقائد والفلسفات الوثنية التي جاءت في الأديان السابقة، فقد أقر هذا المجمع ألوهية المسيح عليه السلام، وبنوته، وأنه ثالث ثلاثة، وموته على الصليب فداءً للبشرية، وأنه بعد أن قُبر بثلاثة أيام خرج من قبره وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وأنه سوف يقوم يوم الدينونة مع اثني عشر من تلاميذه(١).

كان هذا القانون هو الدين الذي حملت لواءه الكنيسة، وثبتته بعد ذلك الإمبراطورية الرومانية، ووفرت له الحماية، ودعت إلى نشره في المعمورة.

ولم يتوقف هدف الكنيسة الكاثوليكية عند حد نشر هذا الدين المحرف، بل سعت إلى تحقيق سلطةٍ عالميةٍ مطلقةٍ تُحْكِم قبضتها من خلالها على جميع أتباعها، وقد هيأت المناخ المناسب، ووجدت أن مقومات تحقيق هذا الهدف يعود إلى ثلاثة أمور أساسية:

الأول: استغلال السلطان الديني المزعوم القائم على أساس أن بطرس رئيس الكنيسة قد تسلم سلطانه من المسيح مباشرة.

الثاني: استغلال جهالة الشعب الروماني في ذلك الوقت.

الثالث: تحريم قراءة الكتاب المقدس على أتباعها، والعمل به من خلال عقول كهنتها فقط، وتحريم أي نقاش فضلاً عن المخالفة لما يصدر من أفواه رجال دين

---

(١) للاستزادة عن هذا المجمع انظركتاب المجمع المسكوني الأول(نيقيا الأول ٣٢٥م)، الأب: ميشال أبرص والأب: أنطوان عرب .

الكنيسة.

وفي ظل هذا المناخ الذي وضعته الكنيسة نفسها بدأت في الانحدار إلى هاوية الشرك، ووقعت في براثن البدع والانحرافات التي لم تتوقف عقول رجال الدين عن إحداثها إلى اليوم[1].

وكانت العقائد التي أضافتها الكنيسة -إضافة إلى العقائد الكبرى السابقة التي اشتمل عليها قانون الإيمان- تنقسم إلى أقسام، من أهمها:

١- عقائد أضافتها الكنيسة على العقائد التي شاركت فيها جميع الطوائف واشتمل عليها قانون إيمانهم الشهير.

٢- عقائد أضافتها الكنيسة، ولكنها تتعلق أكثر بشخص البابا وتقرير سلطته.

٣- عقائد تتعلق بما يسمى بالكهنوت، وتهدف إلى وضع واسطة بين الأتباع وبين ربهم من خلال وساطة الكاهن في العبادة، واخترعوا من أجل ذلك ما يُسمَّى بالأسرار، وهي مما يجب أن يؤمن به النصراني ويُسلِّم، ولا يجوز له المناقشة فيه؛ حفظاً لإيمانه من الخلل والشك.

وسوف تدور مباحث هذا الفصل على هذه الأقسام الثلاثة.



(١) كان آخر ذلك على سبيل المثال وثيقة براءة اليهود من دم المسيح التي كانت عليها الكنيسة ما يقارب ألفي عام، حيث صدر عن المجمع الفاتيكاني وثيقة براءة اليهود من دم المسيح، ومع إيماننا بأن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب، بل رفعه الله إليه، إلا أنني أسوقها في مساق استمرار التغيير في الدين بالنسبة للكاثوليك.

المبحث الأول

العقائد التي انفرد بها الكاثوليك عن سائر الطوائف

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: العقائد المتعلقة بمريم.
- المطلب الثاني: عقيدة المطهر.

* * * *** * * *

المطلب الأول: العقائد المتعلقة بمريم

غلت أكثر الطوائف النصرانية في شأن مريم عليها السلام تبعاً لغلوهم في المسيح عليه السلام؛ حيث اعتقدوا أن مريم هي أم الإله، كما اعتقدوا ببتوليتها، على معنى أنها بقيت عذراء في الولادة وبعدها(١)، ولكن الكاثوليك ازدادوا غلواً في شأنها، حيث ابتدعوا في شأنها ثلاث عقائد أخرى، وهي كما يأتي:

أولاً: عقيدة الحبل بلا دنس:

أقرت الكنيسة الكاثوليكية، في وقتٍ متأخرٍ جداً من تاريخها عقيدة الحبل بلا دنس، وتعني هذه العقيدة أن مريم عليها السلام، قد حُفظت سالمةً منذ أن حُبل بها من دنس الخطيئة الأصلية، وأنها تفردت من بين جميع البشر بأنه لم يصبها أدنى لطخةٍ من الخطيئة الأصلية الأولي(٢).

وهذه العقيدة الكاثوليكية مبنيةٌ على عقيدةٍ يؤمن بها جميع النصارى، تُسمَّى عقيدة الخطيئة الجدِّية، التي تقضي بأن جميع النصارى قد ولدوا ملوثين بالخطيئة التي ورثوها من أبيهم آدم عليه السلام، وهي الأكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها، وعندما أخطأ وأكل من الشجرة ورثت ذريته هذه الخطيئة جميعاً، الذين ولدوا وحتى الذين لم يولدوا(٣).

---

(١) انظر: خلاصة اللاهوت المسيحي، الأب أوغسطين دوبرة لاتور، ص: ٦٥، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله، مجموعة من المؤلفين، ص:١٢٣، اللاهوت المقارن، البابا شنودة الثالث: (١/ ٩٥).

(٢) انظر: الإيمان الكاثوليكي – نصوص تعليمية صادرة من السلطة الكنسية، ص:٢٢٤، معجم الإيمان المسيحي، ص:١٨٥.

(٣) انظر في تقرير هذه العقيدة، موسوعة تاريخ البابوات، زكي شنودة: (١/ ٢٤٣-٢٤٤)، وأما النص الذي اعتمدت عليه فهو الاصحاح الثالث من سفر التكوين، وهذه العقيدة يؤمن بها النصارى واليهود على السواء وللاستزادة في ذلك انظر كتاب: الخطيئة الأولى بين اليهودية =

واللافت للنظر أن هذه العقيدة لم تعلن بشكل رسمي إلا في القرن التاسع عشر الميلادي، أي بعد أكثر من ثمانية عشر قرناً من ميلاد المسيح ﷺ، وكانت قبل ذلك محل اختلافٍ وجدالٍ أدى إلى مجابهة بين أنصارها وخصومهم من الكاثوليك أنفسهم، ولم ينته إلا بطرح هذه العقيدة على استفتاءٍ رسميٍّ في عهد بيوس التاسع، وبناءاً على رأي الأكثرية، فقد أقرت هذه العقيدة عقيدةً رسمية تعلمها الكنيسة الكاثوليكية، وجاء إعلانها كما يلي: «...نعلن ونحكم ونحدد أن التعليم القائل بأن مريم العذراء الطوباوية، منذ اللحظة الأولى من الحبل بها، بنعمةٍ وحظوةٍ فريدةٍ من الله القدير، ونظراً إلى استحقاقات يسوع المسيح، مخلص الجنس البشري، حُفظت سالمة من كل وصمة الخطيئة الأصلية، هو تعليمٌ أوحى به الله، وأن على جميع المؤمنين أن يؤمنوا به إيماناً ثابتاً ودائماً»(١).

وتهدف هذه العقيدة عند الكاثوليك إلى رفع منزلة مريم، وأنها فوق جميع البشر من حيث طهارتها من دنس الخطيئة التي تلوثوا بها جميعاً، بل هم يبالغون في هذه الطهارة ويرون أنها لبثت طول حياتها بريئةً من كل خطيئةٍ شخصية (٢).

والقول بطهارة مريم من الخطيئة هو الأساس الذي اتخذته الكنيسة للقول بمشاركة مريم للمسيح في عملية الخلاص والفداء(٣)، حيث تقول عن هذا الدور، كما جاء في الدستور العقائدي للمجمع الفاتيكاني، تحت عنوان: اشتراك مريم في سر الفداء: «إن العذراء الطوباوية التي أعدت منذ الأزل في تصميم تجسد الكلمة كي تكون أم الله، غدت على الأرض، بتدبير العناية الإلهية، أماً حبيبةً للمخلص الإلهي وشريكةً سخيةً في عمله بصفةٍ فريدةٍ أبداً، وأمة للرب وديعة، بالحبل بالمسيح،

= والمسيحية والإسلام –دراسة مقارنة، د.أميمة الجلاهمة، وأصلها رسالة دكتوراه.

(١) انظر: الإيمان الكاثوليكي، ص: ٢٢٢، ٢٢٤، التعليم المسيحي، ص:٦١.

(٢) انظر: التعليم المسيحي، ص:١٦٦ .

(٣) الإيمان الكاثوليكي، ص:٢١٧.

وبوضعها إياه في العالم، وبتغذيتها له، وبتقدمته في الهيكل إلى أبيه، وبتألمها مع ابنها الذي مات على الصليب، ساهمت في عمل المخلص مساهمة لا مثيل لها»(١).

نقد هذه العقيدة:

الوجه الأول: أن إقرار هذه العقيدة في القرن التاسع عشر، أي بعد المسيح عليه السلام بأكثر من ثمانية عشر قرناً يدل على أنها عقيدةٌ دخيلةٌ ومضافةٌ إلى الدين النصراني المحرَّف فضلاً عما جاء به المسيح عليه السلام، ويؤكد ذلك عدة أمور:

١ - عدم ورود أيِّ نصٍ من أسفار العهد الجديد أو القديم يدل عليها.

٢ - أنها كانت محل خلافٍ وجدالٍ على مدى قرونٍ طويلة، ولو كان هناك نصٌّ فاصلٌ في هذه المسألة لما وقع هذا الخلاف.

٣ - أنها إنما أقرت بوضعٍ بشريٍّ خالص، حيث طرحت على الاستفتاء ثم تم اعتمادها بناءاً على رأي الأكثرية، مما يدل على بعدها الكامل عن الوحي.

الوجه الثاني: أن هذه العقيدة بنيت على عقيدةٍ أساسية لدى النصارى، وهي عقيدة الخطيئة الجدية، وهي عقيدة باطلة؛ فإن آدم عليه السلام عندما أخطأ وأكل من الشجرة تاب إلى الله، وأخبر الله بقبول توبته، بل باصطفائه، بعد ذلك، ولو أنه لم يتب من خطأه لم يكن ذلك موجباً لأن تورث خطيئته لجميع البشر، فلا يؤاخذ أحدٌ بذنب غيره، ولو كان حدث ذلك لكان هو الظلم بعينه.

الوجه الثالث: هذه العقيدة تبطل القول بأن المسيح عليه السلام جاء لفداء جميع البشر؛ فإذا كانت مريم قد ولدت سليمة من دنس الخطيئة، وبقيت على ذلك فإنها لم تكن محتاجة لفداء المسيح، وهذا يعني أن فداءه لم يكن كاملاً.

---

(١) المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، -الوثائق المجمعية، ص: ١٣٥-١٣٦، الإيمان الكاثوليكي، ص: ٣٠.

ثانياً: عقيدة الصعود إلى السماء:

كما غلا الكاثوليك في شأن مريم عليها السلام منذ ولادتها، واعتقدوا أنها قد صينت من دنس الخطيئة الأصلية التي تلوث بها البشر، وأنها عصمت طيلة حياتها من هذا الدنس، كذلك غلوا في شأنها بعد نهاية حياتها على الأرض، فبعد مائة عامٍ من إقرار عقيدة الحبل بلا دنس أي في حوالي عام ١٩٥٠م أقروا عقيدةً جديدة، وهي عقيدة صعود مريم بجسدها وروحها إلى السماء بعد أن انتهت مسيرتها على الأرض.

وجاء في إعلان هذه العقيدة في الدستور الرسولي للكنيسة الكاثوليكية الصادر في ١ تشرين الثاني في عام ١٩٥٠م : «لذلك فأم الله الجليلة القدر، المتحدة منذ الأبد بيسوع المسيح، بطريقةٍ سريةٍ، الطاهرة تماماً في حبلها، والعذراء النقية جداً في أمومتها الإلهية، قد حصلت أخيراً، كتتويج أسمى لامتيازاتها، على أن تحفظ من فساد القبر، ومثل ابنها، بعد الغلبة على الموت، أن ترفع بالجسد والنفس إلى المجد في أعلى السموات، لتشرق هناك كملكة، إلى يمين ابنها ملك الدهور، الذي لا يموت»[١].

وهذه العقيدة ليس لها أصل في أسفار النصارى، بل ولا فيما يُسمَّى عندهم بالتقليد، ولم تذكر في بداية عهد الكنيسة، وإنما ظهرت بالتدرج، كما يذكر الكاثوليك، وبيان ذلك كما يأتي:

١ - في بداية الأمر لم يعرف أي تقليدٍ قديمٍ في هذه العقيدة، وكان مار أفرام[٢] أول من أثار مسألة نهاية مريم، ولم يقل أنها ماتت، ولا أنها بقيت خالدة.

٢ - كان إعلان أن مريم أم الله هو الذي مهد الطريق للحديث عن وفاة مريم،

---

(١) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٢/ ٨٦٧). وانظر: التعليم المسيحي، ص: ٢٩٩.

(٢) كلمة مار في اليونانية تعني السيد، وأفرام: يدعى السرياني أو النصيبيني أو الرهوي، ويلقب بـ "قيثارة الروح القدس"، أعظم شاعر في الأدب السرياني، ولد في نصيبين سنة ٣٠٦م. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص: ٥٥٦ .

ولما أقامت بعض الكنائس أعياداً لذكرى مريم كان الحديث في ذلك الوقت عما يُسمَّى عيد الرقاد، ومنه أخذ النصارى يتحدثون عما يُسمَّى: "رقاد في الموت" أو "موت في الرقاد"، وكانت هذه اللفظة تشير إلى موتٍ خاص لمريم.

٣- كان الحديث بعد ذلك عن قبر مريم، وكان الخلاف حول مكان قبرها هل هو أفسس[١] أو مدينة القدس، كما كان الحديث عن قبر مريم يؤيد الاعتقاد بموتها عليها السلام وفق الطبيعة البشرية.

٤- ظهرت مؤلفاتٌ منحولةٌ تتحدث عن وفاة مريم عليها السلام، وأسهمت في إشاعة عقيدة انتقال جسد مريم إلى السماء.

٥- كان هناك شعورٌ لدى الكنيسة اليونانية بأن هناك ارتباط بين الأم والابن، وأنه لا يمكن أن يكون بينهما افتراق زمني أو مكاني، وكان هذا الشعور أساس الإيمان بعقيدة الحبل بلا دنس، وكذلك عقيدة انتقال مريم إلى السماء.

٦- في القرن السابع أدخل البابا سرجيومي (سيرياني)[٢] إلى روما عيد الرقاد، وسُمِّي فيما بعد عيد الانتقال، وفي القرن الثالث عشر أصبح هناك تعليم بأن عقيدة الانتقال ثابتة[٣].

ومن هذا العرض التاريخي يتبين لنا أن عقيدة الانتقال لجسد مريم لم يكن لها أصلٌ في الكتب السابقة، ولم تكن عقيدةً ثابتةً في تقاليد الكاثوليك، وإنما نشأت

---

(١) أفسس: كلمة يونانية، معناها "المرغوبة"، وهي عاصمة المقاطعة الرومانية، وكانت ميناءاً بحرياً مهما في العصور القديمة. انظر: قاموس الكتاب المقدس،ص: ٩٢ .

(٢) سرجيوس الأول: (٦٨٧-٧٠١)، وهو البابا الرابع والثمانون في سلسلة باباوات روما، وهو سوري الأصل ولد في بالرمو، وفي عهده طلب الإمبراطور البيزنطي مساواة كرسي القسطنطينية بكرسي روما فرفض البابا وانقطعت بذلك العلاقة بين الكنيستين مدة من الزمن. انظر: معجم الباباوات، ص: ٥١ وما بعدها .

(٣) انظر: خلاصة اللاهوت المسيحي، ص:٩٣-٩٧.

بالتدريج حتى أُعلِنت عقيدةً رسمية، ومع ذلك نجد الكاثوليك يحاولون وضع أساس لهذه العقيدة، وحاصل ما يذكرونه في ذلك أمران:

الأول: الاتحاد الوثيق والمشترك الدائم والأبدي مع المسيح ﷺ، ومن ذلك الاتحاد في المصير، وأنه لا يمكن فصل مريم عن ابنها، وكما أن الابن صعد بعد قيامته إلى السماء فكذلك مريم انتقلت بجسدها إلى السماء وجلست يمين ابنها.

وقد أكدت السلطة التعليمية للكنيسة هذا الربط بين اتحاد مريم بالمسيح ﷺ وعقيدة الانتقال، ومن النصوص الصادرة عنها في ذلك: «ولذلك، فإن أم الله الجليلة، المتحدة على وجه سري بيسوع المسيح، والمرافقة الكريمة للفادي الإلهي، قد نالت تكليلا أخيراً لامتيازاتها، أن تصان من فساد القبر، وأن تتمثل بابنها، بعد التغلب على الموت، فترفع بالجسد والنفس إلى المجد في أعلى السماوات»[(١)].

الثاني: أن مريم هي حواء الجديدة، وعيسى هو آدم الجديد، وهي تضاد حواء، فإذا كانت حواء غلبتها الحية، كما غلبت آدم فإن حواء الجديدة قد اتحدت مع ابنها آدم الجديد في محاربة العدو، ولذلك كان لابد أن تتحد معه في النصر، وإذا كانت قيامة المسيح ﷺ تمثل جانباً لانتصاره على الخطيئة والشيطان، فكذلك لابد أن تنتهي حياة مريم على الأرض بتمجيد جسدها من خلال الانتقال إلى السماء، وكما أن جسد المسيح ﷺ حفظ من فساد القبر لذلك حفظ جسد مريم[(٢)].

نقد عقيدة صعود مريم إلى السماء:

هذا هو ملخص قول الكاثوليك حول هذه العقيدة، ويمكن أن يوجه لها الانتقادات الآتية:

أولاً: هذه العقيدة من بدع الكاثوليك، حيث لا يوجد لها أصلٌ حتى في كتابهم

---

(١) الإيمان الكاثوليكي، ص: ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) انظر: خلاصة اللاهوت المسيحي،ص:٩١.

المقدس عندهم ، بل هي وضع بشريٌّ خالصٌ لم يوجد في كتبهم المعتمدة، ولا حتى في التقليد الذي يعترفون به كمصدر من مصادر الوحي، وإنما هي عقيدةٌ نشأت بالتدرج -كما يعترفون بذلك- وجرى حولها اختلاف كبير حتى آلت إلى هذا التحديد، الذي أعلن في القرن العشرين الميلادي، وهذا يعني أن الكاثوليك عاشوا أكثر من تسعة عشر قرناً دون الإيمان بهذه العقيدة، فما هو مصير الأتباع الذين ماتوا في هذه المدة الزمنية ولم يؤمنوا بالعقيدة التي استحدثت مؤخراً؟.

ثانياً: باعتراف الكاثوليك كان المعتقد السابق هو عقيدة الوفاة لمريم، ثم آلت إلى عقيدة الانتقال، فكيف تحولت عقيدة الوفاة إلى عقيدة أخرى؟ وكيف تحولت العقيدة الثابتة إلى عقيدةٍ أخرى مخالفة؟ وهل لهذا الأمر تفسير غير الابتداع؟.

ثالثاً: عجز الكاثوليك عن الاستدلال على هذه العقيدة ولذلك برروا ذلك بوضع أساس له، وهذا الأساس عند التأمل يعود إلى معنى واحد هو اتحاد مريم بالمسيح عليه السلام، وهذا الأصل هو افتراض افترضه الكاثوليك ثم استدلوا به، وهو نفسه يحتاج إلى دليلٍ حيث لا يعرف كيف كان هذا الاتحاد؟ ثم أنه خلاف الأصل الذي قام عليه جميع البشر، وهو الوفاة الطبيعية بعد انقضاء الأجل الذي يكتب للإنسان في هذه الحياة؛ ومريم عليها السلام لم تخرج عن هذا الأصل.

ثالثاً: مشاركة مريم للرب في الخلاص:

يرى النصارى أن المسيح عليه السلام جاء ليخلص البشر ويفتديهم من خطيئة أبيهم آدم، ولذا يطلقون عليه اسم المخلص والفادي، ولكن الكاثوليك أحدثوا في وقتٍ متأخرٍ بدعةً جديدةً تقضي بأن مريم عليها السلام مشارِكةُ للمسيح عليه السلام في عملية الخلاص والفداء، ولأجل ذلك يطلقون عليها ألقاباً كثيرة؛ فهي المحامية، والنصيرة، والظهيرة، والوسيطة(١).

---

(١) انظر: التعليم المسيحي، ص:٣٠.

وهذه العقيدة كغيرها من العقائد الكاثوليكية لم تظهر إلا في العصر الحاضر، حيث جاء إقرارها كعقيدة من عقائد الكنيسة في المجمع الفاتيكاني الثاني الذي انتهى عقده في عام ١٩٦٥م، وجاء في إعلانها ما يلي: «إن العذراء الطوباوية التي أعدت منذ الأزل، غدت على الأرض، بتدبير العناية الإلهية، أماً حبيبة للمخلص الإلهي، وشريكة سخية في عمله بصفة فريدة أبداً»(١).

أساس عقيدة المشاركة في الخلاص:

لا يوجد لهذه العقيدة دليلٌ من كتب النصارى، ولم تظهر إلا في وقت قريب، ولكنها تقوم عند الكاثوليك على أساسين: الأول: ألوهية المسيح ﷺ، وبنوته لله -باعتقادهم-، وهو بمقتضى ذلك جاء لخلاص البشرية وافتدائهم من الخطيئة. الثاني: اتحاد مريم بالمسيح ﷺ؛ فهي صادرة عن ذلك الاتحاد مباشرة؛ ولذلك يقولون أن: «دور مريم بالنسبة إلى الكنيسة لا ينفصل عن اتحادها بالمسيح؛ فهو يصدر عن ذلك الاتحاد مباشرة، والارتباط بين مريم وابنها في عمل الخلاص يتجلّى منذ حَبَلِها البتوليّ بالمسيح حتى موته»(٢).

نقد عقيدة المشاركة للرب في الخلاص:

أولاً: يكفي في نقد هذه العقيدة أنها عقيدةٌ محدثةٌ ظهرت بعد عهد المسيح ﷺ، وبعد وفاة مريم بأكثر من تسعة عشر قرناً، وكان إقرارها بمقتضى وضع بشريٍّ بحت في المجمع الفاتيكاني الثاني.

ثانياً: أن هذه العقيدة تتناقض مع عقيدة الفداء بالمسيح من جهتين:

الأولى: إذا كان فداء المسيح ﷺ للبشرية كاملاً كما يقولون بذلك ووساطته وحيدة فكيف يحتاج إلى شريك في عملية الفداء؟، والثانية: إذا كان المسيح ﷺ جاء

---

(١) المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني -الوثائق المجمعية، ص: ١٣٥-١٣٦.

(٢) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص: ٢٩٨، الإيمان الكاثوليكي، ص: ٢١٧-٢١٨.

ليفتدي جميع البشر بمن فيهم مريم عليها السلام، فكيف تكون شريكةً له، وهي في حاجة –كبقية البشر– إلى فداءه.

وهذا التناقض يشعر به الكاثوليك، ولكنهم لا يقدمون إجابةً حقيقيةً عليه، ويحيلون معنى الشراكة في الخلاص إلى معاني أخرى، ويقعون بناءً على ذلك في تناقضاتٍ أخرى، وقد شعروا بوقوعهم في ذلك التناقض، وحاولوا رده، فقالوا: «الدور الأمومي الذي تقوم به مريم تجاه الناس لا يضير شيئاً ولا ينقص البتة من وساطة المسيح الوحيدة، بل يظهر، على خلاف ذلك، فعاليتها. ذلك بأن كل تأثير خلاص من العذراء الطوباوية، يصدر عن فيض استحقاقات المسيح ، ويستند إلى وساطته التي بها يتعلق في كل شيء، ومنها يستمد كل فعاليته، فما من خليقة البتة يمكن جعلها في مستوى الكلمة المتجسد والفادي. ولكن كما أن كهنوت المسيح يشترك فيه، على وجوه مختلفة، الخدّام المكرسون والشعب المؤمن، وكما أن جُودة الله الواحدة تفيض بوجوه مختلفة على المخلوقات،كذلك وساطة الفادي لا تنفي، بل تبعث في المخلوقات، على خلاف ذلك تعاونا مختلفاً مرتبطاً بالمصدر الواحد»[1].

وحول هذا النص أقول:

١ - إذا كان دور مريم لا ينقص من وساطة المسيح شيئاً فإنها لا تكون شريكة له.

٢ - وكذلك إذا كان خلاص العذراء هو من فيض المسيح ويستند إلى وساطته، فإنها أيضاً لا تكون شريكةً له بل متقبلةٌ لفيضه ومستمدةٌ من وساطته.

٣ - إذا كان كهنوت المسيح يشترك فيه الخدام والشعب المؤمن فلماذا لا يكونوا شركاء؟، ولماذا لا يكون ذلك إلا لمريم وحدها دونهم بدون أي أساس في التفريق بينهم؟!.

---

(١) التعليم المسيحي، ص:٣.

المطلب الثاني: عقيدة المطهر

تعتقد الكنسية الكاثوليكية أن نفوس الأموات الذين نالوا نعمة الخلاص، ولكنهم لم يتطهروا من جميع خطاياهم، بصورة كاملة، ولم يبلغوا المحبة الكاملة، والشراكة الحقيقة، والقداسة اللازمة، فإنهم لا يذهبون إلى السماء مباشرة، كحال القديسين قداسة كاملة، ولا يذهبون إلى جهنم، كحال الذين كفروا بالرب، ولكنهم يذهبون إلى مكانٍ آخر، من أجل التطهير والتنقية، قبل يوم الدينونة، من خلال نارٍ مطهرة، مقدسة، ومنقية(١).

والمكان الذي يتم فيه التطهير يطلق عليه "المطهر"، وإليه تنسب هذه العقيدة، وهو فترةٌ مؤقتةٌ لإتمام عملية التطهير الكامل، الذي تنتقل بعده تلك النفوس.

ويمكن للمؤمنين الأحياء أن يساهموا في تقليل مدة المطهر للأموات، من خلال الأعمال التي يقدمونها، من الصدقات، والغفرانات، وأعمال التوبة، والذبائح، ولاسيما ذبيحة "الإفخارستيا"(٢).

وقد جاء تقرير هذه العقيدة في المجامع المسكونية المتأخرة، وهي المجامع التي لا تؤمن بها الطوائف غير الكاثوليكية، وهي: المجمع اللاتيراني المسكوني الثاني عشر، اللاتيراني الرابع، ١٢١٥م، مجمع ليون، ١٢٧٤م، مجمع فلورنسا، ١٤٣١م، ثم المجمع التريدنتي، ١٥٤٥م، ثم أكدها نهائيا المجمع الفاتيكاني الثاني ١٩٦٥م.

وقد كانت بداية ظهور كلمة المطهر على لسان البابا "إفيوشنسيوس الرابع(٣) في

---

(١) انظر: معجم الإيمان، ص:٤٦٨.

(٢) انظر: التعليم المسيحي، ص: ٣١٧-٣١٨ . وكلمة "إفخارستيا" يونانية، معناها طعام الشكر.

(٣) إفيوشنسيوس الرابع: (١٢٤٣-١٢٥٤م) اسمه سينيبالدو فيسكي، كان استاذا في جامعة بولونيا(إيطاليا)، كان يعتبر نفسه صاحب السلطان الروحي والسياسي، ولذلك عاش صراعاً مع الإمبراطورية دام إحدى عشرة سنة هي فترة بابويته. انظر: معجم البابوات، ص:١٢٧ .

رسالة إلى أسقف توسكولوم، مندوب الكرسي الرسولي لدى اليونانية عام ١٢٥٤م وفيها: «وبما أنه يقال إن اليونانيين أنفسهم يؤمنون ويعترفون، بكلام لا شك ولا تردد فيه، بأن نفوس الذين يموتون بعد نيلهم سر التوبة، وقبل تأدية فريضته، أو الذين يموتون بدون خطئيه مميتة بل خطايا عرضية وصغائر، تُبرر بعد الموت وتجد مساعدة في استحقاقات الكنسية، إذ كانوا يقولون بأن معلميهم لم يطلقوا اسماً على مكان هذا التطهير، وإذ كنا، استنادا إلى تقليد الآباء القديسين وسلطتهم، نطلق عليه اسم "مطهر" فنريد أن يسمى لديهم هكذا من الآن فصاعدا؛ وهذه النار الوقتية تطهر الخطايا، لا الخطايا المميتة أو الرئيسة، التي لم يكن سر التوبة قد غفرها، بل الخطايا الخفيفة والصغيرة التي لا تزال تثقل النفوس، وان كانت قد غفرت في مدة الحياة»[(١)].

وجاء في إعلان هذه العقيدة في المجمع الفاتيكاني الثاني(١٩٦٢- ١٩٦٥م)، تحت عنوان: دستور عقائدي في الكنيسة، ما نصه: «... أما وقد اعترفت كنيسة المسافرين على الأرض اعترافا قوياً بهذه الشركة الموجودة داخل جسد المسيح السري كله، وقد أحاطت بتقوى زائدة ذكر الموتى وذلك منذ العصور المسيحية الأولى، وقدمت عن نيتهم التقادم، لأن فكرة الصلاة لأجل الموتى كي يخلصوا من خطاياهم هي فكرة مقدسة تقوية»[(٢)].

أدلة عقيدة المطهر:

مع أن هذه العقيدة لم تظهر إلا في وقت متأخر، إلا أن الكاثوليك يزعمون أن لها أصلاً في الكتاب المقدس، ومن أهم الأدلة التي يذكرونها ما يأتي:

١- « إن احترق عمل أحد فيخسر، وأما هو فيخلص، ولكن بنار»[(٣)]، وهذه

---

(١) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/ ٢٨٩).

(٢) المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ص: ١٢٤.

(٣) رسالة بولس الأولى إلي أهل كورنثوس (٣/ ١٥).

النار تكون في المطهر.

٢- « من قال كلمةً على ابن الإنسان يغفر له، وأما من قال على روح القدس فلن يغفر له، لا في هذا العالم، ولا في الآتي»[١].

وفي هذا الحكم يمكننا أن نفهم أن بعض الذنوب يمكن مسامحتها في هذا الدهر، والبعض الأخر في الدهر الآتي[٢].

٣- «لكي تجثوا باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء، ومن في الأرض، ومن تحت الأرض»، والذين تحت الأرض هم النفوس المعلقة إلى حين، في ذلك المكان الواقع في باطن الأرض، والذي أعده الله لتطهير الذين ينتقلون من عالمنا إلى العالم الآخر، ولا تخلوا نفوسهم من بعض الشوائب والعيوب، التي تحرمهم مؤقتاً من دخول السماء»[٣].

هذه أهم الأدلة التي يذكرها الكاثوليك حول هذه العقيدة، وسوف نناقشها في موضعها من هذا البحث.

أثر إعلان هذه العقيدة:

كان لإعلان هذه العقيدة أثرٌ كبيرٌ على المجتمع الكاثوليكي خاصة، فقد أصبحت هذه العقيدة المبرر المنطقي لفكرة صكوك الغفران التي أصدرها الباباوات، وأصبح بإمكان التائب الذي يظفر بصك الغفران أن يمنح إعفاءاً كاملاً من العقوبة بما في ذلك عقوبة المطهر الذي يمكن أن تناله بعد موته.

وكانت المحصلة النهائية لهذه العقيدة هي امتلاء خزائن الكنائس وجيوب الباباوات من الأموال التي يجنيها مندوبو الباباوات في أرجاء أوربا.

---

(١) متى: (١٢/ ٣٢).

(٢) انظر: التعليم المسيحي، ص: ٣١٧.

(٣) لماذا نرفض المطهر، البابا شنودة الثالث، ص ٥٨.

نقد عقيدة المطهر:

أولاً: هذه العقيدة مبتدعة، لم تظهر إلا في القرن الثالث عشر الميلادي، ولم تعلن في شكلها النهائي إلا في المجمع الفاتيكاني الثاني، وهو آخر المجامع الكاثوليكية، وبين هاتين الفترتين تشكلت تدريجياً، حتى بلغت صورتها النهائية الحالية.

ثانياً: لم يرد في كتاب النصارى أي إشارة إلى المطهر، ولا في كتب الآباء، وغاية ما يذكره الكاثوليك هو بمثابة الاستنباط من هذه النصوص التي تخالفهم في الاستدلال بها الطوائف الأخرى.

ثالثاً: هذه العقيدة تتعارض مع العقائد الأخرى التي يؤمن بها الكاثوليك، وأهمها عقيدة الصلب والفداء بالمسيح عليه السلام التي يقوم عليها الدين النصراني بأكمله، وتقضي بأن المسيح عليه السلام إنما جاء إلى هذه الحياة، وقدم نفسه للصليب من أجل افتداء البشر من الخطيئة، وأن افتداءه كان كاملاً، فكيف يكون افتداؤه كاملاً، ثم يعاقب المؤمنون به بعد موتهم؟!.

وهي تتعارض كذلك مع سر التوبة الذي تُمحَى بموجبه الخطايا عن التائب، وهذه الخطايا إذا محيت عن العبد فكيف يعاقب عليها بعد موته؟.

وهي تتعارض مع صكوك الغفران التي ينال بموجبها صاحب الصك المغفرة الكاملة من الذنوب، وإذا غفرت ذنوبه فكيف يعاقب عليها بعد الموت في المطهر الكاثوليكي؟!

وهنا أقول: إذا كانت المكفِّرات كاملة – كما يقول الكاثوليك – فلا حاجة إلى المطهر إذاً، بل يلزم من ذلك العبث، وإذا كانت غير كاملةٍ بطلت أقوال النصارى في هذه المكفِّرات.

رابعاً: أن بقية الطوائف النصرانية ترفض هذه العقيدة المحدثة، وتردُّ عليها جملةً وتفصيلاً، وترى أنها لا تخرج عن سلسلة الاختراعات التي اخترعها الكاثوليك إما لتعزيز سلطتهم، أو لجمع المزيد من الأموال لزيادة دخل الكنيسة، أو لتغطية احتياجها المادية.

خامساً: ترد الكنيسة الأرثوذكسية على الأدلة التفصيلية للكاثوليك، ومن أهم ردودهم ما يأتي:

الرد على الدليل الأول: (ولكن بنار):

١-هذا الدليل جاء في سياق الحديث عن الخدمة والخدام، وليس عن يوم الدينونة.

٢-هذا الدليل في سياق الحديث عن العمل، وليس عن الأشخاص.

٣-معنى "يخلص بنار " أي يخلص بصعوبة، كمن يمر في نار وينشله الله منها قبل أن يحترق.

٤-النار هنا ليست نار المطهر، لأنه لم يقل يخلص في نار، أو في النار، وإنما كما بنار.

٥-كلمة نار استخدمت بطريقةٍ مجازيةٍ، وليست حرفية (١).

الرد على الدليل الثاني: (ولا في الدهر الآتي):

هذا التفسير لا يعني المطهّر؛ لأن المسيح ﵇ لم يذكر كلمة "مطهر" مطلقاً في حديثه، ولا أحد من الآباء السابقين، ولم تكن عقيدة المطهر قد ظهرت، ولكن لهذه العبارة تفسيران:

الأول: حالة إنسانٍ لم تتح له فرصة لنوال مغفرة على الأرض، كمن كان في غربةٍ أو كان سائحاً، ولم يجد كاهناً يعترف عليه، وينال منه حلاً،فهذا ينال المغفرة في الدهر الآتي.

الثاني: من حرم الكهنوت ظلماً، ومات محروماً، فهذا ينال المغفرة في الدهر الآتي. وفي العموم فالمغفرة في الدهر الآتي لا تكون بمطهر.

---

(١) لماذا نرفض المطهر، ص: ٣٦ - ٥٤.

الرد علي الدليل الثالث:

أن جملة "تحت الأرض" تعني الشياطين، كما فسرها يوحنا ذهبي الفم، وهم يخضعون للمسيح شاءوا أم أبوا.

هذه أهم الردود على أدلة الكاثوليك، وفي الجملة: فإن هذه الردود تدور حول بدعية هذه العقيدة، وعدم وجود أي دليلٍ صريحٍ عليها من الكتب المقدسة عند الكاثوليك، أو من أقوال الآباء السابقين؛ لأنها لم تظهر إلا متأخراً، كما أن استدلال الكاثوليك لم يعدو أن يكون مجرد استنتاج من الأدلة المعارضة بأدلة المخالفين.

المبحث الثاني

العقائد والسلطات المرتبطة بشخصية البابا

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: عقيدة العصمة.
- المطلب الثاني: سلطة التشريع.
- المطلب الثالث: سلطة مغفرة الذنوب.

* * * *** * * *

المطلب الأول: عقيدة العصمة

من العقائد التي ابتدعتها البابوية في العصور المتأخرة من تاريخها عقيدة العصمة، ومعناها، كما جاء في تعاليم السلطة الكنسية أن «البابا بصفته مسئولاً عن الكنسية، وبسبب عون الروح القدس محفوظ من كل ضلال عندما يعلن تعليماً يختص بالإيمان أو الأخلاق» (١).

وتضيف دائرة المعارف الكاثوليكية معنى زائداً على هذا التعريف، حيث تعرف العصمة بأنها:« ليست مجرد انعدام الخطأ (لدى المعصوم)، وإنما هي الكمال التام أو الإيجابي يمنع عنه إمكانية (الوقوع في) الخطأ، ويستلزم بالضرورة إخلاصاً رئيساً للوحي المسيحي في التعليم الذي تقرره وتقبله الكنسية » (٢).

وفي دائرة المعارف الأمريكية: «استثناء الشخص أو جماعة من إمكانية الوقوع في الخطأ. فعصمة كنسية روما الكاثوليكية تعني أن الكنسية لا تخطئ في شيءٍ من أحكامها المتعلقة بقضايا الإيمان والأخلاق» (٣).

ففي التعريفين السابقين وصف المعصوم بالكمال التام الذي يصبح معه الوقوع في الخطأ ممتنع أصلا، وهذا غاية الغلو، حيث يصبح الوقوع في الخطأ - فضلاً عن المعصية - غير ممكنٍ أصلا.

تاريخ عقيدة العصمة:

لم يرد في الكتاب المقدس عند النصارى أي ذكر للعصمة البابوية، ولم ترد هذه

---

(١) معجم الإيمان المسيحي، ص: ٣٢٨.

(٢) دائرة المعارف الكاثوليكية: (٧/ ٤٩٦) نقلاً عن كتاب مصادر النصرانية، د. عبدالرازق الآرو، ص: ٩١٨.

(٣) دائرة المعارف الأمريكية: (١٥/ ١٠٣) نقلاً عن المصدر نفسه.

اللفظة على ألسن آباء الكنسية القدماء، وكان الحديث في أول الأمر عن ثلاثة أمور: عصمة الكنسية التي تعني عندهم عصمة الشعب، ثم عصمة الأساقفة والمجامع المسكونية في مجموعهم، ثم جاء الحديث عن عصمة البابا أسقف روما، ثم أعلنت هذه العقيدة عقيدة رسمية للكنيسة في المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م) [١].

وقد بدأ المجمع الفاتيكاني الثاني في دستوره العقائدي حديثه عن عصمة الشعب أولاً، ومما جاء في ذلك: « يشارك شعب الله المقدس أيضا في مهمة المسيح النبوية فينشر قبل كل شي شهادة حية بعيش إيمانه ومحبته ويقرب لله ذبيحة الحمد ثمرة شفاه تعترف باسمه. ولما كان لجمع المؤمنين مسحة من القدوس فأنهم لا يستطيعون أن يضلوا في الإيمان وإنهم يعبرون عن هذه الميزة الخاصة التي يملكون بواسطة الذوق الفائق الطبيعة لإيمان الشعب بكليته وذلك بأن يجمعوا إجماعاً شاملاً من الأساقفة حتى آخر علماني مؤمن على حقائق الإيمان والأخلاق فبفضل ذوق الإيمان هذا الذي يوقظه روح الحق ويعضده وتحت قيادة السلطة التعليمية المقدسة التي إذا ما أديت لها الطاعة بأمانة قبل شعب الله لا كلاما بشريا بل حقا كلام الله فيتمسك تمسكا متينا بالإيمان الذي سلم نهائيا إلى القديسين ويتعمق في فهمه تعمقا متزايدا إذ يفكر فيه تفكيرا قويما ويعمل به في حياته بالتمام»[٢].

فهذا النص يدل على أن الشعب الكاثوليكي(المقدس)، بسبب مسحة القدوس لن يضلوا في الإيمان، ولذا فأنهم يجمعون على حقائق الإيمان والأخلاق، وهذه الميزة التي لم يصرحوا بها في هذا النص هي ميزة العصمة من الضلال.

---

(١) انظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، والأب سليم بشرس: (٢/ ٢٥٣-٢٥٤)

(٢) المجمع الفاتيكاني الثاني – الوثائق المجمعية – دستور عقائدي في الكنسية ، ص: ٥٩ . وهذا النص هو النص الوحيد فيما اطلعت عليه من النصوص الذي يشير إلى مهمة المسيح عليه السلام النبوية، حيث لا يوجد في النصوص إلا وصف لمهمة المسيح الإلهية، ولم أجد له تعليلاً، ولعل أجواء الحوار الذي صيغت فيه هذه النصوص هو السبب في ذلك – والله أعلم – .

ثم جاء الحديث بعد ذلك عن عصمة الأساقفة بمجموعهم واتحادهم مع البابا الروحاني: «وإن لم يتمتع الأساقفة كلٌ بمفرده بامتياز العصمة، فإنهم وان كانوا منتشرين في العالم ومحافظين مع ذلك في رباط الشركة في ما بينهم ومع خليفة بطرس يعبرون بصورةٍ معصومةٍ عن تعليم المسيح عندما يعلِّمون تعليماً أصيلاً يختص بالإيمان والأخلاق موحدين كلمتهم كي يعترف بها بصورةٍ مطلقةٍ، وإن الأمر لأشد وضوحا عندما يجتمعون في مجمعٍ مسكوني، ويكونون بالنسبة إلى الكنيسة جمعاء معلمين وقضاة للإيمان والأخلاق فعندئذ علينا أن نقبل تحديداتهم بطاعة الإيمان»(١).

وهذا النص يفيد بأن الأساقفة إذا اجتمعوا مع رئيسهم فأنهم يعبرون بصورةٍ معصومةٍ عن تعليم المسيح عليه السلام، عندما يعلِّمون فيما يختص بالإيمان والأخلاق.

ثم جاء قرار العصمة بعد ذلك مختصاً بالبابا وحده إذا كان تحديده فيما يختص بالإيمان، «وينعم الحبر الروماني رأس حلقة الأساقفة بهذه العصمة بحكم وظيفته عندما يعلن بتحديد مطلق التعليم المتعلق بالإيمان والأخلاق بصفته أعلى راعٍ ومعلمٍ لكل المؤمنين والذي يثبت إخوته في الإيمان لهذا يقال بحق أن التحديدات التي يعلنها هي غير قابلة التعديل بحد ذاتها دون الاستناد في ذلك إلى إجماع الكنيسة؛ لأنها أعلنت بعون من الروح الذي وعد به في شخص الطوباوي بطرس؛ وبالتالي هي ليست بحاجة إلى موافقة الآخرين ولا تقبل أي استئنافٍ إلى أي حكمٍ آخر، فالحبر الروماني لا يصدر حكماً بصفته شخصاً فرداً ولكنه يعرض تعاليم الإيمان الكاثوليكي ويدافع عنه؛ لأنه بالنسبة إلى الكنيسة الجامعة المعلم الأعلى، من فيه تستقر وبنوعٍ فريدٍ موهبة عصمة الكنيسة بالذات»(٢).

هذه عقيدة العصمة في صورتها النهائية، وهي متلخصةٌ في أن البابا معصوم من

---

(١) المصدر السابق، ص: ٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص:(٨٣-٨٤).

الخطأ والضلال، عندما يحدد عقيدةً أو تعليماً يتعلق بالإيمان والأخلاق، وهذا التحول الخطير في مسار هذه العقيدة، من عصمة الشعب، إلى عصمة الأساقفة مع رئيسهم، إلى عصمة البابا وحده يدل على أن هناك أخطاراً كبيرةً واجهت الكنسية، والبابوية بشكلٍ خاصٍّ أدت إلى إعلان قرار العصمة بهذه الصورة الغالية، وهذا بالفعل ما حدث، واعترف به بعض الكاثوليك وإن لم يكن بصراحةٍ كاملة .

يقول الأب سليم بترس، بعد حديثه عن هذه العقيدة: «نلاحظ أن معظم العقائد تم تحديدها بمناسبة ظهور تعاليم رأت فيها الكنيسة تقويضا للإيمان الذي تسلمته من الرسل فالعقائد المسيحية في صيغها وتعابيرها هي جوابٌ على البدع والهرطقات التي ظهرت في تاريخ الكنسية وكادت تمزق جسد المسيح؛ فإزاء الخطر المحدق في الكنيسة رأت السلطة المعلمة أن تلتئم في مجامع إقليمية أو عامة أو مسكونية لتحديد الإيمان المسيحي، فاختارت من بين الصيغ والتعابير المتداولة في تلك الحقبة من الزمن ما رأته أكثر ملائمةً لتأدية جوهر العقيدة كما تناقلته الكنيسة منذ الرسل وكما دون في الكتاب المقدس»[(١)].

وهذا النص وإن لم يعين هذه الأخطار، ولم يحدد البدع والهرطقات التي كادت تمزق جد المسيح، إلا أن تاريخ البابوية في ذلك الوقت يدل على أن خطر الثلاثية - العقلانية[(٢)] والليبرالية[(٣)]

(١) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، ص: ٢٦١.

(٢) العقلانية:اتجاه فلسفي يقدم العقل على النقل ويجعل العقل مصدراً من مصادر الدين ومحكماً في النصوص. انظر: العقلانية الحديثة أ.د ناصر العقل، ص:١٧.

(٣) الليبرالية:مذهب فكري يركز على الحرية الفردية ويرى وجوب احترام استقلال الأفراد ويقوم على تعظيم الإنسان وأنه مستقل بذاته وادراك احتياجاته وحرية الليبرالية حرية مطلقة متمردة من كل قيد أو ضابط ومن هنا تتعارض مع الإسلام. انظر: حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، =

والاشــتراكيــة[1] - كان أهم تلك الأخطار، حيث صعَّدت هذه الاتجاهات نقدها للسلطة البابوية، وحينها لم يقبل الكاثوليك هذا الوضع، وكان الكثير منهم يود أن تحدد عصمة البابا عن الخطأ، وأيضاً فقد اتخذ البابا بسبب ضغط بعض الأساقفة موقفاً من هذه الأضاليل، وأصدر وثيقةً تشجب تجاوزات العقلانية والاشتراكية والليبرالية، وكان ذلك بمثابة الإعلان عن رفضه المجتمع الليبرالي المعاصر، وابتهج الكاثوليك بذلك، أما المعادون للكنسية فقد سخروا من هذه الوثيقة، وساد التوتر من الطرفين، وفي هذه الأجواء ولدت عقيدة العصمة البابوية[2].

خطورة هذه العقيدة وآثارها:

تُعدُّ هذه العقيدة من أخطر العقائد الكاثوليكية، وتكمن خطورتها في أنها نقلت مصادر التشريع عند الكاثوليك إلى يد البابا وحده، وأصبح بموجبها مخولاً أن يقول ويفعل ويحكم بما يشاء، ويكون ذلك كله هو الدين والإيمان الذي يجب الخضوع والتسليم له دون أدنى معارضة.

ولذلك عندما أُعلنت هذه العقيدة أدهش إعلانها العالم "المتمدن"، وأبى كثيرٌ من الكهنة المصادقة عليها، ومنهم الأب غرانزي، الذي أثبت بالشواهد التاريخية "هرطقة" بعض البابوات، وفتحت هذه العقيدة باب "الشماتة"تجاه البابوية من قبل خصومها، وقد حدث نزاعٌ وجدلٌ طويلٌ بين أعضاء المؤتمر الذي أعلن هذه العقيدة،

= د.عبدالرحيم السلمي، ص:١٠٢.

(١) الاشتراكية: هي مجموعة من المفاهيم والمناهج كانت تهدف إلى القضاء على المجتمع الرأسمالي ولكنها تقوم على أسس باطلة ومخالفة للدين ومن أهم تلك الأسس أن الدين خرافة وأنه من اختراع الإنسان وأنه لا إله والكون مادة وهدفها القضاء على الدين في نفوس الشعوب وإخلاء الحياة منه. انظر: مذاهب فكرية معاصرة. أ.د محمود مزروعة،ص: ٣٠٥.

(٢) انظر: دليل إلى قراءة تاريخ الكنسية. جان كمبي، ص: ٣١٢.

وكان المطران ستروسماير، والمطران كندريك، والدكتور دولانكير من بين الذين عارضوا قبول هذه العقيدة، وفي ختام المؤتمر عندما أعلن الأمر بوصفه قانوناً انسحب الأعضاء السابقون ورئيس أساقفة أوترنيت في هولاندا مع عددٍ غفيرٍ من الرهبان وأبناء الشعب، وأسسَّوا لأنفسهم كنسيةً كاثوليكيةً على النظام القديم[1].

أساس عقيدة العصمة:

عقيدة العصمة عقيدةٌ متأخرةٌ من حيث الظهور، وخطيرةٌ من حيث الغلو في شخص البابا، ومثيرةٌ لانتقاد العالم بشكل عام، والعالم النصراني غير الكاثوليكي بشكلٍ خاص، وإضافة إلى ذلك، فهي غير مقبولةٍ شرعاً أو عقلاً، ولذلك حاولت السلطة الكاثوليكية أن تضع لها أسساً تقيمها عليها، ومن أهم ما ذكروه عند تحديدهم لهذه العقيدة ما يأتي:

١ - أبواب الجحيم لم تقو على الكنيسة؛ ويستند هذا الأساس على النص الوارد في أسفار العهد الجديد: وقال يسوع: «طوبى لك ياسمعان بن يونا إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السماوات؛ وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها»[2].

٢ - المسيح عليه السلام سيمكث مع الكنيسة إلى انقضاء الدهر؛ ويستند هذا الأساس على القول المنسوب إلى المسيح عليه السلام: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس»[3].

٣ - الروح القدس سميكث في الكنيسة، ويحفظها في الحق، ويعتمد ذلك على

---

(١) انظر: مقال بعنوان: عصمة البابا المنزه عن الخطأ، صمويل بندكت. ترجمة القس يعقوب فافيش، موقع الحياة الكلمة الإلكتروني، وتاريخ الكنيسة، كمبي، ص: ٣١٣.

(٢) متى: (١٦/ ١٨).

(٣) المصدر نفسه: (٢٨/ ٢٠).

القول المنسوب إلى المسيح عليه السلام: «وإن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد»(١).

٤- العون الإلهي الذي وُعِد به البابا في شخص بطرس، وناله البابا باعتباره خليفته، ونائب المسيح، ورئيس الكنيسة، وعلى ذلك فالبابا يتمتع بنفس السلطة التي يتمتع بها بطرس، عندما أوكل إليه رعاية خرافه، وهذا الأساس استند إليه المجمعان الفاتيكانيان اللذان قررا عصمة البابا(٢).

نقد عصمة البابا:

يمكن أن نوجه الانتقاد إلى عقيدة عصمة البابا من خلال الأوجه الآتية:

الوجه الأول: أن عقيدة العصمة لا دليل عليها، حتى من كتب النصارى، وأقوال آبائهم المعتمدة عندهم، بل ولا يمكن أن يوجد دليلٌ عليها؛ لأنها لم تظهر إلا بعد أكثر من ثمانية عشر قرناً من تاريخ الأناجيل نفسها.

الوجه الثاني: إذا كانت عصمة البابا لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر(١٨٧٠م) فكيف يكون البابا معصوماً، ولا يعلن ذلك إلا بعد هذه المدة الطويلة؟!، وهذا يلزم منه أحد أمرين:

١- إما أنهم كانوا يجهلونها فتبطل عصمتهم.

٢- أو أنهم كانوا يعلمون بها، ولكنهم أخفوها، ويلزم منه خيانتهم لدينهم ولأتباعهم؛ لكتمانهم عقيدة يقوم عليها صحة دينهم.

والصواب أنهم لم يعرفوها، ويلزم من ذلك - إضافة إلى بطلان العصمة - أنها عقيدةٌ مبتدعةٌ مضافةٌ، ويؤكد ذلك: أن هذه العقيدة لم تظهر إلا نتيجة ظروفٍ خاصةٍ

---

(١) يوحنا: (١٤/ ١٨-١٧).

(٢) انظر: اللاهوت المسيحي، ص: ٢٥٧-٢٥٨.

واجهت الكنسية، تتمثل في الانتقادات الواسعة من قبل خصومها – كما أشرت من قبل – وأنها اضطرت لإعلان هذه العقيدة لمواجهة تلك الظروف، ويدل على ذلك الوجه الآتي ذكره.

الوجه الثالث: أن هذه العقيدة لم تكن محل إجماعٍ بين الكاثوليك، فقد عارضها عددٌ من القسس والآباء أثناء المجمع الذي أقرها، وبعده، ووصلت هذه المعارضة إلى الانفصال عن الكاثوليك؛ وهذه الأوجه الثلاثة تؤكد الوضعية البشرية لهذه العقيدة.

الوجه الرابع: الأحداث التاريخية التي مرَّ بها تاريخ الكنيسة يؤكد بطلان العصمة، وأنه لا يمكن أن يكون البابا معصوماً وتحدث هذه الأحداث، ومن أهمها:

١ – الاختلافات بين الطوائف النصرانية؛ وهي اختلافاتٌ قديمةٌ ومستمرةٌ إلى يومنا هذا، وكيف تحدث هذه الاختلافات في ضل وجود بابا معصوم من الخطأ والضلال؟.

٢ – الانقسامات الكبرى التي عصفت بالكنيسة الجامعة، ومزقت وحدتها، وكان أول هذه الانقسامات انقسام مجمع خلقدونية عام ٤٥١م، ثم الانقسام الكبير الذي قسم الكنيسة الواحدة إلى قسمين عام ١٥٤٠م،ثم الانقسام الكاثوليكي– البروتستاني عام١٥١٧م؛ فإذا كان البابا الذي يرأس الكنيسة الجامعة معصوما فكيف تحدث هذه الانقسامات، وأعظم من انقسام الكنيسة انقسام الباباوات أنفسهم، ففي وقتٍ واحدٍ تولى عرش البابوية ثلاثة باباوات، كلٌ منهم يدَّعي السيادة البابوية، ويخالف البابويين الآخرين، ولا يمكن أن يكونوا جميعاً معصومين مع اختلافهم، وإذا بطلت عصمة أحدهم بطلت العصمة من أساسها.

الوجه الخامس: هذه العصمة منقوضةٌ بمخالفة الطوائف الأخرى، وهذا الخلاف لم يقتصرعلى مجاله النظري، بل وصل إلى مفارقةٍ ومباينةٍ كاملةٍ بين هذه الطوائف والكاثوليك، بل تعدى إلى العداوة و الحروب الطاحنة؛ فإذا كان رئيس الكنيسة معصوماً من الخطأ فكيف تحدث هذه الفضائع في ظل عصمته؟!.

الوجه السادس: يلزم من القول بالعصمة الطعن في الكتاب المقدس. فما يقوله البابا المعصوم لا يخلو من ثلاثة أمور: إما أن يكون موافقاً لما في الكتاب المقدس، أو يكون مخالفاً له، أو يكون أمراً جديداً لا يوجد في الكتاب المقدس ما يوافقه أو يخالفه.

فإن كان الأول: كانت العصمة للكتاب المقدس؛لأنه سابقٌ على البابا، وكان قول البابا حينئذٍ من باب تحصيل الحاصل؛ وإن كان الثاني: فإن كان ما في الكتاب المقدس هو الحق كان قول البابا باطلاً وإن كان قول البابا المعصوم هو الحق كان ما في الكتاب المقدس باطلاً، ولزم الطعن فيه؛ وإذا سقطت قيمة الكتاب المقدس سقط معه الأساس الذي قام عليه دين النصارى وهذا واقع الحال فيما يتعلق بالكاثوليك.

وقد تنبه إلى هذا أحد كبار المهتدين من علمائهم، وهو عبدا لأحد داود[١]، حيث قال:«فماذا تكون إذاً مكانة الإنجيل عند كاثوليكي يعتقد أن كاهن رومية الأعظم هو خليفة المسيح، ومفسر الكتب المقدسة، والأخبار والنبوات الإلهية الوحيد، ويقتنع بأن حل المسائل وفصل المشكلات الحادثة يعود إليه وحده»[٢].

وإن كان الثالث: فيلزم منه أن هذه العقيدة هي بدعةٌ محدثة، مثل سائر البدع التي أحدثها الكاثوليك.

كما يلزم من القول بالعصمة - أيضاً - الطعن في المجامع المقدسة، فإذا كان رئيس الكنيسة الجامعة معصوماً ومحفوظاً من الضلال فما الحاجة إلى إقامة هذه المجامع التي لا تعقد إلا لحل خلافات قائمة؟، وإن إقامة هذه المجامع للنظر في المسائل

---

(١) عبدالأحد داود: وكان اسمه بنجامين كلداني، وكان أستاذاً في علم اللاهوت وقسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدانيين الموحدة، ولد عام ١٨٦٧م، في أورميا من بلاد فارس، واشتغل في عدد من الإرساليات التنصيرية في بلاده، وأسلم بعد سلسلة من الأبحاث والتحقيقات وتبين له منها خرافة الكثير من العقائد النصرانية، وأن نبوة النبي محمد ﷺ حق . انظر:مقدمة كتابه محمد ﷺ في التوراة والإنجيل، وكتابه الإنجيل والصليب، ص:١٢ .

(٢) الإنجيل والصليب، ص: ٤٦.

الخلافية بين طوائف النصارى مع وجود إمامٍ معصومٍ من الضلال نوعٌ من العبث.

الوجه السابع: الأدلة التي استدل بها الكاثوليك ليس فيها نصٌّ صريحٌ على عصمة البابا، كما أنها لا تسلم من الاعتراض - لو سلمنا بصحتها - فالنص الأول الذي فيه أن أبواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة - سبق الرد عليه -، والنص الثاني «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» يخالف النصوص الإنجيلية الدالة على خصوصية رسالة المسيح ﵇ ببني إسرائيل، أما النص الثالث، فليس فيه ما يدل على أن المعزي هو الروح القدس، بل صفة هذا المعزي، وهي البقاء إلى الأبد لا تنطبق على الروح القدس، وإنما تنطبق على محمد ﷺ الذي تبقى شريعته إلى قيام الساعة، فيكون حينئذٍ من نصوص البشارة التي كثرت على لسان المسيح ﵇. وأما النص الرابع الذي يدل على رئاسة بطرس، فقد بينا نقده بالتفصيل فيما سبق.

المطلب الثاني: سلطة التشريع

لم يقتصر الابتداع الكاثوليكي على مجال الاعتقاد، بل تعدى إلى مجال الأحكام، وكان من أهم ذلك ادعاء البابوية لسلطة التشريع، وهو ما سنتحدث عنه فيما يأتي:

أصل سلطة التشريع:

يدَّعي الكاثوليك أن الرب قد منح سلطاناً للكنسية قبل أن يصعد إلى السماء ويجلس عن يمين أبيه، ويبنون هذه الدعوى على النص الإنجيلي الوارد عند متى: «أنت بطرس... وكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات»[1].

وهذا السلطان المقدس عند الكاثوليك المسمَّى "سلطان الربط والحل"، ويعني التحليل والتحريم كما جاء تفسيره في النسخة الكاثوليكية للكتاب المقدس[2] انحدر بالتوارث من بطرس إلى الباباوات، وهم الورثة الشرعيون له.

وبناءاً على ذلك أصبحت سلطة إصدار القرارات، وتحديد المعتقدات والأحكام بيد البابا وحده، وأصبح حكمه في ذلك قطعياً، وقد جاء تحديد هذا الحق في المجمع الفاتيكاني الثاني، وجاء في دستوره العقائدي ما يلي: «وبقوة هذا السلطان يتمتع الأساقفة بحق مقدس وعليهم واجب أمام الرب في أن يسنوا شرائع لمرؤوسيهم، ويصدروا الأحكام، وينظموا كل ما يتعلق بالعبادة »[3].

خطورة هذه الدعوى:

كان إقرار سلطة "الحل والربط"، أو بالمعنى الدقيق سلطة التحليل والتحريم

---

(١) متى: (١٦/ ١٨-٢٠)

(٢) الكتاب المقدس - النسخة الكاثوليكية بعناية الرهبانية اليسوعية، العهد الجديد ص: ٨٢.

(٣) المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني - الوثائق المجمعية ص: ٨٧

بمثابة الأداة التي عبثت من خلالها البابوية بما بقي من الدين الصحيح وتناولته بالتغير والتبديل، والتحليل والتحريم، ولم تستغل الكنيسة هذه السلطة، لإقرار بقايا الدين الصحيح ونشر أحكامه، ولكنها استغلتها لإقرار ما وافق أهوائها وحقق مصالحها، فكانت هذه السلطة البوابة التي ولجت منها إلى الشرك والبدع والضلالات، فأحلُّوا ما حرَّم الله، وحرَّموا ما أحلَّه؛ ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ - إباحة عبادة الصور.

كانت عبادة الصور والتماثيل من المحرَّمات في شريعة التوراة، وكانت تعدَّ من بقايا الوثنية، وحتى الكنيسة في أول أمرها كانت تكره الصور والتماثيل، ولكن عندما امتدت يد التغيير البابوية إلى هذه الشريعة أصبحت عبادة الصور والتماثيل بالتدرج من سائر المباحات، وقد تحدث المؤرخ ول ديورانت عن هذا قائلاً: «ولقد نهى العهد القديم في صراحة تامة (الآية الخامسة من الإصحاح الرابع من سفر التثنية) المؤمنين على أن يضعوا: تمثالاً منحوتاً صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى شبه بهيمة ما مما على الأرض... وكانت الكنيسة في أول أمرها تكره الصور والتماثيل وتعدها بقايا من الوثنية، وتنظر بعين المقت إلى فن النحت الوثني الذي يهدف إلى تمثيل الآلهة ولكن انتصار المسيحية في عهد قسطنطين وما كان للبيئة والتقاليد والتماثيل اليونانية من أثرٍ في القسطنطينية والشرق الهلنستي(١)، كل هذا قد خفف من حدة مقاومة هذه الأفكار الوثنية، ولما أن تضاعف عدد القديسين المعبودين نشأت الحاجة إلى معرفتهم وتذكرهم، فظهرت لهم ولمريم العذراء كثيرٌ من الصور، ولم يعظم الناس الصور التي يزعمون أنها تمثل المسيح فحسب، بل عظموا معها خشبة الصليب – حتى لقد أصبح الصليب في نظر ذوي العقول الساذجة طلسماً ذا قوةٍ سحريةٍ عجيبةٍ وأطلق الشعب

---

(١) الهلينستية: هي الحضارة اليونانية في أوسع انتشارها، ويعدها اليهود والنصارى معارضة لإيمانهم، وفي العهد القديم تطلق على العادات اليونانية التي أدخلت إلى فلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد. انظر: معجم الإيمان المسيحي، الأب صبحي حموي اليسوعي، ص: ٥٢٧ .

العنان مخالفاً للفطرة، فحوَّل الآثار والصور والتماثيل المقدسة إلى معبودات يسجد لها ويقبلونها ويوقدون الشموع ويحرقون البخور أمامها ويتوجونها بالأزهار ويطلبون المعجزات بتأثيرها الخفي»[(١)].

٢- إباحة الموسيقى وغناء النساء في الكنسية:

كان الغناء محرماً للنساء داخل الكنيسة، بل وفي كل مكان، لما في أصواتهم من إثارة الرجل، ولكن البابوات سعوا إلى تغيير هذا الحكم وإباحة الموسيقى والغناء للنساء داخل الكنيسة، حتى حققوا هدفهم، وأباحوا الغناء حتى في داخل الكنائس.

يقول ديورانت عن هذا التغيير: «وكان كثيرٌ من رجال الدين يعارضون أن تغني النساء في الكنائس، بل كانوا يعارضون أن يغنين في أي مكانٍ عام؛ لأن صوت النساء يثير رغبةً دنسةً في الرجل القابل للتهييج على الدوام، لكن المجتمعين في الكنائس كثيراً ما كانوا يعبرون بترانيمهم عن أملهم، وشكرهم، وبهجتهم، وأضحت الموسيقى على توالي الأيام أجمل الزينات وأرقى الوسائل لخدمة الدين المسيحي»[(٢)].

ويظهر من النصين السابقين أن عبادة الصور واستخدام الغناء والموسيقى كان محرماً عند النصارى وأن البابوات كانوا وراء تحليل ما كان محرماً في دينهم، ويظهر لنا أيضا أن هناك تقبلاً لدى الشعب لهذه التغييرات حيث لم توجد معارضاتٌ قويةٌ لها.

وهذا يدل على قوة السلطة التي يملك زمامها البابوات، وكما استطاع البابوات تحليل الحرام، فقد استطاعوا كذلك تحريم بعض الأمور على أتباعهم، ومنها:

٣- تحريم قراءة الإنجيل أو تفسيره بغير إذن الكنيسة:

حرمت الكنيسة على أتباعها حقهم في قراءة ما يسمَّى بالكتاب المقدس،

(١) قصة الحضارة: (١٤/ ١٥٧ -١٥٨).

(٢) المصدر نفسه: (١١/ ٢٨٧).

وجعلت ذلك حكراً على رجال الدين وحدهم، وفي بداية القرن الثالث عشر الميلادي منعت أتباعها من قراءة الإنجيل إلا بترخيص من الكنيسة، وأوجبت عليهم أن يقبلوا عقائد الكنيسة، التي هي تعابير عن الحقائق الموحى بها[١]، وقررت الكنيسة الكاثوليكية ذلك ضمن دستورها العقائدي، حيث جاء فيه: «فكل هذا الذي يتعلق بشرح الكتاب يخضع أخيرا لحكم الكنيسة التي كلفت بمهمة حفظ كلمة الله وشرحها بانتداب عن الله»[٢]. وهذا الحكم الذي أصدرته الكنيسة كان مثيرا للاستغراب؛ إذ كيف تحرم أتباعها من قراءة الكتاب الذي تزعم أنه كلام الله[٣]، وتجعل فهمه حكراً على عقول رجالها.

ولكن سبب المنع في الحقيقة لا يعود إلى ما تعلنه من الأسباب، ولكنه يعود إلى أمرٍ آخر تحرص الكنيسة على إخفائه؛ وهو أن في هذا الكتاب من الحقائق الدينية، والعلمية ما يكشف كذب رجال الدين وابتداعهم لكثيرٍ من الطقوس والعقائد والأسرار، وتحريم قراءته تحقق هدفهم في الحفاظ على مكانتهم المقدسة في عيون أتباعهم؛ ولأجل هذا السبب فإن حركة الإصلاح البروتستانتي، وحركة النقد لما يسمَّى بالكتاب المقدس لم تكتسب قوتها إلا بعد ترجمة الكتاب المقدس ونشره، وجعله في متناول كل أحدٍ حتى تبين للناس ضلال رجال الدين وكذب الكثير من ادعاءاتهم التي عشعشت في عقولهم قروناً عديدة.

٤- فرض حق التحلة للبابا:

مع أن الكنيسة تملك في يدها سلطة التشريع الذي يقتضي التحليل والتحريم،

---

(١) انظر: موجز تاريخ الأديان، فليسيان ثالي، ص: ٥٩.

(٢) المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني- الوثائق المجمعية، ص: ١٧٢.

(٣) هكذا كان موقف الكنيسة من كتابها المقدس، ولكننا في الإسلام نجد صورة مختلفة تماماً عن ذلك،حيث نجد الوسائل المتعددة للترغيب الى قراءة القرآن والعمل به، ومن أعظم صور الترغيب في قراءته أن ثواب قراءة الحرف الواحد بعشر حسنات.فلله الحمد والمنة.

وقد مارست ذلك بالفعل، إلا أن هناك استثناءات خاصة فوق ذلك تخص البابا وحده، وقد أطلق على هذا الاستثناء "حق التحلة"، وهي تعني أن للبابا سلطان أن يُحل بعض الأفراد وفي بعض الظروف من بعض الأحكام الكنسية التي تنطبق على أفراد الكنيسة، وقد تحدث المؤرخ الأمريكي ولز عن هذا الحق بقوله: «وثمة دعوى أخرى ادعتها الكنيسة كانت هى أيضا أكثر سرفاً وبعداً عن الحكمة هي قولها بأن لها(حق التحلة)، ومعنى ذلك أن البابا كان يستطيع في كثيرٍ من الأحيان أن يهمل قوانين الكنيسة في حالاتٍ فرديةٍ خاصة، فهو قد يأذن لأبناء العم وأبناء الخال أن يتزوجوا، وقد يسمح لرجلٍ بأن تكون له زوجتان أو يُحل أي إنسان من نذره، ولكن إتيان مثل هذه الأمور ينطوي على الاعتراف بأن القوانين التي تتصل بها ليست قائمةً على أُسس من الضرورة اللازمة والصلاح الفطري وأنها في الواقع إنما تنطوي على التضييق والمضايقة»[(١)].

وهذا الاستثناء الخاص بالبابا لا يُعرف لمن يكون، ولا الظروف التي تستدعي استخدامه، ولكن ذلك يفتح الباب ليكون المعيار الأساسي لاستخدام هذا الحق ليس إلا الهوى والطمع الشخصي للبابا نفسه.

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية: (٣/ ٦).

المطلب الثالث: سلطة مغفرة الذنوب

كما أحكمت الكنيسة الكاثوليكية قبضتها على رقاب أتباعها ابتداءاً من خلال سلطة التحليل والتحريم التي يتبعها الأمر والنهي، كذلك أحكمت قبضتها عليهم انتهاءاً عندما يقعون في الذنوب، ومن خلال سلطان مغفرة الذنوب.

وهذه البدعة الكاثوليكية كغيرها من البدع يلاحظ فيها التدرج من الأقل إلى الأشد غلوا، ويمكن أن نلحظ لهذه البدعة ثلاث مستويات متفاوتة:

١ - الاعتراف يكون بين يدي الكاهن، حيث يذكر المذنب كل ما اقترف من الذنوب دون أن يخفي منها شيئاً، ثم يقوم الكاهن بالتوسط برفعها إلى الرب لكي يغفرها، وربما يخبر المذنب بأنه قد غفرت ذنوبه.

٢ - الكاهن هو الذي يغفر الذنوب للتائب اعتماداً على سلطان مغفرة الذنوب الذي منحه الرب بطرس، ثم ناله البابوات والأساقفة بالوراثة.

٣- إصدار صكٍّ جاهزٍ مختومٍ بختم البابا دون أن يعرف من هو المذنب، ثم يباع لمن يريد الغفران، وحينئذٍ لا يُلتفت إلى الذنب، ولا تحقق التوبة منه، وإنما ينظر إلى شيءٍ واحدٍ هو المبلغ الذي يدفعه التائب، ويمكن أن يستعاض بأعمالٍ أو خدماتٍ تقدم إلى الكنيسة، وهذه عرفت فيما بعد ب"مهزلة صكوك الغفران"، وجلبت العار على الكنيسة جمعاء(١).

أصل سلطان مغفرة الذنوب:

يستند الكاثوليك في أصل هذا السلطان على ما ورد في إنجيل يوحنا: «فقال لهم

---

(١) للإستزادة من أخبار مهزلة صكوك الغفران انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص: ٢٥٩ وما بعدها، قصة الحضارة ، ديورانت: (٢٤/ ٥).

يسوع أيضا: سلام لكم كما أرسلني الأب أرسلكم أنا، ولما قال لهم هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت»[١].

وهذا الأصل الذي استند عليه الكاثوليك لا يمكن أن يكون أصلاً صحيحاً؛ لأنه مبنيٌ على عقيدة ألوهية المسيح وبنوته لله - تعالى الله عن ذلك - الباطلة، ولأن النصوص الإنجيلية نفسها تنقضه؛ فقد دلت نصوص الإنجيل على أنه بشر تُعرض له سائر الأعراض البشرية، فهو يجوع «وبينما هو راجعٌ إلى المدينة عند الفجر أحس بالجوع فرأى تينة عند الطريق فذهب إليها، فلم يجد عليها غير الورق فقال لها: لا يخرج منك ثمرٌ إلى الأبد»[٢]، ويحزن: «فقال لهم نفسي حزينة حتى الموت امكثوا هنا واسهروا»[٣]، بل إنه قتل بحسب زعمهم: «إن إله آبائنا أقام يسوع الذي قتلتموه إذ علقتوه على خشبة»[٤]،ومن كانت هذه صفاته كيف يملك سلطاناً فضلاً عن أن يمحنه لغيره، بل دلت النصوص الإنجيلية على عجزه، وحاجته إلى إلهه الذي في السماء: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً كما أسمع أدين ودينونتي عادلة، لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الأب الذي أرسلني»[٥]، «قال عيسى:لا تدعوا أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السماوات»[٦]، فإذا كان عيسى نفسه يخبر بأنه لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه، بل هو متبعٌ ومطيعٌ لربه، وهو الذي نهى أن يدعى أباً على الأرض بل يجب دعاء الله وحده الذي في السماء، فكيف يمكن أن يمنح سلطاناً بالمغفرة لغيره.

---

(١) يوحنا: (٢٠/ ٢١-٢٣).

(٢) متى: (٢١/ ١٨-١٩).

(٣) مرقس: (١٤/ ٣٤).

(٤) أعمال الرسل: (٥/ ٣٠).

(٥) يوحنا: (٤/ ٢٤).

(٦) مرقس: (٢٣/ ٩).

وعلى هذا النص فدعاء غير الله من الباباوات فضلاً عمن هو دونهم وطلب المغفرة منهم هو مخالفةٌ صريحةٌ لأمر المسيح عليه السلام نفسه.

وعندما نستعرض تاريخ سلطة الغفران ونبحث في دوافعها يتبين لنا أنها إضافة إلى بدعيتها - لم تكن تهدف إلى مصلحة أتباعها وتحقيق التوبة الصحيحة لهم، وإنما كانت ترمي إلى أهدافٍ أخرى أهمها على الأقل هدفان: الأول: المادي، وهو جمع المال لزيادة نفوذ الكنسية، وقد أكد ذلك المؤرخ أندرو ملر، وذكر أن البابا ليو العاشر(١) كان هدفه جمع المال، وأنه استخدم هذه الوسيلة لتحقيق ذلك الهدف(٢)، وكذلك المؤرخ النصراني القس جون لوريمر، حيث اعتبر أن صكوك الغفران كانت أحد المشروعات العديدة المدرة للمال التي اخترعتها كنيسة العصر الوسيط(٣).

الهدف الثاني: الهدف السياسي، وهو زيادة نفوذ السلطة البابوية، وهذا واضح من استخدام البابا أوربان الثاني لهذا الوسيلة لدفع شعبه إلى الحروب الصليبية المقدسة، حيث قرن دعوته إليها بتحقيق الغفران لمن يشارك فيها، مع أن هذا البابا حرم على رجال الكنيسة أن يقسموا يمين الولاء لأي سلطةٍ زمنيةٍ ليقطع كل اعتمادٍ على السلطة الزمنية(٤).

---

(١) لاون العاشر: (١٥١٣-١٥٢١م) كان اسمه يوحنا مديتشي، وكان مهتما بالفن أكثر من اهتمامه باللاهوت، وفي عهده برز البروتستانتي الألماني لوثر، وأصدر بحقه مرسوما بالحرمان، وفي عهده أيضا بدأت محاولات لتغيير الأوضاع داخل البابوية نفسها. انظر: معجم الباباوات، ص:٢٩٤ وما بعدها.

(٢) انظر: مختصر تاريخ الكنسية، ص: ٣٠٣.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة:(٤/ ٣٨).

(٤) انظر:مختصر تاريخ الكنيسة، ص: ٢٥٩.

المبحث الثالث

مبدأ الكهنوت

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: التعريف بالأسرار المقدسة.
- المطلب الثاني: خطورة هذه الأسرار.

* * * ** * * *

المطلب الأول: التعريف بالأسرار المقدسة

السر الكنسي عند النصارى هو: «نعمةٌ غير منظورة تنال تحت عوارض منظورةٍ على يد الكاهن الشرعي»(١)؛ ويتفق الكاثوليك والأرثوذكس على سبعة أسرار، بينما لا يؤمن البروتستانت إلا باثنين منها فقط، وهي عندهم "إلهية"، بمعنى أن مؤسسها هو المسيح عليه السلام نفسه، من أجل أن ينقل للبشر بركات الخلاص، و"فاعلية"، أي أن الروح القدس يتمها بطريقةٍ سريةٍ داخليةٍ لتحقيق النعمة "الغير منظورة"، وسميت بالأسرار لأحد أمرين: الأول: أن مصدرها إلهي –كما سبق–، والثاني: أن لها وجهان: وجه مادي منظور، وآخر غير منظور(٢)، وهذه الأسرار كما يأتي:

١- التعميد(المعمودية): وهو أهم الأسرار، وأساس الخلاص، وبوابة الإيمان، وسبب نوال النعم في الأسرار الأخرى، وسبب مغفرة الخطايا، كما أنه محل اتفاقٍ بين جميع الطوائف(٣).

ويتم إجراء هذا السر بالتغطيس للمُعمَّد في الماء عند الأرثوذكس، وبرشه عند الكاثوليك، ويستخدم له ماءٌ مقدسٌ عند النصارى، ويكون ذلك ثلاث مرات في إشارة إلى الأقانيم الثلاثة، وعند صب الماء أو رشه، يقول الكاهن: يا فلان أعمدك باسم الأب، والابن، والروح القدس، وهذا عند الكاثوليك، وعند الأرثوذكس يوجه المعمد جهة الشرق ويقول الكاهن عبارة التعميد وعند ذكر الأقانيم الثلاثة يغطس في الماء، ثم ينشل منه، وبذلك يتم التعميد(٤).

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة، الأرشيد ياكون حبيب جرجس، ص:٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٨٢ ، التعليم المسيحي، ص: ٣٧٤، المسيحية في عقائدها، نشرة مجبس أساقفة كنيسة ألمانيا: ص: ٣٦٠ .

(٣) انظر: التعليم المسيحي، ص: ٣٧٦، موسوعة طقوس الكنيسة: (٢/ ١٦).

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص:٨١.

٢- التثبيت: وهو السر الذي يناله النصراني بعد سر العماد، والغرض منه تقوية المعمودية وإكمالها، وتثبيت النصراني على دينه، من خلال إفاضة الروح القدس الخاصة، وإعلان المسئولية التي أصبحت على عاتق المثبَّت التي توجب عليه نشر النصرانية والدفاع عنها.

أما إجراء هذا السر فيكون بإحضار الطيب الذي كان على جسد المسيح -بزعم النصارى- مخلوطاً بدمه، وبزيت الزيتون النقي، وهذا الخليط قد وزع على الكنائس، ولا يحل لمسه إلا للأساقفة والكهنة، ويسبق إجراء الطقس تكريس الزيت المقدس باستدعاء الروح القدس عليه، عن طريق صلاةٍ يتلوها الكاهن، ثم يبدأ بعد ذلك في المسح على أعضاء المُثَّبت، مع استدعاء الروح القدس، من خلال دعاء الكاهن، وتكون بالرشم على مثال الصليب على الجبهة والحواس الخمس والظهر والمفاصل، ولكلٍ منها صلاةٌ معينة(١).

٣- العشاء الرباني: (الإفخارستيا): يعرفه النصارى بأنه: السر الذي ينال به المؤمن المعترف جسد المسيح "الأقدس"، ويشرب دمه الزكي تحت أعراض الخبز والخمر(عصير الكرمة)، ويطلق عليه "الإفخارستيا" أي الشكر؟ لأن المؤمن يشكر الرب على نعمة الخلاص من الخطيئة، ويتميز هذا السر بأنه يتكرر كل أسبوع - بخلاف الأسرار الأخرى - فهو السر المركزي في الكنسية.

ويبدأ هذا السر بالتهيئة بالتوبة، وتلاوة الصلاة قبل التناول، والصوم قبله لعدة ساعات، ثم تعد مادة هذا السر وهي العوارض المنظورة والخبز والخمر، ثم يبدأ الاجتماع فيتوافد الراغبون في أداء السر على الكنسية، ويعتقد النصارى أن المسيح عليه السلام يكون على رأس الحضور، وهو الذي يرأس الاحتفال، ثم يتكلم الأسقف باعتباره ممثل المسيح عليه السلام نفسه ، ثم تبدأ ليتورجيا(٢) الكلمة، وهي قراءاتٌ من نصوص العهد

---

(١) التعليم المسيحي، ص: ٣٩٦.

(٢) ليتورجية: كلمة تتكون من مقطعين: (ليؤس)، أي: شعب، و(إرغون)، أي عمل، فيكون معنى =

القديم ومذكرات الرسل، ثم يقدم إلى المذبح – وأحيانا يكون في موكب – الخبز والخمر، ثم يبدأ الحفل الخاص برفع الشكر من الكاهن إلى الإله الأب، ثم يرفع النصارى نشيد حمدٍ متواصل، ثم يطلب الكاهن من الأب أن يرسل روحه القدوس إلى الخبز والخمر ليتحولا إلى جسد المسيح ودمه، ثم يأتي بعد ذلك صلاة الاستذكار، حيث تتذكر الكنسية آلام المسيح – بزعمهم – وأخيراً تأتي المناولة للخبز والخمر بعد أن تحولا – باعتقادهم – إلى جسد المسيح ودمه(١).

٤- سر التوبة (الاعتراف).

يعرف النصارى هذا السر بأنه: «رجوع الخاطيء إلى الله، ومصالحته باعترافه بذنوبه أمام الله، ليحصل منه على "الحل"، أي رحمة الله له بالسلطان الممنوح له من الرب». وللكاهن قدرةٌ على المغفرة نالها بالوراثة – كما أشرنا من قبل – ويجب على المعترف التوبة والإقرار بالخطايا، والتكفير عنها، كما يحدد الكاهن.

ويجب على الكاهن – الممثل عن المسيح عليه السلام – أن يعلِّم المعترف بشارة المغفرة، ويفسرها له، ويساعد بالنصائح له في حياته بعد التوبة، ويصلي لأجله، ويتوب عنه ويمنحه باسم المسيح مغفرة خطاياه، ويحفظ سره، ويطلق على ذلك "الختم السري"(٢).

٥- سر الزواج:

هو سر "مقدس" يربط بين الزوج والزوجة، وبفعل الروح القدس وصلوات الكاهن يصيران واحداً ويحلان لبعضهما.

= الكلمة: عمل شعبي، وفي العهد الجديد تستخدم أحياناً بمعنى العبادة المسيحية، وأحياناً بمعنى الخدمة روحية كانت أو جسدية. انظر: معجم المصطلحات الكنسية:(٣/ ١٩٤).

(١) انظر: المسيحية في عقائدها، ص:٣٩٢ وما بعدها.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص:٤١٠، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية:(٢/ ٦٠).

ويرى الكاثوليك أن هذا الميثاق أسسه المسيح عليه السلام بنفسه، ولذا فالشائع عندهم تحريم التعدد والطلاق، ولا يتم هذا السر إلا في وجود الكاهن، وشهادته على الرضا المتبادل بين الزوجين، ومباركته لهذا السر بالصلاة واستدعاء الروح القدس في حفل الزواج ضرورة لصحة السر[1].

٦- سر الكهنوت:

وهو ثلاث درجات: الأسقفية، والقسوسية، والشماسية، واختيار رجال الكهنوت لا يتم إلا عن طريق السر الكهنوتي، ويتم هذا السر بأن يضع الأسقف يده على رأس المترسم، ويتلو صلاة التكريس التي يطلب فيها من الرب أن يفيض الروح القدس عليه، ويقوم الكاهن بمهمات أساسية هي التعليم، وإقامة الشعائر، ورعاية الشعب[2].

٧- سر مسحة المرضى:

يُعرَّف هذا السر بأنه: السر الذي يُعطى بصلوات الكاهن، وبمسحة الزيت النعمة الإلهية لشفاء الأمراض، والعجز الجسدي، النفسي، ومغفرة الخطايا وتقوية النفس في الإيمان، وهذا المسح كان لعموم الأمراض، ثم قصرته الكنيسة على المشرفين على الموت، بهدف وفاة النصراني على دينه.

ويتم هذا السر بأن يضع الكاهن يده على المريض، ثم يصلي صلاة الاستدعاء، ثم يدهن جبهة المريض ويديه، وبذلك يستحق المريض نيل النعمة غير المنظورة[3].

نقد هذه الأسرار.

١- هذه الأسرار لا يوجد لها أصلٌ في كتب النصارى، ولذلك أنكرها

---

(١) انظر: التعليم المسيحي، ص: ٤٨٧ .

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص: ٤٦.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص: ٤٤٩ .

البروتستانت، ولم يثبتوا منها إلا سرّين هما العماد والإفخارستيا، ويمكن أن يجاب عن سر العماد «بأن المسيح لم يعمد أحدا من أتباعه، وإنما الذين عمدوا هم تلاميذه»(١)؛ ويؤكد ذلك أيضاً من النصارى الأب متى المسكين «من واقع تاريخ المسيحية نجد أن المعمودية صارت ممارستها الأولى من اليوم الذي حلَّ فيه الروح القدس يوم الخمسين شاهداً لقيامة المسيح »(٢)؛ وبهذا النصين يبطل، استدلال النصارى بأن المسيح أول من عمد أتباعه.

وأما سر الإفخارستيا فيجاب عنه بأن النص الوارد عند متى الذي استدل به النصارى: « هذا هو جسدي...» لم يورده يوحنا، وهو من تلاميذ المسيح وممن حضر الحادثة، فإذا كان حاضراً وكانت هذه الحادثة بهذه الأهمية ثم لم يذكر هذا القول دل على أنه مكذوب على المسيح عليه السلام، وأما القول المنسوب إلى المسيح عليه السلام:« هذا هو دمي »، فهو مردودٌ بأن التوراة جاءت بتحريم الدم، فكيف يأمر المسيح عليه السلام بشرب الدم – على افتراض صحة ذلك – وهو محرَّمٌ في كتابهم.

٢- هذه الأسرار كلها تتضمن الشرك بالله من خلال توسط الكاهن فيها جميعاً، وعدم القيام بأي عملٍ إلا من خلاله.

٣- بعض هذه الأسرار مبنيٌ على عقائد باطلة، مثل التعميد الذي بُني على عقيدة الخطيئة الجدِّية، وسر العشاء الرباني المبني على عقيدة التحول(تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه)، وسر التوبة المبني على عقيدة مغفرة الكاهن للذنوب.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص: ٦٣٧.

(٢) عبادة الأصنام في الكنيسة الأرثوذكسية، د. حنين عبدالسيد، ص:٣٨ .

المطلب الثاني: خطورة هذه الأسرار

من خلال هذا العرض يتبين لنا خطورة هذه الأسرار من جهتين:

الأولى: ارتباطها بكل حياة النصراني، حيث تبدأ منذ الولادة من خلال التعميد والتثبيت، وتستمر معه في حياته من خلال العشاء الرباني(الذي يتكرر معه أسبوعيا)، وسر الاعتراف الذي يكون على مدار السنة، وسر الزواج والكهنوت الذي يتكرر مرة واحدة في العمر، وتبقى معه إلى وفاته من خلال سر مسحة الميرون.

الثانية: ارتباط جميع هذه الأسرار بالكاهن، فلا يتم إلا في وجوده بل هو الذي يتممها، ونتيجة ذلك أن الكاهن أصبح هو الوسيط بين النصراني وبين الله وهذا غاية الشرك، وهذا يعني أنهم أصبحوا أربابا من دون الله، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[التوبة:٣١].

وقد نبه الدكتور "هوستن سميث" على هذا المعنى بقوله:« المدهش أن هذه الأسرار توازي اللحظات والحاجات العظيمة والهامة لحياة الإنسان؛ الناس يولدون، يبلغون سن الرشد، يتزوجون أو يكرّسون أنفسهم بنحوٍ كاملٍ لهدفٍ حياتيٍّ معين، ويموتون؛ في هذه الأثناء يجب أن يُعاد دمجهم في المجتمع كلّما انحرفوا عنه، وعليهم أن يأكلوا؛ توفِّر الأسرار المقدسة النظير الروحي لهذه الأحداث الطبيعية، فكما تأتي عملية الولادة بالإنسان إلى عالم الطبيعة ، يسحب"سرّ المعموديّة"، عندما يبلغ الطفل سن الرشد ويكتمل عقله، يحتاج لتقوية التفكير الناضج والعمل المسؤول لديه لذا يتلقَّى"سِرّ التثبيت"؛ عادةً تأتي على الإنسان لحظة وفورةٌ ينضم فيها الشاب إلى قرينه الإنساني المرأة، في "سرّ الزيجة" ، أويكرّس الشاب حياته(أوالفتاة حياتها)كلياً لله ضمن الأخويات الرهبانية المقدسة؛ وفي نهاية الحياة، هناك" سِرّمسحة المرضى" حيث يغمض الإنسان عينيه الأرضيتين، ويهيء روحه لسفرها الأخير؛ في نفس الوقت هناك طقسان سرِّيان مقدّسان من الضروري القيام بهما بنحو متكرِّر على الدوام، أحدهما هو

"سِرّ الاعتراف"، ويُسمَّى كذلك سرّ التوبة؛ وطالما كان الإنسان إنساناً، فإنه لا يمكنه العيش دون أن يقع أحياناً في الخطأ أو الانحراف عن الطريق الصحيح؛ هذه الانحرافات تستلزم خطوات محددة تؤمِّن عودة الخاطيء إلى المجتمع الإنساني والزمالة الالهية ... أما السر المقدس الثاني الواجب تأديته بنحو متكرر ودائم فهو سر "القداس" الذي يعتبر الطقس الديني المركزي للكنيسة الكاثوليكية»[(١)].

---

(١) أديان العالم (المسيحية)، ص (٤٤٢-٤٤٣) بتصرف.

الفصل الثالث

آثار البابوية على المجتمع الأوربي

وفيه مدخل ومبحثان : -

❖ المبحث الأول: أثر البابوية على حضارة أوروبا في القرون الوسطى

❖ المبحث الثاني: أثر البابوية في ظهور العداء للدين.

* * * *** * * *

مدخــل

عاشت أوروبا أطول فتراتها التاريخية تحت سيطرة البابوية التي أصبحت القوة الوحيدة الموحدة في ذلك المجتمع المترامي الأطراف، وعند دراسة حالة المجتمع الأوربي ومعرفة أثر البابوية عليه في المجالات المختلفة في هذه الفترة تبرز لنا حقيقتان تاريخيتان في غاية الأهمية:

الأولى: أن أوربا عاشت فترة طويلة جداً في جهلٍ وخرافة، وهذه الفترة تمتد إلى ما يقارب العشرة قرون عند المؤرخين (٥٠٠ –١٥٠٠م).

الثانية: أن السيادة الزمنية والفكرية في تلك الفترة كانت حكراً على البابوبة وحدها دون غيرها.

وهاتان الحقيقتان التاريخيتان تقودنا إلى أهمية تتبع أثر البابوية على الحياة الأوربية، من جهتين:

الجهة الأولى: أثر البابوية على حضارة أوربا طيلة هذه القرون؛ وهذا ما سأفصله من خلال المبحث الأول من هذا الفصل.

والجهة الثانية: موقف المجتمع الأوربي من الدين الكنسي الناتج عن تأثير الكنيسة نفسها؛ وهو ما سأفصل الحديث عنه من خلال المبحث الثاني.

المبحث الأول: أثر البابوية على حضارة أوربا في القرون الوسطى

حال أوربا قبل عهد الكنيسة:

كان النظام الديني للإمبراطورية الرومانية قبل عهد الكنيسة هو النظام الوثني الخرافي القائم على عبادة الآلهة المتعددة، وتقديس الإمبراطور؛ وإضافة إلى هذه الوثنية المطبقة في المجتمع، فقد انتشر الاعتقاد في الخرافات والمعجزات بين أهالي أوربا، وقضى السحر على البقية الباقية من المعرفة العلمية(١).

ولم يكن الرومان يحفلون بشيءٍ في حياتهم، حتى أمر دينهم، فقد كانوا يعبدون آلهتهم في المعابد، ثم يهزأون بها في دور التمثيل، ويهينونها في بعض الأحيان حتى إنه لما غرق أسطول للإمبراطور أغسطس استشاط غضبا، وحطم تمثال نبتون إله البحر، ولما مات جرميكس رجم الناس أنصاب الآلهة التي كانو يذبحون لها(٢).

ومثل هذا الدين لم يكن له أثرٌ إيجابيٌّ على حياة الشعب الروماني، بل كان باعثاً على البحث عن مجرد رفاهية البدن، وقد اعترف "ليكي" بهذه الحقيقة قائلا:«إن الدين الرومي كان أساسه على الأثرة ، ولم يكن يرمي إلا إلى رفاهية الأفراد، وسلامتهم من المصائب والمتاعب، والشاهد على ذلك أن ظهر في رومية مئات من الأبطال والعظماء، ولكن لم ينهض فيها زاهد في الدينا عزوف عن ملذات الحياة ،ولا تسمع مثالاً في تاريخ الروم للتضحية والإيثار إلا وتجده لا تأثير للدين فيه،ولكن مبنياً على الوطنية(٣).

---

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الندوي ، ص: ١٦٢ ، أوربا العصور الوسطى ، سعيد عاشور: (٢/ ١٩٤)، تاريخ أوربا الحديث، جفري براون، ص: ٢٥ .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص: ١٦٣.

(٣) المصدر نفسه ص: ١٦٣ - ١٦٤.

واذا كان الغرض هو مجرد الرفاهية مع عدم وجود دينٍ يضبط الأخلاق ويوجه النزعات، فإن النتيجة الطبيعية لذلك هي الانحطاط الخلقي الذي يصل إلى درجة البهيمية، ولاسيما إذا توفر معه الترف الذي تسهل معه قضاء الملذات والشهوات؛ وهذا هو الواقع الذي كانت عليه الحضارة الرومانية.

وقد صور الكاتب الأمريكي "درايبر" ذلك فقال: « لما بلغت الدولة الرومية في القوة الحربية والنفوذ السياسي أوجها، ووصلت في الحضارة إلى أقصى الدرجات هبطت في فساد الأخلاق وفي الانحطاط في الدين والتهذيب إلى أسفل الدركات؛ بطر الرومان معيشتهم وأخلدوا إلى الأرض واستهتروا استهتارا، وكان مبدؤهم أن الحياة إنما هي فرصةٌ للتمتع، ينتقل فيها الإنسان من نعيمٍ إلى ترفٍ ومن لهوٍ إلى لذةٍ، ...وقد أدرك هؤلاء الفاتحون الذين دوخوا العالم أنه إن كان هنالك شيء يستحق العبادة فهو القوة؛ لأنه بها يقدر الإنسان أن ينال الثروة التي يجمعها أصحابها بعرق الجبين وكد اليمين، وإذا غلب الإنسان في ساحة القتال بقوة ساعده فحينئذٍ يمكن له أن يصادر الأموال والأملاك ويعين إيرادات الإقطاع وإن رأس الدولة الرومية هو رمز لهذه القوة القاهرة، فكان نظام رومة المدني يشف عن أبهة الملك، ولكنه كان طلاءاً خداعاً كالذي نراه في حضارة اليونان في عهد انحطاطها»(١).

هذا هو حال المجتمع الروماني من الناحية الدينية والخلقية، ومثل هذا الواقع لابد وأن يكون له أثرٌ على الحياة الفكرية والعلمية – وهي مقصود حديثا في هذا المبحث –، وبالفعل كانت الحياة العلمية والفكرية تعيش في الحضيض، حتى وصفها المؤرخ الإنجليزي "ولز" بحالة "الموت الذهني"، واستشهد على ذلك بأن الحضارة الرومانية لم تنتج في ثلاثة قرونٍ علماً ولا أدباً له أي قيمة(٢).

---

(١) المصدر السابق ص: ١٦٥.

(٢) انظر معالم تاريخ الإنسانية: (٣/ ٧٢٨).

ويؤكد الكاتب "ليكي" الضحالة الفكرية التي عاشها المجتمع الروماني في ذلك الوقت، حيث يقول: «إن اليونان كانت لهم ثروةٌ علميةٌ ضخمة أنتجوها وزادوا فيها على مرِّ القرون والعصور، وكانت رومة لا تزال في طورها الجندي لا تملك أثراً من الآثار الأدبية، بل كانت لغتها قاصرةً في التعبير عن الأفكار والمعاني العالية فغلب الروم بتخلفهم وقصورهم في العلم، وانقلبوا صاغرين للمدنية اليونانية التى غلب أهلها في السياسة، ولم يزالوا مأخوذين بسحرهم في كل قسمٍ من أقسام العلم، فكان المؤرخون الأقدمون في الروم يؤلفون كتبهم باليونانية واستمرت اليونانية لغة التأليف والعلم»[1].

ونخلص مما سبق أن المجتمع الروماني كان يعيش في ضحالةٍ علميةٍ وفكريةٍ شديدةٍ قبل أن ينضم تحت لواء الكنيسة الغربية.

ولنا أن نتساءل الآن ما الذي قدمته الكنسية الكاثوليكية بزعامة البابا للعالم الغربي بعد أن أنضوى تحت لواءها فترة طويلة، اطلق عليها "القرون الوسطى"، أو"القرون المظلمة"؟.

تؤكد أقوال المؤرخين أن هذه الفترة التاريخية التي قادت فيها الكنيسة الغربية المجتمع الأوربي كانت فترة تأخرٍ وانحطاط، ولاسيما في الناحية العلمية والفكرية، كما يدل على ذلك وصف هذة الفترة ب"القرون المظلمة"،وهو وصفٌ يبين واقع الحال ويشعر بالذم[2]؛ ويتحدث المؤرخ ولز عن هذه الفترة، فيقول:« لقد أصبح البناء الاجتماعي والاقتصادي للإمبراطورية الرومانية حطاماً وأشلاءاً؛ فإن حضارتها حضارة ثراءٍ وسلطانٍ سياسيٍّ يقومان على ما ترسف فيه كتلة البشرية الكبرى من قيودٍ واسترقاق؛ أجل إنها تجلت في مشهدٍ من الفخامة الظاهرية والكماليات المترفة، ولكن

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص: ١٦٢ .

(٢) انظر: أفكار ورجال ، كزين برنتن، ص: ٢٢٣ .

كان يكمن وراء ذلك المظهر الخارجي النبيل كل ألوان القساوة والغباء والركود، فكان لا بد لها من أن تتحطم وكان لابد من إزالتها قبل أن يستطيع أن يخلفها ما هو خير منها»[١].

ويتحدث المؤرخ برنتن عن هذه الفترة بقوله:«وقد اختفت من أوربا بهذه الصورة كل مظاهر الحياة المدنية تقريباً»[٢].

أما المؤرخ "فشر" فيتحدث عن تلك الفترة بقوله: «ولذا ظل التقدم معدوم الخطى في ميادين البحوث والكشوف التي تزيد من سيطرة الإنسان على قوى المادة الغشوم، وترفع من مستوى الخير العام؛ فبقيت وسائل النقل حيث هي منذ أقدم العصور، ولم تستطع ثلاثة آلاف من السنين أن تبدل الحصان وسرعته بوسيلة أسرع، أو الريح وقوتها في تسيير السفن الشراعية بقوة أخرى؛ وعاش معظم الأوروبيين في بيوتٍ حقيرةٍ خانقةٍ، وتغلقت خبراتهم وتجاربهم في حدودٍ ضيقة، وتبددت أعمارهم في الأرض بسوء التغذية، وكثرة الأمراض والطواعين، كأنما كتب على البشرية أن تنتظر حتى عصر البخار والبترول والكهرباء قبل أن تضيف شيئاً واحداً إلى عظيم مخترعات الإنسان الأول، من عجلة وشراع ومحراث»[٣].

أما أبو الحسن الندوي فبعد أن يقرر حقيقة التخلف في أوربا في عصر الكنيسة الكاثوليكية يذكر شواهد حقيقية، ثم يعلل أسبابها، فيقول: «وبقيت أوربا تتسكع في دياجير الجهل والخرافة والانحطاط، وأصيبت المدنية بحكمهم ورهبانيتهم في صميمها، فلم يتضاعف عدد سكان القارة الأوروبية في ألف سنة، ولم يتضاعف سكان إنكلترة في خمسمائة سنة؛ ولا شك أن من أسبابها حياة العزوبة التي كان القسوس والرهبان يزينونها للناس، ويرغبون فيها، ولم يشأ الكهان والأساقفة أن

---

(١) معالم تاريخ الانسانية ، ولز: (٣/ ٧٢٨).

(٢) أفكار ورجال، ص: ٢٢٦.

(٣) تاريخ أوروبا – العصور الوسطى: (٢ / ٤٦٣).

يساهم الأطباء في مرافقهم وغلاتهم فانتشرت الأوبئة والأمراض في طول القارة وعرضها»[1].

وهذه الحقيقة التي أثبتناها آنفاً، وهي أن أوربا كانت تعيش حياة التخلف في القرون الوسطى يطرح أمامنا تساؤلان هامَّان: الأول: ما هو موقع الكنيسة في هذه الفترة؛ والثاني: ما هو موقف الكنيسة من هذا التخلف بناءاً على ذلك؟.

أما التساؤل الأول: فإن دراسة هذه الفترة تؤكد بكل وضوحٍ أن الكنيسة كانت تقوم بدور السيادة والقيادة، وكانت تمتلك السلطة الكاملة اللازمة للقيام بذلك الدور، وأنها كانت تمتلك زمام التوجيه وحتى الهيمنة الكاملة، ولاسيما في المجال العلمي والفكري على وجهه الخصوص.

وقد وصف المؤرخ برنتن هذه السلطة بقولة:«وبقيت الكنيسة في ذروة العصور الوسطى المركز العظيم للحياة العقلية؛ وظهرت في المجتمع الغربي لأول مرةٍ تربيةٌ منظمةٌ متدرجة تخضع للرقابة العامة.. ولم يكن الإشراف العام من حق مراقبة بيروقراطية وحيدة، كمراقبة الولاية، على التعليم؛ وإنما كانت للكنيسة الكاثوليكية، بأعضائها العديدين للتربية والادارة وبإكليروسها المنظم تنظيماً يدعو إلى الإعجاب، وبرأسها الأعلى ممثلا في البابا»[2] وقد احتكرت الكنيسة بدرجةٍ كبيرةٍ لنفسها حق العلم والتعليم وجعلته لرجالها الذين أصبحوا هم رجال الدولة بسبب تعليمهم ومعرفتهم، ويشهد لذلك المؤرخ فشر، حيث يقول عن هذه الفترة: «ولأول مرةٍ في تاريخها بدت الكنيسة صاحبة الصدارة الفكرية في البلاد، حيث صار الرجل من رجال الدين هو الوحيد الذي يعرف القراءة والكتابة والتكلم في اللاتينية، وهو الذي يفهم دون غيره حساب الشهور لتحديد عيد القيامة (EASTE)، وذلك بالإضافة

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص: ١٧٤ .

(٢) أفكار ورجال ص: ٢٢٨.

إلى مقدرته على مفارقة العمل الرتيب لتصريف شئون الإدارة الحكومية؛ لذا لم يكن عجباً أن يتخذ الفرنجة في غاليا والقوط الغربيون في إسبانيا من رجال الدين أداة للحكم وشئونه المختلفة، وإذا ذكرنا أن ملوك الجرمان من الفرنجة – القوط الغربيين وغيرهم – هاموا بصيد الخنزير البري والأيل والغزال، وشغفوا بالحروب والمذابح والتخريب، صار من الواضح أنه لم يكن باستطاعتهم أن يديروا دفة الحكم في البلاد لولا الكنيسة ورجال الدين»(١).

وهذا النص يؤكد أن الكنيسة حصرت التعليم لصالح أتباعها، وحرمت بقية المجتمع من ذلك الحق، وقد أدى ذلك إلى بقاء أوربا قروناً طويلةً في دياجير الجهل والخرافة والانحطاط(٢).

وهذا العرض يطرح أمامنا التساؤل الثاني، وهو ما حقيقة موقف الكنيسة من مقومات الحضارة، ولاسيما العلم الذي هو أعظمها، وما أسباب ذلك؟.

موقف الكنيسة من العلم:

الحديث عن العلم هنا باعتباره المقوم الأول للحضارة، والعامل الأساسي للنهضة لأي أمة، وعلى أساسه يمكن قياس الأمر في بقية مجالات الحياة المختلفةِ.

وإذا نظرنا إلى موقف الكنيسة من العلم نجد أن الكنيسة اتخذت موقفها من العلم انطلاقا من دينها الذي تضمنه ما يسمَّى بالكتاب المقدس، وكان محتوى هذا الكتاب خليطاً من أمورٍ شتى(٣)، ولم يكن صافياً، ولذلك قام موقف الكنيسة من العلم على أسسٍ غير صحيحة من أهمها:

١- إن ما جاء في الكتاب المقدس عندهم كله صحيحٌ، بل مقدسٌ، لأنه وحيٌ

---

(١) تاريخ أوروبا العصور الوسطى: (١/ ١٠٨ -١٠٩).

(٢) انظر: تاريخ أوروبا الحديث ، جفري براون، ص: ٢٥.

(٣) أشرت إلى ذلك من قبل. انظر: ص: ٤٨ .

من الله تعالى، ولم تفرق الكنيسة في ذلك بين ما يمكن أن يكون صحيحاً، وما ليس كذلك.

٢- ما جاء في هذا الكتاب يعد كافياً، فلا نحتاج إلى غيره من العلوم الكونية، أو الإنسانية الأخرى، وهذا الأساس جعله الإمام محمد عبده[١] الأصل الخامس من أصول النصرانية حيث قال عنه: «ثم ينضم إلى الأصول الأربعة خامس، وهو أن الكتب المعروفة بالعهد القديم والعهد الجديد تحتوي على كل ما يحتاج البشر إلى علمه سواء كان متعلقا بالاعتقادات الدينية والآداب النفسية والأعمال البدنية مما يؤدي إلى نيل السعادة في الملكوت الأعلى أو كان من المعارف البشرية التي يتأتى للعقل الإنساني أن يتمتع بها»[٢].

ثم نقل محمد عبده وصف "تيرتورليان" - أحد أفضل مَنْ وصف الاعتقاد المسيحي في نهاية القرن الثالث -، حيث قال: « إن أساس كل علمٍ عندهم هو الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة، وإن الله لم يقصر تعليمنا بالوحي على الهداية إلى الدين فقط، بل علمنا بالوحي كل ما أراد أن نعلمه من الكون، فالكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذي قدر للبشر ان ينالوه»[٣]،وقال بعضهم: «انه يمكنه أن يؤخذ فن المعادن بأكمله من الكتاب المقدس»[٤].

٣- إن أي مصدرٍ من مصادر العلوم والمعرفة لابد أن يكون صادراً عن الكنيسة، وإن أي رأيٍ يخالف ذلك فهو باطل يجب مقاومته.

---

(١) محمد عبده: هو محمد عبده حسن خير الله، ولد في قرية "محلة نصر"، بمحافظة البحيرة بمصر عام ١٢٦٦هـ(١٨٤٩م)، ودرس في الأزهر، واشتغل بالتدريس، وكتب في الصحف، وله جهود إصلاحية كثيرة. انظر: الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، تحقيق: د. محمد عمارة، المقدمة.

(٢) الإسلام والنصرانية ص:٣٧.

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.

(٤) موقف الإسلام والكنيسة من العلم ، عبدالله المشوخي ، ص:١٠١ .

وعلى ذلك ثبتت الكنسية سياستها في التعامل مع العلم والعلماء، وقد قامت هذه السياسة على مجموعه من الخطوات:

١ – إهمال البحث العلمي والنظر ابتداءاً.

رأت الكنيسة أن ما لديها في الكتاب المقدس شاملٌ لكل العلوم وكافٍ في المعرفة، فلا حاجة إلى غيره، وهذا الموقف كان متناسباً مع موقف التوراة المحرفة من العلم أيضاً، فقد كان موقفاً سلبياً؛ حيث لا يوجد في النصوص الإنجيلية دعوةٌ للعقل إلى التدبر والتأمل في مخلوقات الله، وتسخير الكون بما يعود بالنفع على الإنسان، بل لا يوجد فيها إلا الدعوة إلى نبذ الدنيا والانقطاع إلى الآخرة، والاهتمام بخوارق العادات والكرامات، وعلى ذلك تدور أكثر النصوص[١].

وهذا الأمر انعكس على مفكري النصارى في القرون الوسطى حتى إنَّ الفيلسوف النصراني الشهير "أوغسطين" كان «يبدي دهشته من أن الناس يذهبون بتفكيرهم بعيدا للتأمل في ارتفاع الجبال، أو دراسة مدارات الكواكب، ويهملون التأمل في أنفسهم، وكان أوغسطين يهزأ من فكرة كروية الأرض»[٢].

٢ – حرمت الكنيسة على أتباعها حق القراءة، والفهم، والترجمة للكتاب المقدس. ولذلك حرم الشعب النصراني من الاطلاع على الكتاب المقدس عندهم، فضلاً عن قراءته طيلة هذه القرون، وهذا السبب يفسر الضجة الهائلة في أوربا التي حدثت عندما تمت ترجمته ونشره.

٣– راقبت الكنيسة كل شي من أجل التأكد من سلامته، وعدم مخالفته لتعاليم الكنيسة؛ ومن هنا ظهرت حركة "مراقبة المطبوعات"، حيث «حتم على كل مؤلِّف وكل طابعٍ أن يعرض مُؤلَّفَه أو ما يريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين

---

(١) المصدر السابق ص: ١٠٦ –١٠٧.

(٢) أوروبا العصور الوسطى: (٢ / ١٩٤).

للمراقبة، وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئا لم يعرض على المراقب أو ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره وأوعز إلى هذا المراقب أن يدقق النظر حتى لا ينشر ما فيه شيءٌ يومئ إلى مخالفة العقيدة الكاثوليكية »[1].

٤- سن القوانين المجرِّمة للمخالفين:

لم تكتف الكنسية بالمتابعة والمراقبة للأنشطة المطبوعة بل شرعت في سن القوانين لمعاقبة كل مخالفٍ لتعاليمها.

موقف الكنيسة من النظرية المتعلقة بعلم الفلك:

يعتبر موقف البابوية من النظرية المتعلقة بعلم الفلك مثالاً تطبيقياً لسياسات الكنيسة تجاه العلم والعلماء عموماً، وتجاه النظريات الحديثة المخالفة لتعاليم الكنيسة خصوصا، وقد اخترته لما كان له من آثار واسعة شملت أوربا كلها.

١-كانت الكنيسة انطلاقاً من نصوص الكتاب المقدس تعلم بأن الأرض هي مركز الكون وأنها ثابتة، وأن الشمس وسائر الكواكب يدرن حولها[2].

ولم تكن هذه النظرية ذات صلة حقيقية بما يسمَّى بالكتاب المقدس، وإنما كانت من بقايا التراث الإغريقي، وهي نظرية" بطليموس"[3]، ولكنها أصبحت مع مرور الزمن أصبحت حقيقةً مسلَّمةً لدى الكنيسة بسبب اعتناق رجال الدين لها؛ وفي القرن السادس سعى آباء الكنيسة لتعزيز هذه النظرية، فبعثوا مقولة الأب"كليمانت"[4] «إن

---

(١) الإسلام والنصرانية: ص: ٤٦.

(٢) انظر: بين الدين والعلم، اندرو دكسون وايت، ص: ٣٣.

(٣) بطليموس: (١٠٠- ١٧٠م)، عالم فلك ورياضيات وجغرافيا إغريقي، ولد في بلدة بطولامايس، وهو أهم أعضاء مدرسة الإسكندرية، وصاحب ثلاث عشرة مقالة شرحها العلماء من بعده، عرفت باسم كتاب "المجسطي"، وبقيت محتوياتها رائجة حتى عصر كوبرنيكوس. انظر: المعجم الشامل للعلماء والمخترعين، فوزي اليازجي وراغدة شربل، ص:١١٩ .

(٤) كليمانت: يسمى أيضا "كلميضس"الإسكندري، ولد سنة١٦٠م، ودرس الفلسفة والأسفار =

المذبح الذي يوضع عادة في الهيكل اليهودي إنما هو رمزٌ للأرض ووجودها في وسط الكون»[1].

٢-استمر الأمر حتى جاء العالم البولندي "نيقولاكوبرنيكوس"، وكان أستاذاً في روما واكتشف أن الشمس لا تدور حول الأرض، وإنما الأرض وبقية السيارات هن اللائي يدرن حول الشمس، وقد أعلن نظريته المؤيدة لذلك عام ١٥٠٠م، وكان على يقين أن نشر فكرته – كما تكونت في عقله – أمرٌ لا يخلو من خطرٍ ماحق، ولذا ظلت هذه الفكرة ثلاثين سنة جاثمةً في خلايا عقله، وعقول أصحابه الذين أفضى إليهم سرًا بما يدور في عقله من الحق الثابت . ولمَّا أتم كتابه "الأجرام السماوية" عهد به إلى "أوسباندر" في "نورمبرج"، غير أن الأخير لم يستطع أن ينشر الفكرة الجديدة، ولكنه كتب مقدمة للكتاب ابتدأها بالاعتذار عن كوبرنيكوس، وقال: إنه لم ينشر المذهب على أنه الحقيقة، بل على أنه مجرد نظرية تخيلية لا غير، ولم تخرج النسخة الأولى من الكتاب لكوبرنيكوس، إلا وهو على فراش الموت، حيث كان أسرع إليه من وصول محكمة التفتيش[2].

٢- ثمَّ جاء بعد ذلك العالم "جيوردانو برونو"[3]، وأثبت صحة نظرية

= النصرانية، وسافر إبان اضطهاد القيصر ساويروس عام ٢٠٢م إلى أورشليم وأنطاكية، ومن أهم كتبه التي بقيت إلى اليوم "دعوة الأمم الوثنية إلى عبادة الإله الحق" و"المرشد" و"المتفرقات".انظر: تاريخ الأمة القبطية ، لجنة التاريخ القطبي ، ص: ٧١ – ٧٢ .

(١) انظر بين الدين والعلم ، ص: ٣٤.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص: ٤٤- ٤٦.

(٣) برونو جيوردانو: (١٥٤٨-١٦٠٠م)، فيلسوف إيطالي، ولد في نولا في نابولي، دخل دير للدومينيكان، ودرس فلسفة توما الأكويني، والفلاسفة القدماء، اتهم بالهرطقة في روما فهرب إلى جنيف، ثم حكم عليه فأحرق حيا في روما، ومن أهم مؤلفاته،" الشمعدان"و"حول السبب والمبدأ والوحدة"و"اللامتناه والكون والعوالم". انظر: المعجم الشامل للعلماء والمخترعين،ص:١١٢ .

كوبرنيكوس، فقبضت عليه محكمة التفتيش، ولَمَّا أصر على رأيه أصدرت المحكمة حكمها بقتله، على ألا تراق قطرة من دمه، وقُدم إلى النار حياً، ثم أُحرق حتى يكون عبرة لمن أراد أن يعتبر! [(١)].

٣- بعد ذلك جاء العالم الإيطالي الشهير "جاليليو"[(٢)]، وأثبت - عن طريق التلسكوب - صحة نظرية كوبرنيكوس، فقام ضده علماء "التعليم السلمي"[(٣)]، وقالوا: إنَّ مكتشفاته لم تكن إلا خداعاً، وأنَّ تعاليمه تجديف وكفر بالله، ثمَّ قام الآب "ملشوار أنخوفر" وأعلن: أنَّ القول بحركة الأرض أسف ضروب الهرطقة، وأكبرها إثما، وأشدها في الدين قدحاً، وأقذعها قذفاً، وأنَّ ثبات الأرض معتقدٌ مقدسٌ ثلاثاً، وأنَّ البرهنة على فناء النفس الإنسانية، وعدم خلودها، وإنكار وجود الله، وامتناع التجسد أشياء يمكن أن نتسامح فيها، قبل أن يتسامح في أنَّ الأرض تتحرك، ولكن جاليليو استمر في الدفاع عن نظريته، ونشر رسالة بعنوان "المحاورة" فلاقت نجاحاً باهراً في سائر أوربا، فما كان من البابا "أوربان الثامن"[(٤)] إلى أن وضع جاليليو وكتابه بين يدي محكمة التفتيش، فقامت المحكمة بسجنه وتعذيبه، ثمَّ أجبر على أن يعلن جاثياً على ركبتيه الاعتراف الآتي:« أنا جاليلو، وفي السبعين من عمري، سجين جاثٍ على ركبتي، وبحضور فخامتك، وأمامي الكتاب المقدس الذي ألمسه الآن بيدي،

---

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة،أ.د محمود محمد مزروعة، ص: ٧٤ .

(٢) جاليليو: (١٥٦٤-١٦٤٢)، عالم ومكتشف في الرياضيات إيطالي، ولد في مدينة أرستري بفلورنسا، ودرس في جامعة "بيز"، ثم تخرج منها ثم درس بها مادة الرياضيات. انظر: المعجم الشامل للعلماء والمخترعين،ص:١٩٦ .

(٣) يقصد بهم العلماء الذين خضعوا للكنيسة الكاثولكية ولم ينشروا إلا ما وافق تعليمها – أو تعلياتها- .

(٤) أوربان الثامن: اسمه مايو بربريني تولى البابوية في الفترة (١٦٢٣-١٦٤٤م)، وتزامنت بابويته مع ترسيخ الملكية المطلقة في فرنسا، له ميول أدبية حيث كتب قصائد أدبية باللاتينية والإيطالية . انظر: معجم البابوات، خوان داثيو، ص:٢٥٢ .

أعلن أنِّي لا أشايع، بل ألعن واحتقر خطأ القول، وهرطقة الاعتقاد بأنَّ الأرض تدور»!![1].

وهكذا كان موقف الكنيسة من العلماء الذين اكتشفوا نظريات تخالف تعاليم الكنيسة، وهذا الموقف لم يكن موقفا فردياً وإنما كان منهجاً سلكته الكنيسة مع جميع المخالفين لها، وكان في ذروة تلك الحرب التي أعلنتها الكنيسة ضد المخالفين، ولاسيما العلماء ما جلل بالعار تاريخ أوربا كلها، وهو ما عُرِف بـ"محاكم التفتيش"، التي خصصت لتطبيق أقسى العقوبات بالمخالفين[2].

نتائج موقف الكنيسة على أوربا:

لقد جنت الكنيسة الكاثوليكية عل أتباعها، ثم على جميع الأوربيين في هذه الفترة الطويلة، في جميع المجالات، ولاسيما في المجال العلمي والفكري جنايةً كبرى، ومن أهم النتائج التي أدى إليها مسلكها التسلطي ما يأتي:

١ - بقاء أوربا في جهالةٍ كبيرة، ولاسيما في مجال البحث العلمي، فقد قامت الكنيسة بدور التجهيل المتعمد لأتباعها، مما أدى إلى تأخرها قروناً طويلةً عن ركب الحضارة، حتى استقر في نفوس النصارى أن:«السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم، وتقرر عند القوة قاعدة:"أن الجهالة أم التقوى"، وكثير من أهل الأديان مسيحيين ومسلمين لا يزالون يجرون على هذه القاعدة ببركة ما ورثوا عن أبناء الزمن الغابر، فحصروا التعليم في الأديار ومنعت الكنيسة أن ينشر التعليم بين العامة إلا ما كان دعوة إلى الصلاح، وتقرير الإيمان على وجه ظاهر، وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره»[3].

---

(١) بين الدين والعلم، أندرودكسون وايت، ص: ٧٩- ٨٠.

(٢) للاستزادة في موضوع محاكم التفتيش انظر كتاب: محاكم التفتيش، غي تستاس و جان تستاس .

(٣) الإسلام والنصرانية، ص:٤١ .

ولدينا هنا شهادةٌ هامةٌ تثبت جناية الكنيسة على الغرب ومسؤوليتها عن تخلفه في تلك القرون، حيث ذكرت الكاتبة النصرانية "هيلين إليربي: أنه: «كان للكنيسة المسيحية تأثير ضاغط مشابه على العلم والتعليم، فقد أحرقت الكنيسة كمياتٍ هائلةً من الكتب، ففي عام ٣٩١م، أحرق المسيحيون واحدةً من أعظم مكتبات العلم في الاسكندرية التي قيل بأنها احتوت على سبعمائة ألف مدرج مخطوط لقد جرى إحراق جميع الكتب الغنوصية العائدة لباسيليدس وكتب بورفيري اللتي كانت في ستةٍ وثلاثين مجلداً ومدارج البردي العائدة لسبع وعشرين مدرسة للتصوف ومائتين وسبعين وثيقة قديمة كان قد جمعها بطليموس فيلادلفوس وأُغلقت أكاديميات التعليم القديمة وصار التعليم بالنسبة إلى أي واحد خارج الكنيسة أمراً منتهيا، والثقافة القليلة التي بقيت خلال عصور الظلام بقيت حكراً على رجال اللاهوت، وقد اتخذ هؤلاء من قبل الملوك الأقوياء بمثابة وسيلة أمدتهم بإداريين قادرين ... وأدان غريغوري الكبير أيضاً التعليم وطالب بعدم تقديمه إلى المجتمع باستثناء رجال اللاهوت فقط؛ لأن تقديمه إلى المجتمع هو حماقة وشرور ومنع العلمانيين حتى من قراءة التوراة، وتولى أمر إحراق مكتبة أبولو البالاتيني خشية أن تضلل آدابها غير اللاهوتية المؤمنين وتبعدهم عن التفكير بالسموات»[1].

٢- الصراع المفتعل بين العلم والدين

كانت ردة فعل المجتمع الغربي ولاسيما العلماء نحو تسلط الكنيسة وطغيانها رداً عنيفا، فقد بدا العلم ينزع من أمامه أي قيمةٍ للدين، وبدأت البحوث العلمية، ومثلها النظريات والاكتشافات العلمية تصاغ صياغة بعيدةً عن أي تأثيرٍ للدين، فضخمت الحديث عن" السبب"، وتجاهلت التحدث عن "المسبب"، وأنكرت بطريقة غير مباشرة، وبطريقة مباشرة في بعض الأحيان القدرة الإلهية في حدوث الأشياء، وأصبحت البحوث التي تنسب الخلق أو التأثير إلى الله تعالى تبدو غيرعلمية، وغير

(١) الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، ص: ٦١.

منطقية. فاستقر بذلك أن الدين والعلم طريقان متوازيان لا لقاء بينهما، فمن أراد الدين فلابد أن يتخلى عن العلم، ومن أراد العلم فلابد أن يتخلى عن الدين.

وهذا الصراع المفتعل أدى في نهاية الأمر إلى النتيجة التالية، وهي الأثر الثالث من آثار ذلك الموقف.

٣- العداء بين الدين والعلم.

العلاقة بين الدين والعلم علاقة توائمٍ وتكامل، فلا يوجد تعارض - فضلا عن صراع أو عداء - بينهما في أي دينٍ صحيح، ولا حتى في منطق العقل السليم؛ لأن التدين وحب المعرفة والبحث عن الحقيقة غريزتان في فطرة كل إنسان، وفي الإسلام نجد أن الدين يحث على العلم ويرغب فيه، بل ويجعله فريضة عظيمة من فرائض الدين، وكذلك طلب العلم من أعظم أسباب التدين وزيادة الإيمان.

وهذا التكامل بينهما هو الذي صنع حضارةً عظيمةً على يد المسلمين في ذات الوقت الذي كانت فيه أوربا ترزح في عصور الظلام والتخلف.

والصراع الذي قام في أوربا لم يكن صراعاً بين الدين والعلم، ولا يمكن أن يكون كذلك، ولكنه واقع تسبب في صنعه الكنيسة، والعلماء على السواء، وان كان خطأ الكنيسة أكبر؛ لأنه هو الذي أشعل ذلك الصراع، وخلق مناخ الهيجان لدى الطرف المقابل وهم العلماء والفلاسفة.

فأما الكنيسة فكان بإمكانها أن تصحح موقفها وتراجع موروثها، وتُفرِّق بين ما كان من بقايا الدين الصحيح الذي لا يمكن أن يوصف بـ"الهرطقة" بحسب رؤية الكنيسة، وبين ما أضيف من التعاليم من قبل رجالها إلى الدين الصحيح، وإن كان هذا الرجوع من طرف الكنيسة كان يحمل شيئاً من الصعوبة؛ لأنه كان يلزم منه التراجع عن كثيرٍ من الإضافات البشرية، فكانت حاجتها إلى مراجعة دينها أولاً، ثم إعادة بناء الموقف الصحيح من العلماء بعد ذلك.

وأما خطأ العلماء الرئيس فكان عدم التفريق بين الدين الصحيح الذي لم تكن

الكنيسة تحمله في صورته الكاملة، والدين الذي تدعو إليه الكنيسة، ولذلك كان عليهم أن ينقدوا الدين الكنسي الإضافي، دون نقد الدين ذاته.

ولقد تنبه أحد كبار العلماء المعاصرين لهذة المغالطة الكبرى من العلماء، وهو العلامة "أبو الحسن الندوي"، حيث بيَّن موطن الخطأ في ثورة العلماء، وننقل هنا كلامه بنصه لأهميته، حيث قال:«وهنالك ثار المجددون المتنورون وعيل صبرهم، وأصبحوا حرباً لرجال الدين وممثلي الكنيسة والمحافظين على القديم، ومقتوا كل ما يتصل بهم ويُعزى إليهم، من عقيدة، وثقافة، وعلم، وأخلاق وآداب، وعادوا الدين المسيحي أولاً والدين المطلق ثانيا، واستحالت الحروب بين زعماء العلم والعقلية، وزعماء الدين المسيحي – وبلفظ أصح الديانة والبوليسية – حرباً بين العلم والدين مطلقا، وقرر الثائرون أن العلم والدين ضرتان لا تتصالحان وأن العقل والنظام الديني ضدان لا يجتمعان، فمن استقبل أحدهما استدبر الآخر ومن آمن بالأول كفر بالثاني، وإذا ذكروا الدين ذكروا تلك الدماء الزكية التي أريقت في سبيل العلم والتحقيق، وتلك النفوس البريئة التي ذهبت ضحية لقسوة القساوسة ووساوسهم، وتمثل لأعينهم وجوهٌ كالحةٌ عابسة، وجباهٌ مقطبة، وعيونٌ ترمي بالشرر، وصدورٌ ضيقةٌ حرجة، وعقولٌ سخيفةٌ بليدةٌ، فاشمأزت قلوبهم وآلوا على أنفسهم كراهة هؤلاء وكل ما يمثلونه، وتواصوا به، وجعلوه كلمةً باقيةً في أعقابهم»[1].

ثم بين رحمه الله أن هولاء الثائرين كانت أماهم فرصتان لتصحيح موقفهم: الأولى: التفريق بين الدين ورجاله الذين يحملونه، والثانية: النظر إلى حال المسلمين الذين عاش هؤلاء النصارى بجوارهم في أرض الأندلس، ورأوا منهم عن قرب التوافق والانسجام الكامل بين الدين والعلم، وقيام حضارة المسلمين بناءاً على ذلك، وهذه الفرصة الثانية اشترك في التفريط فيها الكنيسة والعلماء على السواء، وذلك لأسبابٍ كثيرة، لفت الانتباه إلى أهمها الندوي في حديثه، حيث قال:«لم يكن عند

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص: ١٧٦ – ١٧٧ .

هؤلاء الثائرين من الصبر والمثابرة على الدراسة والتفكير ومن الوداعة والهدوء، ومن العقل والاجتهاد ما يميزون به بين الدين ورجاله المحتكرين لزعامته، ويفرقون بين ما يرجع إلى الدين عن عهدة ومسؤلية، وما يرجع إلى الكنيسة من جمودٍ وجهلٍ واستبدادٍ وسوء تمثيل، فلا ينبذوا الدين نبذ النواة، ولكن الحفيظة، وشنآن رجال الدين، والاستعجال لم يسمح بالنظر في أمر الدين، والتريث في شأنه، كغالب الثوار في أكثر الأعصار والأمصار.

ولم يكن عندهم من صدق الطلب، والنصيحة لأنفسهم وأمتهم وسعة الصدر ما يحملهم على النظر في الدين الإسلامي الذي كان يدين به أممٌ معاصرةٌ لهم، الدين الذي يُخلِّصهم من هذه الأزمة ...ولكن حمية الجاهلية، والسدود التي أقامتها الحرب الصليبية بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي، ودعاية الكهنة ورجال الكنيسة ضد الإسلام وصاحب رسالته ﷺ، وعدم تجشم التعب والمطالعة، وقلة الحرص على النجاة الأخروية، والاهتمام بما بعد الموت، زد إلى ذلك تفريط المسلمين في التبشير الإسلامي[(١)] ونشر الإسلام في أوربا، كل ذلك منعهم من الرجوع إلى الدين الإسلامي والأخذ به في ساعةٍ كانوا يحتاجون إليه حاجة السليم إلى راق، والمسموم إلى ترياق»[(٢)].

---

(١) الأولى أن يقال: الدعوة إلى الإسلام، كما هو اللفظ الشرعي.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص: ١٧٧.

المبحث الثاني

أثر البابوية في ظهور العداء للدين

ويشتمل على مدخل ومطلبين:

- المطلب الأول: المذهب العلماني
- المطلب الثاني: الإلحاد.

* * * ** * * *

مدخـــل

كانت بداية نشأة العداء بين العلم والدين في أوربا بسبب شدة هجمة الكنيسة على العلماء في ذلك الوقت،ثم أصبح ذلك العداء سمة قام عليها الفكر الغربي، وكان ذلك العداء هو القاسم المشترك بين جميع المذاهب والتيارات والنظريات التي نشأت في ذلك الوقت[(١)].

ولأجل توضيح أثر الكنيسة علي المجتمع الأوربي فسنختار نموذجين لذلك.

النموذج الأول: المذهب العلماني.

النموذج الثاني: التيار الإلحادي.



(١) انظر: مذاهب فكربة معاصرة، أ.د.محمود مزروعة، ص:٥١ .

المطلب الأول: المذهب العلماني

كلمة العلمانية:

كلمة العلمانية هي الترجمة العربية العلمية (secularism)، وهي ترجمةٌ خاطئةٌ ومضللةٌ؛ لأنها توحي بانتسابها للعلم، وهي لا صلة لها به، كما يدل على ذلك أصلها الأوربي سواءاً في اللغة الانجليزية أو الفرنسية.

وأما الترجمة الصحيحة لهذه الكلمة فهي لا تخرج عن معنى الدنيوية أو اللادينية والمعنى الثاني أدق، بل هو المطابق للأصل الأوربي، ولأن الفكر العلماني الذي نشأ في أوربا قام على أساس نبذ الدين لا نبذ الدنيا فقط، وبناءاً على ذلك فيمكننا تعريف العلمانية بتعريف شامل، فنقول: هي إقامة الحياة على غير الدين(١)، وهذا التعريف أدق وأشمل من القول بأنها: فصل الدين عن الدولة.

نشأة العلمانية:

ظهرت العلمانية باعتبارها فكراً عندما بدأ الاتجاه في أوربا للأخذ بأسباب التقدم العلمي والمادي.

وكانت الغاية التي يسعى إليها ذلك التوجه هي الوصول إلى القوة المتفوقة، والسبق الصناعي، عن طريق الآلة الميكانيكية، وكان الدافع إلى ذلك السيطرة على الأسواق العالمية، وامتلاك الثروات العظمى في العالم والسيطرة على الشعوب، واستعبادها بنزعةٍ استعماريةٍ مستعلية(٢).

وعندما اتجه الغرب هذا الاتجاه اصطدم بجمود الكنيسة تجاه العلم، ومقاومتها للعلماء خاصة، وكان أمامه في هذه اللحظة أن يلتفت إلى الدين الحق الذي يمثله

---

(١) انظر: العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، د. سفر الحوالي، ص: ٢٤.

(٢) انظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ص: ٥٤.

الإسلام، الذي يمتلك مقومات النهضة، وأسباب التقدم المادي والحضاري، "نظريا" من خلال المباديء والمفاهيم الإسلامية،و"عمليا"، من خلال الحضارة الإسلامية القائمة على تلك الأسس والمباديء .

ولكن الغرب لم يخطُ هذه الخطوة - وذلك لأسباب كثيرة ليس هذا مجال بحثها-، ولكنه قام بمحاولة متدرجة لعزل الكنيسة عن مجالات الحياة المختلفة، ولاسيما في المجال العلمي، ثم بقية المجالات في المرحلة التالية ، ومن هنا بدأ الفكر العلماني في الظهور.

ومن خلال دراسة المناخ الذي نشأت فيه العلمانية، نجد أنه يتكون من ثلاثة عناصر تعتبر من أهم العوامل التي أدت إلى ظهورها:

الأول: طغيان الكنيسة ضد العلماء:

فطغيان الكنيسة ضد العلماء، والقيود الشديدة التي فرضتها عليهم، ابتداءاً من تحريم التفكير، والبحث العلمي إلا من خلال الكنيسة، وانتهاءاً بمحاكم التفتيش التي كانت بالمرصاد لكل من تسول له نفسه الخروج عن تعاليم الكنيسة، وكان الأمر الذي سارع بعجلة الاتجاه نحو العلمانية هو أن الدين الذي مارست بسببه الكنسية ذلك الطغيان كان في أغلبه فاسدا، وقد ظهر فساده لكثيرٍ من العلماء.

الثاني: فساد رجال الكنيسة ومؤسساتها:

كان فساد دين الكنيسة وطغيان رجالها شديداً على مفكري الغرب في ذلك الوقت، ولكن الذي زاد من شدة الأمر عليهم، هو فساد رجال الدين أنفسهم، وفساد رجال الدين وانحرافهم –وهم موضع الاقتداء والاحترام في أي مجتمع – نزع البقية الباقية من أثر الدين في نفوس الأتباع، فلم يعد الدين مما يؤسف على نبذه، وأصبحت مفارقته ليست أمرا هيناً عند الأتباع فحسب، بل أصبحت شرطاً لازما في طريق

النهضة المنشود[1].

الثالث: ظهور الفكر النقدي للكنيسة:

عندما زادت مفاسد الكنيسة ورجالها واشتد تسلطها على أتباعها، جنت على نفسها، واستجلبت عداوة أتباعها ، فكثرت الأصوات الناقدة لها، وكانت هذه الأصوات تأتيها من جهتين:

الأولى:من داخل الكنيسة:

وتمثل أصوات الذين أرادوا تغيير أوضاع الكنيسة وإنقاذها من مفاسدها، من أمثال: ويكلف، وهوس، ولوثر، وزوينجلي، وكالفن، وغيرهم، وهذه الأصوات وإن أرادت الإصلاح في الأصل إلا أنها ساهمت في كراهية الناس لرجال الدين، ثم للدين نفسه، بسبب ما أظهرته من العقائد، والطقوس الباطلة التي ابتدعتها البابوية وما أظهرته من فساد رؤساء الكنائس والأديرة وانصرافهم إلى الدنيا وملذاتها.

الثانية: من خارج الكنيسة:

وهي أصوات المفكرين الأحرار، الذين أخذوا ينددون بكل قبائح الكنيسة، وأخذت هذه الأصوات تجاهر بانتقادها للكنيسة شيئاً فشيئاً ، وتعرض وتحلل مشكلاتها، ثم تعرض رؤاها في التغيير من خلال المطالبة في صراحةٍ تامةٍ بفصل الدين - الدين نفسه وليس دين الكنيسة - عن الحياة، وأن ذلك هو السبيل الوحيد للنهضة التي تتوق أوربا لتحقيقها[2]. ومن الأمثلة لهذه الأصوات ما يأتي:

١ - الكتاب الموسوعيون الذين كتبوا دائرة المعارف، بزعامة "ديدرو"[3]،

---

(١) انظر: الإلحاد في الغرب، د. رمسيس عوض، ص:١١٥ .

(٢) انظر: موقف الاسلام والكنيسة من العلم ، ص: ١٤٩ .

(٣) ديدرو: اسمه دينس ديدرو مفكر فرنسي عاش في الفترة (١٧١٣-١٧٨٤م)، وظهر في عهده أعظم انتاج فكري عندهم وهو موسوعة دائرة المعارف، وهي عبارة عن جمع للمعارف المتناثرة =

وكانوا يناصبون الأديان عداوة عمياء [1] .

٢- الفيلسوف اليهودي الملحد "بنيتو دي إسبينوزا" [2]:

عاش في الفترة بين ١٦٣٢ - ١٦٧٧م، وتميز بنظرته النقدية تجاه الدين، وقام بإجراء محاولة للعثور على فلسفة يمكن أن تحل محل العقيدة الدينية، واستطاع أن ينشر كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة" دون الإفصاح عن اسمه، وأصبحت هذه الرسالة معلماً هاماً من معالم نقد ما يُسمَّى بالكتاب المقدس، وكان يتبنى إخضاع الكنيسة لسلطة الدولة، وأنَّه يجب أن يكون للدولة السلطة العليا في الشؤون الكنسية .

ومما جاء في رسالته: «ومن الخطورة على الدين وعلى الدولة على السواء إعطاء من يقومون بشؤون الدين الحق في إصدار القرارات أياً كانت أو التدخل في شؤون الدولة، وعلى العكس يكون الاستقرار أعظم إذا اقتصروا على الإجابة على الأسئلة المقدمة إليهم، والتزموا في أثناء ذلك بالتراث القديم الأكثر يقيناً والأوسع قبولاً بين الناس »[3].

وصورة العلمانية في هذا النص ظاهرة في منع رجال الدين من إصدار القرارات،

= لكافة العلوم والفنون والحرف، وظهر المجلد الأول منها عام ١٧٥١م، واشتملت على ٢٧٠٠٠ مادة، و٢٥٠٠صورة محفورة . انظر: عصر التنوير، ليود سبنسر وأندرزيجي كروز، ص:٧٠ .

(١) انظر العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة، د . سفر الحوالي: ١٦٩ .

(٢) إسبينوزا: فيلسوف مادي عقلاني وهو برتغالي من أصل يهودي، ولد في أمستردام عام ١٦٣٢، نشر في حياته كتابين الأول مبادىء الفلسفة الديكارتية والثاني رسالة في اللاهوت ولم يذكر عليه اسمه،ونشرت بقية مؤلفاته بعد وفاته، ومنها الأخلاق، البحث السياسي، إصلاح العقل، الرسائل، رسالة في النحو العبري، انظر: إسبينوزا والإسبينوزية، بيار فرنسوامورد، ص: ١٥- ١٨، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبدالوهاب المسيري: (١/ ٣٤٤)، موسوعة الفلسفة، د. عبدالرحمن بدوي: (١/ ١٣٦-١٤٤).

(٣) انظر: إسبينوزا والإسبينوزية، بيار - فرنسوا مورو، ص: ٧٣-٨١، والعلمانية، د.سفر الحوالي، ص:١٧١ .

ومنع التدخل في شؤون الدولة، وحصر مهمتهم في الإجابة على الأسئلة المقدمة إليهم.

٣- الفيلسوف الفرنسي ديكارت[١]:

نادى بأن للعقل ميدانه، وللدين ميدانه، وميدان العلم هو الطبيعة، وميدان الدين هو العالم الآخر[٢]، وبذلك افترض الصراع بين الدين والعلم أو الدين والعقل، ثمَّ رأى أن الحل يكمن في إزاحة الدين، واستبداله بالعقل أو العلم، وفي كلتا الحالتين فقد تمَّ إقصاء الدين عن الحياة .

٤- الفيلسوف الفرنسي فوليتير[٣]:

مات قبل الثورة الفرنسية بقليل، وهو الذي أشعل فتيلها، وأطلق على النصرانية لقب "الكائن الوضيع"، وله كتابٌ في الهجوم على الكنيسة بعنوان "مقبرة التعصب"، وصف فيه عقيدة النصارى بأنهَّا متناقضةٌ، سفاكةٌ للدماء، ينتصر لها الجلادون، وتحيط بها عصبة الأشرار، ولا يذعن لها إلا الذين أفادوا منها سطوةً أو ثراء[٤] .

وهكذا يتبين لنا أنَّ هؤلاء النقاد وغيرهم قد وجدوا من تسلط الكنيسة من جهة، ومن فساد رجالها، وتناقض عقائدها وشرائعها مادةً مناسبةً لإظهار انتقاداتهم، ومسوغاً – منطقياً – لمطالبتهم بعزل ذلك الدين عن الدولة، ثمَّ عن الحياة بعد ذلك .

---

(١) ديكارت: يعد رائد الفلسفة في العصر الحديث، ومبتكر الهندسة التحليلية، ولد في عام ١٥٩٥م في مدينة لاهيه غربي فرنسا، من أهم كتبه: " بحث في العالم" ولم ينشر إلا بعد وفاته، و"تأملات في الفلسفة" . انظر: موسوعة الفلسفة، د.عبدالرحمن بدوي: (١/ ٤٨٨-٤٩٨).

(٢) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، المستشار علي جريشة، ص:٦١ .

(٣) فوليتير: فيلسوف وشاعر فرنسي شهير عاش في الفترة (١٦٩٤-١٧٧٨م)، ولد في باريس، وكان معارضاً لتعصب الكنيسة الكاثوليكية، سجن في الباستيل بعد أن هجا الوصي على العرش الفرنسي، وفي أثناء سجنه قام بإعادة كتابة مسرحية (أوديب)، ونظم قصيدة عن الملك هنري الرابع . انظر: موسوعة الفلسفة، د. عبدالرحمن بدوي: (٢/ ٢٠١) .

(٤) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، المستشار علي جريشة، ص:٦١ .

ونـأتي الآن للتطبيقـات العملية للعلمانيـة، في أهـم مجـالات الحيـاة، ونـرى كيـف تقدمت، ولكن بعيدة عن أي أثر للدين .

المجال السياسي:

اعتنقت الدولة الرومانية الديانة النصرانية عقيدةً محرفة ومنفصلة عـن الـشريعة، حيث ظل القانون الروماني هو الذي يحكم سائر نواحي الحياة في تلك الدولة – إلا مـا كـان مـن تطبيـق بعـض أحكـام الـشريعة فـيما يتعلـق بـالأحوال الشخـصية –، وعـزل الشريعة عن مجالات الحياة المختلفة يعد من وجهة النظر الإسلامية علمانيةً كاملـة، وإن لم تكن هي الصورة التي استقرت عليها العلمانية في أوربا بعد ذلـك، ومـع وجـود هـذه العلمانية إلا أنَّه كان للشريعة بقية من الأثر في واقع الحياة حتى مجالها السياسي، ويتمثـل ذلك في السلوك الشخصي للحكام، الذي يقتضي الالتزام بكثير من الأخلاقيـات؛ لأنَّ ذلك مقتضى تدينهم بالنصرانية . ومن جهة أخرى، فـإنَّ البابـا ورجـال الـدين – وإن لم يحرصوا على تطبيق الشريعة حتى في المرحلة التي أمسكوا فيهـا بزمـام الـسلطة الزمنيـة على الأباطرة والحكام، وأعلنوا أن البابا له السيادة العليا والسلطان الأعظم عـلى جميـع (المسيحيين) حكاماً كانوا أو محكومين، وأنَّ من سلطتهم أن يخلعوا الملوك متـى مـا رأوا أنهَّم غير صالحين لتولي تلك المهمة، أقول: مع كـل تلـك الـسلطة التـي نالوهـا فـإنهَّم لم يسخروها ليحكموا أوربا بمقتضى شريعة التـوراة والإنجيـل، ولكـنَّهم اسـتغلوا ذلـك الـسلطان لإخـضاع الأبـاطرة لأهـوائهم ومـصالحهم الخاصـة، وكـان هـؤلاء الحكـام بمقتضى تدينهم – ولو في الظاهر – يخضعون لأوامر رجـال الـدين، ويعـدون أنفـسهم جنوداً لهم، ويلتزمون بالأخلاق الدينية التي تدعو إليها الكنيسة، لينـالوا رضـا هـؤلاء الباباوات، أو ليسلموا من الأذى من قبلهم .

هذه هي الصورة التي كانت عليها السياسة في القرون الوسطى، وهي مـا أُطلـق عليه بالحكم الديني "الثيوقراطي"، وإن كان في الحقيقة بعيداً كل البعد عن الحكـم بـما أنزل الله.

غير أنَّ هؤلاء الأباطرة وبسبب تزايد تسلط الكنيسة بدأوا ينفرون من ذلك السلطان القاهر، الذي تتدخل بموجبه الكنيسة في كافة شؤون الدولة وبدأوا – شيئاً فشيئاً – يتمردون عليه، بشتى السبل، وقد أسهم في تحقيق ذلك التمرد أمران:

الأول: المناخ العام في أوربا؛ حيث كان يعمَّ الوسط الأوربي - حكاماً ومحكومين - موجةٌ عارمةٌ من الغضب والاستياء من سلطان الكنيسة، مع تلهفٍ لتحقيق أي انتصارٍ يكسر كبرياءها، ويجرح كرامتها، ويعيد للشعوب المقهورة حقوقها المسلوبة، بل كرامتها المفقودة .

والثاني: ظهور النظريات الفكرية اللادينية؛ وهذه النظريات يجمعها العداء للدين، وإبعاده عن الحيز السياسي، حتى لا يصبح له أي أثرٍ فيه، وكان من أشهر تلك النظريات نظريتان هي:

١ - نظرية الحق الإلهي:

وخلاصة هذه النظرية أنَّ الملوك يرجعون إلى سلالةٍ عريقةٍ خاصةٍ أسمى من العنصر البشري، ومنهم من يعتقد أنهَّم من عنصر إلهي – كما هو الحال عند الرومان – ، وبناء على ذلك، فإنَّ للملك السلطة المطلقة على شعبه، وليس لأحدٍ عليه أدنى اعتراض .

وهذه النظرية وإن كانت قديمةً من حيث أصلها إلا أنَّ ثورة الكنيسة على الملوك كانت كفيلةً ببعثها من جديد، وقد أسهمت بشكلٍ كبيرٍ في ترسيخ مبدأ "فصل الدين عن الدولة" الذي هو أساس العلمانية، وعندما نبذ الحكام سلطة الكنيسة نبذوا معه الدين نفسه – دون تفريق بينه وبين دين الكنيسة – فأصبح الحاكم الأوربي يحكم بما يوافق هواه لا بما يوجبه دينه .

٢- نظرية ميكيافلي[(١)]:

كانت نظرية مكيافللي أشد النظريات خطورة، وأكثرها جرأة على الدين، وإعلاناً لاستبعاده عن السياسة، وهي تقوم -كما يراها صاحبها في كتابه "الأمير"- على ثلاثة أسس:

أ- الإنسان شرِّيرٌ بطبعه، ورغبة الخير عنده مصطنعةٌ لتحقيق غرضٍ نفعيٍّ بحت .

ب- الفصل التام بين الدين والسياسة، وبين الدين والأخلاق .

ج- إقرار مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة"، وهو لب هذه النظرية[(٢)] .

وقد تمكنت هذه النظرية من زحزحة الدين كلية عن المجال السياسي من جهتين:

الأولى: أنَّ السياسة لا علاقة لها بالدين أصلاً .

والثانية: أنَّ للسياسي أن يسلك في سبيل الوصول إلى غايته -غايته هو وليست مصلحة الشعب أو حتى الدولة- كل وسيلةٍ تؤدي إلى ذلك دون حرج .

ومن هنا لم يعد في استخدام الغش، والخداع، والكذب، وغيرها من الأخلاق المحرمة في التوراة والإنجيل أدنى حرجٍ ما دام أنهَّا تحقق للسياسي غايته، التي هي في

---

(١) مكيافيلي: اسمه نيقولا، ولد عام ١٤٦٩م في فلورنسا بإيطاليا، وألقي القبض عليه عام ١٥١٢م على يد عائلة ميدسي الحاكمة، ثم أُقصي عن الحياة العامة، وكان من أهم أعماله كتاب "الأمير" الذي فرغ منه عام ١٥١٣م، وشجب من البابوية، وتدور فكرته حول أنَّ الأمراء يجب ن يحتفظوا بالسلطة المطلقة على مقاطعاتهم مستخدمين كل وسيلة تحقق لهم ذلك . انظر مقدمة كتابه الأمير، ص:٥ .

(٢) الأمير، نيقولا مكيافيلي، هذه الأسس منقولة من مواضع متفرقة.انظر:ص٦١، ٦٢،٨١،٨٤، ٨٦، ٨٧ .

الحقيقة مصلحته الشخصية لا غير.

وبتلك النظرية وصلت السياسة إلى الفصل الكامل للدين عن مجالها، وتحققت العلمانية السياسية بصورتها الكاملة .

نتائج العلمانية السياسية على أوربا:

لم تقتصر آثار العلمانية السياسية على أوربا التي نشأت فيها فحسب، بل كان أثرها على العالم كله، فقد تم بسبب تطبيق النظريات العلمانية، ولاسيما نظرية ميكيافللي ارتكاب أبشع الجرائم التي عرفها التاريخ بحق البشرية، مع اعتقاد أصحابها أنهم يطبقون مبادىء صحيحة، ومن أشهر الأمثلة التاريخية على ذلك ما يأتي:

١- من أشهر القادة السياسيِّن الذين عرفهم التاريخ المعاصر قائدان:

الأول: بنيتوموسوليني[(١)]، الذي أسس النظام الفاشي في إيطاليا عام ١٩٢٠م الذي يتبنى العنف والقوة وتقوم نظريته على تفوق الدولة، وضرورة إجبار الفرد على الخضوع لمشيئتها طوعاً أو كرها، وأما وسائله؛ فهي قمع الحريَّات، وحق الدولة في التدخل في الحياة الأسرية والفكرية والدينية[(٢)] .

والثاني: أدولف هتلر[(٣)] الذي أسس الحزب الوطني الاشتراكي، ورفع شعار

---

(١) موسوليني: ولد في ٢٩يوليو عام ١٨٨٣م، في بلدة دوفيا، تولى قيادة الحزب الفاشي في إيطاليا، وقاد بلاده في حربها على ليبيا عام ١٩١١م، والحرب العالمية الثانية، وأعدم رمياً بالرصاص مع عشيقته كلارا في ٢٨ ابريل عام ١٩٤٥م . انظر: موسوليني أسطورة لا تريد أن تموت، احمد ناصيف، ص: ١٩-٢١ .

(٢) انظر: موسوعة الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين، موسى مخوِّل، ص: ٩٤-٩٥ .

(٣) هتلر: ولد عام ١٨٨٩م بقرية "برونو" النمساوية، وقاد انقلابا عسكرياً فاشلاً للإطاحة بالجمهورية الألمانية عام ١٩٢٣م، وحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات، وفي سجنه ألف كتابه المشهور "كفاحي" الذي يعد دستور النازية، مات منتحراً بمسدس أطلقه على نفسه، وانتحرت معه عشيقته "إيفا براون"بتناول السم، وكان ذلك عام ١٩٤٥م بعد محاصرته من الجيش الروسي =

"ألمانيا فوق الجميع"، والغاية التي كان يسعى القائدان لتحقيقها هي التجمع القومي والوطني، وقد استباحا باسم حركة التطهير، ووحدة الصف، والقضاء على الثورة قتل الآلاف، بل مئات الألوف من البشر لتحقيق تلك الغاية "المزعومة!".

٢- الحرب العالمية الأولى والثانية:

وقد شهدت تلك الحربين أفظع أنواع الظلم والعدوان من استخدام الغازات السامة، والقنابل المحرقة، والتدمير الجماعي، وقتل الأطفال والشيوخ والنساء دون تفريق، وتُوج ذلك العدوان بقنبلتي هيروشيما ونجازاكي، التي لا تزال آثارهما باقية إلى اليوم.

وكان من نتائج الحرب العالمية الأولى قتل حوالي عشرة ملايين نسمة، وموت خمسة ملايين نسمةً بسبب سوء التغذية والمجاعة والأوبئة التي واكبت الحرب، وخلفت الحرب عشرين مليون نسمةً من المصابين، والمعاقين، والمفقودين، والأرامل، واليتامى، وأما الحرب العالمية الثانية فقد خلفت خمسين مليون من المصابين [١].

وما يفعله كبار الساسة اليوم من العدوان الظالم على أغلب البلاد الإسلامية؛ كما في حرب العراق، ومساندة إسرائيل ضد الشعب المسلم في فلسطين، والتدخل في شؤون الدول، وفي سياستها الداخلية هو من هذا الباب، وأمَّا نتائجه، فمما لا يخفى على عاقل، وخلاصة ذلك: أنَّ هذه الجرائم والعدوان الآثم لم يعد في حس هؤلاء الساسة إثماً أو عدواناً، بل هو أمرٌ مشروعٌ ما دام أنَّه يحقق الغاية، بل هو نوعٌ من السياسة أو هو السياسة نفسها، وكان ذلك تطبيقاً للمكيافلية، التي أُبعد معها الدين عن المسرح السياسي بالكلية.

= انظر: كتاب كفاحي (قراءة جديدة في مذكرات هتلر ونهايته)، فريد الفالوجي.

(١) انظر للمزيد عن هذه الحرب: الحرب العالمية الأولى (قصة الأطماع ومأساة الصراع)، محمد بركات، ص:٢٤٧.

العلمانية في الاقتصاد:

كان النظام الاقتصادي السائد في أوربا في القرون الوسطى الإقطاع، القائم على الظلم المطلق، والمنظم بكل صوره، حيث ينقسم المجتمع إلى فئتين: الأولى: هي فئة السادة الإقطاعيين الذين يملكون الأرض والأموال الوفيرة، ولهم الحكم المطلق، إذ يشرعون ما يشاءون من الأحكام، ويبتدعون ما يرون من القوانين، مما يوافق أهوائهم ويحقق مصالحهم الخاصة، ويملأ خزائن أموالهم، ولذلك فإنَّ لهم كافة الحقوق وليس عليهم شيء من الواجبات، والفئة الثانية: هم العبيد، عبيد السيد، وعبيد الأرض، وهذه الفئة تخضع للأولى، وتلتزم بقوانينها، دون أن يكون لهم شيء من الحقوق إلا أجراً لا يبلغ حد الفتات، ولا يكفي لإقامة أدنى مستوى من الحياة الكريمة .

وفي هذه الحالة التي تعيشها الطبقة الكادحة، جاءت الكنيسة، ولكنَّها ارتكبت في حق تلك الطبقة المظلومة خطأين كبيرين:

الأول: من الناحية النظرية، وقفت الكنيسة لا لتنكر الظلم والطغيان، ولكن لتجعله القدر "الإلهي" الذي لا يجوز الاعتراض عليه، بل يجب الرضا به، واعتباره السبيل الوحيد إلى الخلاص، ونيل رضوان الله وجنته .

والثاني: من الناحية العملية، فقد انحازت الكنيسة إلى جانب رجال الإقطاع وساندتهم في ظلمهم، بل سعت لتكون أحد الإقطاعيين، وبالفعل أصبحت من كبار الإقطاعيين .

هذا الموقف المخزي من الكنيسة زاد مشاعر الحقد، وأجج موجات الغضب ضد الإقطاعيين الذين أصبحت الكنيسة في طليعتهم، ولم يكن لها في موقفها ضد الفلاحين أي عذر، وكانت النتيجة أن تحولت مشاعر الغضب والكراهية إلى الدين نفسه –الذي هو براء من كل مظالم الكنيسة، ومن هنا أصبح المناخ مناسباً لظهور العلمانية الاقتصادية، حيث كان لابد إزاء ذلك الوضع من البحث عن بديل، وقد كان البديل أشد سوءاً، وهو ما يتمثل في ظهور الرأسمالية، ثم الشيوعية .

وكان من أهم المباديء التي أخذ بهما كلا الاتجاهين، ودفعت بهما – على السواء – نحو اللادينية مبدأ ميكيافللي، الذي لم يعد محصوراً في نطاقه السياسي الذي ظهر فيه، بل أصبح عاماً في كل وسيلة وفي كل غاية .

يقول روبرت داونز في كتاب "كتب غيرت وجه العالم": «النظرية الأساسية في كتاب "ثروة الأمم" [(١)] نظرية ذات نزعة ميكيافللية، وهي أنَّ العامل الأول في نشاط الإنسان هو المصلحة الشخصية، وأن العمل على جمع الثروة ما هو إلا مظهر من مظاهرها، وبذلك قرر أنَّ الأنانية والمصلحة الشخصية تكمن وراء كل نشاطٍ للجنس البشري، وصارح الناس باعتقاده أنهَّا ليست صفاتاً ممقوتةً يجب الابتعاد عنها، وإنـَّما هي على العكس عوامل تحمل الخير إلى المجتمع برمته .. وإذا أريد توفير الرفاهية للأمَّة، فلابد من ترك كل فرد يستغل أقصى إمكانياته لتحسين مركزه بشكلٍ ثابتٍ منظمٍ دون تقيدٍ بأي قيود[(٢)] .

وبهذه النظرية ذات النزعة المكيافللية استطاع فيلسوف الرأسمالية أن يحرر المذهب الاقتصادي من كل قيد، بما في ذلك القيد الديني،الذي قامت النظرية في الأصل لإبعاده .

وكانت المحصلة النهائية لتلك النظرية، الإبعاد الكامل للقيم، والأخلاق التي تضبط سلوك الفرد والمجتمع، وهو ما يعني بعبارةٍ أدق إبعاد الدين – منبع القيم والأخلاق – عن المجال الاقتصادي، وهذه هي العلمانية الاقتصادية في صورتها الكاملة .

---

(١) الكتاب من تأليف: آدم سمث، الذي يعد عند الغرب أبو الرأسمالية وإمامها الفكري، عاش بين عامي (١٧٢٣-١٧٩٠)، درس بجامعة "جلاسجو"، ثم "أكسفورد"، ألف كتاب "نظرية العواطف الأخلاقية"، ثم كتاب "ثروة الأمم"، وقد أحدث كتابه ضجة كبيرة في أوربا .انظر: كتب غيرت العالم، روبرت. ب. داونز، ص:٧٠-٧٤ .

(٢) نقلاً عن: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص:٤٧٣- ٤٧٤ .

وأما الآثار الواقعية لتلك النظرية فهي – على سبيل الإجمال – تندرج تحت إباحة كل الوسائل – بما فيها الوسائل المحرمة – من أجل تحقيق الحصول على المال، وعلى التفصيل، كانت أهم تلك الآثار ما يأتي:

١ – إباحة الربا المحرم في التوراة بكل صوره، وهو الأمر الذي طالما تصدت له الكنيسة في قرونها السابقة .

٢ – أكل أموال العمَّال، وعدم إيفائهم حقوقهم .

٣– دفع الناس باتجاه شراء ما يدر على التجار الأموال الكثيرة، لا شراء ما يحتاجون إليه، وتقوم به حياتهم، مثل شراء الخمور والمخدرات، ونحوها، وهو ما كان يعبر عنه في ذلك الوقت بـ "حرية التجارة" .

٤ – إباحة الاحتكار بجميع صوره .

٥ – وكانت المحصلة لذلك هي الفوارق في الدخل بين أصحاب رؤوس الأموال وبين العمال إلى درجة التضخم، مما يعني بالتأكيد إعادة الطبقية بصورةٍ مختلفةٍ عنها في عهد الإقطاع، وبشكل أكثر حدة .

وأمَّا الفساد الخلقي الذي ينتج غالباً من الثراء الفاحش كما هو الحال في طبقة الرأسمالية الجديدة، أو يكون بسبب الفقر والحاجة، كما هو الحال لدى الطبقة الكادحة فأمر معلوم في كل مجتمع، ناهيك عمَّا يصاحب مثل هذه الأوضاع النابذة للدين، والمفرطة في الاتجاه المادي من أمراض العصر المعروفة من القلق، والاضطراب الذي يؤدي – عندهم – إلى الانتحار أو الجنون أو على الأقل الإغراق في شرب الخمور والمخدرات، وكذلك حدوث الجريمة، والتفكك، والانحلال الكامل .

كل هذا حدث في ظل المكيافيللية الرأسمالية، أمَّا صورة الأمر في ظل الشيوعية، فإنَّه – عند التحقيق – كان أشد سوءاً مما في الرأسمالية، فإنَّ الشيوعية وإن قامت بنزع الملكية الفردية للقضاء على الطبقة المستثمرة ذات رؤوس الأموال الكبيرة – كما تزعم ذلك – ولكنَّها أحلت محلها طبقةً جديدةً لا تختلف عن الأولى إلا في كونها على شكل

"حزب" بدلاً من الصورة السابقة، صورة "الأفراد"، ولكنَّ الإضافة الخطيرة هي أنَّ تلك الطبقة مع كونها المالكة التي تملك كل أموال الشعب ومقدراته كانت هي الطبقة الحاكمة والمتسلطة على الشعب بصورة لم يشهدها التاريخ من قبل، وقد أُبيح لها لتحقيق ذلك التسلط أن تحكم بالحديد والنار، وأصبحت الطبقة "البيروقراطية"[(١)] الشيوعية تستخدم جهاز الدولة ستاراً لتحقيق أهدافها الخاصة وبأعتى أساليب الظلم والقهر، حتى أصبح الطغيان والإرهاب الشيوعي هو الضمان لامتيازات الطبقة الحاكمة الجديدة .

لقد عاش الإنسان في ظل تلك الحكومة المستبدة منزوع الكرامة، وقد نزع منه حقه في التملك قبل ذلك، وأصبحت حياته مرهونةً بلقمة العيش أو قطعة الخبز التي تذيقه إياها الحكومة بعد أن تذيقه قبلها الذل وتسقيه الهوان .

العلمانية في العلم:

اتخذت الكنيسة من العلم موقفاً معادياً مشهوراً من أول لحظة، وقد اتخذ هذا العداء صورة الصراع الدائم، الذي بدأ ولم ينته بعد إلى اليوم، وقد فصلت الحديث عن ذلك.

ولكن لتسلسل الموضوع أقول: إنَّ الكنيسة قد حصرت العلم كله في دائرةٍ ضيقةٍ جداً، بحيث لا يخرج عن أمرين:

الأول: ما صدر عن الكنيسة ابتداءاً، والثاني: ما وافق آراء الكنيسة، ولم يخالفها – ولو أدنى مخالفة –، فآل العلم الصحيح والمقبول إلى الكنيسة ابتداءاً، وانتهاءاً، وما عدا ذلك فهو الهرطقة والكفر التي يستحق صاحبها – إذا لم يتب – أشد أنواع

---

(١) البيروقراطية: مصطلح يعني بشكل عام: سلطة المكتب، وبالمعنى الضيق يعتمد على مركزية السلطة في يد شخص أو جماعة من الموظفين الإداريين. انظر: معجم الأفكار والأعلام، ص:١٠٢ .

العذاب.

وبموجب هذه "النظرية الكنسية" بدأ صراع الكنيسة مع العلماء، ذلك الصراع المرير الذي لا يزال وصمة عارٍ وخزيٍ على جبينها إلى اليوم، وكان هذا الصراع هو البذرة الأساسية لظهور الفكر اللاديني، ولئن كان خطأ الكنيسة فادحاً في ابتداء ذلك الصراع، فإنَّ خطأ العلماء كان – باعتبار نتائجه – أشد فداحةً من خطأ الكنيسة نفسها؛ فقد انتهى ذلك الفكر – فيما يخص العلم – إلى إبعاد الدين من الحسابات العلمية تماماً، بل قاد ذلك إلى الإلحاد الصريح، وقد رأى العلماء أن دين الكنيسة هو العقبة الوحيدة أمام مشروع النهضة الذي ترنوا إليها، وكان الخيار الوحيد – من وجهة نظرهم – إبعاد الدين نهائياً عن المجال العلمي، وكانت تلك اللحظة بداية الاتجاه نحو العلمانية في مجال العلم .

وقد كثرت أصوات العلماء والمنتقدين للكنيسة، وكثرت إزاء ذلك اكتشافاتهم، وإنجازاتهم العلمية التي تكشف زيف الكنيسة، وخطأ تعاليمها يوماً بعد يوم .

وكانت تلك الاكتشافات والمنجزات التي أحرزها العلماء تدفعهم باتجاه الانتصار على الكنيسة، فقد أثبت العلماء للناس كافةً بطلان تعاليم الكنيسة في كثير من الأمور وكان من أهمها:

١ – القول بأنَّ الأرض مسطحة، وأنَّها مركز الكون .

٢ – القول بأنَّ "الكتاب المقدس" موحى به من الله .

٣– عقيدة التثليث .

٤ – عقيدة استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح – عليه السلام – ودمه .

وكان إعلان تلك النتائج مذهلاً للشعب وللكنيسة على السواء، ولكنَّه كان يرفع أسهم العلماء، ويدفعهم نحو المزيد من الانتصارات وقد أسهمت موجة الغضب العارمة في أوربا من جراء طغيان الكنيسة في جميع المجالات في إحراز هذا النصر .

وهنا أصبح الجو مهيئاً للعلماء، فأعلنوا نظريتهم "اللادينية"، وقالوا:

العلم وحده هو الحق، وهو مصدر النور، ومنبع الرفاهية، أمَّا الدين فجمود ورجعية، بل خرافات وأساطير .

وقالوا: إذا عُرضت مسألة، فليخرس الدين وينطق العلم .

وقالوا: الدين شيءٌ والعلم شيءٌ، ولا علاقة بينهما إلا التضاد، وإذا كان لابد أن يخضع أحدهما للآخر فليخضع الدين، ولتنطق كل حقائقه داخل المعامل والمختبرات، وإلا فلتسقط إلى الأبد .

وقالوا: إذا جاز لرجل أن يعتقد شيئاً من الدين – لدافع شخصي – فإنَّ عليه حين يدخل المعمل أن يترك بالباب معتقداته الدينية، ويستعيدها عند خروجه[1] .

وبهذا تحقق لهؤلاء العلماء فصل الدين عن الدولة، وقامت العلمانية في العلم .

مظاهر العلمانية في العلم:

وبعد أنَّ بينت الأسس التي قام عليها الفكر اللاديني في مجال العلم، انتقل إلى بيان أهم مظاهر تلك العلمانية، وألخصها في النقاط الآتية:

١ – مجرد ذكر اسم الله في البحث العلمي يعتبر كافياً، لإفساد الروح العلمية له، وإسقاط قيمته، وطرح كل النتائج التي توصل إليها البحث مهما كانت صحيحةً، وهذا هو غاية التعصب.

٢ – الاعتقاد بوجود الله – تعالى – وأنَّه الخالق، يخرج صاحبه من دائرة العلماء الذين يعتد بهم، ولو كانت آراء ذلك العالم صحيحةً بمقياس العلم .

٣– إنكار "الغائية" – أي إثبات غايات للأشياء - في البحوث العلمية، واعتبار القول بها منافٍ للروح العلمية، والغرض من هذا المبدأ الرد على الذين يثبتون أنَّ ما في

---

(١) انظر: العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة المعاصرة، د . سفر الحوالي، ص:(٣٣١-٣٣٢).

الكون من دقةٍ وحكمةٍ وإتقانٍ لابد وأن يدل على أنَّ له غاية، وينتهون في ذلك إلى إثبات وجود الله – تعالى –، فهذا المبدأ يفضي إلى إنكار وجود الله - تعالى -.

٤ - الاعتقاد بالثنائية الحتمية بين "الدين والعلم"، وأنَّ من أراد العلم فلابد أن يترك الدين، والعكس صحيح، وهذه الثنائية الغرض منها الإبعاد الكامل للدين عن مجالات العلم، وهذه الثنائية باطلةٌ من أصلها؛ لأنَّه لا تعارض بين العلم والدين بل كليهما – في الدين الصحيح – يحققان هدفاً واحداً للإنسان هو كمال العبودية لله تعالى، والعلم أعظم الطرق إلى الإيمان، وأكثرها تحقيقاً لخشية الله تعالى، ولذلك فالعلم في ميزان الإسلام عبادة، بل إنَّه من أعظم العبادات التي يحث عليها الدين، وقد يهون الأمر إذا علمنا أنَّ سبب هذا الانفصام "المفتعل" هو رد الفعل تجاه طغيان الكنيسة ليس إلا .

المطلب الثاني: الإلحاد

الإلحاد في اللغة يدل علي الميل، والعدول والجور والظلم، ولحد في الدين: مال وعدل وقيل لحد أي مال وجار، والملحد: العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه، وأصله الميل والعدول عن الشيء(١).

والمراد هنا: إنكار وجود الله، وأن كل ما في الوجود الأزلي مادي، ومادته أزلية، والنواميس الطبيعية نشأت على سبيل الصدفة والاتفاق، ويتضمن الكفر بالغيب والوحي والرسل والرسالات(٢).

والإلحاد بهذا المعنى لم يكن ظاهرةً بارزةً عبر التاريخ كله، وإنما كان حالةً فرديةً شاذة، فقد ذكر الباحثون صورتين من صور الإلحاد في القرون الماضية:

الصورة الأولى: ذكر بعض العلماء أن الدهريين كانوا ينكرون وجود الله، واستدلوا بالآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[الجاثية:٢٤] . ولكن هناك من ينازع في ذلك، ويرى أن الآية في إنكار البعث، وليست في إنكار وجود الله(٣).

الصورة الثانية: إنكار فرعون لوجود الله، كما اخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ [القصص:٣٨].

وعلى التسليم بذلك، يكون هذا الإنكار محمولاً على الإنكار مع الاعتراف القلبي بوجود الله، كما تدل على ذلك الآية الكريمة التي تحكي عن فرعون وأمثاله،

(١) لسان العرب، لابن منظور: (٨/ ٤٤-٤٥).

(٢) انظر: مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ص: ٦٠٥، مذاهب فكرية معاصرة محمود محمد مزروعة ، ص: ٢٦٤ ، كواشف زيوف، عبدالرحمن حبنكة الميداني ، ص: ٤٣٣.

(٣) يرى ذلك محمد قطب في كتاب مذاهب فكرية معاصرة ، ص:٦٠٥.

وهي قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤].

وأما وجود الإلحاد بوصفه ظاهرةً ذات تجمع بشري ومنهج مدعوم بمنظمات ودول فلم يعرف إلا في الوقت الحاضر(١).

وقد اكتسحت موجه الإلحاد أرجاء أوربا بصورةٍ مفزعةٍ وخطيرة؛ لأنه انتشر في وسط العلماء والمفكرين والفلاسفة، فكانوا أربابه والدعاة إليه، وهم في نفس الوقت قادة المجتمع وزعماؤه الذين يتلهف الناس لما تنتجه عقولهم، وتتوصل إليه قرائحهم، وهذا من أسباب سرعة انتشاره في المجتمع الغربي حتى قال جود - وهو أحد الفلاسفة في ذلك الوقت -: «لا أستطيع أن أعد أكثر من ستة من معارفي ممن أعدهم مؤمنين بالمسيح والمسيحية، في حين أستطيع أن أعد بسهوله أكثر من مائة من معارفي الملحدين»(٢)، مع العلم أن معارف هذا الفيلسوف هم الفلاسفة والعلماء وكبار المثقفين، ويقول أيضا:« أصبح من النادر أن تجد مثقفا متدينا، وأصبح الذي يذهبون إلى الكنيسة هم في الأغلب من الطاعنين في السن أو النساء غير المثقفات، وهم مع ذلك لا يزيدون عن العشر»(٣)، ويصرح اللورد هدلي: «أن خلو الكنائس يرجع إلى القفزات الجبارة التي قفزها العلم، والخطوات السريعة الواسعة التي خطتها الثقافة في العصر الحديث»(٤)، وهذه التصريحات في غاية الخطورة؛ لأنها تصدر من أعلى الطبقات الفكرية في المجتمع، وهم العلماء والمثقفون والفلاسفة، ولأنها تربط ربطاً واضحاً بين العلم والإلحاد، فكأن البوابة الكبرى الوحيدة للعلم في ذلك الوقت ليست إلا الإلحاد وإنكار وجود الخالق، وهذا يدلنا على أن المناخ والأسباب التي

---

(١) كواشف زيوف، ص: ٤٣٥.

(٢) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين، ص: ١١.

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

دفعت إلى هذه الموجة الجديدة والغير مسبوقة كان قوياً وكبيرا، وهو ما سنتحدث عنه فيما يأتي:

المناخ والأسباب التي دفعت إلى الإلحاد:

المناخ الذي ظهرت فيه موجه الإلحاد لا يختلف كثيراً عن المناخ الذي ظهرت فيه العلمانية، إلا أن عداء الملحدين كان أشد من حيث النتيجة، حيث بلغ الحد عند رواده إلى درجة إعلان إنكار وجود الله صراحة من أساسه، ولذلك فغاية الإلحاد هو اجتثاث الإيمان - الباقي - من أساسه.

وأما الأسباب التفصيلية التي أدت إلى موجه الإلحاد، فهي ذات الأسباب التي أدت إلى ظهور الفكر العلماني، ولكن هناك أسبابٌ إضافيةٌ أسهمت بشكلٍ كبيرٍ في ذلك ومن أهمها:

١- الميراث الوثني الجاهلي الذي عاد إليه الفكر الغربي عندما قرر رفض دين الكنسية، وكان هذا الميراث هو الميراث اليوناني الوثني القائم على النظرة المادية الكاملة فيما يتعلق بالكون والحياة والنفس.

٢- الاكتشافات الجديدة للعلماء.

كانت الاكتشافات الجديدة التي توصل إليها العلماء، ولاسيما الاكتشافات المتعلقة بقوانين الطبيعة، التي كشفت عن وجود أسبابٍ كامنةٍ وراء كل حدث، وأنه يمكن معرفة تلك الأسباب من خلال التجربة.

وعلى سبيل المثال توصل نيوتن [1] خلال مشاهداته إلى أن كل أجرام السماء

---

(١) نيوتن: السير إسحاق (١٦٤٢-١٧٢٧م)، فيزيائي وعالم رياضيات إنجليزي، ولد في مدينة وولستورب، وتوفي في مدينة لندن،ومن أهم إنجازاته اكتشاف قانون الجاذبية. انظر: المعجم الشامل للعلماء والمخترعين، ص:٥٢٨ .

مقيدةٌ بقوانين ثابتةٍ، وأنها تتحرك بموجب تلك القوانين[1].

وبعد إجراء مثل هذه الدراسات اتضح أن جميع وقائع الأرض والكون مقيدةٌ بنظامٍ واحدٍ معلوم، سُمِّي عند هؤلاء العلماء بقانون الطبيعة، وكانت الفتنة في هذا الاكتشاف اعتقاد العلماء - ربما بسبب طغيان الكنيسة وكراهية دينها - أن الكون الذي كان يُعتقد أنه يخضع لأحكام الإله إنما هو تابعٌ لقوانين مادية وطبيعية، وازداد العلماء والفلاسفة يقيناً بهذا الاعتقاد بعد استخدام تلك القوانين، وظهور بعض النتائج من خلال تجاربهم[2].

أحدث هذا الاكتشاف عند رواده ما يشبه الجنون، حتى قال الفيلسوف الألماني كانت[3]: «إئتوني بالمادة وسوف أعلمكم كيف يخلق الكون منها»، وأعلن الفيلسوف هيجل[4]: « إنني أستطيع خلق الإنسان لو توفر لي الماء والمواد الكيماوية والوقت»،

---

(١) انظر: الدين في مواجهة العلم. وحيد الدين خان ، ص: ٦٣.

(٢) انظر: المصدر نفسه ، ص: ٦٤ .

(٣) كانت: من أعظم فلاسفة العصر الحديث، ولد في مدينة كينجسبرج في بروسيا الشرقية عام ١٧٢٤م، التحق بجامعة كينجسبرج عام ١٧٤٠م، وفي عام ١٧٥٥م عين مدرسا بالجامعة، ودرس المنطق والميتافيزيقا والرياضيات وغيرها، وفي عام ١٧٨٠م عين عضواً في مجلس الشيوخ الأكاديمي، ثم عضواً في الأكاديمية الملكية للعلوم في برلين، ثم عميداً لكلية الآداب بالأكاديمية ثم مديرا لها، وتوفي عام ١٨٠٤م، وكان ذا نزعة عقلية تامة، من كتبه المهمة، "البرهان الممكن الوحيد لإثبات وجود الله"، و"بحث في وضوح مبادىء اللاهوت الطبيعي والأخلاق"، و"نحو سلام دائم محاولة فلسفية". انظر: موسوعة الفلسفة، د. عبدالرحمن بدوي: (٢/ ٢٦٩).

(٤) هيجل: نشأ من أسرة ترجع إلى أصول نمساوية، ولد في اشتجرت بمقاطعة " فورتمبرج"، عام ١٧٧٠م، ودرس في معهد " توبنجن" البروتستانتي، تأثر بزعماء التنوير، وأنشأ ناديا يعمل لبث مبادىء الثورة الفرنسية، اهتم بالسياسة والفلسفة، ومن أهم كتبه "فلسفة التاريخ"، و"تاريخ الفلسفة" و"فلسفة الدين"، و"علم الجمال". انظر المصدر نفسه:(٢/ ٥٧٠-٥٧٥).

وأخيرا: صرح نيتشه[1]: «لقد مات الإله الآن».

وهكذا انتهت دراسات هؤلاء العلماء عند حد "السبب" ولم يتوصلوا - ربما بسبب المناخ الذي عاشوا فيه - إلى المُسبِب فوقعوا في الإلحاد، ولو أنهم تخلصوا من تأثير ذلك المناخ الذي عاشوا فيه، ودرسوا بمنهجية، وتحلوا بالتجرد لكان العلم الذي وصلوا إليه أعظم دليلٍ على وجود الله وقدرته على كل شي.

وكانت نهاية هذه الاكتشافات اعتقاد العلماء أن الحاجة إلى افتراض وجود إلهٍ أو قوى ما فوق الطبيعة قد انتهت الآن، حتى قال هكسلي[2]: «إذا كان قوس قزح هو انعكاس الأشعة الشمسية على المطر، فالباطل كليا أن نقول: إن "قوس قزح" آيةٌ من آيات الله في السماء.. إذا كانت الوقائع نتيجةً لعللٍ طبيعيةٍ فهي بالطبع ليست نتيجةً لعلل ما فوق الطبيعة»[3].

٣- دور اليهود.

اشتهر عن اليهود أنهم يستغلون الأحداث ولا يصنعونها، وهذا ليس على إطلاقه.

فقد وصفهم الله تعالى بالإفساد، وهو عمل، وليس مجرد استغلال، وقد دلت الأحداث التاريخية على دورهم الواضح في دفع العلماء والفلاسفة نحو الإلحاد أولاً، ثم نشر الإلحاد في المجتمع الغربي بوسائل عديدة ثانيا.

---

(١) نيتشه: فيلسوف ألماني، من أعظم الفلاسفة في القرن العشرين، ولد في ريكن بمقاطعة سكسونيا، ثم درس بجامعة "بون"، وكان يرى أن الإنسانية قد عاشت حتى الآن على عبادة أصنام في الأخلاق، والسياسة، والفلسفة، ورأى أن مهمته هي الكشف عن هذه الأصنام وتحطيمها. انظر: المصدر نفسه: (٢/ ٥٠٨-٥١٠).

(٢) هكسلي: (١٨٩٤-١٩٦٣)، أديب إنجليزي وناقد اجتماعي تميز بأسلوبه الساخر اللاذع، واشتهر بكتابه"أروع العوالم" في العلوم الخيالية. انظر: معجم اللغة والأعلام، ص:٥٩٦ .

(٣) الدين في مواجهة العلم ص: ٦٥ .

ومن أهم الشواهد على ذلك أن كثيراً من المذاهب والنظريات الإلحادية أصحابها هم من اليهود - كما سيأتي بعض الأمثلة على ذلك - وقد صرحت البروتوكولات المنسوبة إليهم بأن الإلحاد هو أحد أهدافهم، حيث جاء في البروتوكول الرابع: «من المحتم علينا أن ننسف الدين كله، لنمزق من أذهان الغوييم[1] المبدأ القائل بأن هناك إلها ربا، وروحاً، ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحاجات المادية»[2].

مجالات الإلحاد:

انتشرت موجه الإلحاد في شتى مجالات الحياة الأوربية، وكان رواد الإلحاد هم الفلاسفة والعلماء والمثقفون، وسنذكر في هذا المقام أهم المجالات التي ظهر فيها الإلحاد، ومن الأمثلة على ذلك:

أولا: الإلحاد في المجال العلمي:

كان مجال البحث العلمي أخصب المجالات التي تغلغل فيها الإلحاد، وضرب فيها بأطنابه، وكان من طلائع النهضة العلمية، ما عرف بالموسوعات ودوائر المعارف العلمية، ومنها دائرة المعارف الإنسانية، حيث قال محرروها تحت اسم الدين:« وبجانب المؤثرات الأخرى التي ساعدت في خلق الدين فإن إسهام الأحوال السياسية والمدنية عظيمٌ جداً في هذا المجال، لقد خلق العقلُ الإنساني الدين، وأتم خلقه في حالة جهل الإنسان وعجزه عن مواجهة القوة الخارجية»[3].

وفي هذا السياق، صرح هكسلي بقوله: «فالدين نتيجةٌ لتعاملٍ خاصٍ بين

---

(١) أي الأمم غير اليهود.

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون. فيكتور مارسدن، ص: ٢٦٦-٢٦٧ .

(٣) نقلا عن: الإلحاد وآثاره على الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق، ص: ١١٦ (غير مطبوعة رسالة ماجستير من جامعة الملك عبدالعزيز).

الإنسان وبيئته»[١]، وقال أيضا: «إن هذه البيئة قد فات أوانها أو كاد، وقد كانت هي المسئولة عن هذا التعامل، فأما بعد فنائها، وانتهاء التعامل معها فلا داعي للدين... لقد اخترع الإنسان قوة وراء الطبيعة لتحمل عبء الدين، جاء بالسحر، ثم العمليات الروحية، ثم بالعقيدة الإلهية، حتى اخترع فكرة "الإله الواحد"، وقد وصل الدين بهذه التطورات إلى آخر مراحل حياته، ولا شك أن هذه العقائد كانت في وقت ما جزءاً مفيداً من حضارتنا، بيد أن هذه الأجزاء قد فقدت اليوم ضرورتها» [٢].

وهذه النصوص تبين نظرة الملحدين إلى الدين، وأنه:

١- خلقه العقل في فترة ضعف الإنسان وعجزه.

٢- نتيجةُ تعاملٍ خاصٍ بين الإنسان وبيئته.

٣- هذه البيئة قد فات أوانها ولا داعي لها الآن.

٤- فكرة الإله مخترعة، ثم تطورت، والآن قد انتهت.

٥- الدين كان مفيداً للحضارة في السابق، أما اليوم فلم يعد له ضرورة.

وهذا يدل على انسلاخٍ كاملٍ من الدين وتحررٍ من عقيدة الألوهية.

ثانياً: مجال علم النفس:

يعتبر الطبيب النمساوي "فرويد" من رواد علم النفس عند الغرب، ويدعي هذا العالم أن العقل الإنساني مركب من شيئين هما:(الشعور): وهو مركز الأفكار التي تخطر على قلوبنا في ظروف عادية، و(اللاشعور): وهو مخزن الأفكار التي مرت بنا ونسيناها، ولا تظهر إلا في أحوال غير عادية، كالجنون ، والهستيريا، والقسم الثاني أكبر بكثير من الأول.

---

(١) المصدرالسابق، والصفحة نفسها.

(٢) كتاب الإسلام يتحدى: وحيد الدين خان، ص: ٣٨-٣٩ .

وقد اكتشف فرويد بعد جهد طويل أن اللاشعور قد يقبل أفكاراً في الطفولة وتؤدي إلى أعمالٍ غير عقلية، وهذا ما يحدث بالنسبة إلى العقائد الدينية، فإن فكرة الجحيم والجنة ترجع إلى صدى الأماني التي تنشأ لدى الإنسان إبان طفولته، ولكن لم تسمح له الفرصة لتحقيقها، فتبقى دفينةً في اللاشعور، ثم يفرض اللاشعور بدوره حياة أخرى يتيسر له فيها تحصيل ما كان يتمناه، شأن الرجل الذي لا يظفر بما يحب في الواقع فيحصله في المنام[١].

وهكذا ينكر فرويد حقائق الدين،ويعتبرها مجرد خيال في اللاشعور،ولا حقيقية لها في الواقع،كحال الأماني التي لا تعيش إلا في رؤوس أصحابها، ويمكن بناءاً على ذلك قياس جميع الحقائق الدينية، بما فيها الدين نفسه، وهذه هو مراد هذه النظرية الإلحادية.

ثالثاً: مجال علم الاجتماع:

يعتبر "دور كايم" أحد علماء الاجتماع، ويرى هذا العالم، كما في كتابه "قواعد المنهج" أن التدين ليس فطرياً في الإنسان ولا الأخلاق، فلا يصلح إذاً أن تكون قواعد الدين دستوراً للمجتمع[٢].

وقد صرح بذلك في أسطورة العقل الجمعي، فقال:«... ومن هذا القبيل أن بعض هؤلاء العلماء يقبل بوجود عاطفة دينية فطرية لدى الإنسان، وبأن هذا الأخير مزود بحد أدنى من الغيرة الجنسية، والبر بالوالدين، ومحبة الأبناء وغير ذلك من العواطف...،ولكن التاريخ يوقفنا على أن هذه النزعات ليست فطرية في الإنسان ....، ومن ثم فليس من الممكن تبعاً لهذا الرأي، أن تصبح مجموعة القواعد الخلقية التي لا

---

(١) الإسلام يتحدي – مدخل علمي إلى الإيمان. وحيد الدين خان، ص: ١٤.

(٢) انظر: التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ، ص: ٥٧ .

وجود لها في ذاتها موضعاً لعلم الأخلاق»[1]، وهذا التصريح يؤكد أن الدين عنده ليس أمراً فطريا، وكذلك الزواج، والأسرة، والقواعد الخلقية لا وجود لها في ذاتها، وإنكار هذه الحقائق هو الغاية التي يسعى إليها الإلحاد.

رابعاً: علم ما يسمى بـ "مقارنة الأديان":

نختم جولتنا في استعراض مجالات الإلحاد من خلال العلم الذي اطلق عليه "مقارنة الأديان"، حيث يرى أصحاب هذا العلم «أن القضايا الدينية، وُجِدت لأسبابٍ تاريخيةٍ أحاطت بالإنسان، فلم يكن في استطاعته أن يفلت من السيول، والأعاصير، والطوفان والزلازل، والأمراض، فأوجد قوى فرضية يستغيثها لتنفذه من البلايا النازلة، وهكذا ظهرت الحاجة إلى شئ يجتمع الناس حوله ولا يتفرقون فاستغل اسم "الإله" الذي تفوق قوته قوة الإنسان ويهرع إليه الجميع لرضاه»[2].وهكذا تعتبر نظرية علم مقارنة الأديان أن الدين مجرد افتراض أوجده الإنسان،لإنقاذه من الرزايا، ثم أطلق على هذه القوة الافتراضية اسم الإله. وهذا يعني أن الإله لا وجود له عند هؤلاء الملحدين.

التدين فطرة في الإنسان:

ليس غرضنا مناقشة نظريات الملحدين في هذا المقام، وإنما الاستشهاد بها على أثر اضطهاد الكنسية للعلماء والفلاسفة، وأن ذلك أدى بهم إلى الإلحاد الكامل وإنكار وجود الله تعالى، وخاصة أن أكثر هؤلاء الفلاسفة الذين كفروا بالدين بعد أن كفروا بالكنسية كانوا هم من النصارى[3]، وأنهم تحولوا إلى الإلحاد بسبب شدة بطش الكنيسة .

---

(١) قواعد المنهج، دور كايم، نقلا عن كتاب الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية ، ص: ١٦٥ .

(٢) الدين. د. محمد عبدالله دراز،ص،: ١١٤ ، علم النفس الحديث ، سارجت ، ص: ٥٣ .

(٣) انظر: أفكار ورجال ، ص: ٢٠٧.

ولكننا هنا سنشير إلي قضيتين مهمتين:

الأولى: إن الدين فطرةٌ وليس أمراً طارئا، وأن الإلحاد هو الأمر الطاريء على البشرية.

الثانية: أقوال علماء الغرب أنفسهم في إثبات هذه الحقيقة.

وسيكون الحديث عن هاتين القضيتين من خلال الحديث عن القرن التاسع عشر الذي ظهر فيه الإلحاد وانتشر في أوربا.

صرح الملاحدة في مختلف علومهم أن التدين طاريء على البشرية، وأن الإلحاد هو الفطرة الكامنة في الكيان الإنساني، ولذا ذهب كتَّاب القرن الثامن عشر الذين مهدوا للثورة الفرنسية إلى أن الديانات والقوانين ما هي إلا منظماتٌ مستحدثةٌ وأعراضٌ طارئةٌ على البشرية، حتى قال فولتير: «إن الإنسانية لا بد أن تكون قد عاشت قروناً متطاولة في حياة مادية خالصة، قوامها الحرث، النحت، والبناء، والحدادة والتجارة، قبل أن يفكر في مسائل الديانات والروحانيات، بل قال: إن فكرة التدين إنما اخترعها دهاة ماكرون، من الكهنة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء»(١)، وكذلك كان نظر (جان جاك روسو) (٢) إلى فكرة التدين والقانون، حيث ظن أنها ليست إلا قيمة وضعية تحكمية، وفسر ذلك بقوله: «إن الأفراد الذين سبقوا إلى وضع أيديهم على بعض مساحات من الأرض حدا بهم جشعهم وحرصهم على المحافظة على ملكيتهم، إلى أن يأتمروا فيما بينهم على وضع

---

(١) انظر: الإلحاد وآثاره على الحياة الأوربية، ص: ١٢١ .

(٢) جان جاك روسو: فيلسوف فرنسي شهير، عاش في الفترة بين (١٧١٢ – ١٧٧٨م)، ولد في جنيف وكان ناقداً عميقاً للمجتمع السياسي الذي يهدف إلى تقنين الطبقية، ألف كتاب "العقد الاجتماعي" بهدف الإصلاح للمجتمع السياسي، وهو جزء من كتاب أكبر اسمه المؤسسات السياسية ولكنه لم يتمه . انظر: روسو، ديف روبتسون وأوسكارزاريت، ص: ١٤، ٨٧، ١٦٥، مع حاشية المترجم .

تلك النظم والقوانين، ليخدعوا بها الجمهور ويضللوا بها الفقراء فالتدين عند هؤلاء المادين العصريين نقيض للعلم، فهما ضدان لا يجتمعان، لماذا؟ لأنهم قصروا الكون على المحسوسات وأنكروا ما وراء الطبيعة جملة وتفصيلا فلا روح ولا خلود ولا الملائكة ولا الشيطان ولا الغيب ولا الجنة ولا النار، بل إن هذا الوجود لا يحتاج إلى خالق»[١].

ولكن لم ينقض القرن الثامن عشر نفسه حتى ظهر خطأ هذه المزاعم، حيث كثرت الرحلات إلى خارج أوربا، واكتشفت العوائد والعقائد والأساطير المختلفة وتبين من مقارنتها أن فكرة التدين فكرة مشاعة لم تخل عنها أمة من الأمم في القديم والحديث، رغم تفاوتهم في مدارج الرقي ودرجات البيهيمة.. وهكذا ظهر أن التدين أقدم في المجتمعات من كل حضارة إلحادية كما ظهر أن الإلحاد لم يكن معروفا إلا عند عدد قليل جداً. وأما الباحث هنري برجسون فزاد على ذلك بقوله: لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة.

ويقول الدكتور "ماكس نوردوه" عن الشعور الديني: هذا الإحساس أصيلٌ يجده الإنسان غير المتمدن، كما يجده أعلى الناس تفكيراً، وأعظمهم حدسا.. وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية، وستتطور بتطورها وستتجاوب دائما مع درجة الثقافة العقلية التي تبلغها الجماعة. ويقول آرنست رينان في تاريخ الأديان: إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة.. ولكن يستحيل أن يمحى التدين.. بل سيبقى»[٢].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص:١٢٢ .

(٢) انظر: المصدر السابق، ص:١٢٦ .

خلاصة:

يتبين لنا مما سبق أن التدين هو الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها وأن الإلحاد هو الطاريء عليها، وأن السبب الأكبر في ظهوره ثم انتشاره بعد ذلك في أرجاء أوربا هو موقف الكنيسة الغربية الذي تزعمته البابوية من العلم والعلماء. وهذا يوضح الأثر الكبير للبابوية على المجتمع الأوربي في جميع المجالات ولاسيما المجال العلمي.



الباب الثاني

الباب الثاني

البطريركية عند الأرثوذكس

وفيه ثلاثة فصول وهي:

۞ الفصل الأول: حقيقة البطريركية عند الأرثوذكس والفرق بينها وبين البابوية عند الكاثوليك.

۞ الفصل الثاني: نشأة البطريركيات في المشرق، وأصولها، وخصائصها.

۞ الفصل الثالث: آثار البطريركيات الأرثوذكسية.

الفصل الأول

حقيقة البطريركية عند الأرثوذكس

والفرق بينها وبين البابوية عند الكاثوليك

وفيه ثلاثة مباحث : -

* المبحث الأول: التعريف بالأرثوذكس.
* المبحث الثاني: تاريخ الأرثوذكس.
* المبحث الثالث: الفرق بين الأرثوذكس والكاثوليك، والفرق بين الأرثوذكس أنفسهم.

* * * ** * * *

المبحث الأول

التعريف بالأرثوذكس

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: التعريف بالأرثوذكس.
- المطلب الثاني: من يطلق عليهم الأرثوذكس.

* * * ** * * *

المطلب الأول: التعريف بالأرثوذكس

معنى كلمة "أرثوذكس":

كلمة أرثوذكس كلمة يونانية الأصل، تتكون من مفردتين، (أرثوس)، وتعني القويم أو السليم، و (ذكسا)، وتعني الرأي أو المعتقد، وهذه اللفظة تدور حول المعاني التالية:

١- الرأي الحق أو الصواب.

٢- الرأي المتعارف عليه، أي الذي تسير عليه أغلبية الناس.

٣- الذي لا يغامر بتطبيق أفكار جديدة، ويتبع القواعد التقليدية.

والقول الأول هو المعنى الشائع للأرثوذكس(١).

المعنى الاصطلاحي:

يعرِّف تيموني وير(٢)، الأرثوذكسية بأنها:«عائلةٌ من الكنائس التي تحكم نفسها، وتستمد وحدتها، ليس من منظمةٍ مركزية، وليس من سلطة حبرٍ له على المجموع صلاحيةٌ مطلقة، بل من صلةٍ مزدوجةٍ من الوحدة في العقيدة، والمشاركة في الأسرار، وكل كنيسةٍ مع كونها متصلةً، متفقةً كل الاتفاق مع سائر الكنائس الأخرى حول كافة مسائل العقيدة، وتوجد فيما بينها مشاركةٌ تامةٌ في الأسرار، وليس في الكنيسة

---

(١) انظر: الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، القس ابراهيم عبدالسيد، ص: ٥-٦، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم. سعد رستم، ص: ٤٧.

(٢) إنجيليكاني انتقل إلى الأرثوذكسية في سن الرشد ورسم كاهنا باسم الأب كاليستوس، وهو أستاذ جامعي في جامعة إكسفورد له مؤلفات عدة من أهمها: الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، الكنسية الأرذوكسية إيمان وعقيدة. انظر: الكنيسة الأرذوكسية، غلاف الكتاب.

الأرثوذكسية مركز مساوٍ لمركز البابا في الكنيسة الكاثوليكية»[1].

والكنيسة الأرثوذكسية تؤمن بالمجامع المسكونية السبعة الأولى فقط، وترفض بقية المجامع، كما ترفض الاتحاد مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، والسلطة المطلقة للبابا الروماني[2].

وترى أنها حافظت على المعتقد الصحيح، كما تسلمته من الرسل، وكما صورته المجامع المسكونية الأولى،ولذلك تصف نفسها بأنها: "الكنيسة الأرثوذكسية الكاثوليكية"، أو "الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة"، أو "الكنيسة الأرثوذكسية الكاثوليكية في الشرق"، ولكن الإسم الأكثر إيجازاً هو "الكنيسة الأرثوذكسية"[3].

ومن خلال هذه القيود والصفات التي اشتمل عليها التعريف نجد أن الكنيسة الأرثوذكسية تميز نفسها عمن تعدهم من الهراطقة، وهم الكاثوليك الذين خرجوا في نظرهم عن المعتقد الصحيح بما أضافوه من البدع، وفرضوه من السلطة المطلقة للبابا الروماني، ولذلك فإن هذا المصطلح أصبح حصراً عليهم بعد الانشقاق الكنسي الثاني الذي وقع عام ١٥٤٠م، وفصل جسم المسيحية إلى نصفين: غربي لاتيني أطلق عليهم الكاثوليك، وشرقي يوناني أطلق عليهم الأرثوذكس.



(١) الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص: ١٨ .

(٢) انظر: المجمل في تاريخ الكنيسة، ص: ٣ .

(٣) الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص: ١٩-٢٠، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، ص:٤٨.

المطلب الثاني: من يطلق عليهم الأرثوذكس

مصطلح الأرثوذكس يطلق في العصر الحاضر على أسرتين كبيرتين، هما:

١- الكنائس الشرقية غير الخلقدونية.

وهي الكنائس التي رفضت قرارات مجمع خلقدونية الذي عقد عام ٤٥١م، وتضم هذه الأسرة، الكنيسة الأرمنية، والكنيسة السريانية، والكنيسة القبطية في مصر وهم الذين يسمون باليعاقبة أصحاب الطبيعة الواحدة الإلهية للمسيح عليه السلام، وإثيوبيا وأرتيريا وكذلك الكلدان(الآشوريين)، والملباريين (في الهند)، وهم الذين يطلق عليهم النساطرة، المعتقدين بوجود أقنومين في السيد المسيح، بحسب تعاليم نسطوريوس، وهذه الكنائس انفصلت مبكراً عن الكنيسة الجامعة في القرن الخامس الميلادي.

٢- الكنائس الخلقدونية:

وهي التي تعترف بالمجمع الخلقدوني، وبقيت متحدة مع الكنيسة الغربية الكاثوليكية حتى تم الانفصال النهائي عن الغرب في عام ١٠٥٤م، نتيجة أسبابٍ مختلفةٍ منها الديني، والسياسي، وغيرهما[1].

والأرثوذكس وإن كانت تجمعهم مجموعة من الروابط المشتركة، الدينية، وغيرها، إلا أنهم في الحقيقة كنائس مستقلة استقلالا تاماً في إداراتها الداخلية وشؤونها العامة، وهم على التفصيل ينقسمون إلى أربع مجموعات:

١- البطريركيات القديمة الأربع: وتشتمل على القسطنطينية، الإسكندرية، أنطاكيا، أورشليم.

---

(١) انظر: المجمل في تاريخ الكنيسة، ص: ٣-٤، الفرق والمذاهب المسيحية، ٤٨، الكنيسة الارثوذكسية في الماضي والحاضر، ص ١٤.

٢- إحدى عشرة كنيسة مستقلة:

وهي روسيا، رومانيا، الصرب، اليونان، بلغاريا، جيورجيا، قبرص، بولونيا، ألبانيا، تشيكو سلوفاكيا، سيناء.

٣- كنائس مستقلة ذاتيا، استقلالاً غير تام، وهي الكنائس التي تحكم نفسها بنفسها من مدة، ولم تستقل استقلالاً تاما، وهي الكنائس الموجودة في كلٍّ من فنلندا، اليابان، الصين.

٤-أبرشيات[١] في الخارج تتبع إحدى الكنائس المستقلة. وهي الأبرشيات الموجودة في أوربا الغربية، وأمريكا الشمالية، وأمريكا اللاتينية وأستراليا[٢].

وأغلب هذه الكنائس دخلت في الأرثوذكسية عن طريق التنصير الأرثوذكسي الذي قوي في القرن التاسع الميلادي، وأبرز الكنائس التي دخلت في الأرثوذكسية بسبب الجهود التنصيرية، هي روسيا، وبلغاريا، وبلاد الصرب.



(١) أبرشية: مشتقة من اليونانية" إيبارخية"، وهي المنطقة الخاضعة لسلطة أسقف. انظر: معجم الإيمان، ص:٦ .

(٢) المجمل في تاريخ الكنيسة، ص:٤، الكنيسة الأرثوذكسية، ص: ١٧-١٨.

المبحث الثاني

تاريخ الأرثوذكس

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: مرحلة ما قبل الانشقاق الأول.
- المطلب الثاني: الانشقاق الأول في تاريخ الكنيسة.
- المطلب الثالث:الانشقاق الثاني.

* * * ** * * *

المبحث الثاني: تاريخ الأرثوذكس

ستتحدث هنا عن الخطوط العامة والمشتركة في نشأة الأرثوذكس مع التركيز على الأحداث الفاصلة في تاريخهم، والتركيز على الأسباب التي أدت إلى انفصالهم التام عن جسم الكنيسة الجامعة.

وعند دراسة تاريخ الأرثوذكس نجد أنه يشتمل على ثلاث مراحل أساسية:

مرحلة ما قبل الانشقاق الأول.

من الانشقاق الأول إلى الثاني.

من الانشقاق الثاني إلى الوقت الحاضر.



المطلب الأول: مرحلة ما قبل الانشقاق الأول

ابتدأ النصارى –ومنهم الأرثوذكس- تاريخهم، من بعد رفع المسيح عليه السلام، بعشرة أيام، فيما يُسمَّى عندهم بيوم العنصرة، وفي هذا اليوم حصلت أمورٌ مهمة، منها اجتماع تلاميذ المسيح عليه السلام لاختيار خليفةٍ ليهوذا الخائن، حيث وقع الاختيار على رجلٍ يُدعَى متيا، ونزول روح القدس –بزعمهم- عندما كانوا مجتمعين، وكان عددهم ١٢٠ رجلا، ويعتمد النصارى في إثبات هذا الحدث على نصٍ مهمٍ ورد في أسفارهم: «ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس»[(١)]، ومن الأحداث المهمة أيضا أن بطرس خطب أمام اليهود، وتنصر على يديه ثلاث آلاف نفس[(٢)]، ومنذ ذلك اليوم ابتدأ تاريخ الكنيسة من أورشليم.

بعد ذلك انطلق التلاميذ يبشرون بالدين الجديد في كل مكانٍ وطأته أقدامهم عملاً بما نسب إلى المسيح عليه السلام: «اذهبو وتلمذوا جميع الأمم»[(٣)]، فانتشرت دعوتهم في أرجاء اليهودية، والسامرة، والجليل[(٤)]، وسورية، ثم امتدت إلى مدن

---

(١) أعمال الرسل: (٢/ ١-٤).

(٢) انظر: المجمل في تاريخ الكنيسة، ص:١٠، تاريخ الكنيسة الشرقية، المطران ميشيل يتيم، الإرشمندريت إغناطيوس ديك، ص ١٦.

(٣) متى: (٢٨/ ١٩).

(٤) الجليل: اسم عبري معناه دائرة، أو مقاطعة، وكان يقيم فيها الكنعانيون، وفي عام ٧٠م انقسمت إلى الجليل العليا والجليل السفلى، وهي منطقة خصبة كثيرة السكان، وبها جيش كبير. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص:٢٦٦ .

فينيقية[1] وقبرص، وبلغت أنطاكية، وأصبحت هذه المدن مقراً للنصرانية، ومنها حمل النصارى لقب "المسيحيين" وكانت نقطة انطلاق الدعوة للوثنيين، كما أن القدس كانت نقطة انطلاقٍ لليهود[2].

وانتشرت النصرانية بعد ذلك في سائر أرجاء الإمبراطورية الوثنية، وكان الدور الأكبر في ذلك لبولس، الذي ينسب إليه إخراج الديانة الجديدة إلى العالم الوثني، ولاسيما روما التي أصبحت مركزا للبابوية الكاثوليكية فيما بعد[3].

لقيت الدعوة الجديدة على أيدي المبشرين مقاومة عنيفة من قبل اليهود والرومان ولكن ذلك لم يوقف انتشارها، فأصبح لهؤلاء التلاميذ في كل مدينةٍ ينشرون فيها دعوتهم أتباع، وكانوا يعينون عليهم رئيساً يتولى رعايتهم، ومتابعتهم، ولكثرة عددهم، وعدم القدرة على متابعة جميعهم من قبل المبشرين، فقد عينوا أشخاصاً في كل جماعةٍ لتعليمها وتنظيم شئونها، ومن هنا ظهر ما يُسمَّى الدرجات الكهنوتية، وهي كما يأتي:

١- الشمامسة: وتعني الخدمة، ووظيفتها إدارة مقتنيات الكنيسة، والرقابة على استعمالها استعمالاً صحيحا، ثم دخل في واجباتها بالتدرج الرقابة على الترتيب لاجتماعات الأتباع أثناء الخدمة، ولاسيما الأسرار.

٢- القسس: وتعني الشيوخ أو المتقدمين، وتكون لأشخاصٍ معروفين بالحكمة والمهارة في الإدارة، ووظيفتهم إتمام الأسرار والخدمة في الكنيسة والتعليم والمراقبة.

---

(١) فينيقية: اسم يوناني معناه " أرجواني أحمر"، وهي قطعة مستطيلة ضيقة من الأرض واقعة بين البحر الأبيض المتوسط غرباً وقمة سلسلة جبال لبنان والتلال المنفصلة الممتدة إلى الجنوب منها شرقاً، وأهلها يعبدون آلهة متعددة، ولهم طقوس فاسدة مثل إحراق الأطفال. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص:٧٠٥ .

(٢) تاريخ الكنيسة الشرقية، ص: ١٨.

(٣) لمعرفة تفاصيل رحلات بولس انظر: سفر أعمال الرسل ابتداء من الإصحاح الثالث عشر.

٣- الأساقفة: وهي الدرجة الرئاسية العليا وتعني الرقباء، وكانت في البداية الرقابة تشمل كل الكنيسة وسيامة القسوس، والشمامسة، وإزالة ما يحدث بين أتباع الكنيسة، ثم اختصوا بالصلاحية العالية للتعليم، والخدمة والإدارة(١).

كانت هذه الجماعات -التي أطلق عليها اسم الكنائس فيما بعد- تتسم بسماتٍ منها:

محلية: حيث يُؤلِّف فيها الأتباعُ مع رجال الإكليروس والأسقف، وحدةً روحيةً منظمة، ومترابطة، يكون الأسقف فيها المسئول الأول عن المعتقد، وتوطيده ونشره، والإشراف المباشر على جميع شئون الكنيسة.

مستقلة: أي في إدارة شئونها الخاصة لا ترتبط بأي جهةٍ أخرى غير شخص الأسقف الذي يديرها.

متساوية: أي أن أساقفتها في درجةٍ واحدة على اعتبار أن المسيح عليه السلام أعطى تلاميذه حقوقاً متساوية، في الإدارة والتعليم، ولم يكن بينهم أحدٌ يترأس على الآخرين(٢).

وعلى أساس التساوي قامت العلاقات بين الكنائس المحلية، ولكن قبل نهاية القرن الثالث الميلادي أحرزت بعض الكنائس تقدماً وشهرةً على غيرها، وكان تقدم الكنائس وشهرتها يعود إلى الاعتقاد بأن مؤسس الكنيسة هو أحد من يُسمَّى بالرسل، أو إلى شهرة المدينة التي تنسب إليها الكنيسة، وبرز من بين هذه الكنائس ثلاث كنائس حصلت على امتيازاتٍ كبرى، وهي:

١- كنيسة أنطاكية التي ارتفع أسقفها فوق كل أساقفة الشرق.

٢- كنيسة الإسكندرية التي ارتفع شأنها فوق أساقفة كل مصر.

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، أفغراف سمير نوف، ص:١٣٠-١٣٢.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية،ص: ١٤٢ .

٣- كنيسة رومة التي ارتفع شان أسقفها على جميع أساقفة الغرب[١].

ولم يكن هناك حديث عن مسمى بطريركيات في هذا الوقت، ولكن كنائس ذات شهرةٍ وتقدمٍ على غيرها، حيث ترجع إليها الكنائس الأصغر منها.

استمرت شهرة هذه الكنائس تزداد دون أن يكون لها أي اعتبار رسمي، ولكن في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي حدثٌ أمر كان له تأثيرٌ كبيرٌ على الكنائس الأرثوذكسية استمر إلى وقتنا الحاضر، وهو إعلان الإمبراطور الروماني دخوله في النصرانية، وقد أعقب هذا الحدث حدثٌ آخر لا يقل عنه أهمية، وهو إعلان الديانة النصرانية ديانةً رسميةً للإمبراطورية، حيث انتقلت الكنيسة بهذا الإعلان من مرحلة الاضطهاد إلى مرحلة الحرية والبناء، ومن أهم الأعمال التي قام بها الإمبراطور مما كان له أثرٌ مباشرٌ على الكنائس الأرثوذكسية انتقال عاصمة الإمبراطورية إلى القسطنطينية واستقرار الإمبراطور في الشرق، وقد أتاح وجوده في الشرق التدخل المباشر في شئون الكنائس والتأثير عليها حتى في المسائل الدينية الخاصة، ولم تستطع تلك الكنائس مجابهة تلك القوة، بل خضعت لها، واستجابت لتوجيهاتها، فابتدأ بالتدخل في شئون الكنائس الإدارية، وحتى الدينية، وكان من أخطر هذه الأمور هو دعوته لعقد مجمعٍ مسكوني لجميع الكنائس، للنظر في المسائل الخلافية، وكان هذا المجمع في نيقية عام ٣٢٥م، وبإشرافٍ مباشرٍ من الإمبراطور وفي بلاطه، وأخطر ما في ذلك أن قرارات المجمع وقانون الإيمان الذي أقره المجمع كان بتأثيرٍ مباشرٍ منه، حيث غلّب رأي العدد الأقل من المجتمعين الذين يقولون بألوهية المسيح ﷺ، على الأكثرية الذين يقولون بخلاف ذلك بقوة سلطانه، فأقر قانون الإيمان الشركي المطابق لعقيدته الوثنية التي كان عليها.

وأصبح من هذا الوقت الإمبراطور الممثل الأعلى للسلطة الكنسية[٢]،

---

(١) المصدر السابق، ص: ١٤٤-١٤٥.

(٢) لتفاصيل مجمع نيقية انظر: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، لابن البطريق، ص: ١٢٥، =

وأصبحت الكنائس الشرقية الأرثوذكسية خاضعة له، في الوقت الذي تحررت فيه الكنيسة الغربية من هذه السلطة.

ومما له علاقةٌ بهذا المجمع هو حفظ الامتيازات التي نالتها الكنائس الرسمية الثلاث، وهي كنيسة روما، والإسكندرية، وأنطاكية، والاعتراف الرسمي بها، وقد صدر بذلك القانون السادس من قوانين آباء المجمع، ونصه كما يأتي:« فلتُحفظ العادات القديمة في مصر وليبيا والمدن الخمس في أن لأسقف الإسكندرية السلطان والرئاسة على كل هذه الأقاليم، وعلى ما هي عليه العادة من جهة أسقف روما، ولتحفظ كذلك في أنطاكية وبقية المقاطعات امتيازات كل كنيسة، وحقوقها القديمة»(1).

وهذا القانون كان اعترافاً بامتياز هذه الكنائس، وأما تسميتها بالبطريركية فلم يحدث إلا في المجمع المسكوني الثاني (القسطنطينة الأول) عام ٣٨١م، حيث تم في هذا المجمع تسمية أساقفة هذه الكراسي "بطاركة"، كما أضيف إليها أسقف القسطنطينية ورفع إلى رتبة بطريرك، لكونها العاصمة الجديدة، كما جاء في القانون الثالث، وأصبحت البطريركيات المعترف بها رسمياً من قبل الإمبراطورية أربعة بطريركيات.

أما أورشليم فلم يعترف بها رسميا كبطريركية إلا في مجمع خلقدونية عام ٤٥١م(2).

تعليق على هذه الفترة:

تحدثنا فيما سبق عن تاريخ الأرثوذكسية حتى مجمع خلقدونية من خلال رؤية

= وما بعدها.

(١) المجمع المسكوني الأول – نيقية الأول، الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، ص: ١٨٣، مجموعة الشرع الكنسي، الأرشمندريت، حنايا إلياس كساب، ص ٥٦.

(٢) انظر: المجمل في تاريخ الكنيسة، ص ٤٥، الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص: ٣٣، المجمع المسكوني الثاني –القسطنيطينة الأول، الأب ميشيل أبرص، أنطوان عرب، ص:٢٨٥.

الأرثوذكس، وهي تتميز بما يلي:

١ - لا يوجد انفصال بين الكنائس.

٢ - الكنائس في مراتب متقاربة.

٣- لم تبرز الكنيسة الغربية، عملياً وإن كانت تدعي السلطة العالمية.

٤ - تنصر قسطنطين ونقله السلطة إلى الشرق أخضع له البطريركيات الأربع دون روما.



المطلب الثاني: الانشقاق الأول في تاريخ الكنيسة

بعد أن نالت الكنيسة حريتها بعد عصور الاضطهاد في ظل رعاية الإمبراطورية الرومانية التفتت إلى شئونها الداخلية، ومن هنا برز إلى السطح الخلافات العميقة التي كانت بين الكنائس نفسها، ولم تظهر في وقت الاضطهاد، وظهر ما يُسمَّى بالهرطقة التي أطلقت على بعض الأفراد أو الكنائس التي أظهرت تعاليم مخالفة للتعاليم التي تتبناها الكنيسة العامة، وأدت هذه الخلافات والهرطقات إلى نزاعات وعداوات مستمرة وتبادل مايُسمَّى بالحرم بين الكنائس، ولا تزال هذه السمة بارزةً بين طوائف النصرانية إلى هذا اليوم، بسبب بعد النصارى عن الحق الذي جاء به المسيح عليه السلام(١)، وكانت هذه الحالة التي اتصفت بها الطوائف النصرانية واستمرت عليها إلى اليوم وستبقى إلى قيام الساعة تصديقا لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة:١٤] .

وبسبب هذه النزاعات ظهر ما يُسمَّى بالمجامع المسكونية، التي دعت إليها الإمبراطورية، وأشرفت عليها بنفسها، ولم تهدف الإمبراطورية من ورائها إلى حل هذه النزاعات بقدر ما كانت تهدف إلى تحقيق الأمن والاستقرار، والحفاظ على وحدة الإمبراطورية السياسية التي شكلت الكنيسة جزءاً كبيراً من منظومتها.

وإن كان هدف هذه المجامع هو حل النزاعات القائمة، والقضاء على البدع والهرطقات والحفاظ على إيمان الكنيسة القويم فإن ذلك الهدف لم يتحقق بالصورة التي أرادها النصارى، بل أصبحت هذه المجامع سبباً في الانشقاقات الكبرى التي عصفت بالكيان النصراني، ولم يوجد مجمعٌ إلا وخرجت منه أفرادٌ أو طوائف لعنوا أو

---

(١) بعد بعثة النبي ﷺ نسخت الشرائع السابقة بما فيها رسالة المسيح عليه السلام، ولم يبق ثمة دين مقبول عند الله تعالى إلا الإسلام.

طردوا من الكنيسة الجامعة ولم يعودا إلى حظيرتها إلى اليوم.

والذي يهمنا في هذا المقام التركيز على المجامع التي تلتها انشقاقات كبرى في الكنيسة، وكان المجمع الذي أدى إلى الانشقاق الأول هو مجمع خلقدونية المسكوني الخامس[1]، الذي عقد في عام ٤٥١م.

وكان سبب عقد هذا المجمع هو الرد على قرارات مجمع أفسس الثاني بشأن طبيعة المسيح عليه السلام، والتي كان من أهمها أن المسيح عليه السلام شخصٌ واحد، وله طبيعةٌ واحدة[2]، وهذا المجمع أيدته كنيسة الإسكندرية بقوة، ولكن لم تقبله كل الكنائس، بل عدته كنيسة روما والقسطنطينة مجمع اللصوص[3]، ولذلك اجتمع الأساقفة من كل بلد، وشكوا إلى الإمبراطور مرقيان[4]، ما كان بالمجمع الثاني من ظلمٍ وما فعل بطريرك الإسكندرية من حرمٍ للبطاركة الآخرين، فأمر الإمبراطور أن يكتب إلى بطريرك روما، وأنطاكية، وبيت المقدس، ومن معهم من الأساقفة والمطارنة، بأن يجتمعوا في خلقدونية، ليفحصوا مقالة أسقف أفسس، وما فعل بطريرك الإسكندرية، فاجتمع ٦٣٠ أسقفا، يتقدمهم بطريرك القسطنطينية، وانتهى المجمع إلى تثبيت القول

---

(١) كان قبل ذلك مجمع أفسس الأول عام ٤٣١م، ولعن فيه نسطوريوس على مقالته، حيث كان يقول إن مريم ليست والدةالإله، وإنما والدة الإنسان، وأن المسيح ابن الله ليس بالحقيقة ولكن بالموهبة، وبعد هذا المجمع نفي نسطوريوس، واندثرت مقالته فترة من الزمن، ولذلك لا يعيره النصارى أهمية كبرى، انظر: التاريخ المجموع لابن البطريق، ص ١٥٦-١٥٨، مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا إلياس، كساب،ص: ١٨٨ وما بعدها.

(٢) الكنيسة الأرثوذكسية، ص: ٢٣٧، وللاستزادة انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: (١/ ٤٩٦ ومابعدها).

(٣) الخريدة النفيسة: (١/ ٥١٠).

(٤) مرقيان: يسمى مركيانوس أو ماركيان: الإمبراطور الروماني (البيزنطي) (٤٥٠-٤٥٧م). انظر دائرة المعارف البريطانية:(٤/ ٥٢٠)، نقلا عن مصادر النصرانية، د. عبدالرزاق الآرو:(٢/ ٧٩٧).

بأن المسيح عليه السلام ذو طبيعتين إله كامل تام بلاهوته، وإنسان كامل تام بناسوته، ولعنوا بطريرك الإسكندرية، وبطريرك القسطنطينية السابق، وثبتوا قرارات المجامع السابقة، ولعنوا مجمع أفسس الثاني الذي عقد في عام ٤٤٩م(١).

ويمثل هذا المجمع هزيمةً منكرةً في حق كنيسة الإسكندرية، التي كانت تهيمن على بقية الكنائس الشرقية إلى ذلك الوقت، وذلك من جهتين: الأولى:رفض عقيدة الطبيعة الواحدة ولعن أصحابها وعلى رأسهم بطريرك الإسكندرية ديسقورس(٢)، ومن يقول بمقالته. والثانية: القضاء على ادعاء كنيسة الإسكندرية بحقها في السيادة على كنائس المشرق، حيث ثبَّت القانون ٢٨، الصادر في مجمع خلقدونية كنيسة القسطنيطنة بمرتبة الشرف الأولى بعد رومة(٣).

كانت قرارات هذا المجمع وخاصة عزل بطرك الإسكندرية الذي كانت له مكانة كبيرة في الشرق الأرضية التي أدت إلى حدوث أهم الانشقاقات في تاريخ الكنيسة، حيث رفض الأقباط قرارات المجمع، وأصروا على بطريركية ديسقورس، وعلى عقيدتهم "الطبيعة الواحدة للمسيح"، فانعقد مجمع خامس في القسطنطينية سنة ٥٥٣م، سُمِّي بالمجمع القسطنطيني الثاني، وثبَّت القرارات التي كانت ضد معلمي الطبيعة الواحدة، فلم يعد أمام الأقباط إلا إعلان الانفصال عن الكنيسة الجامعة نهائيا(٤).

ولم تستقل الكنيسة القبطية بهذا الانفصال، بل تبعتها الكنيسة الحبشية

---

(١) انظر: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص: ١٨١-١٨٢.

(٢) ديسقوروس الأول: (٤٤٤-٤٥٧م)، هو البابا الخامس والعشرون، ارتقى عرش البابوية الأرثوذكسية في أوقات عصيبة، بسبب الاضطهادات الناشئة عن بدعة نسطور. انظر: تاريخ الأمة القبطية، ص:٩٠ .

(٣) انظر: الكنيسة الأرثوذكسية، ص: ٣٨.

(٤) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص: ٢٨.

والأرترية، كما انفصلت أيضا الكنيسة الأرمنية، والسريانية أصحاب المذهب اليعقوبي[1].

وإضافة إلى انفصال الأرثوذكسين الأول، أصبح العالم النصراني ثلاث طوائف كبرى:

١- النساطرة: وهؤلاء استقلوا بمذهبهم، وعاشوا عليه في سوريا، وتركيا، وشمال العراق، ثم انتشروا، في أرض فارس والهند.

٢- اليعاقبة: وهم القائلون بالطبيعة الواحدة، وتشمل كنائسهم الأقباط والسريان، والأرمن، ومن وافقهم، وأطلق على هؤلاء أيضاً الأرثوذكس، وهم أغلب كنائس المشرق، عدا القسطنطينية.

٣- الملكانية: وهم أصحاب القول بالطبيعتين، ويمثلهم في المشرق الكنيسة البيزنطينية، وهؤلاء أطلق عليهم أيضا مصطلح الأرثوذكس باعتبار قولهم بانبثاق الروح القدس من الآب فقط، عندما حدث خلاف حول هذه المسالة.

وتشمل الملكانية في الغرب أيضاً كنيسة روما والكنائس التابعة لها، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم حصرياً الكاثوليك فيما بعد[2].

---

(١) المصدر السابق، ص: ٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص:٢٩ .

المطلب الثالث: الانشقاق الثاني

انقسمت الكنيسة بعد مجمع خلقدونية إلى قسمين كبيرين:

١- الملكانية، وهم أصحاب مذهب الطبيعتين، ويشغلون الجزء الأكبر من حيث القوة، وعدد الكنائس التابعة لهم، وعدد الأتباع أيضا.

٢- اليعاقبة، أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة.

عوامل الانشقاق:

بالرغم من أن مجمع خلقدونية وحَّد الجزء الأكبر من الكنيسة التي ضمت الكنيسة الرومانية في الغرب والبيزنطية في الشرق إلا أن هذين الطرفين لم يكونا على وفاق كامل، بل كانت هناك عوامل أدت مع مرور الوقت إلى توسيع دائرة الخلاف ومهدت للانقسام الكبير بين هذين الطرفين، ومن أهم تلك العوامل ما يأتي:

أولاً: العامل السياسي:

كانت الإمبراطورية الرومانية منقسمةً منذ بدايتها إلى قسمين رئيسين، القسم الغربي والقسم الشرقي، ولكل قسمٍ إمبراطور يحكمه، وكان هذا الانقسام يعود إلى الاختلاف بين القبائل التي تسكن هذين القسمين؛ فالقسم الغربي يسكنه اللاتين، والقسم الشرقي يسكنه اليونان، ولكل منهما طبيعته، وميوله، وثقافته الخاصة[1].

ومما له علاقةٌ بالجانب السياسي أيضاً هو اختلاف شكل السلطة الكنسية بين القسمين، ففي حين تحررت السلطة في الغرب لصالح البابا وحده بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، وانتقال الحكم الإمبراطوري إلى القسطنطينية، وفي المقابل خضعت كنائس الشرق كلها لسلطة الإمبراطور الجديد الذي انتقل إليها.

---

(١) انظر: تاريخ المسيحية، افغراف سمير نوف، ص: ٣٨١.

وهذا الاختلاف أدى على التدرج إلى زيادة أطماع البابا الروماني، ومطالبته بإخضاع جميع الكنائس إلى سلطته باعتباره الممثل الوحيد لبطرس، وهذا الأمر هو الذي كانت ترفضه كنائس الشرق باستمرار، وتعده خرقاً للوحدة الكنسية الجامعة، وكان هذا العامل سبباً في حدوث نزاعاتٍ كثيرةٍ بين الكنيستين بدءاً من القرن الخامس، وحتى الانشقاق الكامل في منتصف القرن الحادي عشر.

ثانياً: العامل الديني:

بالرغم من الوحدة المعلنة بين طرفي الكنيسة الجامعة، والعلاقات المتبادلة بينهما إلا أنهما لم يكونا على وفاقٍ كاملٍ منذ أزمة الكنيسة الأولى، فقد ظهرت خصائص لكل قسم تعود إلى طبيعة البيئة التي ينتمي إليها كل منهما، وتختلف عن نظيرتها، ومن ذلك الاختلافات الآتية:

١- سماح الكنيسة الشرقية باستخدام العقل في مجال الإيمان ورفض الكنيسة الكاثوليكية لذلك.

٢- اهتمت الكنيسة الشرقية بالمسائل اللاهوتية، في مقابل اهتمام الكنيسة الغربية بالطقوس، والنظام، والإدارة، وعلاقة الكنيسة بالمملكة وبالجماعة.

٣- ظهرت البدع التي تُسمَّى بالهرطقات في الكنائس الشرقية، ولم تظهر في الكنائس الغربية، وإنما ظهرت بعض الانقسامات فقط[١].

وبالجملة كان لكل كنيسةٍ مصالح ورغبات تخالف ما لدى الكنيسة الأخرى، وهذه الاختلافات وجَّهت الكنيستين تدريجيا نحو الانقسام.

ومع هذه المسائل التي اختصت بها كل كنيسة، فقد كان هناك مسائل أكثر خلافاً وأشد خطراً على وحدة الكنيسة، ولكنِّي سأذكرها في موطنها.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص: ٣٨١.

ثالثاً: اختلاف الثقافة واللغة:

اتسعت الهوة الثقافية بين الكنيستين، وضعفت بذلك جسور التفاهم، ففي حين بدا الشرق جاهلا باللاتينية، كان الغرب أكثر جهلاً باليونانية، وأدى غياب اللغة المشتركة إلى إعاقة تبادل الآراء والأفكار بين الطرفين، وصعوبة تفهم كل طرف للآخر، وفي جانب الأمور اللاهوتية أدى ضعف اللغة إلى سوء الفهم لتلك المسائل، وخاصة بسبب الترجمة الخاطئة من لغة كل فريقٍ إلى الأخرى، وكانت المحصلة لذلك هي الشعور بالغربة وحتى الاحتقار من كل طرفٍ للآخر، حيث رأى اليونانيون اللاتينيين، قساة قلوبٍ وغير مثقفين، وشرهين، أما اللاتينيون فقد رأوا اليونانيين منحطي الأخلاق وذوي رياء(١).

أهم الأحداث التي جرت بين الفريقين.

حدث بين الكنيسة الرومانية الغربية وبين الكنيسة اليونانية الشرقية أحداثٌ اتجهت بالكنيسة نحو الانفصال، وكان بين تلك الأحداث ثلاثة أحداثٍ تكاد تكون هي الفاصلة التي حسمت الأمور لصالح الانفصال النهائي، وهي كما يأتي:

١ - النزاع بين فوتيوس والبابا نيقولاس الأول:

كانت بداية هذه الأحداث عام ٨٥٨م، عندما حدث نزاعٌ داخل المملكة البيزنطية، بين كلٍّ من أنصار بطريرك القسطنطينية أغناطيوس الذي عزله الإمبراطور ونفاه، وبين فوتيوس الذي نُصِّب مكانه، فعندما رأى أنصار أغناطيوس أنه صاحب تقوى وغيرة، وأن فوتيوس مغتصب للبطريركية، وأنه كان علمانيا، وقبل ترقيته إلى السدة البطريركية بخمسة أيام فقط مر بكل الدرجات الكنسية، ولكن أنصار فوتيوس كانوا يرونه ألمع مفكر، وأبرز سياسي، وأحذق دبلوماسي تولى السدة البطريركية في

---

(١) انظر: الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص: ٦٨، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ص:١٦٨.

القسطنطينية، ولكن هذا النزاع خرج عن إطار البطريركية القسطنطينية، عندما أرسل فوتيوس خطابا للبابا نيقولاس الأول(٨٥٨-٨٦٧م) [١]، يعلمه فيه باعتلائه عرش البطريركية، ويطلب منه الاعتراف على عادة البطاركة في ذلك الوقت.

وعندما وصل الخطاب إلى البابا وجد أنها الفرصة المناسبة له لتحقيق فكرة السلطة المطلقة للكنيسة الرومانية، وجعل نفسه حاكماً على الكنيسة الشرقية، ووجه إلى المجمع المنعقد في القسطنطينية بهذا الشأن قاصدين رسوليين، وأرسل معهما خطابين للإمبراطور والبطريرك فوتيوس تكلم فيهما بكبرياء واتهم الامبراطور بعدم العمل بالقوانين الكنسية، وأنه أنزل بطريركاً ورقَّى آخر بدون إذن البابا، وأعلن خطأ فوتيوس لقبوله وظيفة بطريقة غير شرعية.

وقرر المجمع الذي حضره القصاد الرسوليون اعتبار أغناطيوس معزولاً وفوتيوس البطريرك الشرعي، وأرسل فوتيوس خطاباً للبابا يعلمه فيه أن القوانين المانعة من ترقية العلمانيين هي قوانين محلية ليست واجبة الإتباع على الكنيسة القسطنطينية المسكونية، واتهم البابا بأنه يقبل في شركته الإكليريكيين الهاربين من القسطنطينية بدون كتاب توصية من البطريرك القسطنطيني.

ولما وصل الخطاب إلى البابا رأى أن فوتيوس قد أصبح خصماً عنيداً وقرر البابا الخصام مع الكنيسة الشرقية، وعقد مجمعاً في رومة عام ٨٦٣م، وأعلن فيه اعترافه بأغناطيوس وإسقاط فوتيوس من رتبته، ثم أرسل رسالةً عامةً إلى جميع أساقفة الشرق يأمرهم أن يقطعوا علاقاتهم مع فوتيوس، ويتصلوا بأغناطيوس.

وعندما بلغ خطاب البابا الإمبراطور البيزنطي رد عليه بكتاب، جاء فيه أن البابا

---

(١) نقولا الأول: (٨٥٨-٨٦٧)، يعتبر هذا البابا أعظم الباباوات الذين شغلوا الكرسي الرسولي بين غريغوريوس الكبير وباباوات العصر الوسيط، كان متمسكاً بالدفاع عن حرية الكنيسة بوجه الدولة، وحق الشعوب في السلام، واعتبره المؤرخون البابا الذي بدأ حقبة انتصارواستقلال الكنيسة الغربية. انظر: معجم الباباوات، ص:٦٩ .

يتدخل فيما لا يعنيه، وأن الكنيسة القسطنطينية لا تعترف به رأسا على الكنيسة المسكونية، فرد عليه البابا بخطاب حادٍّ أيضا، ومن هذا الحدث بدأت ثغرةٌ كبيرةٌ بين الكنيستين[1].

٢- القضية البلغارية:

في عام ٨٦٤م تنصر ملك البلغار الوثني يوريس على يد المنصرين اليونانيين الأرثوذكس وتبعه الشعب على ذلك، ولكن يوريس أراد أن تستقل الكنيسة البلغارية، ولكن البطريركية القسطنطينية رفضت منحها الاستقلال فاتجه الملك البلغاري إلى الغرب أملا في الحصول على وضعٍ أفضل، وأرسل إلى البابا خطاباً يطلب منه إرسال أساقفة لاتين، وحينها استغلت الكنيسة الرومانية الموقف وبعثت بأساقفتها اللاتينيين الذي وجدوا حريةً كاملةً للعمل في بلغاريا وقاموا بحملة صاخبة ضد اليونانيين، حتى طردوا الرئاسة اليونانية وحلوا محلها، وهنا بدأوا التعميد من جديدٍ على أساس المذهب الكاثوليكي، وعلى أساس أن المذهب الأرثوذكسي كان باطلا، وبدأ بذلك التعليم على أساس المذهب الكاثوليكي، وألغوا ما خالفه، وكان من أهم ذلك مسألة إنبثاق الروح القدس من الأب والابن بخلاف تعليم الكنيسة الارثوذكسية.

وعندما حدثت كل هذه التطورات عقد فوتيوس مجمعاً مكانياً حكم فيه على كل الضلالات الرومانية، وأرسل رسالةً عامةً إلى جميع بطارقة الشرق يعلمهم فيها بهذه الأحداث، ويطلب عقد مجمعٍ في القسطنطينية لدراسة الموضوع، وعقد المجمع في عام ٨٧٦م، وقرر المجمع الحكم على تدخلات الكنيسة الرومانية، بل الحكم بإنزال البابا الروماني عن العرش، وبهذا زادت الهوة بين قطبي الكنيسة الجامعة[2].

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، ص: ٣٨٣-٣٨٥، الكنيسة الأرثوذكسية، ص: ٧٤-٧٥. تاريخ الكنيسة الشرقية، ص: ٢٠٠-٢٠١.

(٢) انظر: الكنيسة المسيحية، ص: ٨٥-٨٦، الكنيسة الأرثوذكسية، ص: ٧٦-٧٨ .

٣- النزاع بين ميخائيل كيرولاري والبابا لاون التاسع[١]:

منذ منتصف القرن التاسع، وبعد أحداث فوتيوس والقضية البلغارية بدت العلاقة بين الكنيسة الرومانية الغربية والبيزنطينية الشرقية مشوبةً بكثيرٍ من التوتر، وأصبحت الاتصالات بين الطرفين تجري بمستوى أقل،ولأسباب خاصة.

وفي منتصف القرن الحادي عشر بدأت مواطن أخرى للنزاع، ولكن شرارة النزاع هذه المرة انطلقت من جنوب إيطاليا التابعة للبطريركية القسطنطينية، فسعى البابا لاون التاسع إلى تثبيت سلطته على هذه الكنائس، وقام بنشر العادات اللاتينية بدل البيزنطينية فيها، كما قام بمحاولة لإقامة بطريرك أنطاكية محل ميخائيل كيرولاري[٢] فقرر الأخير أن يضع حدً لهذه الدسائس، وحرم رئيس الجيش اليوناني في إيطاليا من "المناولة"، كما أمر بإقفال الكنائس اللاتينية في القسطنطينية لأجل منع انخداع الأرثوذكس بها، وفوض رئيس أساقفة بلغاريا بكتابة رسالةٍ لدحض التعاليم اللاتينية الجديدة، ولما بلغت الرسالة البابا الروماني أحدثت اضطراباً شديداً في روما، ولكن البابا رغب في إبقاء علاقة السلم مع الشرق، وأوفد ثلاثة قصَّاد على رأسهم الكاردينال غومبرت المعروف بحدته وكبريائه، وعندما وصل القسطنطينية عامل هو ورفاقه البطريرك بعدم احترام، ولذلك رفض ميخائيل كيرولاري أن تجرى بينه وبين قصَّاد البابا أي مفاوضات، ولكن غومبرت لم يبالِ وقام بإصدار رسالةٍ رداً على رسالة رئيس أساقفة البلغار، ووزع على الشعب برغبة من الإمبراطور، ولما فقد القصَّاد

---

(١) لاون التاسع: (١٠٤٩-١٠٥٤) هو برونون إغيشايم داغسبورغ، كان أسقفاً على توللي،قام بتدويل الجسم الكاردينالي(جعلهم من جنسيات متعددة)، واهتم بترسيخ البنية الداخلية للكنيسة، وتبنى تدابير قوية ضد السيمونية، وفي آخر عهده تم الانشقاق الكامل عن كنيسة القسطنطينية. انظر: معجم البابوات،ص: ٨٥-٨٦ .

(٢) ميخائيل كيرولاريوس: (١٠٤٣-١٠٥٩)، بطريرك القسطنطينية، تم في عهده انفصال الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية عام ١٠٥٤م . انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص: ٥٦١ .

أملهم في إخضاع البطريرك القسطنطيني، أصدروا مرسوماً بحرم كل الكنيسة اليونانية، ثم دخلوا كنيسة أجاصوفيا أثناء وجود احتفالية، ثم وضعوه على مذبح الكنيسة، ثم غادروا القسطنطينية، وكان هذا المرسوم يعبِّر عن المستوى الذي وصلت إليه العلاقة بين الكنيستين، كما كان له أثرٌ كبيرٌ في إتمام الانفصال النهائي بين الكنيستين، ومما جاء في هذا المرسوم: «أن السدة الأولى الرومانية المقدسة والرسولية قد أهلتنا لأن ترسلنا سفراءها إلى هذه المدينة الملوكية لكي كما كتب ننزل ونرى ما إذا كانت الإشاعة التي ولا ريب صعدت إلى آذانها من مثل هذه المدينة العظيمة قد جرت فعلا، وان لم يكن الأمر هكذا لكي تعلم... فهذه الأضاليل وغيرها أيضاً كثيرٌ من الأعمال قد نُصح عليها ميخائيل هذا عينه بتحارير من سيدنا البابا لاون، ولكنه داسها واحتقرها، ثم أنه بالنظر إلينا نحن رسله (أي رسل البابا) بما أننا عزمنا أن نقاوم مقاومة عقلية موضوعات هذه الرزايا وأسبابها قد أنكر علينا إنكاراً قطعياً الحضور عنده ومقابلته، ولم يسمح لنا أيضاً ولا بكنيسةٍ لإقامة قداس، كما أنه قبلا قفل كنائس اللاتين وسماهم فطيريين واضطهدهم بالقول والفعل في كل مكان اضطهادا شديدا حتى أنه حرم بأبنائهم السدة الرسولية التي يوقع ضدها امضاءه بالبطريرك المسكوني. فبما أننا نحن لا نطيق إهانة هذه السدة المقدسة الرسولية الأولى واغتصابها المشهور ونرى أن الإيمان العام في غرق على أوجه متنوعة فبحكم الثالوث القدوس الذي لا ينقسم والكرسي الرسولي الذي زمام نيابته في قبضتنا وجميع الآباء المستقيمي الرأي آباء المجامع السبعة نوقع على الحرم من كل الكنيسة الجامعة الحرم الذي نطق به سيدنا البابا الجزيل الورع ضد ميخائيل نفسه والذين يتبعونه إن لم يقنعوا ونقول: إن ميخائيل المسمى بطريركا على سبيل المجاز الحديث في الإيمان والمتقلد أسكيم الرهبنة عن خوف بشري فقط والآن قد اشتهر عند كثيرين بجرائم فظيعة ومعه لاون المدعو (أسقف)أخريس (البلغار) ونيكيفورس ساكيلاريوس ميخائيل نفسه الذي داس علنا

ذبيحة اللاتين برجليه وجميع الذين يتبعونهم في الأضاليل والتعديات الحاضرة فليكونوا أناثيما ماران آثا (أي محرومين الرب جاء). آمين. آمين. آمين »[1].

قوبل هذا المرسوم بهياجٍ عظيمٍ لدى الكنيسة القسطنطينية، وعقد كيرولاري مجمعاً عام ١٠٥٤م حرم فيه القصاد البابويين، وأرسل رسالةً عامةً لجميع بطاركة الشرق يخبرهم فيها بما جرى، ويحذرهم من الشركة مع الكنيسة الرومانية، ومن هذا الوقت توقفوا عن ذكر البابا في أثناء الخدمة في كل الكنائس الشرقية وانفصلت الكنيستان انفصالا نهائيا[2].

أهم القضايا الخلافية بين الكنيستين:

كانت العوامل الدينية هي أكثر العوامل التي أدت إلى عملية الانشقاق الكامل بين الكنيستين، وكانت المسائل الخلافية كثيرة بينهما، إلا أن هناك مسألتين كان لهما الأثر الكبير في حسم العلاقة بين الكنيستين وانتهائها إلى الانشقاق الكامل، وسوف نسلط الضوء عليها فيما يأتي:

المسألة الأولى: مسألة انبثاق روح القدس.

كانت مسألة طبيعة روح القدس مسألةً خلافيةً بين الكنائس في بداية نشأتها، ولكن هذا الخلاف حسم من خلال المجمع المسكوني الثاني القسطنطيني الأول، حيث قرر ألوهية الروح القدس، وانبثاقه من الأب[3]، وكان هذا التعليم هو تعليم الكنيسة المسكونية، ولكن الغرب أدخل عبارة "والابن"، بحيث أصبحت العبارة: "والمنبثق

---

(١) تاريخ الانشقاق، المطران جراسيموس مسرة: (٢/ ٨٧ وما بعدها).

(٢) انظر: تاريخ المسيحية، ٣٨٨-٣٩٠، الكنيسة الأرثوذكسية، ص: ٨٢، نحن وروما والفاتيكان، د.أسد رستم، ص: ٣٨-٣٩.

(٣) انظر: مجموعة الشرع الكنسي، الأرشمندريت حنانيا كساب، ص: ٢٤٦ المجمع المسكوني الثاني، القسطنطينية الأول، الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، ص ٢٦٢.

من الأب والابن".

ولا يعرف على وجه التحديد متى تم إضافة هذه العبارة، ولكن يعتقد بحسب وجهة نظر الأرثوذكس أن هذه الإضافة ذات أصل إسباني؛ لانها وُضِعت تبريراً احترازياً ضد الآريوسية، وأن الكنيسة الإسبانية أدخلتها في مجمع طليطلة عام ٥٨٩م، وعارضت الكنيسة الأرثوذكسية هذه الإضافة بشدة – كما سيأتي تفصيل ذلك – .

وكما يتهم الأرثوذكس الكاثوليك بأنهم زادوا كلمة "والابن"، يرى الكاثوليك أن الزيادة صحيحة، وأن الأرثوذكس هم الذين حذفوا تلك العبارة من دستور الإيمان، ونحن نعتقد أن عقيدة التثليث كلها باطلةٌ سواء وجدت العبارة أو لم توجد.

القضية الثانية: البابوية:

سبق الحديث عن البابوية، وسلطانها المزعوم، وتوليها على الحقيقة زعامة العالم الغربي، وهذا الأمر لم يثر اهتماماً كبيراً لدى كنائس الشرق طالما أن الكنيسة الغربية لا تتدخل في شئونها، لكن البابا الروماني فكر في توسيع دائرة سلطته لتشمل إضافة إلى العالم الغربي جميع الكراسي الشرقية، وما أن فكر في ذلك حتى بدأت النزاعات في الظهور الأمر الذي أدى في نهايته إلى الانفصال الكامل ولقد اعترفت الكنيسة اليونانية بأولية شرفية لروما، لكنها لم توافق على التفوق الشامل الذي اعتبره البابا حقا له، مع ادعاءات العصمة المطلقة، ورأوا أن القرار النهائي في شئون الإيمان ليس للبابا وحده، وإنما يعود إلى المجامع المقدسة التي تمثل الكنيسة المسكونية[1].

وقد عبر فيستاس رئيس أساقفة نيقوميديا عن موقف الأرثوذكس من هذه القضية قائلا: «أيها الأخ العزيز، نحن لا ننكر على الكنيسة الرومانية حق الأولية بين البطريركيات الخمس الشقيقة، كما نعترف بحقها في تولي الكرسي الأول في المجمع المسكوني، لكنها انفصلت عنا بفعل ما صنعته، حين تولت بكبرياء مكانة صدارة

(١) المصدر السابق، ص٧٠.

إدارية ليست من ضمن وظيفتها.. كيف لنا أن نقبل بمراسيم أصدرتها دون استشارتنا وحتى دون أن نعلم عنها شيئا؟ فإذا شاء الحبر الروماني الجالس على عرش مجده المتعالي، أن يزجرنا ويصدر إلينا الأوامر، وإذا شاء أن يحاكمنا ويحكمنا نحن وكنائسنا أيضا، دونما تشاور معنا وبمحض استبداده وهواه، فما هي هذه الأخوة؟ بل أي نوعٍ من القرابة هذا؟ المطلوب أن نصبح عبيداً لكنيسةٍ نحن أبناؤها، وتكون رومية بهذه الطريقة ليست تلك الأم المتفانية من أجل أبنائها،بل بالأحرى سيدةً قاسيةً ومتعجرفةً تجاه عبيدها»[1].

وهذا النص يبين مدى التباعد بين الكنيستين الغربية والشرقية بسبب هذه المزاعم البابوية إضافةً إلى قضية الانبثاق التي سبق الحديث عنها.

وكما أن هاتين القضيتين من أكبر أسباب الانشقاق، فهي أيضاً من أكبر العوائق نحو الوحدة التي طالب بها أفراد من الكنيستين، ولكن آلت جهودهما إلى الفشل؛ لعدم تنازل كل طرف عن شيء من معتقداته أو آرائه .

(١) المصدر السابق، ص: ٧٠-٧١.

المبحث الثالث

الفرق بين الأرثوذكس والكاثوليك والفرق بين الأرثوذكس أنفسهم

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: الفرق بين الأرثوذكس والكاثوليك.
- المطلب الثاني: الفرق بين الأرثوذكس أنفسهم.

* * * ** * * *

المطلب الأول: الفرق بين الأرثوذكس والكاثوليك

كان الكاثوليك والأرثوذكس يشكلان كنيسةً واحدةً جامعة، ولكن مع الخلاف الذي دار بينهما بدأت الهوة تزداد شيئاً فشيئاً، حتى وصلت إلى الانشقاق الكامل عام ١٠٥٤م، ومع هذا الانفصال زاد التمايز بينهما، واختصت كل كنيسةٍ بخصائص عن الأخرى، وشمل هذه الاختلاف مجالاتٍ عدة، نجملها فيما يأتي:

أولا: في مجال العقائد:

بسبب توسع نفوذ الكنيسة الرومانية الذي شمل كل العالم الغربي، ومع استقلالها عن السلطان السياسي ابتدعت الكثير من البدع في مجال العقائد ومما أضافته الكنيسة الكاثوليكية في هذا المجال:

١- عقيدة الحبل بلا دنس.

٢- والصعود إلى السماء.

٣- ومشاركة الرب في الخلاص.

وهذه العقائد الثلاث مما اختصت بها مريم عليها السلام ومما أضيفت إلى العقائد الكاثوليكية دون الأرثوذكس، كما أنها جميعا لم تظهر رسمياً إلا في وقتٍ متأخرٍ حيث لم تظهر قبل القرن التاسع عشر.

٤- عقيدة المطهر

٥- عقيدة العصمة البابوية

٦- عقيدة انبثاق روح القدس من الآب والابن، وعند الأرثوذكس من الآب فقط.

ثانيا: في مجال السلطة الممنوحة للبابا:

أعطت الكنيسة الرومانية سلطاناً واسعاً للبابا اعتماداً على سلطان بطرس

المزعوم، الموروث عن الرب نفسه وشمل هذا السلطان أموراً مهمة هي:

١- سلطان التشريع أو التحليل والتحريم، ويُسمَّى عند الكاثوليك سلطان الحل والعقد، ويدخل في ذلك ما يُسمَّى بحق "التحلة" الذي يمنح للبابا سلطة إحلال البعض من بعض الأحكام والقوانين.

٢- سلطان مغفرة الذنوب الذي يشمل إصدار صكوك بالغفران مختومة من البابا نفسه، وهذا لا يوجد بهذه الصورة عند الأرثوذكس، وإنما يوجد سر الاعتراف الذي يمنح أمام الكاهن.

ثالثا: في شكل السلطة:

السلطة في الكنيسة الغربية سلطةٌ واحدةٌ تتبع البابا نفسه، فهو يحكم جميع الكاثوليك، وكل الكنائس الكاثوليكية خاضعةٌ له، أما السلطة عند الأرثوذكس، فهي سلطةٌ رباعيةٌ تشمل البطريركيات الأربع الكبيرة بدرجةٍ متساوية، مع الاعتراف لبطريركية القسطنطينية بأوليةٍ شرفية، فهي الوحيدة بين البطريركيات الأربع التي تصف نفسها بلقب المسكونية.

ومن ناحيةٍ أخرى، فالسلطة في الكنيسة الرومانية متحررةٌ تحرراً كاملاً عن السلطان السياسي، بل متفوقةٌ عليه، فالبابا هو الذي يثبِّت أو يخلع الأباطرة، بينما السلطة عند الأرثوذكس خاضعةٌ للسلطان السياسي من أول لحظة، حيث خضعت أولاً للإمبراطور الروماني قسطنطين، ثم خضعت الثلاث البطريركيات للحكم الإسلامي، وبقيت القسطنطينية خاضعة للحاكم البيزنطي حتى سقطت، ودخلت تحت الحكم الإسلامي في عهد الدولة العثمانية، ونشأ من هذين الأمرين قوةٌ وزعامةٌ كبيرةٌ للكنيسة الرومانية، مقابل ضعف وخضوع للكنيسة الشرقية.

رابعا: دعوى العالمية:

ادعت الكنيسة الكاثوليكية العالمية، واستطاعت تطبيق ذلك عمليا، ولكن على مستوى العالم الغربي فقط، ولم تستطع فرض سيطرتها على الشرق، وإن كانت قد

بذلت بعض المحاولات في هذا المجال، ومن أهم الخطوات التي بذلتها هي محاولة فرض سيطرتها على الكنيسة البيزنطينية بالقوة من خلال الحروب الصليبية، فقد استطاعت الكنيسة الغربية إخضاع كلٍّ من أنطاكية والقدس عامي ١٩٨٠م، ١٩٩٠م لسلطتها وتم تعيين بطاركة لاتين في كلٍ منهما، وكانت أعظم هذه الحملات الحملة الصليبية الرابعة التي استهدفت القسطنطينية نفسها واستطاع الصليبيون إنشاء مملكة لاتينية بالقوة عام ١٤٢٠م، ولكنها لم تدم طويلا، حيث استطاع اليونانيون استعادة مملكتهم عام ١٢٦١م.

أما في جانب الأرثوذكس، فهي لم تدع العالمية إلا ما كان من كنيسة القسطنطينية التي رأت أنها هي الكنيسة المسكونية، ولكنها لم تستطع تطبيق ذلك عملياً لأسبابٍ كثيرةٍ أهمها السبب السياسي.

خامسا: المجامع المسكونية:

تؤمن الكنيسة الرومانية بجميع المجامع وعددها اثنان وعشرون مجمعاً، وتعدها مجامع مسكونية، بالرغم من أن بعضها لم يكن ممثلاً من جميع الكنائس، ويستثنى من ذلك المجمع الذي عقد في أفسس عام ٤٤٩م، الذي قرر الطبيعة الواحدة، فهي لا تؤمن به، بل تعده مجمع اللصوص، كما سبق.

أما الكنيسة الأرثوذكسية فهي تؤمن بالمجامع السبعة الأولى فقط، وهي التي كانت قبل الانفصال النهائي، وهي تختلف فيما بينها -كما سبق-.

سادسا: القوة والتاثير:

الكنيسة الكاثوليكية اليوم تعد أكثر قوة، من حيث عدد الأتباع، كما أنها تقوم بدورٍ كبيرٍ في عملية التنصير، وتملك آلة تنصيرٍ كبيرةٍ من القنوات، والإذاعات، والصحف، والدعم، وهذا موجودٌ لدى الأرثوذكس ولكن بشكلٍ أقل.

المطلب الثاني: الفرق بين الأرثوذكس أنفسهم

يشمل الأرثوذكس اليوم الكنائس التي انفصلت قديماً عن جسم الكنيسة الواحدة، وأهمهم الأقباط ومن تبعهم، والسريان والأرمن، كما يشمل الكنيسة البيزنطية وأتباعها من الكنائس المستقلة، ومن أهم الفروق بينهم:

١- موقفهم من الطبيعة الواحدة:

تومن كنيسة الأقباط، وكذلك السريان والأرمن بمذهب الطبيعة الواحدة، بينما تؤمن الكنيسة القسطنطينية بمذهب الطبيعتين للمسيح عليه السلام، وهي بذلك توافق الكنيسة الرومانية.

٢- موقفهم من المجامع:

تؤمن الكنيسة القسطنطينية بالمجامع السبعة الأولى، بينما يؤمن الأقباط وبقية الكنائس بالمجامع الأربعة الأولى فقط السابقة لمجمع خلقدونية، مع اعتبار مجمع أفسس الثاني ٤٤٩م، هو المجمع الرابع، بينما لا تؤمن بقية الكنائس به، وتعتبر مجمع خلقدونية هو المجمع الرابع.

الفصل الثاني

نشأة البطريركيات في المشرق

وفيه ثلاثة مباحث : -

- المبحث الأول: نشأة البطريركيات الأرثوذكسية.
- المبحث الثاني: أصول البطريركيات الأرثوذكسية الفكرية.
- المبحث الثالث: خصائص البطريركيات الأرثوذكسية.

* * * ** * * *

المبحث الأول

نشأة البطريركيات الأرثوذكسية

ويشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: بطريركية أورشليم.
- المطلب الثاني: بطريركية أنطاكيا.
- المطلب الثالث: بطريركية الإسكندرية.
- المطلب الرابع: بطريركية القسطنطينية.

* * * * * * * *

المطلب الأول: بطريركية أورشليم

تحتل كنيسة **أورشليم**[1] مكانة خاصة بين جميع البطريركيات الخمس، فقد كانت بحسب اعتقاد أصحابها –أول مركزٍ دينيٍّ للديانة النصرانية، وقد شهدت مولد المسيح ﷺ، وحياته، وقيامته من بين الأموات، وكذلك يوجد بها قبره –كما يزعمون–[2].

ومن مدينة أورشليم انطلقت الديانة النصرانية، وبها رُسِم أول أسقفٍ وهو يعقوب – أخو الرب- كما يزعمون –، وأحد التلاميذ الإثني عشر، وفيها عقد أول مجمعٍ للتلاميذ، وهو مجمع أورشليم، لمناقشة قضية الختان، وقبول أهل الأوثان، ولذلك تلقب هذه الكنيسة بـ "أم الكنائس"[3].

ويبدأ تاريخ الكنيسة النصرانية من حيث بدأ تاريخ كنيسة أورشليم، وهو ما يُسمَّى عندهم بيوم العنصرة، وهو اليوم الذي حلَّ فيه الروح القدس على التلاميذ، ومنه انطلقت دعوتهم في أرجاء اليهود، ثم خرجت إلى سائر أرجاء الإمبراطورية الرومانية.

ومما زاد من أهمية هذه البطريركية ارتباطها بالأماكن المقدسة المتعلقة بالمسيح

---

(١) أورشليم: يعتقد العرب أن أورشليم اسم يهودي عبري، وقد حقق المؤلف محمد محمد حسن شراب أن هذا الاسم عربي كنعاني، مركب من جزئين (أور) و(شليم)، ورجح أن معناها: مدينة السلام؛ لأنها الأصل في وجود بقعة القدس أن تكون للعبادة، حيث يوجد الأقصى. انظر: القدس أسسها العرب ورفع قواعدها المسلمون، ص: ١٢٣.

(٢) انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: (١/ ٨٧)، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، ص: ١٥٦.

(٣) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل،ص: ١٥٧، الكنيسة في التاريخ، الخوري ناصر الجميل: (١/ ٩٩). الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة،ص: ٨٨.

عليه السلام، وقيامها بوظيفة رعاية وحماية هذه الأماكن، التي يتوافد إليها الحجاج والزائرون من جميع الأماكن[1].

ورغم الأهمية الدينية التاريخية الكبرى لهذه البطريركية إلا أن أحداث الاضطهادات في القرون الأولى ضيقت حدودها، وخفضت أعداد رعيتها إلى الحد الأدنى، وكان من أهم هذه الأحداث، اضطهاد تيطس[2] عام ٧٠م، حيث ألحق القائد الروماني بالمدينة خراباً، وهدماً، وإحراقاً وتهجيراً، وبسبب ذلك ترك النصارى الأوائل أورشليم بمعية أسقفهم، ولجأوا عبر الأردن إلى بيلا، جنوب بحيرة طبرية، وضواحيها، حيث استقر في المدينة بدلاً عن مقر كنيسة أورشليم.

وهذه المدينة كانت تضم عدداً كبيراً من اليونانيين خلفاء الإسكندر الأكبر، وبسبب ذلك إضافةً إلى تقلص عدد النصارى بدأت الكنيسة تأخذ الطابع اليوناني[3].

ولم يبدأ عهد الازدهار للبطريركية الأورشليمية إلا في مطلع القرن الرابع؛ فبعد أن كانت أبرشيةً بسيطةً تابعةً لقيصرية فلسطين، وكانت من الناحية الكنسية متعلقةً بكنيسة أنطاكية أقر مجمع نيقية للمدينة المقدسة ميزةً شرفية، وقام الإمبراطور البيزنطي بتشييد الكنائس الضخمة، ولاسيما كنيسة القيامة، وكنيسة بيت لحم، وبقية الأماكن المقدسة عند النصارى[4]، وازداد بذلك عدد الحجاج والزوار، الذين يأتون هذه المدينة من أنحاء المسكونية، ولا يزال شأن الكنيسة الأورشليمية في ازدهار حتى اكتمل ذلك عندما استطاع الأسقف "يوفنال"(٤٢٢-٤٥٨م) في مجمع خلقدونية أن يحمل أعضاء المجمع على الموافقة على رفع شأن الكنيسة إلى رتبة بطريركية، وتحقق

---

(١) الكنيسة الأرثوذكسية، ص: ١٧٧.

(٢) تيطس: (٣٩-٨١م)، إمبراطور روماني، تولى الحكم في الفترة(٧٩-٨١م)، وقام في عهد والده بحصار أورشليم وتدميرها عام٧٠م. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص: ١٨٨ .

(٣) انظر: الكنيسة في التاريخ، ص ١٠٠، موقع بطريركية الروم الأرثوذكس المقدسية الأورشليمية.

(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

ذلك من خلال قانون كنسي أصدره المجمع، واستقلت بذلك عن كنيسة أنطاكية، وضمت أربع ميتروبوليات[(١)] كبيرة، وهي: قيصرية، وسيكتو بوليس، والبتراء، وبسطرا (بصرى)، وبلغ عدد أديرتها نحو ٣٦٥ ديراً[(٢)].

وبعد هذا الازدهار وقعت البطريركية في قبضة الحكم الفارسي على يد الملك "خسرو"[(٣)] عام ٦١٤م، وقد خلف غزوها دماراً كبيراً للمدينة، فهدمت أديرة ومزارات بكاملها، وسيق البطريرك "زخريا" ورؤساء المدينة إلى فارس مع غنائم كثيرة.

ويزعم المؤرخون النصارى أن هذه الغنائم حوت آثاراً مقدسة، منها الخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام -بزعمهم-، وبقيت تلك الآثار حتى حرر الإمبراطور البيزنطي هرقل أورشليم من أيدي الفرس عام ٦٣٢م، واسترجع تلك الآثار، ودخل أورشليم مظفرا، ولكن هذه المدينة لم تدم طويلا في أيدي الروم حيث دخلت أورشليم تحت الحكم الإسلامي، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام ١٥ هـ (٦٣٨م)، وانفصلت بذلك عن الجسم البيزنطي بكامله، وأطلق عليها المسلمون بعد ذلك الوقت بيت المقدس وهو المُسمَّى الشرعي الذي ورد في السنة.

وبقيت هذه المدينة في أيدي المسلمين إلى أن سقطت على أيدي الفرنج عام ٤٩٢هـ، واستمرت في أيديهم حتى عام ٥٨٣هـ، حيث استعادها من الفرنج القائد صلاح الدين في معركة حطين المشهورة، وبقيت في ظل الحكم الإسلامي إلى ما بعد

---

(١) المتروبوليت: أو المِطران تعريب للكلمة اليونانية "ميتروبوليتيس"، وتعني: مواطن في المدينة الأم، وتعني في المصطلح الكنسي: أسقف المدينة الأم، وتمتد رئاسته لأكثر من إيبارشية واحدة، أو لأكثر من مدينة واحدة مع تخومها. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: (٣/ ٢٣١).

(٢) انظر: الموقع الرسمي لبطريركية الروم الأرثوذكسية المقدسية الأورشليمية.

(٣) خسرو: ملك ساساني (٥٩٠-٦٢٨م)، ابن هرمز، توصل إلى العرش، بمساعدة موريق الإمبراطور البيزنطي. احتل أورشليم عام ٦١٤م، وانتصر عليه هرقل، ثم اغتيل في سجنه. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص:٤٦٣ .

سقوط الخلافة الإسلامية[1].

وقد تأثرت البطريركية الأورشليمية في تاريخها بالأحدث السياسة الكبرى، التي مرت بها، واختلفت أوضاعها باختلاف تلك الأحداث السياسية، وبعد نيلها درجة البطريركية عام ٤٥١م مرت بأحداثٍ كبرى، وهي كما يأتي:

١- الحكم البيزنطي من عام ٤٥١م إلى عام ٦١٣م.

٢- الحكم الفارسي من عام ٦١٤م إلى عام ٦٣١م.

٣- الحكم البيزنطي الثاني من عام ٦٣١م إلى عام ٦٣٨م.

٤- الحكم الإسلامي من عام ٦٣٨ إلى عام١٠٩٩م.

٥- الحكم الصليبي من عام ١.٩٩م إلى عام ١٢٩٩م.

٦- عودة الحكم الإسلامي من عام ١٢٩٩ م إلى عام ١٩٦٧م.

وقد تأثرت البطريركية بهذه التقلبات السياسية تأثراً كبيرا؛ ففي العهد البيزنطي الأول كانت الكنيسة الأورشليمية يونانية المظهر، وفي الفتح الإسلامي تعربت إكليريكيا وشعبا ولغة، وفي العهد الصليبي حل النفور بين أبناء الكنيسة الشرقية والغربية وأصبح هناك كيانان بطريركيان: لاتيني صليبي وآخر أرثوذكسي بيزنطي، وبعد نهاية العصر الصليبي عاد البطاركة العرب إلى الإلكليروس مرةً أخرى، وفي عهد الدولة العثمانية أصبح البطريرك القسطنطيني رئيساً لكل الأرثوذكسيين في جميع السلطنة، ومن هنا سيطرت القسطنطينية على جميع البطريركيات الأخرى بما فيها الأورشليمية، فتم بذلك "يوننة"[2] البطريركية الأورشليمية، وحل بطاركة اليونان مكان العرب، ولذلك أطلق العرب الأرثوذكس على هذا الدور بدور "الاغتصاب" أي اغتصاب الكرسي البطريركي الأورشليمي من قبل اليونان[3].

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٨/ ٤٢٤)، و (١٠/ ٢٤).

(٢) يوننة: صبغها بالصبغة اليونانية.

(٣) المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، الأب د. حنا سعيد كلداني، ص: ١١ .

وكان لهذة "اليوننة" أثرٌ كبيرٌ على البطريركية، حيث تحول كثيرٌ من الأرثوذكس إلى اللاتينية، كما قام صراع بين اللاتين واليونان على ملكية الأماكن المقدسة[(١)].

وفي الوقت الحاضر تمتد صلاحيات البطريرك على حدود فلسطين والأردن وجزءٍ من شبة جزيرة سيناء، وينضوي تحتها سبع أبرشيات يرأسها ميتروبوليتية ورؤساء أساقفة، وأساقفة فخريون، ويحكمها البطريرك مباشرة، وجميع أعضائها من اليونان.

والمراكز الأرثوذكسية الكبرى اليوم هي القدس، وبيت جالا، ورام الله، وجفنة، وكفر ياسين، والناصرة، والسلط، ويقدر عدد الأرثوذكس اليوم حول ٥٠٠٠٠ نسمة في كل من الأردن وإسرائيل والبقية في فلسطين[(٢)].

البطريرك الحالي:

هو كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث، وهو البطريرك رقم ١٤١ على كرسي أورشليم، وكان يدعى إيليا بن بنايوس وافا نجيليا يانويولس، ولد في غار غالياني في منطقة تريفيليا - ميسينيا سنة ١٩٥٢م، وقدم إلى المدينة المقدسة عام ١٩٦٤م، والتحق بالمدرسة البطريركية.

وفي عام ١٩٧٠م رُسِم شماسا في كنيسة الجلجلة، وأنهى دراسة الثانوية، وفي عام ١٩٧٥م رُسِم كاهنا وأُرسل للدراسة في جامعة أثينا، وفي عام ١٩٨٧م أصبح أرشمندريتا[(٣)]، وعندما أنهى دراسته عُيِّن كاتبا في الديوان البطريركي والمدرسة

---

(١) المصدر السابق، ص: ١٢ .

(٢) المصدر السابق، ص: ١٥ .

(٣) أرشيمندريت: كلمة يونانية، تعني حاكم قطيع، أو مدبر رعية، وفي الاصطلاح الكنسي الشرقي استخدم في معنيين، الأول: راهب في درجة متقدمة، والثاني: رئيس مجموعة أديرة. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: (١/ ٩٢).

البطريركية ومشرفاً على دير القديس خرالمبوس، وفي عام ١٩٨١م أُرسِل إلى جامعة درهام في بريطانيا لإكمال دراسته العليا وفي عام ١٩٨٦م، عاد إلى القدس وعُيِّن كاتباً للمجمع المقدس ومسئولاً عن مكتب الإعلام والمطبوعات البطريركية، وممثلاً في اللجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمي.

وفي عام ٢٠٠١م عُيِّن وكيلاً للبطريركية في موسكو، وفي عام ٢٠٠٤م عُيِّن رئيساً لكنيسة القيامة، وفي عام ٢٠٠٥م اختاره المجمع المقدس بالإجماع بطريركاً للبطريركية المقدسية، وفي عهده تم إعادة كنيسة القدس إلى المجلس العالمي للكنائس(١)، و"مجلس كنائس الشرق الاوسط(٢)" (٣).

---

(١) مجلس الكنائس العالمي: هو تجمع مسيحي عالمي يهدف إلى توحيد الكنائس الشرقية الأرثوذكسية والكنائس البروتستانتية التي لا تؤمن بسلطة بابا الفاتيكان الكاثوليكية. وتأسس المجلس في أمستردام بهولندا عام ١٩٤٨م واتخذ من جنيف فيما بعد مقرا له، ويرأسه حاليا كونارد رايزر من الكنيسة الإنجيلية البروتستانتية الألمانية، ويضم المجلس قرابة الألف كنيسة من مائة بلد في العالم تعمل -كما يعلن عن نفسه- لأهداف ثلاثة: تنظيم العلاقات بين الكنائس المنضوية تحته، والدراسات الكنسية، وتقديم المعونات الإنسانية للاجئين على اختلاف أديانهم. انظر: الموقع الرسمي للمجلس باللغة الإنجليزية،وموقع مفكرة الإسلام.

(٢) مجلس كنائس الشرق الأوسط: تأسس عام ١٩٧٤م، بعد انحلال مجلس كنائس الشرق الأدنى، وأعضاء المجلس هي كنائس الشرق الأوسط التي لها شراكة عقائدية وإسرارية وقانونية، وتضم أربع عائلات:

الأرثوذكسية(الإسكندرية، أنطاكية، أوشليم، قبرص)، والأرثوذكسية الشرقية(السريانية، والأرمنية، والقبطية)، والإنجيلية(المصلحة، الأسقفية، اللوثرية)، وانضمت إليها أخيرا الكاثوليكية، وتضم الجمعية العامة للمجلس ٩٦ عضو، أي ٢٤ عضو لكل عائلة، وتجتمع مرة كل أربع سنوات. انظر: دليل كنائس الشرق الأوسط. عفاف ديب قنديس، ص: ٨ .

(٣) باختصار وتصرف من موقع بطريركية الروم الأرثوذكس المقدسية الأورشليمة.

المطلب الثاني: بطريركية أنطاكيا

تحتل مدينة أنطاكية مكانةً كبرى بين مدن الشرق؛ فمن الناحية السياسية تعتبر المدينة الثالثة في الإمبراطورية الرومانية بعد روما والإسكندرية، وهي العاصمة السياسية للإقليم السوري، وهي مركز الولاة لسوريا والمشرق.

وقد كانت بسبب موقعها الجغرافي بين الشرق والغرب محط القوافل الوافدة من بلاد ما بين النهرين، ومدن عربية، ومن جميع أنحاء سوريا، وكانت أنسب مكان لنشر النصرانية بسبب قربها من أورشليم التي بدأت فيها الدعوة على أيدي تلاميذ المسيح – عليه السلام – (١).

وأما كنيسة أنطاكية فتعتبر –عند أصحابها– الكنيسة الأممية الأولى، وأول مدينة أطلق فيها لقب المسيحية، وأما مؤسسها، فيرى مؤرخو هذه الكنيسة أن تأسيسها يعود إلى بطرس استناداً على شهادة الآباء الأقدمين، وأنه بموجب التقليد الكنسي ترأس كنيسة أنطاكية سبع سنوات متتالية من سنة (٣٤-٤١) بعد الميلاد، ولكن أفعال بطرس اضطرته إلى التغيب عن أنطاكية وإقامة أفوذيوس نائبا عنه، وخلفاً له(٢).

ولكن المؤرخين الآخرين من غير المنتسبين إلى هذه الكنيسة يخالفون هذا الرأي، ويرون استناداً على الكتاب المقدس –كما يقولون– أن تأسيسها يعود إلى برنابا(٣) وبولس، وأن بطرس لم يصل إليها إلا متأخراً بعد مجمع أورشليم، أي بعد عام ٥١م، وأنه جعلها مركز انطلاق رحلاته المسماة بالتبشيرية(٤).

---

(١) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، ص: ١٥٨-١٥٩، الكنيسة في التاريخ، ص: ١٠٧.

(٢) انظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، د. أسد رستم، ص: ١٩-٢٩.

(٣) برنابا: اسم آرامي، معناه "ابن الوعظ"، وهو لاوي قبرصي الجنس، اعتنق المسيحية في زمن (الرسل)، وأخذ يجاهد في نشر الديانة النصرانية. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص: ١٧٢ .

(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

وهذه الكنيسة كغيرها من الكنائس عاشت فترة اضطهاد في القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد، ولم تبدأ فترة ازدهارها إلا في مطلع القرن الرابع، حيث نالت إمتيازاً خاصاً –إضافةً إلى كنيسة رومة والإسكندرية– على اعتبار أن مؤسسها هو بطرس هامة الرسل، ولذلك أعلن المجمع المسكوني الأول الذي عقد في نيقية أنه «يجب الاحتفاظ بحقوق أساقفة رومه والإسكندرية وأنطاكيا»[(١)].

ولذلك سُمِّي أساقفة هذه الكنائس الثلاث "بطاركة" في المجمع المسكوني –القسطنطيني الاول–[(٢)].

وكانت سلطة هذه البطريركية كبيرةً ومتميزةً ومنتشرةً في سائر مقاطعات المشرق، وامتد سلطانها على بلاد الشام وكيليكية[(٣)]، وجزيرة قبرص، ووصل إلى العراق وفارس شرقا، ويعود ذلك إلى أهمية الدور الذي قامت به في بداية تاريخ الكنيسة؛ حيث كانت "الأم المثالية" للنصرانية، والمنطلق الأول للتبشير في سائر أنحاء المشرق ثم العالم الغربي بعد ذلك.

كما أنها بسبب اتساع منطقتها الجغرافية خضعت لها مقاطعاتٌ كثيرة، وهي كما يأتي:

١- سوريا الأولى: عاصمتها أنطاكية مقر البطريركية.

٢- فينقيا الأولى: وعاصمتها صور وتضم ١٤ أسقفية.

٣- فينقيا الثانية: وعاصمتها حمص، ثم دمشق، أسقفياتها ١٢.

٤- سوريا الجنوبية وديار العرب أو العربية، وعاصمتها بسترا (بصرى) وعدد

---

(١) المجمل في تاريخ الكنيسة، الأب أنطوان الفرغاني، ص: ٤٥.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) كليكية: ولاية تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية لآسيا الصغرى، وأكثر سكانها من اليهود. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص: ٥٠٣.

أسقفياتها ٢٠ أسقفية.

٥- كيليكيا الأولى، وعاصمتها طرسوس، أسقفياتها سبعة.

٦- كيليكيا الثانية، وعاصمتها عين زربا، وعدد أسقفياتها تسعة.

٧- سوريا الثانية، عاصمتها أفاميا، أسقفياتها ثمانية.

٨- سوريا الفراتية، عاصمتها منبج، وأسقفياتها اثنا عشر.

٩- الرها، عاصمتها الرها، أسقفياتها ١٣.

١٠- بلاد ما بين النهرين عاصمتها آمد (ديار بكر) أسقفياتها ٩.

١١- إيصوريا وعاصمتها سلوقيا، أم المدائن، أو طيسفون، أسقفياتها ٢٤، ويلحق بها أيضا الرصافة، وفيها ٦ أسقفيات، ودارا وفيها ٤ أسقفيات(١).

ومع هذه المكانة الكبيرة والسلطة الواسعة إلا أن الضعف دب إلى هذه البطريركية، ويعود سبب ذلك عند الدراسة إلى مجموعةٍ من العوامل، أهمها ما يأتي:

١- الأحداث الانفصالية عن الكنسية.

بدأت أجزاء تابعة للبطريركية بالانفصال النهائي عنها، وسبب هذا الانفصال في الغالب هو الخلاف حول المسائل العقدية، ومن أهم هذه الانفصالات:

- انفصال النساطرة(الآشوريين والكلدان)، بعدما حرم مجمع أفسس (٤٣١م) نسطورس أسقف القسطنطينية، وكان الآشوريون والكلدان قد أيدوا نسطوريوس، ورفضوا الحرم الذي لحق به، فانفصلوا عن الكنيسة الأنطاكية، واتخذوا المدائن (فارس) مقرا لكنيستهم، ثم استقروا بعدها في بابل.

- انفصال السريان والأرمن، وكان ذلك نتيجة لرفضهم قرارات مجمع

---

(١) الكنيسة في التاريخ ص:١٠٧-١٠٨، وتاريخ الكنيسة الشرقية المطران ميشيل وإغناطيوس ديك. ص: ١٠٩.

خلقدونية (المجمع المسكوني الرابع ٤٥١م) الذي أكد طبيعتي المسيح عليه السلام ومشيئته، وأنه شخصٌ واحدٌ في حين قالت العائلة الشرقية بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة، وهكذا نشأت الكنيسة السريانية المستقلة عام ٥١٣م متخذةً **ماردين**(١) مقراً لها، وكذلك الحال بالنسبة للأرمن.

- انفصال الموارنة عام ٦٨٠م عن أنطاكية، عندما تبنوا القول بالطبيعتين والمشيئة الواحدة فقط، وأقاموا يوحنا مارون بطريركا عليهم، ولكنهم بعد الحرب الصليبية أعلنوا خضوعهم لروما عام ١١٨٣م، فكانت أول كنيسة شرقية تعلن خضوعها لروما.

- انفصال الكنيسة الكرجية الأرثوذكسية عن الكرسي الأنطاكي عام ١٠٥٠م، وأصبحت كنيسة مستقلة(٢).

٢- الأحداث السياسية:

لعبت الأحداث السياسية في الشرق دوراً كبيراً في إضعاف كنيسة أنطاكية، ومن أهم هذه الأحداث:

- الغزو الفارسي عام ٢٦٠م، حيث سبوا أهلها، وحملوا أسقفها ديتمريانوس أسيرا، وبقي منصب الأسقف شاغرا، حتى عُيِّن له أذينة الثاني ملك تدمر بولس السيمساطي الذي بقي في الكرسي حتى طرد بأمر الإمبراطور أورليانوس.

- الفتح الإسلامي عام ٦٣٧م الذي انفصلت فيه البطريركية عن العالم

---

(١) ماردِين: قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين، وحاليا تقع جنوب شرق تركيا، وتجمع عددا من الديانات. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: (٥/ ٣٩)، الموسوعة الحرة.

(٢) تاريخ الكنيسة المسيحية، أفغراف سمير نوف، ص: ٥٤٩، مختصر تاريخ الكرسي الأنطاكي المقدس جوزيف زيتون، مقال بموقع بطريركية أنطاكية وسائر المشرق.

البيزنطي.

- الغزو الفرنجي عام ١٠٩٨م، الذي تم فيه عزل البطريرك الأرثوذكسي "يوحنا"، وإقامة البطريرك اللاتيني "برنارد" مكانه، وإقامة كهنة ومطارنة من اللاتين، وفي هذه الفترة (١٠٩٨م-١٢٦٨م) كان البطاركة الأنطاكيون يقيمون في القسطنطينية، وإن لم يستقروا فيها استقراراً كاملا.

وكانت هذه التقلبات السياسية إضافةً إلى انتقال الكرسي البطريركي إلى القسطنطينية من أسباب ضعف البطريركية وتضييق حدودها الواسعة، وقلة رعاياها[١].

٣- التنصير البابوي:

عندما خضعت القسطنطينية لحكم الدولة العثمانية، وأصبحت تُسمَّى عاصمة ملة الروم وكان بطريركها يعتبر الممثل الأعلى للروم، وقد استغلت إرساليات الكنيسة الرومانية الكاثوليكية هذا الوضع وجهزت الإرساليات اليسوعية[٢]، والكرملية[٣]

---

(١) مختصر تاريخ الكرسي الأنطاكي ضمن الموقع الرسمي لبطريركية أنطاكية وسائر المشرق.

(٢) اليسوعية: أو اليسوعيون جمع يسوعي، وهو العضو في "جمعية يسوع"، وهي مؤسسة رهبانية أسسها إغناطيوس دولويولاسنة ١٥٣٤م، وصادق عليها البابا بولس الثالث سنة ١٥٤٠م، ولا يدخل أحد في هذه الجماعة إلا إذا أدى نذور الرهبانية الثلاثة (وهي الفقر، والعفة، والطاعة)، وأضاف إليها نذراً رابعاً، وهو الطاعة المطلقة للبابا، ويطلق على اليسوعيين "جنود الله"، و"جيش البابا"، لكثرتهم .وأكبر اهتمام هذه الجماعة هو التنصير، عن طريق التعليم، وتأسيس المدارس والجامعات ومراكز الثقافة. انظر: موسوعة الأديان الميسرة، إدارة: أحمد راتب عرموش وزملائه، ص:٥٠١.

(٣) الرهبنة الكرملية: اسمها الرسمي رهبنة إخوة سيدة جبل الكرمل، ويسمون الكرمليون أو الكرمليت، وهي رهبنة في الكنيسة الكاثوليكية تأسست في القرن الثاني عشر في مملكة بيت المقدس، وتعتمد في روحانيتها على النبي إلياس ومريم العذراء. اسمها مأخوذ من جبل الكرمل شمال حيفا، وضع قانون الرهبنة برتولد، وكانت تعتبر من الرهبنات القانتة، حيث يقضي أعضائها =

لاستقطاب الكراسي الأرثوذكسية القسطنطينية والأنطاكية عن طريق بناء المدارس والمشافي، والمياتم، ومأوى الغرباء، كما استغلت اندفاع أبناء الأرثوذكس لتلقي التعليم في أوربا فتبنت أبناء النجباء وأرسلتهم إلى الكليات الكاثوليكية في الفاتيكان وغيرها، وكانت نتيجة ذلك اعتناق الكثير منهم الكاثوليكية والدعوة إليها بعد أن عادوا إلى أوطانهم، وساعد في عملية التنصير الكاثوليكي سوء الأوضاع المادية للكرسي الأنطاكي الذي اضطر إلى التوجه إلى أوربا الشرقية لطلب المساعدة، من أجل الوقوف أمام هذا التغلغل الكاثوليكي.

وقد بلغ هذا التغلغل مداه في القرن الثامن عشر على يد الجميعات اليسوعية التي انتشرت في دمشق وحلب وصيدا وغيرها.

وقد أدت تلك الجهود إلى انتشار الكثلكلة في الأساط الشرقية، مما أدى إلى انتخاب بطريرك كاثوليكي لأول مرةٍ مقابل البطريرك الأرثوذكسي الشرعي، حيث اتخذ الأول مدينة صيدا مقراً لبطريركيته، وأقام أساقفة، وكهنةً وجميعاتٍ رهبانيةً تبشيرية، وقد اعترفت الدولة العثمانية بهذه البطريركية التي اتخذت اسم "بطريركية أنطاكية وسائر المشرق والإسكندرية وأروشليم للروم الملكيين الكاثوليك" وكان ذلك في عام ١٧٢٤م، وأصبحت هذه البطريركية خاضعة لأوربا.

ومنذ عام ١٧٢٤م بقي تعيين البطاركة الأرثوذكس من اليونان واستمر ذلك إلى عام ١٨٩٨م، حيث عاد الكرسي الأنطاكي إلى أبنائه نتيجة الضغط الشعبي الشديد من أجل ذلك[(١)].

البطريركية في الوقت الحاضر.

بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس، وهي كنيسة أرثوذكسية

= أغلب حياتهم داخل الدير، وينفقون أغلب يومهم في الصلاة والتأمل فحسب. انظر: الرهبنة الكرملية (الموقع الإلكتروني)، الموسوعة العربية المسيحية(الموقع الإلكتروني).

(١) المصدر السابق.

أسسها بحسب تقليدها الكنسي بطرس وبولس الرسولان، ومقرها الحالي دمشق في سوريا، وعدد رعاياها نحو ١٢ مليون، متوزعون في سوريا ولبنان وأوربا وأمريكا وأستراليا، وبطريركها الحالي هو يوحنا العاشر يازجي الذي انتخب بعد وفاة البطريرك السابق (توفي في ٥ كانون الأول٢١٢٠م).

ولغاتها الطقسية هي العربية واليونانية، وهذه الكنيسة هي عضو في مجلس كنائس الشرق الأوسط.

البطريرك الحالي:

يطلق على البطريرك الحالي صاحب الغبطة البطريرك يوحنا العاشر، ولد عام ١٩٥٥م، في مدينة اللاذقية في سورية، وعاش ودرس في مدارس المدينة، التحق بكلية الهندسة المدنية في جامعة تشرين. وفي أثناء دراسته بدأ يلعب دوراً قيادياً في صفوف الشبيبة، وحصل على شهادة الليسانس في اللاهوت عام ١٩٨٧م من معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي-جامعة البلمند، ثم حاز درجة الدكتوراه في اللاهوت عام ١٩٨٣م من جامعة سالونيك-اليونان، وتخرج بدرجة شرف. نشرت أطروحة الدكتوراة المكتوبة باللغة اليونانية تحت عنوان:"خدمة المعمودية المقدسة دراسة تاريخية ولاهوتية وليتورجية".

رُسم شمَّاساً عام ١٩٧٩م، ثم كاهنا عام ١٩٨٣م، في أبرشية اللاذقية، على يد المطران يوحنا منصور، ومنذ العام ١٩٨١م قام غبطته بتدريس مادة الليتورجيا في معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي في جامعة البلمند، وتبوأ منصب عميد كلية اللاهوت في جامعة البلمند لفترتين، الأولى في السنوات: ١٩٨٨-١٩٩١م والثانية: ٢٠٠١م- ٢٠٠٥م، كما تولى رئاسة دير سيدة البلمند البطريركي في السنوات٢٠٠١م-٢٠٠٥م.

تسلم رئاسة دير القديس جاور جيوس الحميراء البطريركي – وادي النضارة، في العام ١٩٩٣م وحتى٢٠٠٥م، حيث أسس رهبنة، وأنشأ مدرسة التنشئة الإكليريكية على صعيد البطريركية، كما أسهم في تأسيس دير السيدة للراهبات في

بلمانا-طرطوس، انتخبه المجمع الأنطاكي المقدس في ١٩٩٥م أسقفا على منطقة الحصن في وادي النضارة في أبرشية عكار، واستمر في هذه الخدمة حتى العام ٢٠٠٨م، حين عاد المجمع الأنطاكي المقدس وانتخبه ميتروبوليتا على أوربا الغربية والوسطى، وقد شارك في مؤتمراتٍ عالميةٍ عدة، أرثوذكسية ومسكونية، في اليونان وإيطاليا وسويسرا وقبرص وأمريكا وروسيا وبريطانيا.

وله مؤلفاتٌ عدة، لاهوتية وتربوية وموسيقية وليتورجية، بالإضافة إلى العديد من الترجمات والمقالات والمحاضرات في أماكن عدة، من أهم المقالات والكتب المنشورة: خدمة المعمودية المقدسة (دراسة تايخية ولاهوتية وليتورجية)، سالونيك – ١٩٨٣م (رسالة الدكتوراه-باليونانية)، مبادئ الموسيقى البيزنطية، البلمند،١٩٩٠م (طبعة ثانية٢٠٠١م)، سيرة القديس نكتاريوس العجائبي، اللاذقية،١٩٩٠م، الكهنوت وزواج الإكليروس، اللاذقية،١٩٩٠م، "المعمودية سر الدخول إلى الحياة في المسيح"، اللاذقية، ١٩٩٢م، كتاب خدمة الكهنة، دير القديس جاور جيوس الحميراء البطريركي، ٢٠٠١م(طبعة ثانية منقحة ٢٠٠٥م)، خدمة القداس الإلهي للقديس يوحنا الذهبي الفم دير القديس جاور جيوس الحميراء البطريركي، كتاب خدمة رؤساء الكهنة، دير السيدة-بلمانا، ٢٠٠٧م.

اشترك في مؤتمراتٍ عدة أهمها: الرسول بولس والكنيسة الأنطاكية، "الكنيسة والأسرار"، مؤتمر لاهوتي عالمي حول الكنيسة بحسب المفهوم الأرثوذكسي، "الكنيسة في الشرق الأوسط"، جامعة أوكسفورد، بريطانيا ٢٠٠٢م.

المطلب الثالث: بطريركية الإسكندرية

نالت الإسكندرية مكانةً كبيرةً في الإمبراطورية الرومانية، فهي من الناحية السياسية المدينة الثانية بعد روما، وأما من الناحية الثقافية، فهي توازي مدينة روما، بل هي عند مؤرخي الإسكندرية المدينة الأولى، وذلك بسبب وجود مدرسة الإسكندرية التي كانت تعد أكبر مركز ثقافي وفلسفي في ذلك الوقت[١].

أما بطريركية الإسكندرية فقد احتلت المرتبة الثانية بين الكراسي الخمسة، بعد كرسي روما مباشرة، وقد اكتسبت هذه المكانة بسبب انتسابها إلى مرقس أحد أصحاب الأناجيل الأربعة الذي يعزى إليه نشر النصرانية في مصر والمدن الغريبة[٢]، حيث أسس الكرسي الإسكندري وشغله في الفترة(٦١-٦٨م)، وقام أيضا بتأسيس المدرسة اللاهوتية في الإسكندرية، وأقام بسطس رئيسا عليها[٣].

وقد عاشت البطريركية الإسكندرية –كغيرها من البطريركيات فترة اضطهاد في القرون الأولى، وحظيت بمكانةٍ كبرى في العالم النصراني عندما منحها مجمع نيقية (٣٢٥م) المرتبة الثانية بعد مرتبة كرسي رومة.

ولذلك كان بينها وبين كنيسة روما منافسة شديدة، وفي هذه الفترة كان أتباع البطريركية الإسكندرية يرون أن كرسيهم هو الأهم في كافة أرجاء العالم النصراني، وأن بطريرك الإسكندرية هو الوحيد الذي يحمل لقب "البابا" في ذلك الوقت، لذلك قال عنه غريغوريوس النزيانزي أنه:"رئيس العالم"[٤]، ولذلك حاول أساقفة

---

(١) انظر: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، ص: ١٦١، الكنيسة في التاريخ:(١/ ١٣٢)

(٢) المدن الغربية: يطلق هذا المصطلح كما في معجم لاروس على: القيروان، ارسينويه، الالونيا، برنيقة، بتولومايس، انظر: تاريخ الأمة القبطية، لجنة التاريخ القبطي-الحاشية.

(٣) انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: (١/ ٨٩)، تاريخ الأمة القبطية، ص: ٦٣-٦٦

(٤) انظر: أقباط مصر، بربارة واترسون، ص:٦٩.

الإسكندرية التدخل في شئون الشرق كله، ولكن هذه المنافسة انتهت لصالح روما في مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١م)، الذي قرر تقدم كنيسة القسطنطينية (روما الجديدة) إلى المركز الثاني بعد روما وتأخر كنيسة الإسكندرية إلى الثالث، كما أوقف سلطة الكنيسة خارج مصر وحصرها في كل من مصر وليبية[1].

وكانت قرارات هذا المجمع هي بداية ضعف البطريركية الإسكندرية، وتقليص سلطتها، ثم جاء بعد ذلك الحدث الأهم والأخطر، وهو مجمع خلقدونية (٤٥١م)، الذي حكم على بطريرك الإسكندرية باللعن، ثم العزل، ثم النفى، وكان لهذا المجمع آثار بعيدة المدى، ومن أهمها:

١- انعزال كنيسة الإسكندرية، ومعها الحبشية، والأرمنية، والسريانية عن الكنيسة الجامعة، وهذا الانعزال المبكر من تاريخ الكنيسة أدى إلى ضعف الكنيسة وتضييق سلطتها وحدودها.

٢- الانقسام الداخلي، فبعد المجمع الخلقدوني بُذِلت عدة محاولاتٍ لإعادة الوحدة مرةً أخرى ولكنها باءت بالفشل، حيث أصر المصريون على انتخاب بطريرك مناويء لمجمع خلقدونية وأطلقوا على مؤيدي المجمع لقب "الملكيين"، أي أنصار الملك البيزنطي، كما سموا أنفسهم أقباط، كما عززوا اللغة القبطية، وأهملوا اليونانية، وفي المقابل أصبح الأباطرة البيزنطيين الذين يعتقدون عقيدة المجمع الخلقدوني يحملون الناس قسراً على عقيدتهم في القسطنطينية، والإسكندرية وغيرها فتعزز بذلك الانقسام وزاد ضعف الكنيسة[2]، واستمر بذلك التأثير البيزنطي على الكنيسة الإسكندرية متمثلاً في تعيين البطاركة "الخلقدونيين" بالقوة على البطريركية، وبقي الحال على ذلك حتى جاء الغزو الفارسي الذي اجتاح مصر في عام ٦١٦م، في عهد

---

(١) انظر: تاريخ المسيحية الشرقية، ص: ١١٨.

(٢) انظر: تاريخ الأمة القبطية، ص: ٩٣، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص١٠٩.

الإمبراطور البيزنطي "هرقل"[(١)]، وبقيت مصر خاضعة للفرس حتى عام ٦٢٩، حينما استردها هرقل من أيدي البيزنطيين[(٢)].

والمهم هنا أن هرقل عندما استرد مصر من أيدي الفرس استمر على منهج الأباطرة البيزنطين الخلقدونيين، وأقام "جريح بن مينا" واليا يونانيا من قبله على الخراج، وجعله بطريركا، وهو الملقب بالمقوقس، وأقام أساقفة "ملكيين" على جميع الأبرشيات في البطريركية، فقام البطاركة الملكيين باضطهادٍ كبيرٍ لبطريركية الأرثوذكس، فاختفى البطريرك الأرثوذكسي بنيامين وجميع الأساقفة الأرثوذكس قرابة ثلاث عشرة سنة[(٣)].

وبعد ذلك جاء الفتح الإسلامي لمصر في عام ١٧هـ (٦٤٠م) على يد القائد عمرو بن العاص في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ، ومما له علاقةٌ ببحثنا أن البطريركية الإسكندرية عاشت في عدلٍ وأمانٍ في عهد الدولة الإسلامية، وهذا مما يعترف به الأقباط أنفسهم.

تقول لجنة التاريخ القبطي عن الدور الذي قام به عمرو بن العاص ﷺ: «وفي هذه الأثناء فتح العرب مصر على يد عمرو بن العاص، فكتب عمرو صكاً بالأمان نشره في أنحاء مصر يدعو فيه البابا بنيامين إلى العودة لكرسيه ويؤمنه على حياته، فظهر البابا وذهب إلى عمرو فاحتفى به ورده إلى مركزه عزيز الجانب موفور الكرامة، فأخذ يعمل على أن يسترد إلى الحظيرة الأرثوذكسية الأبرشيات التي استمالها الملكيون، فكلل عمله بالنجاح، وكذلك عمر الأديرة التي خربها الفرس في وادي النطرون، وجمع إليها

---

(١) هرقل: أو هيراكليوس: إمبراطور بيزنطي(٦١٠-٦٤١)، قهر الفرس، واحتل تبريز، واسترد الصليب، ولكنه فشل إيقاف الفتح الإسلامي، فتخلى عن سوريا وفلسطين وبلاد ما بين النهرين ومصر. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص: ٥٩٥ .

(٢) انظر: الأقباط النشأة والصراع. ملاك لوقا.

(٣) انظر: تاريخ الأمة القبطية، ص:١٢٧-١٢٨ .

رهبانها الباقين المشتتين»[١].

والمقصود أن عمرو بن العاص أعطى أهل البطريركية حقوقهم باعتبارهم الشعب الذي يمثل هذه البطريركية.

وكان هذا العدل مدعاة للإعجاب بهذا الدين الذي يحمله المسلمون، ومن ثم الدخول في هذا الدين عن رغبة وقناعة.

البطريركية في الوقت الحاضر:

بسبب الأحداث السياسية، والخلافات اللاهوتية، والخلافات الداخلية في البطريركية الإسكندرية فقد عاشت في حدود جغرافية صغيرة وقل أتباعها، ولم تشمل سلطتها إلا على رقعةٍ بسيطة، وفي الوقت الحاضر يتراوح عدد أتباعها بين ١٤-٢٠ ألفا، لهم ثمان كنائس وديران في الإسكندرية والقاهرة، وتتألف البطريركية من البطريرك وثلاثة مطارنة وعدد أعضاء البطريركية لا يتجاوز ٣٨ شخص[٢].

البابا شنودة الثالث وأثره على الكنيسة الأرثوذكسية:

ولد نضير جيد روفائيل (البابا شنودة الثالث فيما بعد) في قرية "سلامة" التابعة لمحافظة أسيوط في ٣ أغسطس عام ١٩٢٣م، وبعد ساعات قليلة من ولادته توفيت أمه وتولت رعايته شقيقته الكبرى، وكان والده من بين الأغنياء في ذلك الوقت.

وفي عام ١٩٣٣م بدأ اهتمام نظير جيد بالمسائل الدينية وذلك بتأثير الأنبا مكاريوس مطران أسيوط في ذلك الوقت (الذي أصبح بابا فيما بعد) وواعظ أسيوط الشهير إسكندر يوحنا[٣].

---

(١) الأقباط النشأة والصراع، ص: ١٢٨.

(٢) تاريخ الكنيسة المسيحية، ص: ٥٤٧، وهذا الكتاب طبع عام ١٩١١م، ولابد أن عدد الأرثوذكس قد زاد، ولكن ليس بالصورة التي يزعمها الأقباط الأرثوذكس اليوم.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٩٩ .

وفي عام ١٩٤٨م تعرف على الأب " مينا" الذي أصبح فيما بعد البابا كيرلس السادس، وفي عام ١٩٥٣م أصبح مدرساً في مدرسة الرهبان بحلوان وعضواً في مجلس إدارة جماعة التربية القبطية ثم رئيساً لمجلس إدارة بين مدارس الأحد(١).

وفي ١٨ يوليو عام ١٩٥٤م انضم إلى سلك الرهبان تحت اسم " أنطونيوس السرياني" وترهبن في دير السريان بوادي النطرون . وفي عام ١٩٥٩م استدعاه البابا كيرلس السادس ليعمل سكرتيراً له ومندوباً في عدد من اللجان، وفي عام ١٩٦٢م رُسم أسقفاً على الكلية الإكليريكية والمعاهد الدينية(٢).

وفي عام ١٩٧١م تولى عرش البابوية بعد وفاة البابا كيرلس السادس واتخذ له اسم البابا شنودة الثالث.

أثر البابا شنودة الثالث على الكنيسة القبطية:

تميزت فترة بابوية البابا شنودة بأنها من أطول فترات البابوية، حيث استمرت أكثر من أربعين سنة، واستطاع من خلالها أن يحدث تغييراً كبيراً في مسار الكنيسة القبطية، حتى عدت فترة بابويته علامة فارقة في تاريخ الكنيسة القبطية حتى قال عنها خليفته البابا تواضروس الحالي: « إن البابا شنودة الثالث علامة فارقة في تاريخ الكنيسة القبطية ووطننا مصر واسمه محفور في سجل الزمن والتاريخ نظراً لحياته الطويلة وأعماله الكثيرة التي خدم بها السيد المسيح عبر جهاد طويل».

وعند دراسة فترة بابويته نجد أنه بالفعل استطاع أن يحدث تغييراً في مسار الكنيسة القبطية وأن السمة العامة التي تميزت بها فترة رئاسته هي تحويل مسار الكنيسة من دار للعبادة لطائفة من الأقباط إلى لاعب سياسي له دور أساسي ومؤثر في الحياة السياسية لمدة أربع عقود، وأما السمة الرئيسة التي اعتنقها فهي فكرة الإرهاب الدموي عندما أسس مع مجموعة من الرهبان جمعية أطلق عليها " جمعية الأمة

---

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية، ص: ١٠٤ وما بعدها.

(٢) موقع البابا تواضروس الإلكتروني.

القبطية" وهذه الجمعية من أهم مصادر فكر شنودة، وساتحدث عنها بشيء من التفصيل.

جمعية الأمة القبطية:

نشأت جمعية الأمة القبطية عام ١٩٥٢م عندما منحت وزارة الشئون الاجتماعية المحامي الأستاذ/ ابراهيم فهمي هلال ترخيصاً بتكوين جمعية دينية اتخذت اسم " جمعية الأمة القبطية"، وهي جمعية متطرفة أنشئت لمهاجمة الإسلام، ومن أهم البنود المعلنة التي قامت عليها ما يأتي:

١- إصلاح شئون الكنيسة.

٢- نشر تعاليم الإنجيل والتمسك بجميع أحكامه.

٣- تقديم المساعدة للمحتاجين.

٤- تعليم اللغة القبطية وتاريخ الكنيسة وإحلالها محل اللغات الأخرى والتمسك بعادات وتقاليد الأمة القبطية[١].

وقد تكونت هذه الجمعية من الشباب القبطي المثقف وأصحاب الدرجات العلمية لتحقيق النهوض بالشعب القبطي عن طريق الإصلاح من خارج الكنيسة.

وهذه الأهداف المعلنة من الجمعية قد تكون مرادة ولكن الهدف الأهم من ذلك هو مهاجمة المسلمين عن طريق إشعال الفتنة الطائفية ويتضح لنا ذلك من معرفة رؤية الجمعية والأحداث الخطيرة التي قامت بها، ويمكن بيان ذلك من خلال ما يأتي:

أولا: كانت رؤية هذه الجمعية تقوم على أن الأقباط يشكلون أمة وعلى هذا الأساس قدموا مطالب عديدة لتحقيق هذه الرؤية منها:

١- المطالبة بعدم نص الدستور على أن الإسلام دين الدولة.

٢- أن يكون نائب رئيس الجمهورية قبطياً.

٣- أن يكون دستور الدولة وطنياً وليس دينياً ولا عربياً.

---

(١) انظر: موقع موسوعة تاريخ الأقباط الإلكتروني – مقال الأستاذ/ عزت أندراوس.

٤- إزالة جميع أشكال التمييز (بزعمهم) ضد الأقباط[١].

ثانياً : مما يؤكد توجه هذه الجمعية إلى إنشاء دولة قبطية أنها اتخذت علماً لها يمثل صليباً مصرياً منصوباً في الإنجيل ومكتوب تحته(سيأتي اليوم)، ولها زي خاص بها ونشيد خاص أيضاً ينشد في جميع احتفالاتهم، وكان شعار هذه الجمعية (مصر كلها أرضنا التي سلبت منا بواسطة العرب المسلمين منذ أربعة عشر قرناً . إن أرضنا هي مصرونحن سلالة الفراعنة وديانتنا هي المسيحية وسيكون دستورنا هو الإنجيل وتكون لغتنا هي القبطية) [٢].

ثالثاً: ومما يدل على توجه هذه الجمعية الدموي هو حادثة الاختطاف المشهورة التي طالت البابا "يوساب الثاني" نفسه عندما أرادت الجمعية ضمه إليها وعندما رفض ذلك ذهبوا به إلى دير وادي النطرون في الصحراء وأرغموه على التنازل عن البابوية [٣].

والمهم هنا أن هذه الجمعية كانت أهم المصادر التي استقى منها البابا شنودة فكره المتطرف، بل كان هو أحد الأفراد الذين قاموا باختطاف البابا يوساب الثاني ولكنه هرب من الشرطة ثم ترهبن في وادي النطرون- كما سبق بيانه- .

دور البابا شنودة في الكنيسة:

كان للبابا شنودة دور كبير في تغيير مسار الكنيسة وعلاقتها مع غيرها ويمكن بيان ذلك كما يأتي:

أولاً: إشعال الفتنة الطائفية:

كان اهتمام الكنيسة القبطية أداء رسالتها الخاصة المتمثلة في إقامة شعائر العبادة والتمسك بتعاليم الكنيسة ولكنها خرجت عن هذا المسار بقيادة البابا شنودة وذلك

---

(١) انظر: التاريخ الأسود للبابا شنودة. مقال محمد كمال على الموقع الإلكتروني.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه. الفتنة الطائفية، د. محمد عمارة، ص: ٦٢.

عندما تزعم جمعية الأمة القبطية، وفي مسار إشعال الفتنة الطائفية نجد أنه اتخذ عدة وسائل ومن ذلك :

١ - دعوى أن المسلمين محتلون لأرض مصر وقد قال في ذلك :« إن المسلمين قد أتوا وسكنوا معنا في مصر»[١]. واعتبر المسلمين جالية محتلة لمصر من أكثر من أربعة عشر قرناً.

٢ - بنى على هذه الدعوى المناداة بإنشاء الدولة القبطية وتبنى مشروعاً قوميا متكاملاً لتحقيق هذه الفكرة على أرض الواقع.

وفي محاضرة قدمت في هذا الشأن في ١٧/ ٧/ ١٩٧٢م على هامش مؤتمر الإسكندرية لخاصة رجال الدين وعدد من الأثرياء وتم فيها الإعلان عن المشروع الطائفي العنصري الذي يسعى لتغيير الهوية والخريطة والحضارة وحتى تاريخ مصر. ومما جاء في هذه المحاضرة : « لقد عادت إسبانيا إلى أصحابها المسيحيين بعد أن ظلت بأيدي المستعمرين المسلمين قرابة ثمانية قرون ... وفي التاريخ المعاصر عادت أكثر من بلد إلى أهلها بعد أن طردوا منها منذ قرون طويلة ... والمطلوب مقاطعة المسلمين اقتصادياً والإمتناع عن التعامل المادي معهم امتناعاً مطلقاً الا في الحالات التي يتعذر فيها ذلك.

٣- وضع خطة متكاملة لقيام الدولة القبطية :

منذ أن تولى البابا شنودة سدة البطريركية بدأ في وضع خطة متكاملة تقوم على محاور عدة من أجل قيام الدولة القبطية، ومن تلك المحاور :

(أ) تكوين لوبي إعلامي لدعم البابا وتلميعه أمام الرأي العام.

(ب) تشجيع الأقباط على التمركز في مناطق سكنية معينة ليشكلوا فيها الأغلبية

(ج) افتعال المشكلات الطائفية لتحقيق أكبر مكاسب له لتسمح بالإعلان عن دولته.

---

(١) الفتنة الطائفية. ص:٦١ .

(د) التعاون التام مع أقباط المهجر للحصول على دعم الدول التي يعيشون فيها.

(هـ)الاستيلاء على مساحات شاسعة من الأراضي في الدولة لبناء الأديرة بعيداً عن رقابة الدولة[١].

ثانياً: اضطهاد المهتدين من النصارى إلى الإسلام:

شهدت الفترة الحديثة من تاريخ الكنيسة القبطية تزايد حالات الاهتداء إلى الإسلام، وهي ظاهرة ملفتة للنظر[٢] ولكن الكنيسة القبطية كانت بالمرصاد لتلك الظاهرة التي طالت أفراداً لهم مكانة مرموقة في الكنيسة وكان موقف الكنيسة في غاية السوء والظلم وكانت تستخدم وسيلة الإغراء تارة والتهديد بالتضييق أو السجن أو حتى القتل تارات أخرى.

ومن الأمثلة على ذلك ما حدث في عام ٢٠٠٤م عندما أعلنت وفاء قسطنطين إسلامها وهي زوجة الكاهن يوسف معوض بمطرانية البحيرة وعلى الفور أعطى شنودة توجيهاته للبدء في شحن الأقباط والتوجه من البحيرة إلى مقر الكاتدرائية والقيام بحملة تستهدف سب الإسلام كما قام بزيادة إشعال الفتنة بإعلان اعتكافه داخل الكاتدرائية ولم يتوقف عن ذلك حتى تسلم وفاء قسطنطين وأعادها بالقوة إلى حظيرة الكنيسة[٣].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا الدور الكبير الذي قام به البابا شنودة في تلك الفترة ولاسيما في مهاجمة المسلمين من خلال خطة متكاملة تسعى لإشعال الفتنة وتعتمد على الأكاذيب من أجل الوصول إلى الأهداف التي اتفقت عليها جمعية الأمة القبطية.

البطريرك الحالي:

البابا تواضروس الثاني (٤ نوفمبر ١٩٥٢م) بابا الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

---

(١) انظر: جريدة المسلمون المصرية بتاريخ ١٥/ ٦/ ١٤٣٥هـ.

(٢) وهذه الظاهرة مما يزيد المسلم اعتزازا بدينه وهي جديرة بدراسة علمية مستقلة.

(٣) انظر: جريدة المسلمون المصرية بتاريخ ١٥/ ٦/ ١٤٣٥هـ.

الثامن عشر بعد المائة، ولد باسم وجيه صبحي باقي سليمان بالمنصورة لأسرةٍ مكونةٍ منه وأخوين شقيقين، ووالده كان يعمل مهندس مساحة، وتنقلت الأسرة في المعيشة ما بين المنصورة وسوهاج ودمنهور.

وفي ٤ نوفمبر ٢٠١٢م، تم اختياره عن طريق القرعة الهيكلية ليكون بابا الكنيسة القبطية الأرثوذكسية رقم ١١٨.

التحق بجامعة الإسكندرية، بكلية الصيدلة، وحصل على بكالوريوس الصيدلة عام ١٩٧٥م.

كما حصل على زمالة الصحة العالمية بإنجلترا عام ١٩٨٥م، والتحق بالكلية الإكليركية، وتخرج منها عام ١٩٨٥م.

ذهب الأنبا تواضروس إلى دير الأنبا بيشوي بوادي النطرون في ٢ أغسطس ١٩٨٦م، وترهبن في ٣١ يوليو ١٩٨٨م، باسم الراهب ثيوؤدور، تمت رسامته قساً في ٢٣ ديسمبر ١٩٨٩م.

انتقل للخدمة بمحافظة البحيرة في ١٥ فبراير ١٩٩٠م، ثم نال درجة الأسقفية في ١٥ يونيو ١٩٩٧م، وكان مسؤولاً عن خدمة منطقة كنج مريوط والقطاع الصحراوي وخدم بها خمسة عشر عاماً إلى أن تم تجليسه على كرسي مار مرقس الإنجيلي وله بكنج مريوط مقر حتى الآن وهو كرمة كنج مريوط، و له العديد من العظات الروحية والكتابات.

وله رؤيةٌ لمستقبل الكنيسة حيث يقول: «يجب أن نهتم بفصول التربية الكنيسة منذ الصغر، وأن نجعل فصول إعداد الخدام من أولوياتنا، فالخدمة هي التي سوف تصنع نهضةً جديدةً داخل الكنائس سواء بمصر أو ببلاد المهجر».

ويطالب الأنبا تواضروس بإنشاء معهدٍ لإعداد خدام كنائس بالمهجر لإطلاعهم على الثقافات المختلفة في الدول الأوربية وأمريكا وكندا، معتبراً أن إقامة قنواتٍ للحوار مع الشباب أمرٌ ضروري، وكذلك يدعو المسيحيين إلى الاندماج من

خلال التعليم ووسائل الإعلام.

تم تجليسه باباً للإسكندرية وبطريرك للكرازة المرقسية في قداس الأحد ١٨ نوفمبر ٢٠١٢م، برئاسة القائم مقام البطريرك الأنبا باخوميوس مطران البحيرة ومطروح والخمس مدن الغربية وباشتراك كافة أعضاء المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية ومشاركة وفودٍ من كل الكنائس في مصر.

ولأهمية دور الباباوات في الكنيسة القبطية فسوف أورد قائمة بعددهم والفترات الزمنية التي تولوا فيها عرش البابوية من خلال الجدول التالي[1]:

أسماء البابوات حسب التسلسل التاريخي (تنازليًا)

القرن	م	اسم البطريرك	مدة حبريته (ميلادية)	مدة الحبرية بالتفصيل		
				س	ش	ي
الآباء البطاركة في القرن الحادي والعشرين	١١٨	البابا تواضروس الثاني	٢٠١٢ - الآن			
الآباء البطاركة في القرن العشرين	١١٧	البابا شنوده الثالث (معلم المسكونة)	١٩٧١ - ٢٠١٢ م	٤٠	٤	٣
	١١٦	البابا كيرلس السادس (رجل الصلاة)	١٩٥٩ - ١٩٧١ م	١١	٩	٢٩
	١١٥	البابا يوساب الثاني	١٩٤٦ - ١٩٥٦ م	١٠	٥	١٧
	١١٤	البابا مكاريوس الثالث	١٩٤٤ - ١٩٤٥ م	١	٦	١٩
	١١٣	البابا يوأنس التاسع عشر	١٩٢٨ - ١٩٤٢ م	١٣	٦	٥
الآباء البطاركة في القرن التاسع عشر	١١٢	البابا كيرلس الخامس	١٨٧٤ - ١٩٢٧ م	٥٢	٩	٦
	١١١	البابا ديمتريوس الثاني	١٨٦٢ - ١٨٧٠ م	٧	٧	٣
	١١٠	البابا كيرلس الرابع (أبو الإصلاح)	١٨٥٣ - ١٨٦٢ م	٦	٧	١٣

(١) انظر: موقع الموسوعة القبطية الإلكتروني.

	١٠٩	البابا بطرس السابع (بطرس الجاولي)	١٨٠٩ - ١٨٢٥ م	٣٠	٥	٦
الآباء البطاركة في القرن الثامن عشر	١٠٨	البابا مرقس الثامن	١٧٦٩ - ١٨٠٩ م	١٣	٢	١٩
	١٠٧	البابا يوأنس الثامن عشر	١٧٦٩ - ١٧٦٩ م	٢٦	٧	١٤
	١٠٦	البابا مرقس السابع	١٧٤٥ - ١٧٦٩ م	٢٣	١١	٨
	١٠٥	البابا يوأنس السابع عشر	١٧٢٧ - ١٧٤٥ م	١٨	٣	٨
	١٠٤	البابا بطرس السادس	١٧١٨ - ١٧٢٦ م	٧	٧	١١
الآباء البطاركة في القرن السابع عشر	١٠٣	البابا يوأنس السادس عشر	١٦٧٦ - ١٧١٨ م	٤٢	٣	
	١٠٢	البابا متاؤس الرابع	١٦٦٦ - ١٦٧٥ م	١٤	٨	٩
	١٠١	البابا مرقس السادس	١٦٤٦ - ١٦٥٦ م	١٠		
	١٠٠	البابا متاؤس الثالث	١٦٣١ - ١٦٤٦ م	١٤	٦	٢٣
	٩٩	البابا يوأنس الخامس عشر	١٦١٩ - ١٦٢٩ م	٩	١١	٢٢
	٩٨	البابا مرقس الخامس	١٦٠٣ - ١٦١٩ م	١٦	٢	٩
الآباء البطاركة في القرن السادس عشر	٩٧	البابا غبريال الثامن	١٥٨٧ - ١٦٠٣ م	١٥	١٠	٢٤
	٩٦	البابا يوأنس الرابع عشر	١٥٧١ - ١٥٨٦ م	١٥	٤	١٩
	٩٥	البابا غبريال السابع	١٥٢٥ - ١٥٦٨ م	٤٣		٢٥
	٩٤	البابا يوأنس الثالث عشر	١٤٨٤ - ١٥٢٤ م	٣٩	١١	٢٦
	٩٣	البابا يوأنس الثاني عشر	١٤٨٠ - ١٤٨٣ م	٣	٤	١٧
الآباء البطاركة في القرن الخامس عشر	٩٢	البابا ميخائيل الرابع	١٤٧٧ - ١٤٧٨ م	١		٣
	٩١	البابا غبريال السادس	١٤٦٦ - ١٤٧٤ م	٨	١٠	٦
	٩٠	البابا متاؤس الثاني	١٤٥٢ - ١٤٦٥ م	١٣		
	٨٩	البابا يوأنس الحادي عشر	١٤٢٧ - ١٤٥٢ م	٢٤	١١	٢٣
	٨٨	البابا غبريال الخامس	١٤٠٩ - ١٤٢٧ م	١٧	٨	١٢
الآباء البطاركة في القرن الرابع عشر	٨٧	البابا متاؤس الأول	١٣٧٨ - ١٤٠٨ م	٣٠	٥	٦
	٨٦	البابا غبريال الرابع	١٣٧٠ - ١٣٧٨ م	٨	٣	٢٢
	٨٥	البابا يوأنس العاشر	١٣٦٣ - ١٣٦٩ م	٦	٢	٧
	٨٤	البابا مرقس الرابع	١٣٤٨ - ١٣٦٣ م	١٤	٤	٢٦
	٨٣	البابا بطرس الخامس	١٣٤٠ - ١٣٤٨ م	٨	٦	٦

	٨٢	البابا بنيامين الثاني	١٣٢٧ - ١٣٣٩ م	١١	٧	٢٦
	٨١	البابا يوأنس التاسع	١٣٢٠ - ١٣٢٧ م	٦	٦	١
	٨٠	البابا يوأنس الثامن	١٣٠٠ - ١٣٢٠ م	٢٠	٣	١٥
الآباء البطاركة في القرن الثالث عشر	٧٩	البابا ثيؤدوسيوس الثاني	١٢٩٤ - ١٣٠٠م	٥	٥	٢٨
	٧٨	البابا يوأنس السابع	١٢٧١ - ١٢٩٣ م	٢٩	١	٨
	٧٧	البابا غبريال الثالث	١٢٦٨ - ١٢٧١ م	٢	٢	١٠
	٧٦	البابا اثناسيوس الثالث	١٢٥٠ - ١٢٦١ م	١١	١	١٨
	٧٥	البابا كيرلس الثالث	١٢٣٥ - ١٢٤٣ م	٧	٨	٢٣
الآباء البطاركة في القرن الثاني عشر	٧٤	البابا يوأنس السادس	١١٨٩ - ١٢١٦ م	٢٦	١١	٨
	٧٣	البابا مرقص الثالث	١١٦٦ - ١١٨٩ م	٢٢	٦	١٩
	٧٢	البابا يؤانس الخامس	١١٤٧ - ١١٦٦ م	١٨	٨	٤
	٧١	البابا ميخائيل الثالث	١١٤٥ - ١١٤٦ م		٨	
	٧٠	البابا غبريال الثاني	١١٣١ - ١١٤٥ م	١٤	٢	٢
	٦٩	البابا مكاريوس الثاني	١١٠٢ - ١١٢٨ م	٢٦	١	١١
الآباء البطاركة في القرن الحادي عشر	٦٨	البابا ميخائيل الثاني	١٠٩٢ - ١١٠٢ م	٩	٧	١٧
	٦٧	البابا كيرلس الثاني	١٠٧٨ - ١٠٩٢ م	٣٩		
	٦٦	البابا خرسطوذولس	١٠٤٦ - ١٠٧٧ م	٣١		
	٦٥	البابا شنودة الثاني	١٠٣٢ - ١٠٤٦ م	١٤	٧	١١
	٦٤	البابا زكريا	١٠٠٤ - ١٠٣٢ م	٢٧	١١	١٢
الآباء البطاركة في القرن العاشر	٦٣	البابا فيلوثاؤس	٩٧٩ - ١٠٠٣ م	٢٤	٧	١٠
	٦٢	البابا ابرآم (ابن زرعة)	٩٧٥ - ٩٧٨ م	٣	١١	
	٦١	البابا مينا الثاني	٩٥٦ - ٩٧٤ م	١٧	١١	٦
	٦٠	البابا ثاؤفانيوس	٩٥٢ - ٩٥٦ م	٤	٤	١١
	٥٩	البابا مكاريوس الأول	٩٣٢ - ٩٥٢ م	١٩	١١	٢٣
	٥٨	البابا قزمان الثالث	٩٢٠ - ٩٣٢ م	١٢		
	٥٧	البابا غبريال الأول	٩٠٩ - ٩٢٠ م	١٠	٩	
الآباء البطاركة في	٥٦	البابا ميخائيل الأول	٨٨٠ - ٩٠٧ م	٢٧	١	٩
	٥٥	البابا شنوده الأول	٨٥٩ - ٨٨٠ م	٢١	٣	١١

القرن التاسع	٥٤	البابا قزمان الثاني	٨٥١ - ٨٥٨ م	٧	٤	٩
	٥٣	البابا خائيل الثاني	٨٤٩ - ٨٥١ م	١	٤	٢٨
	٥٢	البابا يوساب الأول	٨٣١ - ٨٤٩ م	١٧	١١	٢
	٥١	البابا سيمون الثاني	٨٣٠ - ٨٣٠ م	١٧	٥	
	٥٠	البابا يعقوب	٨١٩ - ٨٣٠ م	١٠	٩	٩
	٤٩	البابا مرقس الثاني	٧٩٩ - ٨١٩ م	٢٠	٢	٢١
الآباء البطاركة في القرن الثامن	٤٨	البابا يؤانس الرابع	٧٧٧ - ٧٩٩ م	٢٢		
	٤٧	البابا مينا الأول	٧٦٧ - ٧٧٦ م	٨	١٠	
	٤٦	البابا خائيل الأول	٧٤٣ - ٧٦٧ م	٢٣	٦	
	٤٥	البابا ثيؤذوروس الأول	٧٣٠ - ٧٤٢ م	١١	٧	٧
	٤٤	البابا قزمان الاول	٧٢٩ - ٧٣٠ م	١	٣	
	٤٣	البابا الكسندروس الثانى	٧٠٤ - ٧٢٩ م	٢٥	٩	٧
الآباء البطاركة في القرن السابع	٤٢	البابا سيمون الأول	٦٩٢ - ٧٠٠ م	٧	٧	
	٤١	البابا إسحق	٦٩٠ - ٦٩٢ م	٢	١٠	٢
	٤٠	البابا يوأنس الثالث	٦٨٠ - ٦٨٩ م	٩		
	٣٩	البابا أغاثون	٦٦٢ - ٦٨٠ م	١٨	٩	٣
	٣٨	البابا بنيامين الأول	٦٢٣ - ٦٦٢ م	٣٩		
	٣٧	البابا أندرونيقوس	٦١٦ - ٦٢٣ م	٦	١٤	
	٣٦	البابا أنسطاسيوس	٦٠٥ - ٦١٦ م	١١	٦	
الآباء البطاركة في القرن السادس	٨٤	البابا مرقس الرابع	١٣٤٨ - ١٣٦٣ م	١٤	٤	٢٦
	٨٥	البابا يوأنس العاشر	١٣٦٣ - ١٣٦٩ م	٦	٢	٧
	٨٦	البابا غبريال الرابع	١٣٧٠ - ١٣٧٨ م	٨	٣	٢٢
	٣٢	البابا تيموثاوس الثالث	٥١٨ - ٥٣٦ م	١٧	٣	
	٣١	البابا ديسقورس الثاني	٥١٦ - ٥١٨ م	٢	٤	١٥
	٣٠	البابا يوأنس الثاني	٥٠٥ - ٥١٦ م	١٠	١١	٢٣
الآباء البطاركة في القرن الخامس	٢٩	البابا يوأنس الأول (البابا يوحنا الأول)	٤٩٦ - ٥٠٥ م	٨	٧	
	٢٨	البابا أثناسيوس الثاني	٤٨٩ - ٤٩٦ م	٦	٩	٢٠

	٢٧	البابا بطرس الثالث	٤٧٧ - ٤٨٩ م	١٣	١	٢٩
	٢٦	البابا تيموثاوس الثاني	٤٥٥ - ٤٧٧ م	٢١	١٠	
	٢٥	البابا ديسقورس الأول (بطل الأرثوذكسية)	٤٤٤ - ٤٥٤ م	١٠	١	٩
	٢٤	البابا كيرلس الأول (كيرلس عمود الدين | كيرلس الكبير)	٤١٢ - ٤٤٤ م	٣١	٨	١٠
الآباء البطاركة في القرن الرابع	٢٣	البابا ثاؤفيلس	٣٨٥ - ٤١٢ م	٢٧	٢	
	٢٢	البابا تيموثاوس الأول (الكبير)	٣٧٩ - ٣٨٥ م	٦	٤	٦
	٢١	البابا بطرس الثاني	٣٧٣ - ٣٧٩ م	٥	٩	
	٢٠	البابا أثناسيوس الأول (اثناسيوس الرسولي)	٣٢٨ - ٣٧٣ م	٤٥		
	١٩	البابا ألكسندروس الأول	٣١٢ - ٣٢٨ م	١٥	٩	٢٠
	١٨	البابا أرشلاوس	٣١١ - ٣١٢ م		٦	
	١٧	البابا بطرس الأول	٣٠٢ - ٣١١ م	٩	١٠	
الآباء البطاركة في القرن الثالث	١٦	البابا ثاؤنا	٢٨٢ - ٣٠١ م	١٩	١	
	١٥	البابا مكسيموس	٢٦٤ - ٢٨٢ م	١٧	٥	
	١٤	البابا ديونسيوس	٢٤٦ - ٢٦٤ م	١٧	٢	١٠
	١٣	البابا ياروكلاس	٢٣٠ - ٢٤٦ م	١٦	١	
الآباء البطاركة في القرن الثاني	١٢	البابا ديمتريوس الأول (الكرام)	١٨٨ - ٢٣٠ م	٤٢	٧	٥
	١١	البابا يوليانوس	١٧٨ - ١٨٨ م	١٠		
	١٠	البابا أغريبينوس	١٦٦ - ١٧٨ م	١١	٦	٥
	٩	البابا كلاديانوس	١٥٢ - ١٦٦ م	١٤	٦	
	٨	البابا مرقيانوس	١٤١ - ١٥٢ م	١٠	٢	
	٧	البابا أومانيوس	١٢٩ - ١٤١ م	١٢	٣	
	٦	البابا يسطس	١١٨ - ١٢٩ م	١٠	١٠	
	٥	البابا بريموس	١٠٦ - ١١٨ م	١٣	١	١٢
الآباء	٤	البابا كرذوذوس	٩٥ - ١٠٦ م	١٠	٩	١٠

البطاركة في القرن الأول	٣	البابا ميليوس	٨٣ - ٩٥ م	١١	٩	
	٢	البابا أنيانوس	٦٨ - ٨٣ م	١٤		
	١	البـــــابا مــــــرقس الأول (مارمرقس الرسول)	٦١ - ٦٨ م	٧		



المطلب الرابع: بطريركية القسطنطينية

لم يكن لبطريركية القسطنطينية أي شأنٍ يذكر في القرون الثلاثة الأولى، بسبب عدم شهرة المدينة من الناحية الدينية، وعدم وجود تلاميذٍ للمسيح عليه السلام تنسب إليهم الكنيسة، كما هو الحال في بقية الكنائس التي تدَّعي جميعاً أن لها أصل رسولي.

ولم يرتفع شأن هذه البطريركية إلا في مطلع القرن الرابع، حيث منحها مجمع القسطنطينية الأول (وهو أول مجمع مسكوني يعقد فيها) أسبقيةً شرفيةً على جميع الكنائس الشرقية؛ لكونها روما الجديدة عاصمة الإمبراطورية ـ دون أن يمنحها المجمع أي سلطة محددة، أما مجمع خلقدونية فقد اعترف بها بطريركية رسميةً من الخمس بطريركيات التي اعترف بها، ومنحها المرتبة الثانية بعد بطريركية روما مباشرة، وخول أسقفها سلطة فعلية على مقاطعات بنطس وآسيا[(١)] وتراقية[(٢)] [(٣)].

ثم بلغت بعد ذلك ذروة سلطانها ومجدها وتفوقها على جميع الكنائس الشرقية الأرثوذكسية، وذلك عندما أُعلنت هذه الكنيسة كنيسةً مسكونيةً في القرن السابع الميلادي.

وهذه المرتبة الشرفية والسلطة المسكونية لم تكن لتمنح الكنيسة القسطنطينية من الناحية النظرية القانونية حق التدخل في شئون الكنائس الأخرى أو إقرار الأمور الكنسية العامة بدون معرفة البطاركة الآخرين أو موافقتهم[(٤)]، ولكنها مع ذلك كانت

---

(١) آسيا: يقصد بها في العهد الجديد المقاطعة الرومانية التي تحمل هذا الاسم، وكانت تقع غرب آسيا الصغرى (تركيا حالياً). انظر: المصدر نفسه، ص: ٧٦ .

(٢) تراقية: منطقة قديمة في جنوب شرقي أوربا، وهي قسمان: غربي يتبع اليونان، وشرقي يكون القطاع الأوربي من تركيا بين المضايق وبحر مرمرة. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص:١٧٠ .

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة الشرقية، ص:١٠٧.

(٤) تاريخ الكنيسة المسيحية، ص: ٤١٣.

تمارس سلطةً وتأثيراً على البقية، وأخذت تتصرف وكأنها المسئولة عن بقية الكنائس، ومن أهم مظاهر سلطتها في هذا الجانب ما يأتي:

١- الدعوة إلى إقامة المجامع المسكونية، واستضافتها، والإشراف عليها وهذه المجامع غالبا ما كانت تتبناها الإمبراطورية حفاظا على الاستقرار والوحدة داخل حدودها.

٢- حمل لواء التنصير الأرثوذكسي، وقد نشطت القسطنطينية لذلك في منتصف القرن التاسع، عندما توجهت لتنصير السلافيين[١] من الموارفين والبلغار والصرب الذين يقيمون على حدود الإمبراطورية الشمالية.

وتفوق سلطة القسطنطينية على بقية الكنائس الشرقية يعود إلى عاملين هما:

١- العامل السياسي المتمثل في الدعم والحماية من جانب الإمبراطور البيزنطي الذي كان يشرف على شئون الكنيسة بنفسه.

٢- ضعف البطريركيات الثلاث الأخرى بسبب خضوعها للحكم الإسلامي المبكر الذي لم تخضع له الكنيسة البيزنطية إلا عندما سقطت القسطنطينية عام ١٤٥٣م، أي بعدما يقارب ثمانية قرونٍ من خضوع الكنائس الأخرى.

وبالرغم من تفوق القسطنطينية على بقية الكنائس الشرقية الأخرى إلا أنها لم تبلغ ما بلغته نظيرتها الرومانية التي تحررت بالكامل من السلطان السياسي في الجانب الغربي وبقيت كنيسة القسطنطينية رهينة له[٢].

---

(١) السلافيون: اسم يطلق على مجموعات الشعوب العديدة التي يعيش معظمها في أوربا، وعددهم حوالي ٢٧٥مليون نسمة، ولغاتهم متشابهة تسمى اللغات السلافية أو السلافونية. انظر: الموسوعة العربية العالمية: (١٣/ ٢٨).

(٢) نلاحظ هنا أن العامل السياسي كان سببا في تفوق كنيسة القسطنطينية على الكنائس الشرقية الأخرى لكونها كنيسة عاصمة الإمبراطورية، ولكن في المقابل كان سبباً لضعف سلطة الكنيسة =

وإضافةً إلى العامل السياسي فقد كانت هناك أحداثٌ أخرى أسهمت في ضعف البطريركية القسطنطينية، ومن أهمها ما يأتي:

١- الانشقاق الكبير عام ١٠٥٤م، الذي شطر الكنيسة الواحدة إلى نصفين غربيٍّ تديره بشكلٍ مطلقٍ الكنيسة الرومانية، وشرقيٍّ تديره بشكلٍ مشتركٍ البطريركيات الشرقية الأربع، مع تميزٍ شَرَفيٍّ لكنيسة القسطنيطينية.

٢- الحرب الصليبية على القسطنطينية التي بدأت في مطلع القرن الثالث عشر (١٢٠٤م) واستمرت حتى عام ١٢٦١م، وفيه نهبت المدينة وطرد أساقفتها، وحلت محلهم المملكة اللاتينية[1].

٣- سقوط القسطنطينية:

في الوقت الذي سقطت فيه الدولة البيزنطية نهائياً على أيدي المسلمين بقيادة محمد الفاتح عام ١٤٥٣م، خضعت الكنيسة القسطنطينية لحكم المسلمين الذين عاملوا النصارى باعترافهم معاملةً رائعةً قائمةً على العدل، وقد بدأ ذلك بإصدار أمر بعودة الهاربين من المدينة مع وعدهم بالحرية التامة في دينهم، ثم أعلن بشكلٍ واضح عن حمايته للنصارى ولكنائسهم، وسمح لهم بانتخاب بطريرك لهم وأعطيت لهم جميع الحقوق الخاصة بهم، وباعترافهم أيضا فإنه منحهم حقوقاً لم تكن لهم في زمن الأباطرة البيزنطيين، حيث أعطيت لهم السلطة المدنية على رعاياهم، إضافةً إلى السلطة الروحية[2].

البطريركية القسطنطينية في الوقت الحاضر:

توجد البطريركية القسطنطينية اليوم في جمهورية تركيا، وتنتشر الأبرشيات

= مقابل تفوق كنيسة روما.

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، ص: (٣٩٦-٤٠١).

(٢) المصدر نفسه، ص: (٤٩٤-٤٩٥).

التابعة لها في الوقت الحاضر، في كلٍ من تركيا، وجزيرة كريت، وبعض جزر بحر إيجه، وجميع اليونانيين في الشتات والأوكرانيين والبولونيين والألبانيين في المهجر، وجبل آثوس وفنلندا، ويبلغ أتباعها ثلاثمائة مليون، أكثر من نصفهم يونانيون يقطنون أمريكا الشمالية(١).

وقد حاولت الحكومة التركية حصر الكرسي الرسولي في تركيا وحصر أعضاء السينودس على الأتراك إلا أن البطريرك الحالي قام بخطوةٍ جريئة، وقرر أن يكون أعضاء السنيودس الأثنا عشر نصفهم من المقيمين في تركيا ونصفهم من المناطق الخاضعة للكرسي الرسولي من خارج تركيا(٢).

البطريرك الحالي:

هو برثلماوس الأول، ولد في قرية أغيوس نيودورس، وكان اسمه ديمثويوس أرخوندونس، ويحمل الجنيسة التركية، ولكنه ينتمي إلى الأقلية اليونانية، تلقى تعليمه أولاً في جزيرة أمبروس، ثم في إحدى المدارس اليونانية في إسطنبول، ثم درس في معهد خالكي اللاهوتي، وتخرج عام ١٩٦١م، وتم ترسيمه مباشرة كشماس، ثم أكمل دراسته العليا في روما وسويسرا وميونخ(٣).

كنائس أخرى تحمل لقب بطريركية:

توجد في الوقت الحاضر كنائس أرثوذكسية تحمل لقب البطريركية، ويلقب رئيسها بلقب بطريرك، وهي كما يأتي:

١ - بطريركية موسكو وعموم روسيا في موسكو (روسيا).

---

(١) انظر: الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص:١٧٠.

(٢) انظر: مقال بعنوان البطريركية المسكونية في العصر الحديث من سقوط الإمبراطورية العثمانية إلى اليوم، الأرشمندريت أغناطيوس ديك (موقع كنيسة القديسة تيريزيا بحلب).

(٣) موسوعة ويكبيديا الحرة.

٢- بطريركية صربيا في بلغراد.

٣- بطريركية رومانيا في بوخاريست.

٤- بطريركية بلغاريا في صوفيا.

٥- بطريركية جورجيا في تبيليسي (جورجيا) [١].



(١) الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص: ١٧.

المبحث الثاني

أصول البطريركيات الفكرية

ويشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: الأصل الرسولي للكنائس الشرقية.
- المطلب الثاني: الإيمان بالمجامع السبعة الأولى.
- المطلب الثالث: انبثاق روح القدس من الآب.
- المطلب الرابع: إنكار السلطة البابوية.

* * * ** * * *

المطلب الأول: الأصل الرسولي للكنائس الشرقية

تدعي جميع البطريركيات الأرثوذكسية أن أصلها رسولي، وأن أحد رسل المسيح عليه السلام[1] هو الذي أسس تلك البطريركية، ونشر الإنجيل في المنطقة التي تنتمي إليها.

الأصل الرسولي لكنيسة أورشليم:

تنسب الكنيسة الأورشليمية أصلها إلى (الرسول) يعقوب، وتذكر المصادر النصرانية أن يعقوب[2] هذا هو أخو الرب، الذي كان يلقب بيعقوب البار لتقواه وغيرته على الشريعة، وهو أحد الاثني عشر عند بعض النصارى.

وأنه ذكر مرتين في الإنجيل، وأن سبب إيمانه هو ظهور المسيح عليه السلام له بعد قيامته، وقد تولى رئاسة كنيسة أورشليم، وكان أول أسقف عليها، كما تولى رئاسة مجمع أورشليم الذي عقد من أجل مناقشة موضوع الختان ودخول الوثنيين في الديانة النصرانية، بل هو الذي وضع القرار الذي صدر عن المجمع، وهو صاحب إحدى الرسائل العامة التي اشتمل عليها الكتاب المقدس، استشهد حوالي سنة ٦٢م، على يد والي اليهودية، وقد خلفه على الكرسي الأورشليمي أخوه سمعان[3].

الأصل الرسولي لكنيسة أنطاكية:

يتفق المؤرخون على أن الذي أسس كنيسة أنطاكية هو أحد الرسل، لكن

---

(١) هذا بحسب اعتقادهم، وهو مبني على أن المسيح هو الرب، ونحن نعتقد أنه بشر، وليس له رسل إنما كان له حواريون -كما سيأتي-.

(٢) يوجد أكثر من شخص يطلق عليه يعقوب، وهناك اختلاف حول أيهما الذي كان رئيسا للكنيسة، وما ذكرته هو المترجح من خلال تلك المصادر.

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس، لنخبة من اللاهوتيين ذوي الاختصاص، ص:١٠٧٦، دائرة المعارف الكتابية، لجنة من ذوي الاختصاص: (٨/ ٢٩٣)-الكنيسة في عصر الرسل، ص: ١٥٨.

يختلفون في تعيينه، فمنهم من يرى أنه بطرس، وأنه كان أول أسقفٍ عليها، وأنه أسسها بين عامي ٣٦و٣٧م، وأقام بها سبع سنوات ثم انطلق بعدها إلى روما.

ومنهم من يرفض هذا الرأي، ويرى أن بولس وبرنابا هما أول من بشَّرا بها وأسَّسا كرسيها، وجعلها بولس مركزاً لرحلاته المسمَّاه بالتبشيرية[١].

وقد سبق الحديث عن بطرس فيما سبق، وسنتحدث هنا عن بولس وبرنابا كما يلي:

بولس:

كان يسمى قبل إعلان اهتدائه "شاؤل"، وهو اسم عبراني معناه المطلوب، ثم سمى نفسه بولس، ومعناه: الصغير، وقد كان من المضطهدين لأتباع المسيح عليه السلام، ثم أعلن فجأةً أنه رأى الرب، وأنه دعاه ليكون رسول الأمم، ثم قضى ثلاث سنواتٍ في الصحراء العربية، ثم ذهب إلى أنطاكية مع برنابا وأسسا بها كنيستهما، ثم انطلق منها في رحلاته التبشيرية الكبرى إلى أوربا[٢].

برنابا:

برنابا كلمة يونانية مأخوذة من الآرامية، وتعني: ابن النبوة، ويترجمها لوقا بابن الوعظ، أو ابن التعزية، وكان اسمه يوسف، ثم دعاه التلاميذ برنابا لمقدرته على تشجيع الآخرين أكثر من مقدرته على الوعظ والتعليم.

ولد برنابا في قبرص، وكان مقدما بين التلاميذ الذين في أورشليم، وهو الذي قدم شاؤول (بولس) إلى التلاميذ، بعد إعلان اتباعه للمسيح ومجيئه من دمشق إلى أورشليم.

وقد أطلق عليه التلاميذ هذا اللقب عندما أرسل من أورشليم إلى أنطاكية لنشر

---

(١) انظر: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، ص ١٥٩.

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص:١٩٥-١٩٩، دائرة المعارف الكتابية: (٢/ ٢٣٥-٢٧٧).

الإنجيل، ويقال أنه خرج إلى طرسوس وجاء بشاؤول إلى أنطاكية ليعمل معه، فعملا معا سنةً كاملة، وهناك أطلق لقب "المسيحيين" على أتباعهما، وبعد ذلك سافرا معاً إلى أورشليم لمساعدة الفقراء هناك، ولما رجعا إلى أنطاكية حصل بينه وبين شاؤول خلافٌ انفصلا على إثره، ثم سافر برنابا إلى قبرص، ومات بها[(١)].

الأصل الرسولي لكنيسة الإسكندرية:

تنسب الكنيسة الإسكندرية أصلها الرسولي إلى مرقس.

مرقس:

مرقس كلمةٌ لاتينيةٌ معناها "المطرقة"، واسمه في اليهودية "يوحنا"، ولد في أورشليم، وقيل ولد في مدينة القيروان، ثم انتقل إلى دمشق، واتبع المسيح عليه السلام عن طريق بطرس، وتوجه مع برنابا وبولس في رحلتهما التي تدعى "التبشيرية" الأولى، ثم انفصل عن بولس، ورافق برنابا إلى قبرص، ويقال أنه كان مترجماً لبطرس، ومن ذكرياته وتعليمه عن المسيح عليه السلام كتب إنجيله.

وهو بحسب اعتقاد النصارى أحد السبعين الذين أرسلهم المسيح عليه السلام، ومؤسس كنيسة الإسكندرية الذي انفرد بالدعوة إلى الإنجيل في مصر والخمس مدن الغربية (ليبيا حاليا) بعد عودته من روما، ويقال إنه قتل في "بوكاليا"، وهي منطقة شرقي الإسكندرية ودفن في كنيستها، ثم سميت باسمه إلى اليوم[(٢)].

نتيجة القول بالأصل الرسولي للكنائس:

إذا كانت هذه الكنائس قد أسسها رسل، كما يدعي أصحابها، فلابد أن يكون

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص: ١٧٢، دائرة المعارف الكتابية:(٢/ ١٤٢)، موسوعة آباء الكنيسة:(١/ ٨٦-٨٧).

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص:٨٥٣، دائرة المعارف الكنعانية، (٧/ ١٢٠)، موسوعة آباء الكنيسة (١/ ٨٧-٨٩).

التعليم الذي وصل إلينا عن هؤلاء الرسل حق، وأنه يجب اتباعه، بل هو المصدر الثاني من مصادر الدين النصراني، فإذا كان الكتاب المقدس هو المصدر المكتوب، فإن تعليم الرسل هو المصدر الشفوي، وقد أطلق النصارى على هذا التعليم مصطلح "التقليد الرسولي"، وأكدوا على أهميته كمصدر من مصادر الدين.

وقد جاء في تعريف التقليد أنه: «كل تعليمٍ وصل إلينا عن طريق التسليم الرسولي والآبائي، غير الكلام الذي ترك لنا كتابة في الكتاب المقدس، في موضوعاتٍ ربما لم تذكر في الكتاب، ولكنها لا تتعارض معه في شيء ما»[(١)].

إذاً كل ما جاء من طريق من يُسمَّى بالرسل فهو تقليد.

وأما أهميته فلأن الكتاب المقدس لم يذكر كل شيء، فلم يذكر كل ما فعله المسيح عليه السلام، ولا كل ما قاله، وإنما كُتَّاب الأناجيل اختاروا بعضا من أقوال المسيح عليه السلام وبعضا من أعماله وسجلوها في وقت ما، وتركوا الباقي، ومنها معجزات المسيح عليه السلام[(٢)]، وما حدث له بعد قيامته -كما يزعم النصارى-، وفترة الأربعين يوما التي قضاها مع تلاميذه، وإذا لم تذكر هذه الأشياء في الكتاب ولا يمكن أن تكون هذه الأشياء قد فقدت مع أهميتها فلا بد إذاً أن تكون قد وصلت إلينا عن طريق التقليد[(٣)].

وأيضاً فالتقليد هو الذي عرَّفنا بالكتاب المقدس، وتراث الكنيسة، وحفظ لنا الإيمان السليم، وبعض العقائد والتعاليم، مثل تقديس الأحد، ورسم الصليب وغيرها[(٤)].

ومما يؤكد أهمية التقليد من أقوال آباء الكنيسة قول أوريجانس (١٨٥م-٢٥٣م): «إني عرفت من التقليد الأناجيل الأربعة، وأنها هذه وحدها».

---

(١) اللاهوت المقارن. البابا شنودة الثالث: (١/ ٥٠)، الكنيسة في عهد الرسل،٣٠٤.

(٢) هي الآيات التي أيد الله بها المسيح عليه السلام.

(٣) اللاهوت المقارن، ص: (١/ ٥٤-٥٦).

(٤) المصدر نفسه: (١/ ٦٢).

وقال أوغسطيونيوس (٣٥٣م-٤٥٠م): « وإني ما كنت أومن بالإنجيل لولم يقنعني بذلك صوت الكنيسة الجامعة»[(١)]، ويتحدث باسليوس الكبير[(٢)] (٣٣٠م-٣٧٩م) عن ذلك فيقول: «ومن لا يتبع هذا التعليم الصحيح يصير غريباً عن مواعيد الله، وحياة الكنيسة، فالتعليم السري عنده هو ضمانة لنوال الحياة الأبدية»[(٣)].

فجعل التقليد بهذه الأهمية وكونه أحد مصادر الدين عند الأرثوذكس هو النتيجة للاعتقاد بأن الذين نقلوه هم الرسل، وأنهم نقلوه عن الرب نفسه.

مناقشة هذا الاصل:

يمكن أن يوجه إلى هذا الأصل النقد الآتي:

١- أن هذا الأصل وهو القول بأن هؤلاء رسل يتضمن عقائد باطلة، من أعظمها إدعاء ألوهية المسيح ﷺ، وأنه بمقتضى ألوهيته جعل هؤلاء رسلاً، وهذه العقيدة من أبطل العقائد، وليس تفصيل إبطالها مجال بحثنا.

ومنها كذلك القول بأن هؤلاء الذين نسبت إليهم الكنائس الرئيسية هم أيضاً رسل، وهذا القول أيضاً لا دليل عليه، فإذا كان هؤلاء رسلاً فمن الذي أرسلهم؟، وما الوحي الذي جاؤوا به حتى أصبحوا رسلا؟، فإذا كان المسيح ﷺ هو الذي

---

(١) الموقع الرسمي لبطريركية أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس - قسم اللاهوت والعقيدة.

(٢) باسليوس الكبير: من كبار آباء الكنيسة في القرن الرابع، ولد سنة ٣٢٩م، في قيصرية عاصمة كبَّادوكية(تقع في قلب تركيا الحالية)، وكان معتل الجسم، تعمَّد(دخل في النصرانية) عام ٣٥٧م ورُسم شماساً، ثم باع كل ما يملك ووزعه على الفقراء، ثم تولى أسقفية قيصرية(٣٧٠-٣٧٩)، وترك آثاراً كثيرة، منها توجيهات للشبان إلى الإفادة من الآداب الهلينية، وعظات، ورسائل، وقوانين الحياة الرهبانية. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص: ٤٩٦ وما بعدها.

(٣) معجم المصطلحات الكنسية: (١/ ٣٠٤).

أرسلهم فهو باطل؛ لأن المسيح عليه السلام بشر مثلهم إلا أن الله تعالى خصه بالرسالة، وإذا كان الذي أرسلهم هو الله فأين الدليل على ذلك؟، وأين الوحي الذي نزل عليهم؟. والنصوص الإنجيلية ليس فيها دليلٌ واحدٌ على أنهم مرسلون من الله، ولا يعدو ذلك أن يكون من تجاوزات النصارى لإضفاء الشرعية على أقوالهم وتعليمهم.

٢- ما أورده النصارى عن هؤلاء ينفي أن يكونوا من الرسل، بل ينفي أن يكونوا من أتباع المسيح الحقيقيين لمخالفة ما ورد عنهم مع ما عُلم بالضرورة عن المسيح عليه السلام، فما ورد عنهم من الشرك والبدع يخالف ما جاء به المسيح عليه السلام من الدعوة إلى التوحيد. وخروجهم بالرسالة إلى غير اليهود وخارج فلسطين يخالف ما جاء به المسيح عليه السلام من الدعوة إلى بني إسرائيل خاصة. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

المطلب الثاني: الإيمان بالمجامع السبعة الأولى

تعتبر المجامع المقدسة من مصادر الدين في الديانة النصرانية عند طائفتي الكاثوليك والأرثوذكس، ولكن الكنيسة الأرثوذكسية لا تؤمن إلا بالمجامع السبعة الأولى من بين المجامع البالغ عددها اثنان وعشرون مجمعا.

وقد أصبح الإيمان بهذه المجامع السبعة أصلا من أصول الأرثوذكس التي يفارقون بها الكاثوليك، حتى أصبحوا يطلقون على كنيستهم اسم "كنيسة المجامع السبعة"، وتعتبر هذه المجامع المرجع والمرشد في البحث عن الحلول الواجب إيجادها لجميع المشاكل التي تظهر في كل جيل[1].

نبذة عن المجامع السبعة وأسباب انعقادها، وأهم نتائجها:

المجمع المسكوني هو: «اجتماع رؤساء الكنيسة (خلفاء الرسل) أي الأساقفة المدعوين بحسب الأصول والقوانين لحاجةٍ في الكنيسة تقتضيها الظروف، يتدارس فيها أولئك الرعاة الموضوع المطروح عليهم، ويأخذون القرار الضروري وينفذونه إلى جميع المسيحيين الذين يرعونهم»[2].

فالمجمع المسكوني إذاً هو اجتماع جميع رؤساء الكنائس أو من يمثلهم لحل قضيةٍ ذات خلاف، وقد اعترف الأرثوذكس -كما سبق- بالسبعة المجامع الأولى وهي كما يأتي:

أولاً: مجمع نيقية (٣٢٥م):

عقد هذا المجمع في نيقية عاصمة بيثنية بآسيا الصغرى بدعوة من الإمبراطور قسطنطين، وكان السبب الرئيس لعقد هذا المجمع هو النظر في أقوال آريوس، الذي

---

(١) الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص:٥٠ .

(٢) مدخل إلى المجامع المسكونية، الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، ص٢٠٠ .

كان يعلِّم «بأن الله وحده هو الأزلي، أما جميع الكائنات الأخرى، بما فيها الابن فلابد وأن تكون مخلوقة»، وهذا القول الذي يتجه إلى التوحيد وإنكار إلوهية المسيح ﷺ، ويتفق مع ما جاء به المسيح ﷺ من الدعوة إلى التوحيد والتفريق الكامل بين الخالق والمخلوق اعتبره النصارى من الأفكار الغريبة عن المسيح ﷺ وعن التعاليم الصحيحة، وأنه مما لا يمكن السكوت عليه، فقام بذلك نزاع عظيم بين أتباع آريوس والمخالفين له وعلى رأسهم الكسندروس أسقف الإسكندرية ولم يتوقف هذا النزاع، واستدعى الدعوة إلى عقد مجمعٍ مسكوني للنظر في هذه القضية[1].

فحضر هذا المجمع ٢٠٤٨ أسقفاً مختلفي الآراء، وكان من بين هذا العدد الكبير من الأساقفة ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً اتفقوا على القول بألوهية المسيح ﷺ، فمال الإمبراطور إلى رأيهم، ووضع مجلسا خاصا لهم، وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه، وسيفه، وقضيبه ودفعها إليهم وقال لهم قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا فيها ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك وقلدوه سيفه وقالوا أظهر دين النصرانية وذب عنه، ووضعوا له كتابا فيه السنن والشرائع منها ما يصلح للملك أن يعلمها ويعمل بها، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا بما فيها[2].

وهكذا انتهى هذا المجمع إلى إقرار ألوهية المسيح ﷺ، وفرضها بقوة السيف، وكانت هذه النتيجة من أخطر وأهم النتائج، وإضافةً إلى ذلك انتهى المجمع إلى الأمور الآتية:

١ - إقرار العقائد الشركية المتعلقة بالمسيح ﷺ، من القول بألوهيته، وبنوته لله، وأنه غير مخلوق، ومساواته لله، وأن به كان كل شيء، وتجسده، وقيامته، وصعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الرب، ومحاسبته للخلق يوم الدينونة، وصيغت هذه العقائد

---

(١) المجمع المسكوني الأول - نيقية الأول، الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، ص:١٧٧.

(٢) كتاب التاريخ المجمع على التحقيق والتصديق، البطريرك أفتشيوس (المكنى ب سعيد بن البطريق)، ص١٢٧.

الشركية على شكل قانونٍ أسموه قانون الإيمان، أو الأمانة، وأصبح ملزماً لجميع النصارى إلى اليوم[1].

٢- لعن آريوس وتعليمه وطرده من الكنيسة.

٣- وضع عشرين قانوناً تتعلق بتنظيم الكنيسة.

ثانياً: مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١م):

عقد هذا المجمع في القسطنطينية بدعوة من الإمبراطور ثيودوسيوس[2] وكان الهدف الرئيس من هذا المجمع الرد على أسقف القسطنطينية مكدونيوس الذي كان يقول: «إن روح القدس مخلوقة»[3]، وهذا التعليم اعتبر عند النصارى من البدع التي تستوجب المحاكمة، ومن خلال هذا المجمع الذي حضره ١٥٠ أسقفاً انتهى إلى القرارات الآتية:

١- حكم المجمع بالحرم على أسقف القسطنطينية مكدونيوس وتحريم تعاليمه.

٢- إقرار ألوهية الروح القدس واستكمال الثالوث.

٣- التأكيد على قانون الإيمان النيقاوي مع التكملة الجديدة[4].

٤- إصدار سبعة قوانين لتنظيم شئون الكنيسة.

---

(١) لتفاصيل هذا القانون: انظر: المجامع المسكونية، بيير كاميلو-بيير مارفال، ص:١٦ مجموعة الشرع الكنسي، ص:٤٣.

(٢) ثيودوسيوس: إمبراطور روماني(٣٧٩-٣٩٥)، أعلن منشور تسالونيكي الذي جعل المسيحية دين الدولة عام ٣٨٠م. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص: ١٩٣ .

(٣) تاريخ الأمة القبطية،ص:١١٥.

(٤) لمعرفة قانون الإيمان النهائي انظر: المجمع المسكوني الثاني-القسطنطينية الأول، الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، ص: ١٨٥-١٨٦.

ثالثاً: مجمع أفسس الأول (٤٣١م):

عقد هذا المجمع في مدينة أفسس بدعوة من الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (الصغير) [(١)] للنظر في أقوال نسطوريوس أسقف القسطنطينية الذي كان يعلِّم بأن للمسيح أقنومين وشخصين وطبيعتين، وأن الجزء اللاهوتي من طبيعة المسيح عليه السلام لم يولد من العذراء، وبنى على ذلك أنه لا يحق أن تُسمَّى مريم عليها السلام والدة الإله وإنما والدة المسيح الإنسان[(٢)].

حضر هذا المجمع مائتا أسقف، وترأسه بابا الإسكندرية كيرلس الأول الكبير[(٣)]، وانتهى هذا المجمع إلى إصدار حكم بالحرم على نسطوريوس، ولعن تعاليمه ثم نفيه، كما أثبت المجمع وحدانية الأقنوم في المسيح عليه السلام، وأمومة العذراء الإلهية[(٤)].

رابعاً: مجمع أفسس الثاني (٤٤٩م):

عقد هذا المجمع بأمر الإمبراطور ثودوسيوس الصغير للنظر في الأقوال المنسوبة إلى أوطاخي رئيس دير بجوار القسطنطينية الذي كان يقول أن طبيعة الناسوت تلاشت في الطبيعة الإلهية فصار المسيح بصفة واحدة ممتزجة[(٥)].

ولكن المجمع عندما استدعى أوطاخي وسأله عن عقيدته أقر بأنه يعتقد بإيمان

---

(١) ثيودوسيوس الثاني: إمبراطور بيزنطي(٤٠٨-٤٥٠م)، مال إلى راي نسطور، وأسس جامعة القسطنطينية، عام ٤٢٥م . انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص: ١٩٣ .

(٢) عصر المجامع،ص: ٢٦٨ ، تاريخ الأمة القبطية، ١١٨.

(٣) كيرلس الأول: هو البابا الرابع والعشرون على كنيسة الإسكندرية(٤١٢-٤٤٤م)، درس العلوم الطبيعية والفلسفة اللاهوتية في دير أبي مقار، له مؤلفات عديدة فقد معظمها، وهو أول من دون قداس مرقس .انظر: تاريخ الأمة القبطية، لجنة التاريخ القبطي، ص: ٨٧-٨٨ .

(٤) المدخل إلى المجامع المسكونية،ص:٧٧، المجامع المسكونية، بيير كاميلو-بيير مارفال،ص:٣٢ .

(٥) عصر المجامع،ص: ٢٦٨.

المجمع النيقي، وبما قرره الآباء فحكم المجمع ببراءته.

وهذا المجمع لا تعترف به الكنيسة اليونانية، ولا الرومانية، وإنما تعترف به الكنيسة القبطية فقط؛ لكونه قرر عقيدة الطبيعة الواحدة[(١)].

خامساً: مجمع خلقدونية ٤٥١م:

هذا المجمع عقد بدعوة الإمبراطور مرقيانوس وبطلب من الأسقف الروماني، وذلك للاعتراض على قرارات مجمع أفسس الثاني الذي وصفه أصحاب هذا المجمع بأنه "مجمع اللصوص" وقد انتهى هذا المجمع إلى ما يأتي:

١- إلغاء قرارات المجمع السابق (مجمع اللصوص).

٢- إثبات عقيدة الطبيعتين للمسيح عليه السلام.

٣- حرم أوطاخي وعزل ديسقورس بابا الإسكندرية) ونفيه.

وأدت قرارات هذا المجمع إلى الانشقاق الأول للكنيسة الجامعة، حيث انشق عنها أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة، وعلى رأسهم كنيسة الإسكندرية واستمر انفصالهم إلى اليوم[(٢)].

سادساً: مجمع القسطنطينية الثاني (٥٥٣م):

دعا إلى هذا المجمع الإمبراطور يوستينيانوس[(٣)] وحضره ١٥٠ أسقفاً برئاسة بطريرك القسطنطينية أفتيخوس، وأدان المجتمعون بعض البدع، مثل ثيودوروس الموبويستي وأعماله، وكتابات ثيودوريتوس أسقف قورس ضد كيرلس، ورسالة

---

(١) تاريخ الأمة القبطية، ص: ١١٧.

(٢) المدخل إلى المجامع المسكونية، ص:٧٨، تاريخ الامة القبطية، ص: ١١٨.

(٣) يوستينيانوس: إمبراطور بيزنطي (٥٢٧-٥٦٥)، حاول توطيد وحدة الإمبراطورية، وأمر بتدوين القوانين الرومانية، وكمل بناء كنيسة أجاصوفيا. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص: ٦٢٤ .

إيباس أسقف الرها إلى مارلس[١].

سابعاً: مجمع القسطنطينية الثالث (٦٨٠م):

دعا إليه الإمبراطور قسطنطين الرابع لدحض الآراء المونوتيلية[٢]، حضره ١٧٠ أسقفاً وأدانوا البدعة المونوتيلية.

ثامناً[٣]: مجمع نيقية الثاني (٧٨٧م):

دعت إليه الإمبراطورة إيريني الوصية على الإمبراطور قسطنطين السادس وحضره ٣٠٠ أسقف ونيف عقد أولاً في القسطنطينية، ثم انتقل إلى نيقية بسبب الاضطرابات من قبل خصوم الأيقونات، وانتهى إلى تكريم الأيقونات[٤].

ونستطيع أن نلخص موضوعات المجامع المسكونية الكبرى فيما يأتي:

اهتم المجمعان الأول والثاني بتقرير ألوهية المسيح وعقيدة الثالوث، فيما اهتمت المجامع الأربعة التالية بطبيعة المسيح ﷺ، وتفسير الاتحاد بين الطبيعتين، أما المجمع السابع فاهتم بالدفاع عن موضوع الأيقونات المقدسة عند النصارى[٥].

سبب اعتراف الأرثوذكس بالسبعة المجامع الأولى فقط:

١ - الدعوة إليها من قبل الأباطرة فلها أهميةٌ خاصةٌ لدى الكنائس الشرقية التي

---

(١) المدخل إلى المجامع المسكونية ٧٨.

(٢) المونوتيلية: أي مذهب المشيئة الواحدة، أي القول: أن في المسيح مشيئة واحدة، هي المشيئة الإلهية. انظر: معجم المسيحي، ص: ٤٩٢ .

(٣) ذكرت هذا المجمع باعتبار أن مجمع أفسس الثاني ومجمع خلقدونية ليست محل اتفاق عند جميع الأرثوذكس، فمن يؤمن بالأول ينكر الثاني ومن يؤمن بالثاني ينكر الأول وعلى ذلك فهي سبعة مجامع مع الاختلاف في تحديدها بحسب ذلك.

(٤) المدخل إلى المجامع المسكونية، ص: ٧٨ .

(٥) الكنيسة الأرثوذكسية، ص: ٣٢.

تدين بالولاء للإمبراطور، مما أعطاها صبغةً رسمية، ونلحظ أن جميع المجامع السبعة دعا إليها أباطرة شرقيون.

٢- أغلب هذه المجامع عُقِد لدحض بدعٍ متعلقةٍ بالكنائس الشرقية نفسها، ولذلك كانت تحتفي بنتائجها.

٣- تمثيل البطاركة الشرقيين كان كبيراً، بينما التمثيل الغربي كان ضعيفا، وبعضها لم يمثله أحد من الجانب الغربي، ولم يتبناه عقيدة إلا بعد فترةٍ طويلة.

٤- وهو السبب الأهم أن الأرثوذكس يرون هذه المجامع قد عالجت الخلافات الكبرى لدى الكنيسة، وأنها قد استقرت بعدها وتأسست العقائد الأساسية، فلا حاجة لما بعدها من المجامع، ولذلك لم تُمثل فيها بشكل كبير.

٥- بعد هذه المجامع بدأت حوداث الانفصال الكبير الذي تحقق كلياً في منتصف القرن الحادي عشر.

نقد المجامع:

الوجه الأول: كانت الموضوعات الكبرى التي تناولتها المجامع الأولى هي المسائل العقدية التي دار حولها الخلاف بين النصارى، وكان ذلك من أكبر جنايات هذه المجامع؛ لأنَّ أمور العقيدة لايجوز أن تكون عرضةً للاجتهاد البشري، وأن تكون مرهونةً بآراء البشر، التي تتأثر عادة بالأهواء والمصالح الشخصية، وإنما يؤخذ أمر العقيدة من الوحي الذي يأتي به الأنبياء،الذين يتصفون بكمال الحرص على إبلاغ أقوامهم ما يجب أن يعتقدونه في ربهم، وما يجب له من التوحيد، ولذلك؛ فإنَّ الأنبياء يبينون هذا الأمر غاية البيان؛ لأنه القضية الكبرى في دعوتهم، ولأنَّ معرفته أوجب الواجبات، ولكن لما أعرض النصارى عن هذا الوحي المبين الذي كان متمثلاً فيما جاء به عيسى عليه السلام، واستبدلوه بآراء البشر وقعوا في الضلال المبين، والخلاف العريض ولم يزالوا على ذلك حتى اليوم .

الوجه الثاني: أنَّ هذه المجامع لم تحكِ إجماعاً حقيقياً بين جميع الأعضاء المشاركين

فيها، بل إنَّه لم يوجد قرارٌ من قراراتها إلا ويوجد له مخالفون، ولا يُعقد مجمعٌ إلا ويأتي بعده ما يناقضه، ويلغي قراراته، هذا ما تشهد به سيرة هذه المجامع، فكيف يمكن وصف هذه المجامع بأدنى قدرٍ من الشرعية، فضلاً عن وصفها بالقداسة، كما يصفها النصارى بذلك .

الوجه الثالث: وُصِفت هذه المجامع بأنها مقدسة، وأقول: من أين جاءتها هذه القداسة والنصارى أنفسهم يعترفون بأنها ليست إلا أقوال آبائهم ورؤسائهم؟!، وهي عرضةٌ للجهل، والخطأ، وربما الكذب، فكيف يصبح كلام البشر مقدسا؟!.

إنَّ القداسة لا تكون إلا للوحي الذي جاء من عند الله، ونسأل النصارى ما مصير هذه القداسة بعد أن قررت هذه المجامع نفسها عصمة البابا، وإذا أصبح البابا معصوماً فما قيمة هذه المجامع بعد ذلك؟.

الوجه الرابع: أنَّ العقائد التي قررتها هذه المجامع تتعارض حتى مع نصوص الأناجيل نفسها .

ومما يدل على ذلك أنَّ النصوص الدالة على وحدانية الله تعالى ونفي ألوهية المسيح عليه السلام ونفي التثليث هي أضعاف النصوص الدالة على نقيض ذلك، مع أنَّ النصوص التي تخالف هذا الأصل هي من الباطل الذي اشتملت عليه هذه الأسفار، والمثال الذي ذكرته يقاس عليه في بقية العقائد .

المطلب الثالث: انبثاق روح القدس من الآب

كان آباء الكنيسة القدماء عندما يوضحون علاقة أقانيم(١) الثالوث يؤكدون بأن روح القدس ينبثق من الآب، وفي تعليمهم الخاص بروح القدس تمسكوا بعبارة المسيح نفسه "الذي من الآب ينبثق"، وهذه العبارة هي التي أدخلت ضمن قانون الإيمان.

فكان قانون الإيمان في صورته الأولى النيقاوية، وصورته النهائية القسطنطينية ينص على «أؤمن بروح القدس، الرب المحي المميت، المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد»(٢).

وبعد ذلك أكدت المجامع المسكونية التالية هذا القانون بصيغته الأولى دون أي زيادة عليه، ولا يعرف على وجه الدقة متى تمت هذه الإضافة، ولكن يعتقد أنه بعد بضع مئات من السنين وفي مجمع توليد بكنيسة أسبانيا(٣) عام ٥٨٩م أُدخلت زيادة على هذا الدستور، في البند المختص بالروح القدس بعد كلمة والآب "والابن"، ويقال إن سبب هذه الإضافة هي أن مجمع توليد السابق الذكر قد ضم الآريوسيين إلى طائفة الأرثوذكس، ولما كانت أهم نقاط الخلاف معهم هي عدم مساواه الآب والابن، فقد تمت هذه الإضافة تأكيداً على مساواة الآب للابن ورداً على الآريوسيين، ثم انتشرت هذه الإضافة في القرنين السابع والثامن، ثم انطلقت هذه الزيادة من

---

(١) أقنوم: تعريب للكلمة السريانية "قنوما"، وجمعها أقانيم، وكلمة أقنوم تفيد المعاني التالية: شخص، ذات، عين، حقيقة، جوهر، أصل، ماهية الشيء، طبيعة مفردة، كائن حي قائم بذاته، واختصت بأقانيم الثالوث: الأب، والابن، والروح القدس. انظر: معجم المصطلحات الكنسية، ص: ١٣٧ .

(٢) انظر: المجمع المسكوني الثاني –القسطنطينية الأول–، ص ١٨٦ .

(٣) انظر: الخريدة النفيسة: (٢/ ١٧٤).

الكنائس الاسبانية إلى الكنائس الفرنسية[1].

ثم انتقلت بعد ذلك من فرنسا إلى ألمانيا وتبناها الإمبراطور شارلمان [2] في مجمع فرانكفورت عام (٧٩٤م)، وحدث جدال في بلاط الإمبراطور حول هذه القضية عندما كان رجال البلاط اليونانيين يتلون دستور الإيمان بصيغته الأصلية، حيث نُعتوا بالهرطقة لعدم ذكرهم لهذه الزيادة[3].

وفي القرن التاسع كتب البابا ليون الثالث[4] إلى شارلمان يقول له: «إنه يجد الأسباب الداعية إلى زيادة عبارة "والابن"، صحيحة عقائديا، لكن يعتقد أن من الخطأ إدخال التعبير على النص الأصلي لدستور الإيمان»[5]، وأمر ليون الثالث بنقش دستور الإيمان بدون الزيادة على صفائح فضية وضعت في كنيسة بطرس في روما.

ولا زالت هذه الإضافة منتشرة في أنحاء أوربا، ولم تعرها الكنيسة الأرثوذكسية اهتماماً قبل عام ٨٥٠م حيث عارضت ذلك بشدة وكانت تلك إحدى أكبر القضايا النزاعية بين الكنيستين التي أدت إلى انفصال الكنيستين نهائيا عام ١٠٥٤م، وإقرار هذه الإضافة ضمن العقيدة الرسمية للكنيسة الرومانية.

موقف الأرثوذكس من هذه الإضافة:

عارضت الكنيسة الأرثوذكسية القول بانبثاق روح القدس من الأب والابن

---

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية، ص:٢٩١.

(٢) شارلمان: أو شارل الكبير(٧٤٢-٨١٤م)، ملك الإفرنج، وإمبراطور الغرب، ومؤسس السلالة الكارولية، اهتم بإقامة علاقات تجارية مع الشرق. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص: ٣٢٧ .

(٣) الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص:٧٢.

(٤) لاون الثالث: (٧٩٥-٨١٦)، ولد من أصل وضيع، وكان راعياً لكنيسة القديسة سوسنة في رومة، وهو الذي وضع التاج على رأس الإمبراطور شارلمان، ومن بعده أصبح الأباطرة يتوجون على يد البابا. انظر: معجم الباباوات، ص: ٦١-٦٢ .

(٥) الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص:٧٢.

معارضة شديدة حتى أصبح القول بالانبثاق من الأب فقط أصلاً من أصولها التي فارقت بها الكاثوليك مفارقة نهائية عام ١٠٥٤م، كما أن هذه المسألة تعد من أكبر عوائق الوحدة في الوقت الحاضر لتمسك كل فريق بعقيدته حولها.

وتبني الكنيسة الأرثوذكسية هذه المعارضة على أمرين: الأول: خطورة إجراء أي تغيير على دستور الإيمان الذي وضعته المجامع المسكونية، وأن أي تغييرٍ يجب أن يكون في إطار مجمعٍ مسكوني آخر؛ لأن دستور الإيمان ملك الكنيسة جميعا ولا يحق لجزءٍ من الكنيسة أن يشوهه، والغرب عندما غيَّر اعتباطاً في دستور الإيمان فإنه مذنبٌ بقتل أخيه معنويا، وباقتراف خطيئةٍ بحق وحدة الكنيسة.

والثاني: أن هذه الإضافة تشكل خطأً من الناحية اللاهوتية؛ لأن الأرثوذكس يعتبر روح القدس منبثقاً من الأب وحده، ومن الخطأ القول أنه منبثقٌ من الابن أيضاً، ولأن كل تغييرٍ مهما صغر في لاهوت الثالوث يحمل عواقب بعيدة المدى وهذه الزيادة تهدم التوازن بين أقانيم الثالوث كما أنها تدخل مفهوماً خاطئاً لدور روح القدس في العالم، وبالتالي تؤدي إلى إيجاد عقيدة مغلوطة عن الكنيسة(١).

ونلفت النظر هنا إلى أن إدخال هذه اللفظة إلى قانون الإيمان كما أنها إضافة كما يراها الأرثوذكس، فإن الكاثوليك يرون أنها كانت موجودةً وأن الأرثوذكس هم من قام بحذفها ونحن لا يعنينا حذفها أو إضافتها، لبطلان عقيدة الثالوث من أساسها.

(١) المصدر السابق، ص: ٧٣.

المطلب الرابع:
إنكار السلطة البابوية

يرى الأرثوذكس أن البطاركة الخمسة، بموجب الغاية من تأسيس البطريركية، يجب أن يكونوا متساوين فيما بينهم من حيث السلطة، وإن كانوا مستقلين عن بعضهم في إدارة بطريركيات المناطق التابعة لهم.

وكذلك فإن المجامع المسكونية لم تعط لأحد البطاركة سلطةً استثنائيةً على كل الكنيسة المسكونية، وإنما اعترفت لأسقف رومية بأوليةٍ فخريةٍ شرفيةٍ فقط.

ومستند هذه الأولية الشرفية مرتبطٌ حصرياً بوجود ضريحي بطرس وبولس في روما؛ ولذلك كتب ثيودوريطس القورشي في القرن الخامس رسالةً إلى البابا لاون الكبير قال فيها: «إن روما هي مركز الدين لأنها موطن الرسل»(١).

وعلى هذا المعنى جرى تقديم أسقف روما من خلال المجامع المقدسة.

وقد تطلعت روما إلى السلطة العالمية على جميع العالم، واستطاعت لأسبابٍ كثيرةٍ أن تصل بالفعل إلى الزعامة المطلقة على العالم الغربي استناداً على مزاعم كثيرةٍ سبقت الإشارة إليها(٢)، ولم تكن الكنائس الشرقية تأبه كثيراً بذلك، طالما أن الكنيسة الكاثوليكية لا تتدخل في شئونها، ولكنها عندما بدأت بالمطالبة بالسلطة العالمية على جميع الكنائس بما فيها الكنائس الشرقية بدأت بمقاومتها أشد المقاومة حتى استطاع البطريرك القسطنطيني أن يحصل على اللقب نفسه الذي لقب به البابا الروماني، وهو لقب "البطريرك المسكوني" عام ٥٧٨م(٣)، واستمر النزاع بين الكنيستين بسبب تلك المسألة التي أصبحت أصلاً فارقاً بين الكاثوليك والأرثوذكس، وانتهت بالانفصال

---

(١) روما: نظرة أخرى. الأرثوذكسية والبابوية، أوليفييه كليمان، ص: ٢٨.

(٢) تحت عنوان رئاسة كنيسة روما على جميع الكنائس، ص: ٥٨ وما بعدها.

(٣) تاريخ الكنيسة المسيحية، ص: ٣٤٧.

الكامل بينهما عما ١٠٥٤م كما هو معلوم.

أسباب رفض السلطة البابوية:

ترفض الكنائس الأرثوذكسية مسألة سلطة أسقف روما المطلقة رفضاً كاملا، ويقوم هذا الرفض على أساس أن السلطة في الكنيسة هي سلطةٌ لجميع الأساقفة، وليست لأسقفٍ واحدٍ، وإنما سلطةٌ لجماعة، لا لفردٍ من الأفراد[١].

وهي تبني هذا الموقف على أساس النصوص الواردة في الأناجيل، ومنها النص الآتي:

«ولما كانت عشية ذلك اليوم، وهو أول الأسبوع، وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، جاء يسوع ووقف في الوسط، وقال لهم: (سلام لكم). ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه، ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب. فقال لهم يسوع أيضا: (سلام لكم! كما أرسلني الأب أرسلكم أنا). ولما قال هذا نفخ وقال لهم: (اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت). أما توما، أحد الاثني عشر، الذي يقال له التوأم، فلم يكن معهم حين جاء يسوع. فقال له التلاميذ الآخرون:(قد رأينا الرب!) فقال لهم: (إن لم أبصر في يديه أثر المسامير، وأضع إصبعي في أثر المسامير، وأضع يدي في جنبه، لا أومن). وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضا داخلا وتوما معهم. فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف في الوسط وقال: (سلامٌ لكم!) ثم قال لتوما:(هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدي، وهات يدك وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا. أجاب توما وقال له: ربي وإلهي»[٢].

فبحسب هذا النص خص السيد المسيح عليه السلام جماعة الرسل بالسلطة، وهم

---

(١) نحن رومة والفاتيكان، د.أسد رستم، ص:٧١.

(٢) يوحنا: (٢٠/ ١٩-٢٩).

منحوها لمتيا الذي حل محل يهوذا، ثم لبولس وتيموثاوس، وتيطس، وغيرهم ممن خلفهم في مهام الرسالة، وهكذا دواليك حتى الأساقفة في عصرنا الحاضر، ولم يشترط السيد المسيح عليه السلام استحقاقاً بشرياً معيناً أو إيماناً معينا، بل ألقى السلام مرتين لتكون سلطتهم سلطة سلام لا بذرة شقاق واختلاف، ولم يعط المسيح عليه السلام هذه السلطة لكل تلميذٍ بمفرده بل لمجموع الرسل، فإنه وقف في "وسطهم"، ونفخ "فيهم"، وقال: (خذوا....)، ولذلك فليس لأحد أن يعتبرها ملكه الخاص، لأنها فوق الفرد.

ولأجل ذلك عندما اختلف بولس مع بطرس في أمور أنطاكية عرض القضية على الرسل المجتمعين في أورشليم فأبدى بطرس رأيه فسكتت الجماعة، وحكم في الأمر يعقوب.

ولا ميزة لبطرس وخلفاؤه على ضوء ما تقدم؛ لأن السيد لم يجعل هذه السلطة فردية، ولم يوجه لبطرس نفخة مختلفة، وفي إنجيل يوحنا الإصحاح الحادي والعشرين ما يدل على أن بطرس لم يعد إلى سابق عهده عندما كرر السيد السؤال: (أتحبني أكثر من هؤلاء) ثلاث مرات، وبالتالي فلا مجال للقول: أن خلفاء بطرس هم وحدهم الأساس في السلطة[1].

ويجيب الأرثوذكس على أهم استدلالات الكاثوليك على هذه المسألة، وهو النص الوارد في متى (وأنت بطرس ...) بأن المراد ببطرس هو الإيمان؛ لأن الإيمان هو أساس الكنيسة، وعلى ذلك يرى عددٌ كبيرٌ من آباء الكنيسة في الشرق ولا سيما أن الصخر (petraفي اليونانية) هو الإيمان الذي اعترف به بطرس بقوله: (أنت المسيح ابن الله...). ولذلك يقول أوريجانس: «إذا قلنا نحن أيضا أنت المسيح ابن الله الحي نصبح بالتالي بطرس؛ لأن كل من يتمثل بالمسيح يصبح بطرس ويضيف يوحنا الذهبي الفم على قول يسوع «على الصخر هذا سأبني كنيستي» العبارة التالية: أي على

---

(١) نحن رومة والفاتيكان، د.أسد رستم، ص:٧٢.

اعترافك بالإيمان سأبني كنيستي[1].

وهكذا نجد أن الأرثوذكس يرفضون السلطة المطلقة لأسقف روما بناءً على اختلاف تفسيرهم للسلطة الممنوحة للكنيسة بناءً على نصوص الأناجيل، كما أنهم يفسرون نص الصخرة تفسيراً مختلفاً تماما عن التفسير الكاثوليكي.



(١) روما: نظرة أخرى الأرثوذكسية والبابوية، ص: ١٩.

المبحث الثالث

خصائص البطريركيات الأرثوذكسية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: السلطة الرباعية المشتركة.
- المطلب الثاني: الخضوع للسطان السياسي.
- المطلب الثالث: خصائص كنسية أخرى.

* * * ** * * *

المطلب الأول: السلطة الرباعية المشتركة

تعتبر السلطة الكنسية في الكراسي الأربعة الشرقية سلطةً رباعيةً مشتركةً تقوم على أساس المساواة بين الأساقفة الأربعة، وهي تختلف بذلك اختلافاً كلياً عن صورة السلطة عند نظيرتها الكنيسة الغربية ذات السلطة الموحدة التي تتبع البابا نفسه، والأساس الذي تقوم عليه هذه السلطة هو أن تلاميذ المسيح الذين يسمونهم بالرسل قد نالوا حقوقاً متساويةً في إدارة الكنيسة والتعليم فيها وإقامة الخدمة، ولم يكن بينهم أحدٌ يترأس على الآخرين، ويستدل الأرثوذكس على ذلك بما ورد في إنجيل متى عندما سألت أم ابني زبدي عن أوليتهم في ملكوت السموات قال المسيح عليه السلام لجميع تلاميذه: «قد علمتم أن أراكنة الأمم يسودونهم وعظمائهم يتسلطون عليهم، وأما أنتم فلا يكون فيكم هكذا، ولكن من أراد أن يكون فيكم كبيراً فليكن لكم خادما، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن فيكم عبداً»(1).

فهذا النص ينفي فكرة الرئاسة، فضلاً عن رئاسة شخصٍ بعينه على الجميع، ويرسخ معنى الخدمة، وأن الطريق إليها هو خدمة الآخرين.

وكما أن هؤلاء الرسل قد أخذوا حقوقاً متساويةً، فكذلك أعطوا للأساقفة حقوقاً متساوية، وعلى ذلك فكل الكنائس متساويةٌ فيما بينها، ولذلك فإن إدارة الكنيسة بشكل جماعي هي الإدارة الوحيدة والشرعية المطابقة تماماً لوصايا المسيح عليه السلام التي تنص بالمساواة والأخوة بين جميع المؤمنين(2).

والنموذج الذي تحتذي به الكنائس الأرثوذكسية هو مجمع أورشليم(3) الذي

---

(1) متى: (٢٠/ ٢٥-٢٧)

(2) تاريخ الكنيسة المسيحية، ص:١٤٢.

(3) يعتبر هذا المجمع من أوائل المجامع المحلية، وعقد في عام ٥١م، لمناقشة مسألة دعوة غير اليهود من الوثنيين، وهل يجب عليهم مراعاة الشريعة اليهودية، وانتهى المجمع بإقرار دعوة الوثنيين =

حضره بعض التلاميذ، حيث أن سلطة المجمع لم تكن سلطة أشخاصٍ منفردين بل سلطةٌ مجمعية[1].

وقد كانت العلاقة بين هذه البطريركيات على هذا الأساس، فقد كان رؤسائها يلتقون فيما بينهم في الأمور العامة التي تهم جميع الكنائس، وكانت المجامع العامة هي الصورة الأبرز لاجتماعهم، حيث يجتمعون عندما تحدث بدعةٌ أو هرطقةٌ في كنيسة ما، ولم يتم حلها في تلك الكنيسة، فيلجأون إلى مجمعٍ عامٍّ لمناقشة تلك البدعة، كما كانوا يجتمعون عندما يشعرون بالحاجة إلى إيجاد قوانين لتنظيم شئون الكنيسة، أوتنظيم العلاقة بين الكنائس نفسها.

كما كانت هذه العلاقة تتعزز من خلال الرسائل المتبادلة بين الكنائس، وهي أنواع، فمنها رسائل من كنائس إلى كنائس أخرى، والرسائل المتعلقة بقضايا الهرطقة، ورسائل المجامع إلى الكنائس والأساقفة بشأن التحديدات المجمعية، ورسائل التوصية التي يكتبها رؤساء الكنائس إلى الأتباع الذين ينتقلون إلى كنائس أخرى[2].

غير أن التساوي بين الكنائس لا يلغي استقلال الأساقفة فيما يتعلق بالشئون الداخلية للكنيسة، حيث كان كل أسقفٍ مستقلاً في إدارة الأعمال الداخلية للكنيسة.

= ووجوب التزامهم بالشريعة اليهودية. انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، أفغراف سمير نوف، ص:٢٨ .

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية، ص:١٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٣.

المطلب الثاني: الخضوع للسطان السياسي

كان انتقال عاصمة الإمبراطورية الرومانية إلى القسطنطينية (روما الجديدة) إيذانا بخضوع الكنائس الشرقية الواقعة في تلك المنطقة تحت سلطة الإمبراطور، في الوقت الذي كان فيه ذلك الحدث إيذاناً باستقلال الكنيسة الرومانية عن ذلك السلطان.

وقد انضوت الكراسي الأربعة تحت أنواعٍ من السلطة السياسة من أهمها:

١ - السلطة البيزنطية:

بدأ الخضوع للسلطة البيزنطية في عهد قسطنطين، الذي بلغ من تدخله في شئون الكنيسة أنه أصبح هو الذي يوجه شئونها، فكان هو الذي ابتدأ الدعوة إلى عقد المجامع المسكونية، وقد كانت المجامع السبعة الأولى مجامع شرقية، وبدعوةٍ من الأباطرة البيزنطيين(١).

وكانت هذه المجامع تقام في البلاط الإمبراطوري، الذي يتولى بنفسه الإشراف عليها، ويتدخل حتى في قراراتها، فيضيف أو يحذف ما يراه مناسباً على شدة جهله بالمسائل الدينية التي يتم مناقشتها، كما تدل على ذلك طبيعة المناقشة(٢).

وكانت هذه القرارات التي يتم اتخاذها ترسل إلى الكنائس بموجب مرسومٍ إمبراطوري.

وما حدث في مجمع نيقية الأول هو صورةٌ متكررةٌ تعبِّر عن طبيعة العلاقة بين الإمبراطورية والكنيسة.

---

(١) انظر: مدخل إلى المجامع المسكونية، ص:٣٩.

(٢) انظر: الدولة والكنيسة، د.رأفت عبدالحميد: (٢/ ١٩١).

٢- الحكم الإسلامي:

بعد حوالي ثلاثة قرون كانت فيها الكراسي الشرقية الأربعة خاضعة للسلطان البيزنطي جاء الفتح الإسلامي للبلاد التي تقع فيها هذه الكراسي، فقد فتحت القدس عام ٦٢٨م ثم أنطاكية، ثم مصر في مدةٍ متقاربةٍ قبل منتصف القرن السابع الميلادي، وأصبح أتباع هذه الكنائس بمقتضى الحكم الإسلامي "أهل ذمة"[١] يدفعون الجزية للمسلمين مقابل حماية الدولة الإسلامية لهم، وقد عاشوا في هذه الفترة في أمان كامل على أنفسهم وأموالهم، وكنائسهم، وفي حريةٍ كاملةٍ في عقيدتهم، وفي عدلٍ ظاهرٍ عاشوا فيه تحت ظل الدولة الإسلامية وكان ذلك بسبب تطبيق المسلمين لأحكام الإسلام مع غير المسلمين، والتي صدرت من خلفاء المسلمين، وأُعلنت بكل وضوح على ألسنة القادة المسلمين، ومن أعظم ذلك الوثيقة العمرية[٢] التي حددت شكل العلاقة بين المسلمين وغيرهم ممن يعيشون في ظل دولة الإسلام، ورسمت حقوق وواجبات غير المسلمين.

ثم دخلت بعد ذلك البطريركية الأكبر شأناً وعدداً، وهي بطريركية القسطنيطينية عام ٨٥٧هـ (١٤٥٣م)، وبسقوط القسطنطينية أصبحت جميع بطريركيات النصارى خاضعة للحكم الإسلامي.

وهذا الأمر أدى إلى ضعف سلطتها، وقلة عددها، حيث دخل من أتباعها عدد كبير خاصة في مصر في الإسلام بسبب ما رأوا من العدل والإنصاف من قبل المسلمين، وأصبحوا اليوم يشكلون أقلياتٍ في البلاد الإسلامية.

---

(١) أهل الذمة: الذمة هي العقد، والأمان، وأهل الذمة: هم اليهود والنصارى الذين يعيشون في ظل رعاية الدولة الإسلامية وحمايتها بموجب عقد بين الدولة الإسلامية وبينهم. انظر: أهل الذمة بالأندلس، محمد الأمين ولد آن، ص: ٢٢ .

(٢) سيأتي الحديث عنها في مبحث العلاقة بين الأرثوذكس والإسلام في الباب الرابع.

٣- حملة الجيوش الصليبية على البطريركيات:

بدأت الحملات الصليبية تحت مُسمّى تحرير الأراضي المقدسة، وتحرير القبر المقدس من أيدي المسلمين، ولكن أهدافها لم تقتصر على تلك الأهداف المعلنة، بل اصطلت بنارها جميع البطريركيات الشرقية، فعندما احتل الصليبيون البلاد التي تقع فيها تلك البطريركيات تعرضت تلك البطريركيات للتضييق من قبل الصليبيين لإخضاع تلك الكنائس للكنيسة الرومانية، ولذلك أرسل الباباوات مع الحملات الصليبية الأساقفة والكهنة والرهبان التابعين للبابا الروماني، وعندما احتلوا أنطاكية عام ١٠٩٨م. أقاموا فيها بطريركهم اللاتيني وأخضعوا له الكنيسة الأرثوذكسية الأنطاكية واضطر بطريرك أنطاكية الأرثوذكسي أن يغادر كرسيه، ويبحث عن ملجأ له في القسطنطينية، وعندما احتلوا أورشليم سنة ١٠٩٩م أقاموا أيضاً بطريركاً لاتينيا بدل البطريرك الأرثوذكسي، وهكذا فعلوا في الأماكن التي اجتاحوها حيث وضعوا أساقفة ومطارنة من قبلهم، وبموجب هذا الاستيلاء على الكنائس من قبل الصليبيين اعتبروا سكان هذه المناطق تابعين لهم، وأوجبوا عليهم الخضوع للبابا، وبهذا عانت الكراسي الشرقية فترةً من أشد فترات الضعف في تاريخها[١].

وقد كان خضوع الكراسي الشرقية في هذه الفترات للسلطان السياسي سبباً في ضعف سلطانها، وتضييق حدودها، وتناقص أعدادها، بخلاف الكنيسة الرومانية التي انطلقت بسبب استقلالها السياسي نحو الزعامة العالمية، وأصبحت الحاكمة للعالم الغربي على المستوى الروحي، بل حتى السياسي في وقت واحد.

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، ص ٣٩٧، مختصر تاريخ الكنيسة،ص: ٢٦١-٢٦٣.

المطلب الثالث: خصائص كنسية أخرى

كانت الإمبراطورية الرومانية الواحدة منذ البداية تنقسم إلى قسمين مختلفين من حيث ثقافة السكان، والطبيعة والميول لكل قسم، وتبعاً لهذا الاختلاف انقسمت الكنيسة أيضا إلى قسمين غربي وشرقي، ولكل قسمٍ خصائص تختلف عنها في القسم الآخر.

ومن أهم الخصائص المتعلقة بالكنيسة الأرثوذكسية ما يأتي:

١- من ناحية الثقافة الكنسية تتجه الكنائس الأرثوذكسية إلى إشراك العقل في قضية الإيمان، حيث فسرت أسس تعليم الإيمان المسيحي بالطريقة العلمية بخلاف الكنيسة الكاثوليكية التي رفضت اشتراك العقل في قضية الإيمان وابتعدت عن الدرس العلمي لعقائد الإيمان، ولم تهتم بالمسائل الداخلية للاهوتية النظرية وإنما اهتمت بالأمور الخارجية من الطقوس والنظام والإدارة وبالعلاقة بالدولة والمجتمع.

٢- ظهرت في الكنائس الشرقية هرطقاتٌ كثيرةٌ بسبب تناول المسائل اللاهوتية، ولم تظهر في الغرب مثلها بسبب عدم الاهتمام بتلك المسائل، وإنما ظهرت انقسامات فقط.

٣- اهتمت الكنائس الشرقية بدحض هذه الهرطقات، ووُضِع التعليم الأرثوذكسي على مباديء ثابتة فيما اجتهدت الكنيسة الكاثوليكية في المحافظة على الترتيبات الكنسية، والتحرر من السلطة العلمانية، وتقوية سلطتها على الجماعة والدولة(١).

٤- إعطاء فرصةٍ أكبر للعلماني من حيث المشاركة، واتخاذ القرار والحصول على المناصب في الحياة الكنسية، حتى أصبح كثيرٌ من البطاركة البيزنطيين من العلمانيين

---

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية، ٣٨١-٣٨٢.

مثل فوتيوس الكبير، فيما حصرت الكنيسة الكاثوليكية المناصب الكنسية على رجال الأكليروس[1].

٥- من الخصائص الأرثوذكسية أن اللغة المستخدمة في الطقوس والتعليم هي اللغة اليونانية، بينما كانت اللغة اللاتينية هي السائدة في الغرب، وقد أدى ذلك إلى المزيد من سوء التفاهم بين الطرفين، وكان من الأسباب التي أدت إلى الانشقاق النهائي بينهما.



(١) الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص: ٦٧-٦٨.

الفصل الثالث

آثار البطريركيات الأرثوذكسية

وفيه مدخل وخمسة مباحث : -

- المبحث الأول: الرهبنة.
- المبحث الثاني: الخوارق والمعجزات.
- المبحث الثالث: عبادة المقتنيات والرموز الكنسية.
- المبحث الرابع: عبادة المقدسين.
- المبحث الخامس: الآثار الأخرى.

* * * ** * * *

مدخـــل

ادعت الكنيسة الأرثوذكسية أنها حافظت على الإيمان القويم، وحاربت الهرطقات والبدع الدخيلة عليها، ولكننا عندما ندرس تاريخ هذه الكنائس، وسير من يسمى عندهم بالقديسين وأخبار الرهبان نجد أنها لم تسلم مما ادعت السلامة منه، وأنها وقعت في ألوان من الشرك، ومسالك شتى من البدع، ووقعت في الغلو والتطرف في أساقفتها ورهبانها. وهذا ما سنحاول التفصيل فيه من خلال المباحث التالية مع التركيز على ما تميزت به أكثر من غيرها من سائر الطوائف.

المبحث الأول: الرهبانية

لم تكن الرهبانية مما اختصت به الكنائس الأرثوذكسية دون غيرها، ولكنها اختصت بأنها هي مبتدعة الرهبانية وواضعة أسسها، حيث نشأت هذه البدعة في الوسط الشرقي الأرثوذكسي، ثم انتقلت بعد ذلك إلى العالم الغربي[(١)].

وقد أصبح لها أهمية كبرى في الحياة الأرثوذكسية، حتى أصبحت هي البوابة للدخول في الحياة الروحية، حتى قيل: «إن خير سبيل إلى الولوج إلى الروحانية الأرثوذكسية هو الدخول إليها من طريق الرهبنة»، وقيل أنه: « يوجد تنوع عظيم في الأشكال التي عرفتها الحياة الروحية الأرثوذكسية، ولكن الرهبنة تبقى أشدها كلاسيكية»[(٢)].

تعريف الرهبانية:

الرهبانية عند النصارى هي: « نذر التبتل إلى الله، مع اختيار الفقر طوعا، واعتزال العالم للتعبد»[(٣)].

وهذا التعريف يقوم على ثلاثة أمورٍ لابد منها لمن اختار طريق الرهبانية، وهي:

١ - اعتزال الناس.

٢ - الانقطاع التام للعبادة الذي يتحقق عندهم بترك العمل والسعي في الأرض في الغالب.

٣- ترك الدنيا جملة، واختيار الفقر أساساً للحياة.

---

(١) الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ٥٢.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) تاريخ الأمة القبطية، لجنة التاريخ القبطي، ص: ٩٥ .

نشأة الرهبانية:

بدأت الحياة الرهبانية في الديانة النصرانية في القرن الثالث، على يد الكنائس الأرثوذكسية، حيث ينسب إلى كنيسة الإسكندرية أول ظهورٍ للرهبانية على يد الأنبا بولا الإسكندراني الأصل الذي لجأ إلى صحراء طيبة في مصر هرباً من اضطهاد دوسيوس، عام ٢٥١م[١].

ونلحظ هنا جملةً من الأسباب قد تكون هي التي أدت إلى هذه الظاهرة، ومنها ما يأتي:

١- الاضطهادات التي تعرض لها النصارى ولاسيما من قبل الرومان، التي ألجأت بعض الأفراد إلى الهرب إلى البراري والصحاري خوفاً من بطش الرومان، ويدل على ذلك هرب الأنبا بولا الذي أشرنا إليه من قبل[٢].

٢- ويرى البعض خلافاً للرأي السابق أن ذلك كان بسبب توقف الاضطهاد وتنصُّر قسطنطين، حيث ثبتت دعائم النصرانية، وتعلق الناس بالمملكة الأرضية وبدأوا ينسون ملكوت السماء، فظهرت الحركة الرهبانية لتعيد الناس إلى ملكوت الله، وأصبح الرهبان هم الشهداء الجدد بعد أن توقفت شهادة الدم[٣].

٣- وقريبٌ من الرأي السابق أنها ظهرت بسبب اعتناق بعض الوثنيين الديانة النصرانية، حيث اهتم هؤلاء بالمصالح الدنيوية، وبذلك ظهر الفتور في النصرانية:

فحرك ذلك بعض الأفراد ليحثوا الناس على التقوى والخروج من المدن والقرى إلى الصحاري، ليعيشوا حياة العبادة، والتفكير بالله[٤].

---

(١) انظر: الكنيسة في التاريخ، الخوري ناصر الجميل: (١/ ٣٩٧).

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص: ٥٣.

(٤) تاريخ الكنيسة المسيحية، ٣٦٩.

٤- ويرى البعض أنها كانت نتيجة التأثر بالتعاليم الواردة في الإنجيل الداعية إلى العزلة والخروج من الدنيا، مثل ما ورد في إنجيل متى: « إذا كنت تريد أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك ووزعها على الفقراء فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني»[١].

وربما يكون الاضطهاد الذي وقع على النصارى مع جهلهم بالدين الصحيح هو السبب الأكبر في حدوث هذه الظاهرة التي فرضها بعض النصارى على أنفسهم كطريق من طرق النجاة والفوز بملكوت السماء.

أنواع الرهبانية:

عند دراسة ظاهرة الرهبانية نجد أنها لم تكن على صورةٍ واحدةٍ دائما، وإنما اتخذت ثلاثة أشكالٍ رئيسية، ظهرت كلها في مصر في منتصف القرن الرابع، ولا تزال هذه الأشكال سائدةً إلى اليوم، وهي كما يأتي:

١- رهبانية النساك (المتوحدون):

وفي هذه الصورة يعيش الراهب وحيدا، حيث يعتزل الناس، ويذهب إلى أكواخ، أو مغارة، أو مقابر، وأكبر مثالٍ على هذا النوع الأنبا بولا الذي ولد بالصعيد سنة ٢٢٨م، وفر إلى البرية بسبب الاضطهاد، واستمر في العزلة، ولم يرجع إلى المدينة، وقد قال عن نفسه «إن الظروف هيأت لي طريق الفضيلة»، وقد عاش في مغارةٍ بها ماءٌ وأمامها نخلٌ وبقي على ذلك حتى مات، ثم جاء بعده الأنبا أنطونيوس الذي يعد "أب الرهبانية"، الذي ولد عام ٢٥١م، بإقليم بني سويف، ويقال إنه عندما سمع نص الإنجيل باع أملاكه ووزع ثمنها على الفقراء، وانفرد في البرية للعبادة، حيث سكن قبراً من القبور، ثم وجد برجاً قديما فاتخذه مأوى لمدة عشرين سنة، وعندما

---

(١) متى: (١٩/ ٢١).

سمع الناس بأمره قصدوه، فأخذ يعلمهم ويصلي من أجل مرضاهم[1].

٢- الرهبانية الجماعية:

وفي هذه الصورة يعيش مجموعة من الرهبان في دير أعد لهذه الغاية، وفي ظل قانون مشترك، ورائد هذا الإتجاه هو باخوميوس المصري (٢٨٦م-٣٤٦م) الذي يدعى "أب الشركة الرهبانية" وقد مال إلى الوحدة بعد أن اعتنق النصرانية، ثم أنشأ ديرا قريبا من النيل قصده كثير من التلاميذ، وقد بلغ عدد الرهبان فيه ٧٠٠٠ راهب، ثم أقام ديراً آخر للراهبات، ووضع نظاماً للرهبنة، وهو أول نظام للرهبنة، وأشبه ما يكون بنظام الجندية، حيث يوجد نظامٌ لكل صغيرةٍ وكبيرةٍ في حياة الراهب في لباسه، وطعامه، ونومه، وعبادته، ونظام للعقوبات، وقد انتقل بعد ذلك إلى الغرب[2].

٣- الحياة شبه النسكية:

وهي صورةٌ تقع بين الصورتين السابقتين، حيث يستعاض عن الجماعة الواحدة ذات التنظيم والمركزية الشديدة بجماعاتٍ صغيرةٍ تضم كلٌ منها عدداً من الرهبان بين اثنين وستة يعيشون حياةً رهبانيةً تحت إرشاد من يتقدمهم في السن، ومن كبار الرهبان الذي عاشوا على هذه الصورة "عمُّون" مؤسس دير النطرون، ومكاريوس الكبير، ومكاريوس الإسكندراني وغيرهم[3].

وهكذا نشأ النظام الرهباني في أرض مصر بصوره الثلاث، ثم انتقل بعد ذلك إلى باقي الكنائس الأرثوذكسية فأنشأ أفتيميوس الكبير (٤٧٣م) الحركة الرهبانية في فلسطين وأسس سابا (٥٣٢م) ديراً في وادي الأردن وإليه ينتمي الراهب المشهور

---

(١) تاريخ الأمة القبطية، ص ٩٨، الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص:٥٣.

(٢) تاريخ الأمة القبطية، ص:١٠، الكنيسة الأرثوذكسية، ٥٣، تاريخ الكنيسة المسيحية، ص: ٣٧٢، كنائس المشرق، عزت زكي، ص:٢٩.

(٣) الكنيسة الأرثوذكسية، ص:٥٤.

يوحنا الدمشقي، ثم انطلقت الحياة الرهبانية إلى بيزنطة عندما تأسس ديرستوديوم في القسطنطينية عام ٤٦٣م، وأصبح ثيودوروس رئيساً له.

وفي القرن العاشر احتل جبل آثوس المركز الأول في الرهبنة الأرثوذكسية، وقد عرف بالجبل المقدس، وضم عشرين ديراً رئيسيا، وأديرةً صغيرةً وصوامع للنساك(١).

البدع التي اشتملت عليها الرهبانية:

كانت الرهبانية منذ نشأتها بعيدةً كل البعد عن رسالة المسيح عليه السلام، وقد نشأت في البراري والأديرة وخرج نظامها من عقول الرهبان الذين عاشوا في الكهوف، والمغارات والمقابر ونحوها، ولا تزال الرهبانية تبتدع في أنظمتها بحسب ما يستجد من الأفكار، وتنوعت بدع الرهبانية بين أمورٍ متعلقةٍ بنظام الرهبانية نفسه، وأمورٍ تتعلق بسلوك الرهبان، وأخرى تتعلق بأماكن العبادة للرهبان وسوف نفصل ذلك فيما يأتي:

أولاً: نظام الرهبنة:

تقوم الرهبنة على ثلاثة أركان لا يمكن قبول الراهب حتى ينذر نذراً بالالتزام بها في الحياة الرهبانية، وهي:

١- العفة (البتولية):

ويقصد بها عدم الزواج، ويرى واضعو الرهبانية أن المسيح عليه السلام عاش بتولاً على الأرض، وينسبون إليه أنه قال «...لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات، من استطاع أن يقبل فليقبل»(٢)، والذين استطاعوا أن يخصوا أنفسهم لأجل ملكوت الله هم الذين لم يتزوجوا، حيث استعانوا بنعمة الله على احتمال

---

(١) الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر ص: ٥٤-٥٥.

(٢) متى: (١٩/ ١٢).

شأن البتولية[1].

٢- الفقر (الاختياري):

والمقصود أن يعيش الراهب فقيرا، لا يجمع المال ولا يقتني شيئاً مهما كان قليلا، ولا يسمح للراهب أن يدخل الدير ومعه شيء من المقتنيات، ومن وجد معه شيء عُد جريمة يعاقب عليها، ولو دخل بثياب غير الثياب الخاصة بالدير فإنها تؤخذ منه وتوزع على الفقراء خارج الدير، وكل ما هو ضروري للحياة فإن الراهب يأخذه من الدير[2].

وهم يستندون في تقرير هذا المبدأ على أساس أن المسيح ﷺ عاش فقيرا، وأنه اعتبر الفقراء إخوته، ويُنسب إليه أنه قال للفتى الذي أراد أن يكون كاملاً: «اذهب بع كل مالك وأعطه للفقراء»[3]

٣- الطاعة (المطلقة):

في الرهبانية تجب الطاعة المطلقة للرئيس، وقد فُرِضَت على الأتباع بلا هوادة، فلا يجوز لأحدٍ أن يخرج من الدير، أو يبدأ عملاً جديداً، أو ينتقل من مكانٍ إلى آخر ما لم يسمح له الرئيس بذلك.

وهذه النذور الثلاثة التي ينذرها الرهبان لا أصل لها في رسالة المسيح ﷺ، بل هي مخالفةٌ لها، ولا يقتضيها العقل السليم، بل هي مخالفةٌ له؛ لأن فيها ضرراً كبيراً بالبدن من غير مصلحةٍ أو حاجةٍ إلى ذلك، وهي مخالفةٌ حتى للفطرة، فالتعبد لله تعالى بترك الزواج مخالفٌ للفطرة؛ لأن الميل إلى النساء بالتزاوج، وتكوين الأسر، وقضاء الشهوة المباحة، من الغرائز التي ركبها الله في الإنسان، كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

---

(١) انظر: موجز تاريخ المسيحية، الأنبا ديوسقورس، ص:١٧٥.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، ص: ٢٧٤.

(٣) متى: (١٩/ ٢١).

ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[آل عمران:١٤] .

وكذلك فإن الزواج هو سنة المرسلين، الذين جعل الله لهم أزواجاً وذرية، وهو أمر الشارع؛ لما فيه من المصالح المتعددة، من سكن النفس، وقضاء الشهوة، وتكثير النسل، والترابط بين أفراد المجتمع، وكثيرٌ من الرهبان عندما أعرضوا عن هذه الفطرة السليمة انحرفوا ووقعوا في المحرمات، وذلك عندما أصبحت أديار الرهبان قريبة من أديار الراهبات، كما هو معلوم في التاريخ، ووقعوا في ألوان من الفسق الذي أخبر الله تعالى به عن أهل الرهبانية، في قولة تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٧] .

وكذلك تحريم الرهبان على أنفسهم اقتناء أي شيء، ولو كان صغيرا، وتحريم التملك الخاص، والمعاقبة عليه بأشد العقوبة هو من تحريم ما أحل الله، وإلغاء للفوارق الطبيعية بين البشر، القائمة على الجهد الذاتي، والعمل الخاص لكل فرد، فعند ذلك يصبح قليل العمل وكثيره في منزلةٍ واحدة.

وأما الطاعة المطلقة للرؤساء، ففيها إلغاءٌ لرأي الإنسان وحرية اختياره، والطاعة لا تكون إلا في المعروف، ولا تكون في كل الأحوال، وهي من الغلو في المتبوع الذي يصبح له الحق أن يفعل ما يشاء، وأن يصدر من الأوامر والنواهي ما يشاء دون سندٍ من دين، أو مصلحة، أو غير ذلك.

والنتيجة لذلك أن النظام الرهباني لم يكن نظاماً فاعلاً له أثرٌ في المجتمع، بل هو نوعٌ من الهروب من المسئوليات والواجبات وإن اتخذ صورة التعبد والتقرب إلى الله.

ثانياً: سلوك الرهبان والرؤساء:

حينما لم يكن للرهبانية سندٌ من دين، أو عقلٍ راحت عقول الرؤساء تخترع من

الأعمال والقوانين ما تشاء، ثم تلزم بها أتباعها، وما عليهم حينها إلا الطاعة والتسليم، ولذلك اخترعوا الكثير من الرهبانيات الغريبة عن الفطرة والعقل السليم.

ومن الأمثلة على ذلك:

١ - الوقوف طوال الوقت:

كان من الرهبان من ينتصبون دوماً واقفين، ومنهم من يقسمون أوقاتهم بين الوقوف والجلوس، مثل زيبياناس الذي فاق أهل عصره، وكان يقضي الأيام والليالي واقفا، ولما كبر صار يستعمل عصا يستعين بها على الوقوف، وإبراهيم القورشي اشتهر بكثرة السهر والوقوف والصوم، وقد روض جسده على أن يبقى مدةً طويلةً بلا حراك، حتى أصبح غير قادر على المشي البتة، حتى شفي بأعجوبة[١].

٢ - الشجريون والعشَّابون:

أما الشجريون، فهم الرهبان الذين يعيشون على الأكل من الشجر، ويبنون كوخا أو يأوون إلى فجوة بين الأغصان، والشجري يربط جسده بسلسلة، لكي يتحاشى السقوط من الشجرة إذا غلبه النعاس، أو تعرض للهبوط.

والعشابون: قوم يقتاتون العشب اقتداءاً بيوحنا المعمدان بزعمهم، ولا يأكلون خبزاً ولا طعاما، ومن هؤلاء يعقوب النصيبيني الذي قيل عنه: «لم يكن غذاؤه مما يحتاج إلى عناية في زرعه وغرسه، بل مما ينبت من ذاته في البرية، فكان يأكل من ثمار الأشجار النامية من ذاتها، ومن الأعشاب التي يمكن أكلها[٢].

٣- الحُبساء والعموديون:

الحُبساء هم نساك يعيشون في أماكن ضيقةٍ ويحبسون أنفسهم، ويمتنعون بموجب قانون الحبس عن مواجهة الناس، ويقضون أوقاتهم في عزلةٍ وتأملٍ بعيد عن

(١) انظر: الكنيسة في التاريخ، ص:٤٠.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

الناس.

والعموديون: هم الذين يقفون على رؤوس أعمدةٍ في الجو أمام الناس، والغاية من ذلك بزعمهم أن يكون وسيطا بين السماء والأرض، ومبتكر هذا النوع من النسك هو سمعان العمودي، وتميزت به الكنيسة السريانية، والغاية من هذا النسك عند أصحابه هو التعبد والتقشف وعمل الخير(١).

وهكذا اخترع الرهبان طرقاً غريبةً في التعبد ليس لها أي مستندٍ إلا الجهل أو الهوى، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل صاحب ذلك اعتقادات في المتبوعين والرؤساء، فهم في نظر الرهبان مصدر البركة، ويعتقدون أن الله قد منحهم موهبة صنع العجائب، ومعرفة الغيب، ولذلك يأتونهم من كل مكان طلباً للنصيحة أو التعزية أو الشفاء(٢).

وأصبح "الشيخ" الذي يلعب دور المرشد للرهبان يسير بإلهامٍ مباشرٍ من روح القدس، ويملك موهبة كشف"إرادة الله" ومقاصده ومعالجة كل حالةٍ ممن يأتيه من الناس(٣).

ثالثاً: أماكن الرهبان المقدسة:

أصبحت أديرة الرهبان ابتداءاً من القرن الرابع في نظر الناس أماكن مقدسة، وأصبح الحجاج الذي يأتون إلى القدس لأداء حجهم يعتبرون حجهم غير مكتمل، إذا لم يشتمل على زيارة أديرة بلاد النيل، وأصبح جبل آثوس من الأماكن المقدسة حتى أطلق عليه"الجبل المقدس"(٤).

خلاصة:

في نهاية الحديث عن بدع الرهبانية نجد أنها تتضمن ما يأتي:

---

(١) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، ص: ٣٧١.

(٣) الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص: ٥٦

(٤) المصدرنفسه، ص:٥٤.

١ - أن الرؤساء قد فرضوا على أنفسهم وعلى أتباعهم فرائض ما أنزل الله بها من سلطان من الوقوف أغلب الوقت، والسهر لذاته، والأكل من الأشجار والأعشاب، والوقوف على رؤوس الأعمدة، والصمت الطويل، وعدم الزواج، وغايتهم من ذلك إتعاب النفس وتعذيبها وبذلك وقعوا في شرك التشريع بغير ما أنزل الله.

٢ - فرضوا على أتباعهم طاعتهم فوقعوا في شرك الطاعة.

٣- الشرك بالله تعالى من خلال الاعتقادات الباطلة في متبوعيهم من العلم بالوحي، ومعرفة الغيب، والقدرة على الشفاء ونحو ذلك.

٤ - تركهم الكلي للعمل وطلب الرزق، فهم لا يعملون إلا من خلال الدير وعلى قدر احتياجاتهم، وبحسب أمر الرئيس فقط.



المبحث الثاني: الخوارق والمعجزات

تمتلئ المصادر النصرانية- ومنها الأرثوذكسية- بذكر سير مَنْ يعظمهم النصارى ويسمونهم بالقدِّيسين، من الرهبان وغيرهم، وتنسب هذه المصادر إليهم الكثير من الخوارق والأمور العجيبة التي يستدلون بها على صلاح هؤلاء المقدسين وولايتهم ويجعلونها مدعاة للغلو فيهم، وقبول أقوالهم وطلب التبرك فيهم.

ومن المصادر المهمة في هذا الباب كتاب: "بستان القديسين"، الذي ألفه بلاديوس وجيروم(١)، وضم سيرة ١٥٢ من القديسين، وأخبارهم وتعاليمهم، وقد جاء في الفصل الثالث عشر، تحت عنوان: «عن الآباء الذين أجرى الله العجائب على أيديهم» جملة من الخوارق، عمن يسمى بالقديسين والرهبان، نختار منها ما يأتي:

١- في عهد الأنبا مكاريوس ذهب سبعةٌ من أتباعه ليحصدوا المحصول وإذا بأرملة تسير ورائهم وتلتقط الحصاد، ولم تتوقف عن البكاء، فلما سألوها عن حالها أخبرت بأن زوجها قد أخذ وديعة من المال من رجل ومات فجأة دون أن يذكر أين وضعها، وأن صاحب الوديعة يريد أن يأخذها وأولادها عبيدا له، فلما أخبروا القديس طلب أن تأتي إليه، ثم طلب منها أن تخبره أين دفنوا زوجها، فلما وصلوا إلى المقبرة طلب منها أن تعود إلى منزلها، فلما ذهبت قام يصلي وبعد أن انتهى من صلاته صاح نحو الميت، وقال: (يافلان أين وضعت الوديعة الخاصة بالغريب؟!)، فأجاب الميت فوراً: إنها مخبأة في منزلي تحت السرير، فقال له الشيخ: (نم الآن إلى يوم الدين)، ولما شاهد الرجال ما حدث خروا تحت قدميه، وعندما أتوا إلى الأرملة، وأخبروها بمكان الوديعة أحضرتها وأعطتها لصاحبها، فأطلق الدائن أولادها.

---

(١) يتميز الكتاب بأن مؤلفيه عاشا في القرن الخامس الميلادي، أي في الفترة التي بلغ فيها النظام الرهباني ذروته وكثرت أخبار الرهبان وأعاجيبهم.

٢- قص أحد الآباء أن أنبا بولا الذي أقام في طيبة الأقصر، كان يقبض بيديه على الحيات والعقارب والثعابين السامة، وكان يقوم بقتلها، فتقدم إليه الإخوة، وقالوا: أخبرنا يا أبانا كيف اقتنيت هذه الموهبة؟، فقال لهم: لو أنكم قد اقتنيتم نقاوة القلب، فكل الكائنات الحية ستخضع لكم، كما كانت عليه الحال مع آدم قبل أن يتعدى على وصية الله.

٣- جاء شيخٌ من طيبة إلى جبل سيناء لزيارة الآباء، وفي طريق عودته قابله رجل فشكا إليه من قلة المطر وأخبره أنهم صلوا وتضرعوا ولم يسقط المطر فقال الشيخ: لم تصلوا من قلوبكم، ثم بسط يديه نحو السماء فسقط مطرٌ غزيرٌ على الفور حتى سقط الأخ على وجهه من هول المفاجأة، وأسرع الشيخ بالهرب خوفا من مدح الناس (قمة التواضع!).

٤- أرسل أحد الشيوخ تلميذه ليجلب له الماء من بئرٍ بعيدة، ونسي الأخ أن يأخذ معه الحبل ليربط به الإناء ويدليه في البئر، فشعر بالأسى، وسجد على الأرض وصرخ قائلاً: (يا بئر: إن أبي يأمرك أن تملأي هذا الإناء بالماء بدون أدنى تأخير)، فارتفع مستوى الماء في البئر حتى ملأ الأخ الوعاء ثم هبط إلى مستواه الأول.

٥- قال أنبا يوحنا: توجهنا إلى سوريا ذات مرةٍ لزيارة أنبا بيمين بوادي النطرون، وقد أردنا أن يحدثنا عن قساوة القلب، ووجدنا القديس لا يعرف اللغة اليونانية، ولم نجد مترجما، فلما وجدنا أننا تضايقنا من هذا الوضع بدأ يتكلم باللسان اليوناني،، وقد أعطاه الله هذه الموهبة بناء على طلبه.

٦- تحدث الآباء عن قديس عظيم عاش في "بور بريني"، قالوا إنه عندما كان يرفع عينه نحو السماء (أثناء الصلاة) كان يتمكن من أن يشاهد الذين في السماء، وأنه إذا نظر إلى الأرض استطاع أن يرى ما في أعماق الأرض من الخلائق (الشياطين والذين في سجن المطهر).

٧- القديس بيصاريون ظهرت على يديه أعمالٌ عجيبة، فقد جعل مياه البحر

المالحة عذبة، كما أنه سار فوق ماء النهر وعبَرَ إلى الجانب الآخر، ومنع الشمس من الظهور في كبد السماء، وكشف الله له ما سيحدث من إزالة الأصنام من المعابد المصرية، وهو ما تم فعلاً بقرارٍ من الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير الذي أصدر أوامره بتحويلها إلى كنائس في نهاية القرن الرابع(١).

هذه بعض الأمثلة على الخوارق التي ينسبها النصارى إلى من يُسمَّى بالقدِّيسين وهي تشتمل على ما يأتي:

١- إحياء الميت، ومخاطبته، ورد الميت على الحي.

٢- القدرة على القبض على الحيات والعقارب والثعابين السامة وقتلها دون ضرر.

٣- إجابة الدعوة بإنزال المطر بعد الدعاء مباشرة.

٤- ارتفاع مستوى الماء في البئر، ثم عودته إلى مكانه بسبب بركة الشيخ والدعاء باسمه.

٥- معجزة التحدث بلغةٍ لم يكن يعرفها من قبل.

٦- القدرة على رؤية ما في السماء وما تحت الأرض من المخلوقات.

٧- تحويل مياه البحر المالحة إلى مياةٍ عذبة، والسير فوق مياه الأنهار، ومنع الشمس من الظهور في كبد السماء، ومعرفة بعض ما سيحدث في المستقبل.

أثر هذه الخوارق على الأتباع:

هذه الخوارق التي يصنعها أو يدعيها هؤلاء الضالون ممن يُسمَّون بالمقدسين أو الشيوخ أو غير ذلك من الألقاب قد ضل بسببها كثيرٌ من الأتباع، ويتضح ذلك من خلال أمرين:

---

(١) بستان القديسين، بلاديوس، وجيروم، ص:١٧٠، وما بعدها، بتصرف.

الأول: ظنهم أن من ظهرت على يديه وليٌّ أو قديسٌ بلغة النصارى.

الثاني: أن من صدرت منه لابد أن يكون معصوماً، فكل ما يخبر به فهو حق، وما يأمر به فهو واجب الطاعة(١).

ولذلك نجد الغلو في هؤلاء المقدسين من قبل أتباعهم باعتقاد قدرتهم الخارقة، أو بالسجود لهم مباشرة، أو بأخذ بعض مقتنياتهم أو آثارهم طلباً للبركة، أو بزيارة قبورهم والتبرك بها.

وأما الخوارق التي يدعونها، فمنها ما هو من قبيل إعانة الشياطين لأوليائهم بغية زيادة إضلالهم، وإضلال أتباعهم، وأغلبها من قبيل الحيل التي اخترعتها عقول هؤلاء القديسين، وبعضها قد كُشف أمرها للحكام أوالعلماء في تلك العصور، وقد أخبروا عنها، ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن بعض حيل الرهبان بقوله: «وقد صنف بعض الناس مصنفا في حيل الرهبان...»، ثم ذكر بعض الأمثلة، ومنها:

١- الحيلة المحكية عنهم في ارتفاع النخلة، وهو أن بعضهم مر بدير راهب وأسفل منه نخلة، فأراه النخلة صعدت شيئاً فشيئاً حتى حاذت الدير، فأخذ من رطبها، ثم نزلت حتى عادت كما كانت، فكشف الرجل الحيلة، فوجد النخلة في سفينة في مكان منخفض إذا أرسل عليه الماء امتلأ حتى تصعد السفينة، وإذا صرف الماء إلى موقع آخر هبطت السفينة.

٢- ومن حيلهم الكثيرة النار التي يظن عوامهم أنها تنزل من السماء في عيدهم في القيامة، وهي حيلةٌ قد شهدها غير واحدٍ من المسلمين والنصارى، ورأوها بعيونهم أنها نارٌ مصنوعة، يضلون بها عوامهم يظنون أنها نزلت من السماء ويتبركون بها، وإنما

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، (٢/ ٣٣٨).

هي صنعة صاحب محال وتلبيس[1].

وبعد أن ذكر جملةً من هذه الحيل قال: «ومثل ذلك كثيرٌ من حيل النصارى فجميع ما عند النصارى المبدِّلين لدين المسيح ﷺ من الخوارق إما حالٌ شيطانيٌّ وإما محالٌ بهتانيٌّ ليس فيه شيءٌ من كرامات الصالحين»[2].

وقد ذكر كلٌ من الإمام القرافي[3]، و الإمام الجعفري[4]، جملةً من هذه الحيل وبيَّنا تفسيرها وحقيقتها، فقال القرافي في بداية الحديث عنها: «ولما علم حذاقهم أن دينهم ليس له قاعدة تبنى عليه، ولا أصل يرجع إليه، جمعوا عقول العامة بتخييلاتٍ موهمة، وأباطيل مزخرفة، وضعوها في الكنائس والمزارات[5].

---

(١) الجواب الصحيح: (٢/ ٣٤.)

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) القرافي: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء، ولد سنة ٦٢٦هـ، له تصانيف بديعة، منها: "التنقيح في أصول الفقه"، و"شرح الأربعين في أصول الدين"، و" الانتقاد في الاعتقاد". انظر: الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، ص: ١١-١٢ .

(٤) الجعفري: هو صالح ابن الحسين بن طلحة الهاشمي الجعفري، سكن منطقة "الجعافرة" بمصر، في إحدى المدن الكبرى بمحافظة قنا بالصعيد الأعلى، ولد سنة ٥٨١هـ، وله ثلاثة مؤلفات في علم الأديان: "تخجيل من حرف التوراة والإنجيل"، و"البيان الواضح المشهود في فضائح النصارى واليهود"، و"الرد على النصارى". انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، ص: ٣ .

(٥) الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، ص: ٢٧.

المبحث الثالث

عبادة مقتنيات ورموز الكنيسة

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: عبادة الصليب.
- المطلب الثاني: عبادة الصور والتماثيل.
- المطلب الثالث: العبادة للخبز والخمر.

* * * *** * * *

المطلب الأول: عبادة الصليب

من أكثر الرموز الكنسية التي نالت التعظيم عند الأرثوذكس الصليب، فهم يبالغون في تعظيمه وتقديسه، حيث اتخذوه علامةً لدينهم، ورمزاً لإيمانهم بالمسيح المخلص، واقتفاءاً لأثره، وإشعاراً بإنكار النفس، وهم يلزمون أنفسهم حمل الصليب في كل مكان إما بتعليقه في الأعناق، وإما بتصليبه على أجسادهم، ويزعمون أن المسيح عليه السلام هو الذي أمرهم بذلك، كما جاء في إنجيل مرقس: «ودعا الجميع مع التلاميذ، وقال لهم: من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه،ويتبعني»(١).

يتحدث يوحنا الدمشقي عن فوائد الصليب، فيقول: «إذاً كل أعمال المسيح ومعجزاته عظيمةٌ جداً وإلهيةٌ وعجيبة، بيد أن أعجبها كلها صليبيه الكريم، فلولاه لما بطل الموت أبداً، ولا انحلت خطيئة أبينا الأول، ولا سلب الجحيم، ولا منحت القيامة، ولا أُعطِيت لنا قوةٌ لاحتقار الأشياء الحاضرة، والموت نفسه، ولا تمهد السبيل للعودة إلى السعادة القديمة، ولا فُتِحت أبواب الفردوس وجلست طبيعتنا إلى ميامن الله، ولا صرنا أبناء الله وورثته لولا كان بصليب ربنا يسوع المسيح، لأن كل شي قد اصطلح بالصليب»(٢).

ثم بين أن الصليب سمةٌ وعلامة للنصارى تميزهم عن غيرهم: «والصليب قد أعطى لنا سمةً على جبهتنا، على نحو ما دفعت الختانة لإسرائيل، والمؤمنون يتميزون بواسطته عن غير المؤمنين فتعرفهم، وهو ترسٌ وسلاحٌ وفوزٌ ضد إبليس، وهو ختمٌ كي لا يمسه مبيد الكل، وهو نهوض الساقطين، وسند الواقفين، وعكاز الضعفاء، وعصا الرعاة، وإرشاد المرتدين، وكمال الفائزين، وهو خلاص للنفس والجسد، وتنقيةٌ من كل الشرور، ومجلبةٌ لكل الخيرات، وإزالةُ الخطية، ونبتُ القيامة وعودُ

---

(١) مرقس:(٨/ ٣٤)

(٢) المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي،ص:٢٢٩ .

الحياة الأبدية»[1].

وقد بيَّن عبدالأحد داود الذي اهتدى إلى الإسلام بعد أن كان على النصرانية مدى ارتباط النصراني بالصليب، وأن من لم يرسم الصليب أو يقبله فإنه يعد مرتداً عن الدين، فقال: «هو أساس قواعد الدين، وعماد الإنجيل وعلامة يوم الحشر، فالذي يؤمن لا يهلك أبدا، بل تكون له الحياة الأبدية، وهو كاشف الأسرار اللاهوتية، وإن كان أحد اليسوعين لا يرسم الصليب على وجهه، أو لا يقبل الصليب المصنوع من الخشب أو المعادن لا تقبل عبادته، ويعتبر رافضاً ومرتداً لدى كل الكنائس»[2].

والنصارى يعظمون الصليب كما يعظمون المسيح، كما اعترف بذلك أحد المهتدين من النصارى، وهو نصر بن يحيى المتطبب[3]، حيث قال: «ثم إنكم تتخذون الصليب من المعادن أو النباتات وتعظمونه كتعظيم المسيح، وتضعونه في قبلتكم على منبر عالٍ وتحته الثياب الفاخرة، وفي خدمته جماعةٌ من الكهنة قد كشفوا رؤوسهم، ولبسوا الطيلسانات[4] يهللون بأعلى أصواتهم، وينقادون إلى خدمته الجماعات على تلك الحال أيضا، ويقبِّلون الأرض بين يديه ويلثمونه»[5].

---

(١) المصدر السابق، ص:٢٢٩.

(٢) الإنجيل والصليب، ص: ٢٥-٢٧.

(٣) نصر المتطبب: كل ما ورد عنه أن اسمه نصر بن يحي بن عيسى، وأنه كان نصرانيا فأسلم بعد نظر، وبحثٍ، ومقارنة، وأنه كتب رسالة في الرد على النصارى، وأنه كان طبيبا، ولا يعرف تاريخ ولادته أو وفاته. انظر: جهود من أسلم من النصارى في كشف فضائح الديانة النصرانية، مامادو كلرامبيري، ص:٤٨١، وهي رسالة دكتوراه غير مطبوعة، بالجامعة الإسلامية.

(٤) الطيلسانة: إحدى ملابس الإكليروس، ويضعها الكاهن على رأسه، وهي بشكل طاقية مرتفعة إلى أعلى، ومزدانة بصليبين أحدهما من الأمام والآخر من الخلف. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: (٣/ ٤٠).

(٥) النصحية الإيمانية في فضح ملك النصرانية، ص: ٧٤-٧٥، نقلا عن كتاب جهود من أسلم من النصارى في كشف فضائح الديانة النصرانية، ص:٤٨١ .

وهذه النصوص تبين لنا مدى مكانة الصليب عند النصارى، وارتباطه بالعبادة، وبعض صور التعظيم له، ويعود السبب في ذلك الغلو الذي يصل إلى درجة العبادة إلى أن الصليب هو رمزٌ لعقيدة الصليب، حيث يعتقد النصارى أن المسيح ﷺ قدم نفسه للصليب فداءاً للبشر عن خطيئة أبيهم آدم.

ومن أجل ذلك لم يقتصر التعظيم على هذا الحد، بل قدم النصارى ألواناً من العبادة الخاصة بالصليب، ومن تلك العبادات ما يأتي:

١ - الصلاة لتعظيم الصليب:

هناك صلواتٌ خاصة بالصليب، منها صلواتٌ في الصباح وصلواتٌ في المساء، وهناك صلاة ارتفاع الصليب المقدس، وصلاة الأحد الأول بعد ارتفاع الصليب، وصلاة الأحد الثاني بعد ارتفاع الصليب(١).

ومن الأمثلة على هذه الصلوات، ما يُسمَّى بصلاة الغفران لمجد الثالوث الأقدس، حيث جاء في هذه الصلاة « نسجد لصليب الخلاص، اختاره ابن الله فرفع عليه وافتدانا بتقدمة ذاته ليجذب الكل إليه الصالح، من هو وحده الذبيحة الدائمة، والقيامة والحياة مدى الدهور وإلى الأبد، صليبك ربي قطعتان من خشب، حولته خشبة خلاص، فأصبح سمة المخلصين، والهوية والشعار به نتبارك ونبارك، نحتمي ونستعين، حيثما يرفع صليب، فأنت حتماً هناك، ونحن معك، كلما صلينا، وبأي شكل، نبدأ ونختم بإشارة الصليب، وكل مرةٍ نحب أو نتوب أو نغفر، فباسم الصليب وإخصاباً له فكل مبرةٍ وسامٌ في الأرض، ينبع منه ويرتد إليه، صليبك ربي مشهدنا المعتاد، وشاهدنا الأخص على محبتك، انحدرت من العلو إلى العمق، وبسطت ذراعيك طولاً وعرضاً، فرسمت الصليب لتطال الكل وتحتويهم، وتضمهم إليك، هكذا نعرفك يارب، ونروح نبشر بك إلهاً مصلوباً، فنتحدى عقل البشر

(١) انظر: ليتقدس اسمك، وهو كتاب صلوات الأزمنة الطقسية، الأبوان يوحنا ويوسف العنداري، ص:٦١٩.

وصوابهم: فمن آمن استحق صليبك واعتنقه، ليجهر به ويشهد له حتى الموت، صليبك ربي دربنا إلى الملكوت، على خطاك، لا لسنا دعاةً لك ولا أتباعاً، نحن شركاء سرك حقاً وصدقاً، امتدت دربك من الجلجلة ولن تنتهي، لنشارك فيها كلنا، صلباناً تلو صلبان، ولكل منا نصيبه الكامل: نخلص بك ونخلص معك، إلى أن يأتي ملكوتك »[(١)].

٢- أعياد الصليب:

تُعيِّد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية للصليب مرتين في السنة، حيث يوافق اليوم الأول اكتشاف الملكة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين لخشبة الصليب في أورشليم في القرن الرابع الميلادي، ويوافق اليوم الثاني يوم بناء الكنيسة في الموضع الذي وجد فيه الصليب[(٢)].

وفي هذين العيدين (إضافة إلى باقي أيام السنة) تمارس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كل طقوس العبادة لخشبة الصليب من إيقاد الشموع أمامه، والتبخير، والسجود له، وتلاوة التسابيح والتماجيد، وإلقاء التحية (السلام) إليه، وكأنه إلهٌ حيٌّ يسمع ويستجيب.

ومن أمثلة التسابيح والصلوات في هذه الأعياد:

«أيها المؤمنون فلنسبِّح الرب يسوع، ونسجد لصليبه الخشبة المقدسة، غير المائتة نفخر بك أيها الصليب الذي صلب عليك يسوع، لأنه من قبل مثالك صرنا أحرارا.. نحملك على أعناقنا أيها الصليب ناصر المسيحيين، وبشجاعة نصرخ جهاراً السلام لك أيها الصليب».

«السلام للصليب الذي صلب ربي عليه حتى خلصنا من خطايانا، اطلب من

---

(١) المصدرالسابق، ص: ٦٤٣.

(٢) انظر: عبادة الأصنام في الكينسة الأرثوذكسية، د.حنين المسيح، ص: ١٢.

الرب عنا يا سيدي الملك قسطنطين وهيلانة الملكة لتغفر لنا خطايانا»[١].

نقد:

يتبين من خلال ما سبق حول الطقوس المتعقلة بالصليب ما يأتي:

١- ما يقدمه النصارى ومنهم الأرثوذكس للصليب هو عبادةٌ حقيقيةٌ تتضمن تعظيماً للصليب، واعتقاد أنه ينفع، ويضر، ويحمي و ينصر، وأن له قوةً ذاتيةً لمنح البركة وإخراج الشياطين وعمل المعجزات، كما تتضمن مخاطبة تلك الخشبة مخاطبة الحي الذي يسمع ويبصر، وأعظم تلك الطقوس السجود له، وهو ما يؤكد وجوبه علماء الأرثوذكس، حيث يقول عنه يوحنا الدمشقي: «.. إذا فيجب السجود للعود الكريم حقا والمستحق الإكرام الذي قرب عليه المسيح ذاته مذبوحا لأجلنا، وقد تقدس بلسم الجسد والدم الأقدسين. ويجب السجود أيضا للمسامير والحربة، وثيابه..» [٢].

٢- جاءت التوراة بالنهي عن اتخاذ آلهة أخرى، فقد جاء في الوصية الثانية من الوصايا العشر «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي»[٣]، وقد جاء في أسفار التوارة أن النبي حزقيال عمل كل ما هو مستقيمٌ في عين الرب بحسب ما عمل أبوه داود، فكسر التماثيل وقطع السواري، وسحق حية الناس التي عملها موسى، لأن بني إسرائيل كانوا يوقدون لها الشموع، ويسمونها:"نحشتان"[٤]،فنلحظ أن حزقيال قد سحق تلك الحية لأن بني إسرائيل أوقدوا لها الشموع، وذلك تحقيقاً للتوحيد وحمايةً له من الشرك والوسائل المؤدية إليه، وما يفعله النصارى مع الصليب أعظم بكثير مما فعله

---

(١) المصدر السابق، ص: ١٥-١٦

(٢) المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، ص: ٢٣٠.

(٣) الخروج: (٢٩/ ٣-٤)

(٤) انظر: سفر الملوك الثاني: (١٨/ ١-٧).

بني إسرائيل مع تلك الحية النحاسية.

٣- عبادة الصليب لا يوجد لها سندٌ من الأناجيل، ولم تكن في رسالة المسيح عليه السلام الداعية إلى التوحيد، وإنما هي عبادةٌ وثنيةٌ كانت في الديانات القديمة والسابقة للنصرانية، ثم تسللت إليها كما تسلل غيرها من الطقوس والعبادات الشركية، وهو ما يؤكده التشابه بين طقوس تعظيم الصليب في النصرانية وطقوس تعظيمه في الديانات السابقة لها، ويؤكده أيضا كبار دارسي الأديان، حيث يقول السير آرثرفندلاي: «ولقد استخدم الصليب منذ الآف السنين كعلامة على الحياة، ففي مصر القديمة الفرعونية كان الصليب يستخدم كمركز للحياة، حتى إنه وجد في مدينة الأقصر بمصر على جدار معبد الأقصر كتابة قديمة تبشر بالأم العذراء، والروح القدس الذي كان يرسم قابضاً على صليب أمام وجه الأم العذراء... وفي اليونان كان الصليب يستخدم رمزاً للحب والتضحية، وكذلك الأمر في التبت والهند... وأصبح الصليب معبود الأقدمين رمزا للمحورين المتعامدين للمجموعة الشمسية، وينبغي تقديم الفدية حتى لا يقع كسوف شمس»[١].

٤- تعظيم الصليب عند النصارى مبنيٌّ على عقيدة الصلب، وهي عقيدةٌ باطلة، كما هو معلوم، ومن المفارقات العجيبة عند الأرثوذكس، وسائر معظِّمي الصليب أنهم يعظِّمون الأداة التي كانت سبباً في إهانة ربهم، بل وموته عليها، وكان حقها الإهانة والاحتقار؛ لأن الصلب إهانةٌ للمصلوب، بل جاء في التوارة أن المصلوب ملعون، وهذا مما يدل على جهل النصارى وضلالهم.

---

(١) الكون المنشور، ص: ٤٣، نقلا عن محمد صلى الله عليه وسلم في التوارة والإنجيل والقران. للمهتدي إلى الإسلام إبراهيم خليل أحمد (القس إبراهيم خليل فيلبس سابقاً)، ص: ١٦٤.

المطلب الثاني: عبادة الصور والتماثيل

جاءت شريعة التوراة بتحريم اتخاذ الصور والتماثيل، كما في الوصية الثانية في الوصايا المنسوبة إلى موسى عليه السلام؛ لأنها تعد من صور الوثنية المحرَّمة، ولكن هذا الحكم الصريح في التوراة[1] تعرض -كغيره من الأحكام الشرعية- للتبديل على أيدي رجال الكنيسة، وقد بدأ ذلك التغيير على مستوى الكنيسة الأرثوذكسية في عهد البابا ثاؤفيلوس[2](البابا الثالث والعشرين على كرسي الإسكندرية) عندما قام بحملة اضطهاداتٍ واسعةٍ ضد الوثنيين، وحرض النصارى على الاستيلاء على المعابد الوثنية وتحويلها إلى كنائس، وكانت نتيجة ذلك الاضطهاد أن كثيراً من الوثنيين دخلوا في النصرانية لا عن قناعة، ولكن خوفا من النصارى الذين كانت لهم الغلبة في ذلك الوقت، وكانت الخطورة أن هؤلاء الوثنيين احتفظوا بآثار آلهتهم الوثنية القديمة، ومن ذلك الصور والتماثيل، التي بقيت في المعابد التي تحولت إلى كنائس، ومما يؤكد هذه الحقيقة التطابق التام بين بعض صور آلهة المصريين القدماء والأيقونات القديمة بالكنائس الأرثوذكسية، مثل صورة الآلهة إيزيس، وهي تحمل طفلها الإله مورس وتطابقها مع الأيقونة الأثرية للعذراء وهي تحمل طفلها الرب يسوع (بحسب اعتقادهم)، وكذلك صورة الإله "حورس" وهو يطعن بالحربة الإله "سيت" المصور على شكل تنِّين وتطابقها مع الأيقونة الأثرية لجورجيوس، ولم يقف الأمر عند حد تلك الصور القديمة، بل انتقلت معها أيضا بعض الممارسات الوثنية، مثل إيقاد الشموع أمامها، والتبخير والسجود لها، وطلب المغفرة، والصلاة أمامها[3].

---

(١) مازال النص الدال على ذلك موجوداً إلى اليوم.

(٢) ثاؤفيلوس: يسمى "تاوفيلا"، تولى عرش البابوية عام ٣٧٦م، واستمرت بابويته سبعاً وعشرين سنة وشهرين. انظر: القول الإبريزي، للمقريزي، ص: ٦٥ .

(٣) انظر: عبادة الأصنام في الكنيسة الأرثوذكسية، د. حنين عبدالمسيح، ص: ٣٦-٣٧ .

ومن المهم في هذا العرض الإشارة إلى أن عبادة الصور وجدت مقاومةً شديدةً من بعض رجال الكنيسة الذي كانوا يسعون إلى تحرير الكنيسة من جميع مظاهر الوثنية، وقد بدأت هذه المقاومة منذ فترةٍ مبكرةٍ من تاريخ الكنيسة، والذي أشعل هذه المقاومة لدى بعض رجال الكنيسة عدة أمور:

الأول: انتشار الأخبار عن المعجزات التي تتم بواسطة هذه الأيقونات.

الثاني: تمادي معظِّمي هذه الأيقونات في بدعتهم وتوقيرهم للأيقونات وتقديسها بالتبخير أمامها.

الثالث: إقبال العامة على تقديس هذه الصور إلى درجة العبادة لها، وهذه الأمور أثارت غيرة بعض رجال الكنيسة(١)، ودفعتهم إلى رفض هذه الممارسات الوثنية، بل ومهاجمة هذه الصور وتحريمها، وبل وتحطيمها على أيدي بعض الأساقفة.

يقول الأب الأرثوذكسي متى المسكين: «بسبب ذيوع الأخبار عن المعجزات التي تتم بواسطة الأيقونات، بدأ العامة يتجهون ناحية تقديس الأيقونات لدرجة العبادة الصنمية، مما حدا ببعض الأساقفة أنفسهم أن يرفضوا الأيقونات ويحطمونها»(٢).

ويقول أيضا: «كان تمادي الغنوسيين في توقير الأيقونات وتكريمها بالتبخير أمامها منذ منتصف القرن الثاني سببا في إثارة المؤمنين وإجماع رأيهم على مهاجمة الصور وتحريمها تحريماً قاطعاً في الكنيسة»(٣).

ولم تتوقف هذه المقاومة، بل استمرت في القرون التالية، حتى بلغت ذروتها في القرنين الثامن والتاسع، حيث أطلق على هذه الفترة فترة حرب الأيقونات وامتدت

---

(١) حياة الصلاة الأرثوذكسية، نقلا عن عبادة الأصنام في الكنيسة الأرثوذكسية، ص:٣٨.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) وربما يكون ذلك بسبب التاثر بالإسلام الذي عاشت أغلب الكنائس الأرثوذكسية تحت حكمه.

لفترة طويلة، ودارت هذه المعركة في القسطنطينية.

وتنقسم أحداث هذه الحرب إلى فترتين زمنيتين: الأولى: بدأت من العام ٧٢٦م، عندما شن الإمبراطور الأرثوذكسي ليون الثالث هجوماً ضد الأيقونات بالكنائس الأرثوذكسية، وقرر تحطيم أيقونة المسيح عليه السلام في القسطنطينية، وأصدر مرسوماً عام ٧٣٠م منع بموجبه إكرام الصور التي أفرغت من جميع الكنائس، وهدد بالقصاص لكل من يخالف أمره[1].

ثم أكمل الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤٠-٧٧٥م) سياسة ليون الثالث، وأمر بطلي الرسوم والصور الموجودة على جدران الكنائس، ثم دعا إلى عقد مجمع عام ٧٥٤م، في هيير، لم يحضره بطاركة أنطاكية والإسكندرية وأورشليم ولا ممثلو البابا، وشارك في أعمال هذا المجمع ٣١٨ أسقفا، وأعلنوا بنهايته أن تكريم الصور "عبادة وثنية"، ومن "أعمال الشيطان"، وقرروا: «وجوب إزالة الصور كافة من جميع الكنائس المسيحية، وكل من يسمح لنفسه برسم أو تكريم الصور، أو وضعها في الكنيسة أو منزله الخاص، أو يساعد على إخفائها، سيعزل من منصبه إذا كان أسقفاً أوكاهناً أو شماساً، وسيحرم كنسيا، ويُطبَّق عليه أحكام المراسيم الإمبراطورية إذا كان راهباً أو رجلاً علمانيا»[2].

ويُعتَبر يوحنا الدمشقي[3] (٦٦٠-٧٤٩م) من أهم المدافعين عن الأيقونات في

---

(١) انظر: الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، ص:٤٤، والكنيسة في التاريخ،: (٢/ ٣١).

(٢) الكنيسة في التاريخ: (٢/ ١٣٢).

(٣) يوحنا الدمشقي: ولد عام ٦٦٠م، بمدينة دمشق، ووالده "سرجون" كان يشغل إدارة بيت المال في الدولة الأموية، وقد خلفه ابنه على هذه الوظيفة بعد وفاته، ولكنه تركها بعد فترة قصيرة واتجه إلى الحياة الرهبانية، ثم صار كاهناً في مطلع القرن الثامن الميلادي، وله مؤلفات كثيرة بعضها في المجال اللاهوتي، وبعضها في الدفاع عن النصرانية، ومن أهم تلك المؤلفات:"ينبوع المعارف"، و"ضد محاربي الأيقونات". انظر:قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي،ص:٥٧٧ وما بعدها.

هذه الفترة التي انتهت عام ٧٨٠م، حينما أوقفت الإمبرطورة إيريني أعمال الاضطهاد ضد الأيقونات، وفي عهدها عقد المجمع المسكوني السابع عام ٧٨٧م، الذي قرر الدفاع عن الأيقونات، وأعلن تحريم بدعة تحطيم الأيقونات، وقرر أن إكرامها أمرٌ شرعيٌ ومفيدٌ للمؤمنين، وأعلن أنه يجب الإبقاء على الأيقونات في الكنائس، وأنه يجب تكريمها بنفس الاحترام الذي تكرم به سائر الرموز النصرانية مثل الصليب والأناجيل(١).

الفترة الثانية: بدأت عام ٨١٥م، على يد الإمبراطور لاون الخامس الذي قاوم إكرام الصور، وعقد مجمعاً في العام نفسه عزل فيه البطريرك القسطنطيني نيقوفوروس المؤيد لإكرام الصور، والرهبان المؤيدين له، وسار على نهج الإمبراطور خليفته ثاوفيلوس، ولم يتوقف الاضطهاد ضد معظمي الصور إلا في عهد الإمبراطورة ثيودورا التي أعادت إكرام الصور وأعلنت الانتصار النهائي على محاربي الصور في عام ٨٤٣م، ويعرف الانتصار النهائي للأيقونات باسم "انتصار الأرثوذكسية"، ويجري التعييد له في الكنيسة الأرثوذكسية.

ومما سبق ذكره يتبين أن التيار المقاوم لتعظيم الأيقونات كان تياراً كبيراً وقويا، ولكن حسم الأمر لصالح إكرام الأيقونات أو تحطيمها كان يتوقف على توجه السلطة السياسية في الغالب.

طقوس إكرام الأيقونات:

يعظم الأرثوذكس شأن الأيقونات تعظيماً كبيراً، ويرى الأقباط أن الأيقونة تقوم بدورٍ في الوعظ، فهي العظات المرسومة والمرئية، وهي العظة التي يستطيع أن يقرأها الكل دون تمييزٍ بين إنسان وآخر، ويفهمها الأمي، كما يفهمها المتعلم، كما أنها أداةٌ

---

(١) الكنيسة في الماضي والحاضر، ص ٤٤-٤٥، الكنيسة في التاريخ (٢/ ١٣٢).

تسند الفكر في انشغاله بالله، وتلهب القلب بالحب لحياة الفضيلة[1].

ومن أجل هذه المكانة الكبيرة لهذه الأيقونات فإن الكنيسة الأرثوذكسية تمارس طقوساً وعباداتٍ حقيقةً لها، ومن ذلك:

١- في طقس القداس، وما يسبقه من طقوسٍ كرفع بخور عشية وباكر يقوم الكاهن بعد أن ينحني أمام الهيكل لله ويبخر أمام أيقونة القديسة العذراء، ويصلي لها معطياً إياها السلام (التحية)، ثم يتجه إلى الناحية الغربية نحو صحن الكنيسة المليء بالصور الأخرى للقديسين والملائكة، ويبخر ويصلي إليهم، ثم إلى الناحية القبلية، حيث صورة القديس يوحنا المعمدان، فيبخر ويصلي أمامها[2].

٢- من الطقوس الخاصة بالصور أنه لابد أن تقدس بواسطة الأسقف، وتمسح بالميرون، حتى تصبح صالحةً للتقبيل والتبخير والسجود لها، وهم يرون أن هذا السجود سجود تكريمٍ لا سجود عبادة، يقول يوحنا الدمشقي: «فحن لا نعبد الأيقونة المادية، بل الله المرموز له في الأيقونات»، ثم يعلل سر تقديس هذه الأيقونات بأن روح القدس تعمل في أشكال وأيقونات هؤلاء القديسين: «امتلأ القديسون بروح القدس أثناء حياتهم، وبعد رحيلهم تسكن نعمته في أرواحهم، كما في أجسادهم في القبر، وتعمل في أشكالهم وأيقوناتهم، لا سكن الجوهر، بل كنعمة وقوة إلهية»[3].

وسجود العبادة الذي نفاه يوحنا الدمشقي أثبته نصارى آخرون، فقد ذكر المؤرخ النصراني ويل ديورانت بأن الصور التي وضعت للقديسين:« قد تلقت من أنواع العبادة التلقائية ما جلل بالعار بعض الفلاسفة ومحطمي الصور المقدسة، ثم ذكر

---

(١) انظر: كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك، الشماس الأكليريكي سامي حلمي،ص: ٧٢ .

(٢) انظر: عبادة الأصنام في الكنيسة الأرثوذكسية، ص: ٣٧، نقلا عن الخولاجي (أصحاب القداسات الثلاثة) إصدار جمعية أبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

(٣) كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك، الشماس الإكليركي الدكتور سامي حلمي ص:٧٣-٧٤.

شكوى كلوديوس أسقف تورين من أن كثيرا من الناس يعبدون صور القديسين، وأنهم لم يقلعوا عن عبادة الأصنام، بل كل ما في الأمر أنهم غيَّروا أسمائهم[(١)].

٣- طلب قضاء الحوائج والنجاح في الأمور، وقد اعترف بذلك أحد النصارى المهتدين إلى الإسلام وهو نصر بن يحي المتطبب الذي ألف كتاباً فضح فيه ملة أهل دينه التي كان عليها، حيث قال في شأن عبادة الصورة وتعظيمهم لها: «ثم إنكم تتخذون الصور وغيرها وتجعلونها في بيوتكم وبيوت عباداتكم وتعطونها أوفى حظ ونصيب من الإكرام والإعزاز والاحترام، وما رأينا أعجب من حال من يقف قدام ما تعمله الأيدي، ويسأله قضاء حوائجه ونجاح أموره، ومع هذا تجحدون عباد الأوثان والأصنام»[(٢)].

نقد:

يتأكد لنا من العرض السابق حول موضوع تعظيم الصور والأيقونات ما يأتي:

١- أن ممارسات الكنيسة الأرثوذكسية نحو هذه الصور هي عبادةٌ حقيقيةٌ شُرعت لها طقوسٌ معينةٌ من طلب قضاء الحوائج وطلب النفع، وأعظم ذلك السجود، وهذا ليس مجرد تكريم، بل عبادةٌ حقيقية.

٢- لا يوجد على هذه الطقوس دليلٌ في التوراة أو الإنجيل، بل يوجد دليلٌ صريحٌ على تحريمها والنهي عنها، فقد جاء في ثاني الوصايا المنسوبة إلى موسى عليه السلام «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك غيور افتقد ذنوب الآباء في الأبناء وفي الجيل الثالث والرابع من الذين يغيظونني وأصنع

---

(١) قصة الحضارة: (١٦/ ٢٤)

(٢) جهود من أسلم من النصارى في كشف فضائح الديانة النصرانية، نقلا عن النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، ص: ٤٨٤ .

إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي[1].

وهذا النهي الذي تضمنه النص المقترن بالتحذير من الوقوع في الذنوب التي أعظمها الشرك قد خالفه النصارى مخالفةً بينة، حيث امتلأت الكنائس بصور المقدسين وتعددت الطقوس في عبادتها، وقد جاء في التوراة أن التحذير من صنع الصورة أو التمثال لله؛ لأنه سيؤدي إلى عبادتها والسجود لها: «... فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب في حوريب من وسط النار لئلا تفسدوا وتعلموا لأنفسكم تمثالا منحوتا، صورة مثال ما... فتعثر وتسجد لها وتعبدها»[2].

٣- أن هذه الوثنية قد تسللت إلى الكنيسة منذ وقتٍ مبكرٍ وذلك عندما دخل الوثنيون في النصرانية، وتحولت المعابد الوثنية إلى كنائس، حيث بقيت هذه الصور والتماثيل، وبقيت معها الممارسات الوثنية، ولم يتغير من ذلك إلا الأسماء.

---

(١) التثنية: (٥/ ١٠٠٧).

(٢) المصدر نفسه: (٤/ ١٢-٢٤).

المطلب الثالث: العبادة للخبز والخمر

يعتبر "العشاء الرباني" أحد الأسرار السبعة التي تؤمن بها الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية على السواء، ويُسمَّى أيضا سر "الإفخارستيا"، وسوف أتحدث عنه في هذا المطلب لكثرة الطقوس الشركية التي تعلقت به من جانب الكنيسة الأرثوذكسية.

ويتميز هذا السر عن بقية الأسرار المقدسة لدى الأرثوذكس بعدة مزيا يتحدث عنها الأرشدياكون حبيب جرجس بقوله: (أ) لغزارة نعم الله، وسمو هذا السر عن الإدراك؛ لأن النعمة تعمل في باقي الأسرار بحالة غير منظورة تحت مادةٍ منظورة، وتبقى تلك المادة غير متغيرةٍ ولا مستحيلةٍ إلى مادةٍ أخرى، أما في سر التناول فيستحيل جوهر المادة؛ لأن الخبز والخمر – مع حفظهما شكليهما وأعراضهما- يتحولان بطريقةٍ سريةٍ عجيبةٍ إلى جسد المسيح ودمه فعلا، (ب) المسيح في باقي الأسرار يعطي بعض مواهبه بحسب كل سرٍّ منها أما في سر الشكر فإنه يقدم ذاته غذاءاً مقدسا، وبتناوله تتحد به إلى الأبد، (ج) مع ذلك أيضا فهو ذبيحة لله كفارة عن الجميع»[١].

ولأجل سمو هذا السر عند الأرثوذكس بسبب هذه المعاني ازداد تعظيمهم له، وهذا التعظيم ظهر في مجالين الاعتقادي والعملي، وذلك كما يأتي:

الجانب الاعتقادي:

يغلو الأرثوذكس في مادتي عشاء الرب (بزعمهم)، حيث يعتقدون أن الخبز والخمر يتحولان بحلول الروح القدس عليهما بعد أن يصلي عليها الكاهن صلاة القداس إلى جسد ودم الرب يسوع[٢].

والصلاة التي يقدمها الكاهن من أجل تحويل الخبز والخمر إلى جسد المسيح

---

(١) موسوعة طقوس الكنيسة القبطية، دياكون: د.ميخائيل مكسي إسكندر.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٨، وعبادة الأصنام في الكنيسة الأرثوذكسية، ص٥٢.

ودمه هي: «ليَحلَّ روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة (الخبز والخمر)، ويطهرها وينقلها ويظهرها قدساً لقديسيك»، ثم يرسم القربانة ثلاث مرات، وهو يقول بصوتٍ عالٍ: « وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له، ثم يرسم الكأس ثلاثا، ويقول: «وهذه الكأس أيضا دماً كريماً لعهده الجديد»، ويصيح الشعب في الحالتين قائلين: (أؤمن) [1].

وعمدة الأرثوذكس وسائر النصارى المؤمنين بعقيدة الاستحالة ما ورد في إنجيل متى من القول المنسوب إلى المسيح: «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسَّر وأعطى التلاميذ، وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا: اشربوا منها كلكم؛ لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا»[2].

يقول البابا شنودة تعليقا على هذا النص: «إن عملية الاستحالة بحلول روح القدس بصلوات الكاهن تظهر في قوله: (هذا هو جسدي... هذا هو دمي)، ولم يقل الرب يسوع: (هذا مثال جسدي أو مثال دمي)، كما لم يقل: (هذا يذكركم بجسدي ودمي). وإذا كانت معجزة الله تتجلى في جسم الإنسان بتحول الطعام والخبز والشراب العادي إلى دم يجري في أوردة وشرايين الإنسان، فهل يستعصى على الروح القدس أن يقوم بتحويل القربان وعصير الكرمة إلى جسدٍ ودمٍ حقيقي للمسيح»[3].

وإضافةً لاعتقاد الأرثوذكس في تحول الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح، يعتقدون أيضاً أن لإتمام هذا السر فوائد كثيرة جداً منها:

١- بسبب الاتحاد بالمسيح من خلال هذا السر يُعطَى المتناول قوةً على كل

---

(١) موسوعة طقوس الكنيسة، ص ٩٦.

(٢) متى: (٢٦/ ٢٦-٢٨).

(٣) موسوعة طقوس الكنيسة القبطية، ص ٩٤.

الخطايا وشهوات الجسد.

٢- تطهير النفس ومغفرة الخطايا.

٣- يعطي للنفس حياةً وإنعاشاً واستنارة.

٤- ينفع حتى الأموات (الراقدين)، عندما ترفع الكنيسة ذبيحة "الشكر"،وتصلي من أجلهم.

٥- غذاءٌ للنفس، ومقاومٌ للضعف الجسدي، وسلاحٌ في الحروب الروحية ضد الشيطان[١].

ولأجل تلك الفوائد الكثيرة يفرض الأرثوذكس شروطاً شديدةً على المتناول لهذا السر قبل التناول، ومنها:

١- محاسبة النفس ومراجعة الضمير، والتوبة الصادقة والإقلاع عن الخطايا.

٢- تلاوة الصلاة الخاصة التي تسبق التناول.

٣- الصوم قبل التناول، فلا يجوز التناول إلا لمن هو صائمٌ ومن أفطر لا يسمح له بالتناول إلا في حالة خطر الموت أو المرض الشديد.

٤- الامتناع عن العلاقات الزوجية لمدة ثلاثة أيامٍ قبل التناول.

٥- اجتناب المحادثات الباطلة، والابتعاد عن جميع أمور الدنيا.

٦- ممارسة تدريب روحي على يد الكاهن.

٧- التقدم للسر بهيبةٍ وخشوعٍ وتواضع[٢].

الجانب العملي:

لم يقتصر غلو الأرثوذكس في الخبز والخمر على الجانب الاعتقادي، بل مارست الكثير من الطقوس التي تشتمل على تقديم العبادة لهما، ومن أوضح صور عبادة الخبز

---

(١) المصدر السابق، ص: ١٠٠، بتصرف.

(٢) المصدر السابق، ص: (٩٧-٩٨).

والخمر ما تقوم به الكنيسة في طقس القداس من التبخير والسجود لهما، فحينما يعود الكاهن بعد التبخير في وسط الشعب فيبخر أمام الكأس والخبز، وكذلك في بداية صلوات التقديس أيضاً وقبل التحول (المزعوم)، أما بعد التحول وعندما يقول الكاهن: (الجسد المقدس) مشيراً إلى الخبز، فيرد الشعب: (نسجد لجسدك المقدس)،ثم يقول الكاهن:(والدم الكريم)، فيقول الشعب (ولدمك الكريم)، وهو يسجد لهما إلى الأرض وهم ينسون أن جسد ربهم هو عن يمين الأب (كما يعتقدون).

نقد:

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الأرثوذكس قد وقعوا في الشرك، وعبادة الأصنام من خلال الاعتقادات الغالية، وطقوس العبادة التي تقدم للخبز والخمر، ولأن عقيدة استحالة الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح من أكثر العقائد منافاة للعقل، فقد كان حظها من النقد أكثر من غيرها، ولذلك نقدها حتى علماء الأرثوذكس ولاسيما الذين من الله عليهم بالهداية إلى الإسلام، ومن أقوال أولئك العلماء:

المهتدي نصر بن يحيى المتطبب رحمه الله:

يقول في معرض حديثه عن استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه: «ثم إنكم على اختلاف اعتقاداتكم تتقربون في كل يوم أحد،وفي كل عيدٍ بقربان تتخذونه من دقيق الحنطة وتعجنونه بالماء والزيت وتخبزونه، ويكون الصانع الذي صنعه مكشوف الرأس، مشدود الوسط بالزنار، ويتلو أشياء من مزامير داود النبي عليه السلام وتتخذون شيئاً من الخمور وشيئاً من ذلك الخبز وتضعونه في بيت البيعة وتسمونه المذبح، وهو عندكم بمنزلة بيت المقدس لا يدخله إلا الكهنة منكم لا غير، وهم متأهبون ورؤوسهم مكشوفة فيضعونه على دكَّةٍ في ذلك البيت، ويضعون على تلك الدكَّة الصور والصلبان والأناجيل، ثم يقف جماعةٌ من الكهنة بالبخور والشمع المشعول يقدسونه بأرفع الأصوات ثم يقسمونه على الشعب ويزعمون أن الخبز لحم

المسيح، والخمر دمه»[1].

عبدالله الترجمان:

يقول أيضا: «اعلموا رحمكم الله أن دين النصارى في قربانهم كفر، وهو أن يعتقدوا أن فطيرةً من خبزٍ إذا قرأ عليها القسيس بعض الكلمات فإنها ترجع في تلك الساعة جسد عيسى عليه السلام، وإذا قرأ بعض الكلمات على كأس شرابِ خمرٍ فإنه يصير في تلك الساعة دم عيسى عليه السلام... وحين يُتم القسيس هذا الكلام يسجد بذاته لتلك الفطيرة محققاً أنها جسد عيسى.. ويقول في سجودٍ مخاطباً الفطيرة: (أنت يا عيسى إله السموات والأرض أنت ابن الله المولود قبل العوالم كلها أنت من أجل أنك تخلصنا من يد الشيطان فسجدت في بطن مريم أنت الذي فتحت للذين آمنوا أبواب الجنة بعدما غلبت الشياطين أنت هو الجالس على يمين أبيك في السماء أسألك أن تغفر لي ولأمتك التي خلصتها يدك، ثم يظهر تلك الفطيرة لصفوف النصارى، فيقع جميعهم لها ساجدين، ثم بعد ذلك يأخذ كأس الخمر ويقول: (إلهنا المسيح قبل موته أخذ كأسا بالشراب وأعطاه للحواريين وقال لهم: (إشربوا هذا دمي)، ثم يسجد للكأس، ويريه بعد ذلك للنصارى فيسجدون له»[2].

وكذلك فقد رد منتقدو هذا السر على الأساس الذي اعتمد عليه الأرثوذكس، وهو النص الوارد عند متى، وحاصل ردهم على ذلك النص يرجع إلى رأيين:

الرأي الأول: التشكيك في صحة هذا النص وممن يرى هذا الرأي المهتدي إلى الإسلام إبراهيم خليل أحمد[3]، حيث قال معلقا على هذا النص: «لكن عندما تأتي

---

(١) جهود من أسلم، ص: ٤٩٠-٤٩٢، نقلا عن النصيحة الإيمانية، ص: ٧٦.

(٢) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص٤٧.

(٣) ابراهيم خليل أحمد: (القس ابراهيم خليل فيلبس سابقاً)، قبطي مصري ولد عام ١٩١٩م، ودرس في معاهد الإرساليات الأمريكية، وعُين قسيسا بكنيسة بافور الإنجيلية في محافظة أسيوط، واشتغل بالتنصير مع الإرساليات التنصيرية، وكانت هدايته عندما أراد مهاجمة القرآن أثناء إعداد =

حقيقة تفسير هذا الكلام فإني أقول في صراحةٍ متناهيةٍ: من هو المصدر الحقيقي لهذا النص؟ إن هناك نصاً في سفر أعمال الرسل يمنع الدم: «بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم»، فإذا كان ينهى عما ذبح للأصنام والدم، فكيف يقال: (هو ذا دمي إشربوه)، إن هذه وثنيةٌ منقولةٌ من وثنية العبادات التي كانت متفشيةً في الإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت، إن مصدر هذا النص أو إيحاءه إنما يرجع إلى تلك الوثنية المتفشية مثل المثرية(١) الفارسية، وكان من طقوسها العشاء»(٢).

الرأي الثاني: تفسيره بمعنى مخالفٍ لاستدلال الأرثوذكس:

حيث يرى أصحاب هذا الرأي أن المراد بأكل الجسد هو الإقبال على المسيح، ويستدلون بما نسب إلى المسيح نفسه «أنا هو خبز الحياة من يقبل إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدا»(٣)، وكذلك المراد بشرب الدم الإيمان بالمسيح، كما دل عليه نصٌ آخر هو: «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم»(٤).

ومنهم من يفسر ذلك بأن المراد بذلك مجرد التذكار، لا أن الخبز والخمر يتحول إلى جسد ودم المسيح عليه السلام، لما نسب إلى المسيح عليه السلام حينما أعطى الخبز لتلاميذه في العشاء الأخير قال: «خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم إصنعوا هذا

= رسالة الدكتوراة في الفلسفة واللاهوت بأمريكا، حيث قرأ بداية سورة الجن وتأثر بها تأثراً شديداً ثم قاده ذلك إلى الإسلام. انظر: جهود من أسلم من النصارى، ص:٢٠ .

(١) المثرية أو الميثرائية: ديانة تنسب إلى مثرا، وهو إله النور، وحامي الحقيقة، وعدو الظلام عند الفرس. وقد وعد أتباعه أن يعوضهم عن الشر بعد الموت. انظر: معجم الأفكاروالأعلام، ص:٤٦٠ .

(٢) مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص: ١٥٨-١٥٩-١٦٠.

(٣) يوحنا: (٦/ ٣٥).

(٤) أفسس: (٣/ ١٧).

لذكرى»[1].

وعلى كلا الرأيين السابقين لا يكون للأرثوذكس حجةٌ في الاستدلال بهذا النص.

ونحن نعتقد أن هذا الاعتقاد من الوثنية التي تسللت إلى النصرانية، كما دلت على ذلك النصوص السابقة.



(١) الرسالة الاولى إلى أهل كورنثوس: (١١/ ٢٤).

المبحث الرابع:
عبادة المقدّسين عند الكنيسة الأرثوذكسية

المقدسون عند الأرثوذكس صنفان رئيسيان هما:

الصنف الأول: أهل الأرض، وهم قسمان أيضا:

القسم الأول: الأحياء: وهم مريم عليها السلام والأساقفة ورجال الإكليروس.

والقسم الثاني: الأموات: ويطلق عليهم اسم "الراقدون".

أما الصنف الثاني: فهم أهل السماء، وهم الملائكة. [1]

وتعتقد الكنيسة الأرثوذكسية بوجوب إكرام من يُسمَّى عندهم بالقديسين، وتعلل ذلك الإكرام لأسبابٍ عدة:

١ - لأنهم أحباء المسيح، وأبناء الله وورثته.

ويستدل الأرثوذكس على ذلك بما جاء في النصوص الإنجيلية: «كل الذين قبلوه أعطاهم أن يكونوا أبناء الله»[2]، «حتى أنهم ليسوا بعد عبيدا، بل هم أبناء وإذا كانوا أبناء، فهم وارثون بالله»[3].

ويبالغ الأرثوذكس في مكانة هؤلاء القديسين فيجعلونهم أبناء الله، كما هي عقيدتهم في المسيح، بل ويصفون هؤلاء القديسين بأنهم آلهةٌ، وأربابٌ وملوكٌ[4].

---

(١) انظر: الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، ص:١٨.

(٢) يوحنا: (١/ ١٢).

(٣) الرسالة إلى أهل غلاطية: (٤/ ٧).

(٤) انظر: المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، ص: ٢٤٥.

٢- لأنهم ملكوا أهوائهم وضبطوها وحفظوا بلا انثلام، على الحال التي ولدوا عليها[١].

والذين ملكوا أهوائهم وضبطوها وحفظوا منذ الولادة هم أهل العصمة، ولذا نجد أنه لا يوجد فرقٌ بين حقيقة قول الأرثوذكس وما يقوله الكاثوليك في البابا المعصوم.

٣- لأنهم اتحدوا بالله، وقبلوا إسكانه فيهم (تعالى الله عن ذلك)، وكذلك الله أيضا اتحد بأجسادهم اتحاداً عقليا، ولذلك أصبحوا خزائن الله ومنازله «إني سأسكن فيهم وأسير فيما بينهم، وأكون لهم إلها»[٢]،ولأجل هذه الأسباب وغيرها، توجه الأرثوذكس إلى تقديسهم بالغلو فيهم وعبادتهم سواء في مجال الاعتقاد أو في مجال العبادة –كما سيأتي-.

صور غلو الأرثوذكس في مقدسيهم:

أولاً: في مجال الاعتقاد:

يغلو الأرثوذكس في مقدسيهم ويضفون عليهم الكثير من الأوصاف، ومن ذلك:

١- نفوسهم لا يمسها العذاب«نفوس الصديقين بيد الله فلا يمسها عذاب»[٣].

٢- أنهم لا يموتون، وموتهم أشبه بالنوم؛ لأنهم بين يدي الله، ومن هم بين يديه هم في الحياة والنور، ولذلك يغلب عليهم وصفهم بـ "الراقدين".

٣- بركة رفاتهم:

---

(١) انظر المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٢) الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: (٦/ ١٦).

(٣) سفر الحكمة: (٣/ ١).

رُفات القدِّيسين هو ينابيع الخلاص، وسببٌ للبركات الكثيرة، ومنها عمل المعجزات، وطرد الشياطين، وزوال الأمراض، وشفاء العمي، والبرص، والضعفاء، وذهاب الأحزان[1].

يقول الخطيب الأعظم عند الأرثوذكس يوحنا الذهبي الفم عن أحد هؤلاء المقدسين، وهو إغناطيوس، الذي مات في أنطاكية: «ومنذ ذلك الوقت[2] إلى تلك الساعة الحاضرة قد أغنى مدينة أنطاكية فهو أشبه بكنزٍ عظيمٍ جمِّ المنافع يستمد منه كل يومٍ ولا يزال مُمِداً بالغنى الأوفر من يتملكونه، هكذا الطوباي إغناطيوس لا يرد من يقصدونه إلا بعد أن يغمرهم بالبركات ويملأهم من الثقة وعلو النفس والشجاعة ، فلا نكتفيَّن بالإلتجاء إليه في هذا اليوم وحسب بل لنقصد كل يومٍ لنجتني بواسطته ثماراً روحية ، فأي إنسانٍ نعم أي إنسان يقترب منه بإيمانٍ لا بد من أن ينال أعظم الفوائد؛ لأن مدافن القديسين لا أجسادهم فقط هي مملوءةٌ من النعمة الروحية... فمن يلمس مدافن القديسين فلا بد من أن يفوز بأشد قوة... ذلك ليقدم لنا بهم مرفأ وملجأ وتعزيةً في كل البلايا التي تؤلمنا ، كذلك أنتم يا من هم أهداف الشدائد والأمراض والاضطهادات والآلام أو الذين هم غرقى في لجج الخطايا اقتربوا بإيمان من هذا الرفات فتلقى عنكم جميع الأعباء التي تثقلكم وتصدروا عنه وأنتم في غمرة من الرضى والراحة فالنفس والضمير يعودان خفيفين نشيطين بإلقاء النظر مجرداً على ما بقي لنا من حبر قديس... إذن هنا كنز نافع للجميع ، هنا ملجأ هين ولطيف يستطيع البؤساء أن يجدوا فيه خلاصاً من بؤسهم ، والسعداء تثبيتاً لسعادتهم ، والمرضى عودة الصحة إليهم والمتعون بالصحة مناعة تصد عنهم المرض ، وفيما أن هذه الأفكار مخالجة لنا ، فلنفضل هذا الضريح على كل مجالب السرور وكل ملذات

---

(١) المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، ص: ٢٤٦.

(٢) أي وقت وفاته.

العالم»[1].

وإذا كان هذا حال رفات القديسين ومدافنهم فما سيكون شأنهم هم أنفسهم؟!، وإذا كان ذلك الرفات يعطي كل هذه البركات، فماذا بقي للرب ﷻ، بل ماذا بقي لربهم الذي يعبدونهم، وما الحاجة إلى هذا الإله بعد ذلك.

الجانب العبادي:

بسبب غلو الأرثوذكس في مقدسيهم من جهة الاعتقاد وقعوا تبعاً لذلك في غلو العبادة، حيث صرفوا أنواعاً منها على من يعتقدون قداستهم، ومن ذلك ما يأتي:

أولاً: التشفع بهم:

الكنيسة الأرثوذكسية تتشفع بالقديسين، ومنهم الملائكة، وذلك لطلب المعونة، ونوال العطايا، وطلب المغفرة الرحمة، وكذلك نوال الخلاص.

وهم يرون أن هؤلاء المقدسين يتوسطون في تقديم صلواتهم إلى الله[2].

ويزعمون أن الله يسر بذلك ويرضى، وأن الاستشفاع بهم تدل عليه النصوص الكتابية الكثيرة، وأنها تدل على ذلك من خلال الأوجه الآتية:

١- أن الله أمر بها صراحة.

٢- أن الملائكة والقديسين يصلون عن الشعب دائما.

٣- استشفاع الملائكة والقديسين للشعب واستشفاع الشعب بهم.

٤- شهادة الكتاب على جواز الاستشفاع بالملائكة والقديسين (الراقدين).

٥- أن الله رحم البعض، وخلص البعض الآخر من شعبه، وأفاض عليهم من

---

(١) خطيب الكنيسة الأعظم القديس يوحنا الذهبي الفم. الأب الياس كوتير المخلص.

(٢) انظر: اللآلي النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: (٢/ ٤٢٧-٤٢٩)، عبادة الأصنام في الكنيسة الأرثوذكسية د. حنين عبدالمسيح ص: ١٨.

بركاته إكراما لقديسيه الراقدين.

٦- أن الله كثيراً ما أراد أن يرد غضبه عن شعبه لو وجد من يتشفع لديه فيهم[١].

ومن الطقوس المتعلقة بهذه العبادة عنهم ما يقال في ختام القداسات والاجتماعات، وفي لحن (الهتينات) الذي يقال في بداية القداس، ونصه: «بشفاعات والدة الإله القديسة مريم يا رب أنعم لنا بمغفرة خطايانا..بشفاعات السبعة رؤساء الملائكة والطغمات السمائية يا رب أنعم لنا بمغفرة خطايانا.. بصلوات ناظر الإله الإنجيلي مرقس الرسول يارب أنعم لنا بمغفرة خطايانا... (إلى آخر القديسين الذين يراد التشفع بهم). وهكذا تضع الكنيسة الأرثوذكسية العذراء والقديسين والملائكة في نفس دائرة المجد»[٢].

ثانياً: الاحتفاظ بأجسادهم، وصورهم ومتعلقاتهم في دور العبادة.

تمتلىء الكنائس الأرثوذكسية بصور هؤلاء المقدسين ومتعلقاتهم، من الحنوط، والزيوت، ومياه، وملابس وحتى رفاتهم. ويلجأ لها الشعب التماساً للبركة والعون، والشفاء ونوال المعجزات، ويسجدون أمامها، ويوقدون لها الشموع والبخور[٣].

ثالثاً: تقديم الصدقات والصلوات والأصوام والأعياد لهم وباسمهم:

فالكنيسة الأرثوذكسية تصوم صوماً للرسل، وصوماً للعذراء إلى جانب الأصوام التي تصومها لله، وتشهد طقوسهم أن هذه الأصوام تقدم لمن تنسب إليهم من الرسل أو العذراء وليس لله، ففي صوم العذراء مثلا تقدم تماجيد وتسابيح ويستشفع باسمها، ويكون التركيز على شخص العذراء أكثر من الاهتمام بالرب نفسه.

---

(١) انظر: اللآلي النفيسة: (٢/ ٤٢٧-٢٣٤)

(٢) عباده الأصنام في الكنيسة الأرثوذكسية، ص: (١٨-٢١).

(٣) سبقت الإشارة إلى ذلك، وذكر هنا لأجل الترتيب الموضوعي.

ومن الأمثلة على الصلوات التي تقدم للقديسين: «ارحمنا يا الله كعظيم رحمتك بشفاعة ذات الشفاعات... سيدتنا كلنا العذراء البتول الذكية مريم والشهيد المكرم مار مرقس الإنجيلي الرسول وكافة الملائكة الآباء والأنبياء والرسل والشهداء والقديسين والسواح والعباد والنساك والمجاهدين الذين أرضوك بأعمالهم الصالحة منذ آدم إلى آخر الدهور»(١).

وأما الأعياد فتتميز بكثرتها، حتى لا يكاد يوجد قديسٌ إلا وله يومٌ يُعيد له فيه، والكنيسة لكي تزيد نمو كلمة الخلاص: «عينت أياماً للاحتفال بذكر أولئك الجنود الصالحين وخصصت أياماً دون أخرى للانقطاع التام عن الأعمال للفروض الروحية والتحدث بأخبار أولئك المجاهدين المنتصرين الذين جاهدوا الجهاد الحسن وأكملوا السعي وحفظوا الإيمان وأخيراً حُفظ لهم إكليل المجد الذي لا يبلى، وهم سيحُفُّون بعرش الله ويتبعون الخروف حيثما ذهب»(٢).

وهذه الأعياد لا تقتصر على المقدَّسين من البشر، بل تشمل حتى الملائكة، فقد اتفقت الكنائس كما يرى الأرثوذكس على وجوب إقامة الأعياد للملائكة(٣)

رابعاً: تقديم التسبيح والتمجيد والتعظيم لهم وأمام صورهم وأجسادهم.

فالكنيسة الأرثوذكسية تقدم في جميع قداساتها واجتماعاتها التسبيح والتمجيد والتعظيم للرب(٤)، وأيضا للعذراء وللقديسين والملائكة على السواء، وفي بعض الأحيان تقدم التعظيم لهؤلاء المقدسين قبل الرب، وفي بعضها الآخر تقدم التعظيم للقديس أكثر من التعظيم للرب نفسه، ومن الأمثلة على ذلك صلاةٌ تُسمَّى "مقدمة

---

(١) عبادة الأصنام، ص: ٢٤.

(٢) انظر: اللآلِيء النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة:(٢/ ٤٠٢).

(٣) انظر: المصدر نفسه:(٢/ ٤١١).

(٤) وهو المسيح بطبيعة الحال.

قانون الإيمان"، وهي التي وضعت في مجمع أفسس (المسكوني الثالث) في القرن الخامس الميلادي على يد البابا كيرلس الأول الملقب بـ"عامود الدين"، وتنص "صلاة مقدمة قانون الإيمان" على «نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء القديسة مريم والدة الإلة لأنك ولدتي لنا مخلص العالم، أتى وخلص نفوسنا، المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل»(1).

ونلحظ في هذه الصلاة أن الكنيسة تعظم وتمجد العذراء أولاً وقبل الرب يسوع والذي تكتفي بتمجيده فقط دون التعظيم بعد ذلك، وبهذه الصلاة التي أدخلها إلى الكنيسة الأرثوذكسية البابا كيرلس الأول في القرن الخامس الميلادي فُتح الباب على مصراعيه لدخول سيلٍ جارفٍ من التسابيح والتماجيد والصلوات ليس للعذراء فقط بل ولكافة القديسين والملائكة حتى ملأت طقس الكنيسة وأصبح من الصعب تركيز الأنظار على رئيس الإيمان ومكمله الرب يسوع فقط، بل تتشتت إلى سحابة الشهود من القديسين (2).

خامساً: نصب التماثيل والهياكل لهم:

تكرم الكنيسة الأرثوذكسية هؤلاء المقدسين، بعد موتهم، وتوجب إكرامهم بتشييد الهياكل وإقامة النصب التذكارية لهم وعليها الأيقونات، وذلك اعترافاً بفضلهم وتخليداً لذكرهم، وأداءاً لواجب الشريعة (النصرانية) (3).

تعظيم الأسقف عند الأرثوذكس:

نال الإكليروس، وعلى رأسهم البطريرك والأساقفة الدرجة العليا من الغلو لدى الكنيسة الأرثوذكسية، حيث بلغ حد العبادة بكل مظاهرها من السجود على

---

(1) عبادة الأصنام، ص: ٢٥ .

(2) المصدر نفسه والصفحة نفسه.

(3) انظر: اللآلي النفيسة، (٢/ ٤٠٣)، المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، ص:٢٤٦.

الأرض أمامهم، والتبخير، والتمجيد، والتعظيم، من خلال طقوس العبادة، وعلى رأسها ما يُسمَّى بالقداس، وسنفصل الحديث عن ذلك من خلال الحديث عن مكانة الأسقف في الكنيسة الأرثوذكسية، والطقوس المتعلقة بالبطريرك نفسه.

أولا: مكانة الأسقف:

يعتقد الأرثوذكس أن الرسل الذي انحصرت فيهم سلطة الرئاسة قد منحوا هذه السلطة لأشخاصٍ منتخبين، وهم الأساقفة، وقد نالوا التفويض من الله ذاته، بقوة سلطة الرسل التامة المعطاة لهم من المسيح وروح القدس(١).

وهكذا يرون « أن السلطة الأسقفية ليست ملكاً للأسقف، بل هو مؤتمنٌ عليها من قبل الله، فهو يأخذها من غيره بسلسلةٍ غير منقطعةٍ تعود إلى الرسل، وإلى المسيح الذي مسحه الله وأرسله ليصنع مشيئة أبيه لا مشيئته الذاتية، وفي هذا التسلسل الرسولي العظيم تضيع شخصية أي أسقف بمفرده لتبرز من خلال الدرجة الأسقفية سلطة المسيح الإله كراعٍ أوحد لكنيسته على مدى العصور وكملكٍ وحيد (ليس لملكه انتهاء) »(٢).

«فإذا كان الأسقف يمارس سلطة الله نفسه، وجب أن يكون للأعمال الصادرة عن السلطة الأسقفية طابعٌ إلزاميٌّ للرعية، إن الخضوع لمشيئة الأسقف هو الخضوع لمشيئة الله»(٣).

ويتحدث الأرثوذكس عن أعمال الأسقف الذي قد يتحرك بدوافع بشرية، ويخطيء في ممارسة السلطان، ويرون أن أعماله بالرغم من ذلك «تحتفظ بالرغم من ذلك بطابعها الإلزامي طالما أن الأسقف لم يخرج فيها عن القوانين الكنسية، أي طالما

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، أفغراف سمير نوف، ص:١٣٠.

(٢) انظر: الأسقف في الكنيسة، مجموعة من المؤمنين، ص: ١٩.

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

أنه لم يخالف إرادة الكنيسة الجامعة ولم يضع نفسه بهذه الصورة خارج الوحدة الكنسية»[1].

وهذا الكلام أقرب ما يكون إلى كلام الكاثوليك في عصمة البابا، وهذا يدل على أن مكانة الأسقف عند الأرثوذكس قريبةٌ من مكانة البابا عند الكاثوليك، وقد صرح بذلك أسقف أنطاكية منذ العام ١٠٧م، حيث كتب في رسالة له: «في كل كنيسة يترأس الأسقف في مكان الله.. فلا يفعلن أحد شيئا يتعلق بالكنيسة دون موافقة الأسقف... حيث يكون الأسقف فليكن هناك الشعب، كما أنه حيث يكون يسوع المسيح فهنالك الكنيسة الجامعة»[2].

وعلى ذلك نقول: لا فرق بين مكانة أسقف الأرثوذكس وأسقف الكاثوليك من الناحية النظرية، ولكن أتيحت الفرصة لتطبيق تلك السلطة عند الكاثوليك على أوسع نطاقٍ لأسبابٍ كثيرة، ولكنها لم تتح لتطبيقها عند الأرثوذكس إلا في أضيق الحدود.

ثانيا: الطقوس المتعلقة بالبطريرك:

في العهد الحاضر تم ترسيخ الاحتفال بأعياد البابا، ولاسيما عيد رهبنته (اليوم الذي أصبح فيه راهبا)، وعيد جلوسه (أي جلوسه على العرش البابوي)، ويتم الاحتفال بهذا العيد بصورة لم يسبق لها مثيل، حتى أصبح الاهتمام بها يفوق الاهتمام بالأعياد التي تخص المسيح (الرب بزعمهم)[3].

ومن أمثلة الطقوس عبادة الاكليروس في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ما يأتي:

١- لحن "ني سافيف"، ويقال في بداية القداس لتمجيد البطريرك في حالة حضوره: «يا كل حكماء إسرائيل صناع خيوط الذهب إصنعوا ثوبا هارونياً لائقاً

---

(١) المصدر السابق، ص:٢٠.

(٢) الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، تيموني وير، ص: ٢٧.

(٣) انظر: عبادة الأصنام، ص: ٤٦.

بكرامة كهنوت أبينا الأقدس رئيس الكهنة البابا أنبا (فلان)حبيب المسيح... بركة بطريركنا الأب المكرم رئيس الكهنة أنبا (فلان)... بركة أسقفنا الأب المكرم أنبا (فلان) تحل على هذا الشعب كله آمين».

٢- لحن "طفه هينا" الكبير الذي يتلوه الشماس مخاطباً الشعب خلال صلاة الشكر في طقس "رفع البخور" وفي بداية القداس وحضور البطريرك «اطلبوا لكي يرحمنا الله ويترأف علينا ويستجيب لنا ويعيننا ويرد عنا كل التجارب ويديم إيماننا بسؤالات وصلوات أبينا المكرم المثلث الغبطة أبي الآباء وراعي الرعاة رئيس رؤساء كهنتنا الراعي الحقيقي كمثل كهنوت ملكي صادق وهارون خليفة مار مرقس الرسول بابا وبطريرك المدينة العظمى الإسكندرية وماها من بلاد حبيب المسيح القديس (٣مرات) رئيس الآباء والبابا أنبا (فلان)».

٣- طقس التبخير والسجود للبطريرك في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في رفع بخور باكر وعشية وأثناء القراءات في القداس: «إذا كان البطريرك أو المطران أو الأسقف حاضرا يعطيه (أي القس) البخور ثلاث أيادي (أي يبخر أمامه ثلاث مرات) ثم يقبل الصليب (في يد البطريرك) وهو منحني ويقول له: (أطلب من المسيح عنا ليغفر لنا خطايانا)».

٤- الإثنا عشر فضيلة التي للروح القدس المكتوبة في الكتاب المقدس تحل على رأس أبينا القديس رئيس الكهنة البابا أنبا (فلان)، وعندما يصل المرتل إلى ذكر اسم البطريرك يخضع بهامته أمام سيادته، وجميع الشمامسة يجاوبونه بصوت واحد قائلين آمين.

٥- يختتم الأقباط مقدمات كتبهم بعبارات تعظيمٍ وتبجيلٍ للبابا، مثل «ونطلب من الرب أن يجعل هذا الكتاب سبب بركة، لكل من يتأمل فيه باستمرار، ويتمتع بكنوز النعمة، التي تركها لنا الآباء القديسون بصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا

شنودة الثالث.. آمين.» [1].

نقد:

أولاً: لا شك أن اعتقاد الأرثوذكس في مقدسيهم، وتقديم طقوس العبادة لهم من أعظم صور الشرك بالله تعالى، ومن الغلو الذي حذر الله منه أهل الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء:١٧١]

وهؤلاء أولى الناس بقوله سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣١]، وغلوهم في مقدسيهم يتضمن إضفاء بعض صفات الربوبية عليهم، كما يتضمن عبادةً صريحةً لهم، ومن صور هذا الشرك:

١- وصفهم لهم بالبنوة لله تعالى، بل وصفهم بالآلهة والأرباب، واعتقاد أنهم محفوظون منذ الولادة وأنهم متحدون مع الله، وأن نفوسهم لا يمسها العذاب، وأنهم لا يموتون، وأن رفاتهم يمنح البركات الكثيرة واعتقاد أن مكانتهم كمكانة الله سبحانه وتعالى.

٢- ومن صور الشرك في الألوهية الاستشفاع بهم، وطلب المعونة، والرحمة، والمغفرة، والنوال وتقديم أنواع من العبادات لهم من الصلاة والصوم والأعياد بل والسجود لهم مباشرة ونصب التماثيل والهياكل لموتاهم، وهذه كلها صورٌ شركيةٌ صريحة.

ثانياً: هذه الاعتقادات والطقوس لا تمت بأي صلةٍ لرسالة المسيح، بل هي من بقايا الوثنية التي تسللت إلى الديانة النصرانية لأسباب سبق الإشارة إليها.

ثالثاً: نجد في النصوص الإنجيلية الكثير من الأدلة الإجمالية والتفصيلية التي تنهى عن عبادة غير الله تعالى واتخاذ آلهة أخرى غير الله، ومن ذلك:

---

(١) بستان القديسين، ص: ٦.

«لا يكن لك آلهةٌ أخرى أمامي... لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء»(١).

خلاصة:

من خلال ما سبق نخلص بما يأتي:

١- وقع الأرثوذكس في ألوانٍ من الشرك، وأشكالٍ من البدع، وهم وإن اختلفوا في بعض الصور عن الكاثوليك، إلا أنهم شاركوهم في كثير منها، وإن أكثر الأمور اشتراكاً هي ما يتعلق بالغلو في مقدسيهم من البطاركة والأساقفة.

٢- ما ادعاه الكاثوليك في أساقفتهم ادعى الأرثوذكس مثله في بطاركتهم وأساقفتهم، ولكن الكاثوليك كانت لهم سلطةٌ عظيمةٌ تمكنوا فيها من تحقيق ادعاءاتهم، ولم يكن الأمر كذلك عند الأرثوذكس.

٣- لم تحقق الكنيسة الأرثوذكسية التزامها بالمحافظة على الإيمان القويم ولم تسلم مما عابت عليه الكنيسة الكاثوليكية.

---

(١) التثنية (٥/ ٧-٩).

المبحث الخامس: الآثار الأخرى

لا توجد عند الكنيسة الأرثوذكسية آثار كبيرة وواضحة، كما هو الحال في الكنيسة الكاثوليكية، ويعود ذلك إلى الظروف التاريخية والسياسية التي عاشها الأرثوذكس في أغلب فتراتها، ويمكن تفصيلها في الأمور التالية:

١- دخول هذه الكنائس تحت السلطان السياسي منذ عهد الإمبراطور قسطنطين في القرن الرابع الميلادي، وبقاء أكثرها تحت الحكم الإسلامي، منذ القرن السابع الميلادي.

٢- تفرق سلطتها الروحية بين البطريركيات الأربع في المشرق، واستقلالها الداخلي عن بعضها البعض، وهذا الوضع جعل سلطتها محصورة في منطقة جغرافية صغيرة جدا، بخلاف الأمر لدى الكاثوليك، فقد كانت سلطتها موحدةً في جميع العالم الغربي، وسلطتها تشمل السلطة الروحية والزمنية على السواء.

٣- لم تكن هناك إرهاصاتٌ للحركة العلمية أو بوادر للنهضة، كما هو الحال في الغرب؛ لأنها كانت تابعةً في ذلك -وربما مشاركة- في الحضارة الإسلامية التي شملت الأجزاء التي توجد فيها هذه الكنائس، مثل الشام، ومصر، وأنطاكية، ثم القسطنطينية بعد ذلك.

٤- ومن الأسباب الهامة انشغالها بتحصين نفسها من الدعاية اللاتينية التي تقوم بها الكنيسة الكاثوليكية، ولم تسلم الكنيسة الأرثوذكسية من ذلك، فقد تعرضت لغزوٍ صليبيٍّ في بعض الأحيان، أعقبه عملية "ليتنة"، كان لها أثرٌ لفترةٍ من الزمن(١).

وانشغال الكنيسة بذلك جعلها تهتم بالجوانب اللاهوتية أكثر من الجوانب العلمية والفكرية.

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المسحية، أفغراف سميرنوف، ص: ٥٦١.

٥- كثرة البدع والهرطقات والخلافات في الكنائس الأرثوذكسية.

البدع الكبرى التي عقدت من أجلها المجامع المسكونية ظهرت جميعها في الكنائس الأرثوذكسية، مثل ألوهية المسيح ﵇، والروح القدس، ثم مشكلة طبيعة المسيح ﵇، وغير ذلك، وهذه البدع جعلت الكنائس الأرثوذكسية تنشغل بمقاومة خصومها الأرثوذكسيين دون الالتفات إلى غير ذلك.

ولا يوجد للكنيسة الأرثوذكسية ما يمكن أن يسجل من الآثار الواضحة، ولكن يمكن الإشارة إلى أمرين:

الأول: قيام بعض الكنائس الأرثوذكسية بالتنصير للبلاد الوثنية، وهو ما سأتحدث عنه بشيءٍ من التفصيل.

الثاني: دخول بعض النصارى في دوائر الدولة الإسلامية، وهذا كان له أثرٌ على المدى البعيد، ولكن سنتحدث عنه عند الحديث عن موقف البابوية من الإسلام في الباب الرابع.

تنصير الأرثوذكس للوثنيين:

تذكر المصادر التاريخية أن بداية التنصير الأرثوذكسي (الذي يطلقون عليه التبشير) كان في القرن التاسع الميلادي.

ففي عام ٨٦٣م صعد المنصران كيرلس وميتوديوس رسولا السلافيين شمالاً ليقوما بالتنصير خارج حدود الإمبراطورية البيزنطية.

وأدت جهودهما في التنصير إلى تنصير بلغاريا وبلاد الصرب وروسيا .

وهذا التنصير كان مرهوناً بقوة الكنيسة من جهة وبعدها عن السلطان السياسي، ولذلك توقف النشاط التنصيري في عهد الدولة العثمانية، بينما اشتد النشاط لدى الكنيسة الروسية التي كانت حرةً في ذلك الوقت، وغير خاضعةٍ للحكم الإسلامي.

وتبعاً لهذا النشاط أقيمت كنائس أرثوذكسية في عددٍ من الدول الكبرى الوثنية الأصل، ومنها:

١- الصين: تأسست البعثة الصينية السنة ١٧١٥م في بكين، لكنها وجودها بالفعل يعود إلى السنة ١٦٨٦م، إلا أن العمل التنصيري المنظم لم يبدأ قبل نهاية القرن التاسع عشر، وفي السنة ١٩١٤م لم يكن هناك أكثر من ٥٠٠٠ مهتدٍ جديد، على الرغم من وجود عددٍ من الكهنة الصينيين ومدرسة إكليريكية. وبعد ثورة ١٩١٧م، لم يتضاءل النشاط التنصيري بل ازداد بفضل عددٍ كبيرٍ من المهاجرين الروس، ومن بينهم كهنة فروا شرقا من سيبيريا، في السنة ١٩٩٣م كان في الصين ومنشوريا ٢٠٠٠٠٠ أرثوذكسي (من الروس في معظمهم، ويضمون مهتدين صينيين جددا)، يرعاهم خمسة أساقفة ولهم جامعةٌ أرثوذكسية في خاربين.

٢- اليابان: تاسست الكنيسة الأرثوذكسية اليابانية على يد الأب (ثم الأسقف) نيقولا كساتكين (١٨٣٦-١٩١٢م) الذي أعلنت قداسته منذ فترة وجيزة. فحين وصل إلى اليابان السنة ١٨٦١م بصفته كاهنا للقنصلية الروسية، عزم منذ البداية على العمل ليس في صفوف الروس فحسب، بل كذلك في صفوف اليابانيين، ويوجد اليوم نحو أربعين رعية يابانية و٣٦٠٠٠ من الأتباع، والكنيسة الأرثوذكسية اليابانية تدير شؤونها الذاتية وتتبع كنيستها الأم أي البطريركية الروسية.

٣- كوريا: تأسست الكنيسة في عام ١٨٩٨م وظلت مقتصرةً على نطاقٍ ضيق. وأول كاهنٍ أرثوذكسي كوري جرت رسامته في السنة ١٩١٢م، وفي السنة ١٩٣٤، أصبح في كوريا ٨٢٠ أرثوذكسي .

الباب الثالث

الباب الثالث

موقف البروتستانت من البابوية وآثاره

وفيه ثلاثة فصول وهي:

- الفصل الأول: نشأة البروتستانت، وأصولهم، وخصائصهم.
- الفصل الثاني: موقف البروتستانت من مفهوم وسلطة وإضافات البابوية.
- الفصل الثالث: آثار موقف البروتستانت.



الفصل الأول

نشأة البروتستانت، وأصولهم، وخصائصهم

وفيه ثلاثة مباحــث : -

- المبحث الأول:نشأة البروتستانت.
- المبحث الثاني: أصول البروتستانت الفكرية.
- المبحث الثالث: خصائص البروتستانت.

* * * ** * * *

المبحث الأول: نشأة البروتستانت

التعريف بالمصطلح:

تعود كلمة "البروتستانت" إلى الكلمة اللاتينية(protestants)، وتعني "المحتجون"، أو المعترضون، وقد أطلق هذا اللقب عام ١٥٢٩م، بعد تأسيس الكنيسة اللوثرية، عندما اجتمع البرلمان في مدينة سباير في ألمانيا، وكان الكاثوليك يشكلون الأغلبية، واتخذ قراراً بوجوب عدم إجراء تغييراتٍ كنسيةٍ جديدة، والسماح بإقامة العبادة الكاثوليكية في المناطق اللوثرية، وإعادة حقوق وأملاك الرومان التي سيطر عليها اللوثريون، لكن المندوبين اللوثريين احتجوا على القرار، فلقبوا بـ"المحتجين" (protestants). ويقال أيضا أن سبب التسمية هو احتجاج الأمراء الألمان ضد الكاثوليكية الرومانية(١).

وبشكل عام يطلق هذا اللقب على تلك الحركة الدينية التي قامت في أوربا في القرن السادس عشر ضد فساد كنيسة روما، ثم انفصلت عنها، وانقسمت بذلك أوربا إلى قسمين كبيرين الدول الكاثوليكية، والدول البروتستانتية بعد أن كانت كلها خاضعةً لبابا روما وحده(٢).

والاسم الرسمي للبروتستانت هو "الكنائس البروتستانتية"، أو الكنائس الإنجيلية، فهي كنائس متنوعة مستقلة إداريا عن بعضها البعض.

وأما الكنائس التي توجد في بلاد الشرق فقد أطلِق عليها لقب الطائفة الإنجيلية

---

(١) انظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، القس د.عيسى دياب، ص: ١١، معجم الأديان، جون.ر. هينليس، ص: ٥٦١، المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والطوائف والنحل في العالم، د.سهيل زكار: (١/ ٧٩)

(٢) انظر: المجمل في تاريخ الكنيسة، الأب: أنطوان الفرغاني، ص: ٨٦، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، جان كمبي، ص: ٢٣٩.

بدل "البروتستانية"، وذلك بعد قرار المجمع الأعلى للطائفة في سوريا ولبنان سنة ١٩٣٩م، وذلك تيمناً بالإنجيل الذي هو مصدر الإيمان والعقيدة والعبادة في هذه الكنائس[١].

عوامل قيام حركة البروتستانت:

يُرجع المؤرخون قيام حركة البروتستانت إلى القرن السادس عشر، وهذا صحيحٌ باعتبار ظهور الثورات الدينية الكبرى التي انتهت إلى الانشقاق الكامل عن الكنيسة الكاثوليكية وتكوين كنائس مستقلة، وأما حركة انتقاد الكنيسة الرومانية والرغبة في تطهيرها مما شابها من فسادٍ وبدعٍ فإنه يعود إلى ما قبل تلك الفترة، عندما ظهرت حركاتٌ فردية ضد فساد الكنيسة، وإن كانت في مستوى أقل ودون أن تؤدي إلى انفصال عن الكنيسة، وبعضها قُضي على أصحابها، وإن كانت أفكارهم قد بقيت، وكانت مادةً لمن جاء بعدهم من زعماء الحركة البروتستانتية.

وعند دراسة هذه الفترة نجد أن هناك عوامل كثيرة أدت إلى ظهور البروتستانت، وهي تنقسم إلى قسمين أساسين:

العوامل الداخلية:

وهي العوامل التي تتعلق بالواقع الذي وصلت إليه الكنيسة الرومانية، ويشمل ذلك ضعف السلطة البابوية من خلال ما يأتي:

١- الصراعات بين البابوية والإمبراطورية التي أدت إلى انتصار الأباطرة في بعض الأحيان والنيل من كرامة البابوية وكبريائها أمام الشعوب الأوربية.

٢- انتقال الكرسي البابوي إلى فرنسا لأكثر من سبعين عاماً (١٣٠٥-١٣٨٧م)، وخضوعه للسلطة الفرنسية، حيث أطلق على هذه الفترة "الأسر البابلي".

---

(١) انظر: مدخل إلى تاريخ الكنيسة الإنجيلية ولاهوتها، القس د.عيسى دياب ص:١١-١٢ .

٣- الانقسام البابوي، حيث أصبح للعالم النصراني باباوان، ثم ثلاثة باباوات في وقت واحد.

٤- الدين الذي كانت تحمله الكنيسة. وهو دينٌ محرفٌ مليءٌ بالإضافات والبدع التي هي أبعد ما تكون عما جاء به المسيح ﷺ.

٥- إضافةً إلى تحريف الدين، فقد وصل رجال الدين إلى أسوأ درجات الفساد الخُلُقي والمالي، ولم يعد لهم اهتمامٌ بالدين نفسه، وإنما انصب اهتمامهم على جمع الأموال، للحصول على المناصب، والتمتع بالملذات، وقد سبق تفصيل هذه العوامل عند الحديث عن ضعف البابوية.

العوامل الخارجية:

وهي المتغيرات التي حدثت في أوربا ودفعت البروتستانتية بقوةٍ مكنتها من مقاومة الكنيسة، بل والانتصار عليها في دول كبرى، حتى تغيرت معها خريطة الكنيسة الكاثوليكية في القارة الأوربية وضاقت دائرة نفوذها إلى اليوم، وهي ما سنفصل الحديث عن أهمها فيما يأتي:

أولاً: انتشار العلم وتطور وسائله:

شهدت القرون السابقة لظهور البروتستانت ظهور العلوم الحديثة، وانتشار وسائل العلم، فمنذ بداية القرن الثالث عشر شهد العالم نهضةً في أرجاء أوربا، ويمكن أن نرصد هنا ثلاث مجالاتٍ مهمة تميزت بها تلك الفترة، وكان لها أثرٌ كبيرٌ على الحركة البروتستانتية فيما بعد، وهي كما يأتي:

١- ظهور المدارس والجامعات:

بدأت المدارس والجامعات تزدهر في القرن الثاني عشر والثالث عشر، وكان ذلك يمثل تطوراً جديداً في مجال تلقي العلوم، حيث ضمت الجامعات النخب من العلماء والطلاب، وبعد أن كان التعليم في القرون السابقة حصراً على أروقة الأديرة

المنعزلة وتحت ظل رقابةٍ كاملةٍ وصارمةٍ من الكنيسة، أطلق من أجلها على هذا العصر عصر "الثورة المدرسية"، وهي ثورةٌ حقيقيةٌ بمعنى الكلمة، فهي ثورةٌ نتج عنها النمو الديموغرافي العام وانطلاق المدن، وكثرة عدد المعلمين والتلاميذ والمدارس ولا سيما في باريس[(١)].

وفي منتصف القرن الثاني عشر أُنشئت الجامعات الكبرى في أوربا، مثل أكسفورد[(٢)] وكامبردج[(٣)]، وباريس[(٤)]، وأخذت اللغات اللاتينية واليونانية والعبرية تدرس، والمحاضرات تلقى على الطلاب.

وهذه الصورة الجديدة في مجال التعليم سمحت بقدرٍ من الحرية في نقد الكنيسة، فأصبحت هذه الجامعات مصدر الأفكار الجديدة التي كانت منتشرةً بين الناس، وبداية مجابهة الأفكار الفلسفية والعلمية لمسلَّمات رجال الدين التي فرضوها على الشعوب.

ومن الأمثلة على أثر الجامعات وما تضمنته من دراسة اللغات المهمة في حركة البروتستانت ما قام اللاهوتي جروستيت (جريتهيد)، وهو انجليزي عاش في القرن الثاني عشر، وبعد أن أتم تعليمه في إكسفورد وذهب إلى باريس؛ لأنها كانت في ذلك الوقت أشهر جامعات أوربا، وهناك درس اليونانية والعبرية، وأتقن الفرنسية

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة، لوريمر: (٤/ ٦٢)، تاريخ الكنيسة المفصل: (٣/ ٢٣١).

(٢) جامعة شهيرة تأسست في القرن الثاني عشر، و"أكسفورد" مدينة في إنجلترا تقع على ملتقى نهر التايمز وشرول. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص:٥٩ .

(٣) جامعة شهيرة تأسست عام ١٢٨٤م، و"كمبردج" مدينة بريطانية. انظر: المصدر نفسه، ص:٤٦٨ .

(٤) باريس: عاصمة فرنسا على نهر السين، ومرفأ نهري، وأهم مركز تجاري وصناعي وثقافي وفني في البلاد، وأشهر الجامعات الموجودة بها جامعة باريس، وجامعة السربون. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص:١٠٤ .

كأبنائها، وبعد أن بلغ الستين وجّه كل اهتمامه لدراسة الكتب المقدسة باللغات الأصلية، وكان يعتبرها السلطان الأعلى والمطلق، ولما رأى رياء الرهبان حكم عليهم بأنهم مضلو الجنس البشري، وأن الرهبنة شيءٌ مضادٌ لكلمة الله، ثم رفع صوته عالياً ضد مزاعم إنوسنت الثالث، عندما أعلن أنه الممثل ليس فقط عن بطرس بل لله، فقال: «إن اتباع بابا يسير ضد مشيئة المسيح لهو انفصال عن المسيح وجسده، ومتى جاء الوقت الذي فيه جميع الناس يتبعون بابا ضال فعندئذ يكون الارتداد العظيم».

ثم ثار ضد جشع البابوية وسوء استخدام صكوك الغفران، ومنح المناصب الإكليروسية لأشخاص لا يستحقونها[1].

٢- اكتشاف الورق والطباعة:

كان اكتشاف الورق واختراع الطابعة على يد المخترع الألماني يوهان جوتنبرج عام ١٤٥٤م، وكان هذا الاكتشاف أعظم انجازات القرن الخامس عشر على الإطلاق، وكان له أثر بالغ على تقدم الحركة العلمية والثقافية في سائر أوربا، فبعد أن كانت الطباعة تمارس بأساليب بدائية، ويستغرق النسَّاخ الخبير عدة شهور ليطبع نسخةً واحدة، أصبحت المطابع تطبع آلاف النسخ في مدةٍ وجيزة، وأصبحت الشعوب الأوربية الأمية تقرأ وتطلع على مئات الكتب، بعد أن لم يكن يوجد منها إلا ما كان منسوخاً بخط اليد، ومتوفراً عند الطبقة العليا من الأمراء والوجهاء دون غيرهم.

وأما أثر ذلك على تقدم البروتستانت، فيكفي في بيانه معرفة أن أكثر الكتب التي طبعت في بداية عهد الطباعة هي الكتب الدينية، حيث قُدر عدد الكتب التي طبعت بحلول نهاية القرن الخامس عشر بستة ملايين كتاب كان معظمها في موضوعات

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، ملر، ص: (٣٧٨-٣٧٩).

دينية[١].

ومن أهم الشواهد الحية على ذلك، أن أول كتاب طبعه جوتنبرج كاملا هو ما يُسَّمى بالكتاب المقدس باللغة اللاتينية، وهي اللغة التي تعتمد عليها البابوية، وبلغ مجموع أوراق هذه النسخة ٦٤١ ورقة، وقد أشار المؤرخ هالام إلى ملاحظةٍ مهمة حول ذلك، حيث قال: «إنه لمن الأمور المؤثرة للغاية التي تلفت النظر أن أول ما اهتم به عباقرة ذلك الفن (أي فن الطباعة) ومخترعوه العظام هو محاولتهم قبل كل شيء القيام بمهمةٍ ساميةٍ وجريئةٍ في طبعهم الكتاب المقدس كاملا، وقد فعلوا ذلك بنجاحٍ عظيم... وإننا نستطيع أن نتخيل ذلك الكتاب الجليل المحترم متقدماً كل الكتب التي تبعته وسائراً في طليعة ربواتها التي لا تحصى ولا تعد، وكأنه يلتمس بركةً لهذا الاختراع الجديد الذي كرس باكورته لخدمة السماء»[٢].

وقد تزامن مع هذا النشاط الكبير نحو طباعة الكتاب المقدس نشاطٌ آخر لا يقل عنه أهمية، وهو ترجمة ما يسمَّى بالكتاب المقدس إلى اللغات المحلية، حيث قام المترجمون بترجمة الكتاب المقدس إلى لغاتٍ أوربيةٍ عديدة، فظهرت عام ١٤٧٤م الترجمة الإيطالية، وفي عام ١٤٧٥م الترجمة البوهيمية، وفي عام ١٤٧٧م الترجمة الهولندية، وفي نفس السنة الترجمة الفرنسية، وفي عام ١٤٧٨م الترجمة الأسبانية[٣].

وقد أدى هذان الأمران (طباعة ما يسمَّى بالكتب المقدسة وترجمتها إلى أهم اللغات الأوربية) إلى انتشار الإنجيل في أغلب أرجاء أوربا، وإذا كانت نسخ الأناجيل قد بقيت حبيسةً في الكنائس طيلة القرون الماضية، فقد أصبحت بعد عصر الطابعة في متناول كل إنسان، وتمكن عامة النصارى – فضلاً عن المثقفين – من الوقوف على البون الشاسع بين ما تدعيه الكنيسة الكاثوليكية، وبين ما رأوه بأعينهم فيما يُسمَّى

---

(١) تاريخ الكنيسة، لوريمر: (٤/ ٣٧٩).

(٢) مختصر تاريخ الكنيسة، ص: ٤١٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٤١٧.

بالكتاب المقدس الذي أصبح في متناولهم، فكان ذلك بمثابة الشعلة التي أوقدت نار الحماس نحو التغيير.

ويعبر المؤرخ النصراني جون لوريمر عن أثر انتشار الأناجيل على البروتستانت، وعلى الكنيسة الكاثوليكية بقوله: «حينذاك أصبح للناس قاعدة لأسئلتهم، فمع وجود "كلمة الله" في أيديهم أمكنهم تقييم أعمال الإكليروس من "كلمة الله" نفسها، وأن يزودوا بالوثائق قضيتهم ضد الكنيسة، ولم تستطع البابوية بعد ذلك أن تختفي وراء التصريحات الصادرة من الكاتدرائية، بل كان عليها أن تواجه جمهوراً واسع الاطلاع في كل أوربا طالب بالبرهان "الكتابي" والتاريخي لأجل الإدعاءات البابوية، أكثر من ذلك لم تعد البابوية قادرةً على قمع الرأي المعارض، قبل حلول الطباعة، كان يسهل التخلص من النسخ القليلة لأي كتاب مشبوهٍ وذلك بإحراقها، فما أن تدفقت آلاف النسخ من المطابع لم يكن هناك سبيلٌ أمام دولة الفاتيكان يمكنها من إبعاد مثل هذه الكتب عن أيدي الشعب، ومع أن الفاتيكان استمر في استخدام قائمة "الكتب الممنوعة" مدعياً أن اقتناء مثل هذه الكتب يشكل مخالفة قانونية، أما الآن فلم يعد في سلطان الكنيسة إزاحة الكتب الممنوعة من التداول»[1].

وهذا النص يدل على أن انتشار الأناجيل في أوربا كان المادة الرئيسة التي أشعلت الحماس لدى الشعوب، وقد لاحظ لوثر أثر هذا الأمر، حتى وصف اكتشاف الطباعة بأنه «أكبر وآخر هبة من الله»[2]، وهو نفسه الذي قام بتوزيع أكثر من ٤٠٠٠ نسخة من إحدى رسائله في أسبوعٍ واحد، وكتب ما بين عامي ١٥١٧م إلى ١٥٢٠م ثلاثين نبذة دينية، وزعت في ٣٠٠٠٠٠ نسخة مطبوعة[3].

ثانياً: رغبة الحكام والشعوب في التخلص من سلطان البابوية:

كان الملوك والأمراء الأوربيون يعيشون في ظل التسلط البابوي حياة الذل

---

(١) تاريخ الكنيسة: (٤/ ٨٦).

(٢) انظر: تاريخ الرقابة على المطبوعات، روبرت نتيز، ص:٢٢.

(٣) تاريخ الكنيسة: (٤/ ٨٦).

والخضوع، بعد أن سلبتهم الكنيسة حتى حقوقهم الزمانية وضمتها إلى سلطتها الروحية، وبعد أن أصبحت الأموال الطائلة والضرائب تخرج من ممالكهم لتذهب إلى خزينة البابوية، وعندما بدأ انحطاط سلطان الكنيسة الروحي، بدأ الملوك والأمراء يتطلعون إلى الفرصة التي تتيح لهم التخلص من سلطان الكنيسة واستعادة سلطانهم السياسي، وبدأوا في إنكار تدخل الكنيسة في شئونهم وقيودها الخلقية عليهم، وادعائها بالسيادة العليا عليهم وفرض الضرائب، وحل ارتباطات الولاء، لذلك كفوا عن احترام ما لها من سلطات وممتلكات وظل الخروج عن الطاعة يصدر من الأمراء والحكام طيلة العصور الوسطى، ولكنهم لم يشرعوا في التفكير الجدي في الانفصال عن المذهب الكاثوليكي وإقامة كنائس منفصلة إلا عندما حل القرن السادس عشر، وأيقنوا أن سيطرة الكنيسة على أذهان الجماهير قد ضعفت، وهذا ما يفسر مساندة الحكام ووقوفهم إلى جانب البروتستانت في ثورتهم ضد الكنيسة.

حيث كان الإمبراطور فريدرك الثاني [١] في طليعة السباقين إلى ذلك من خلال رسائله إلى نظراءه الأمراء يدعوهم إلى الوقوف إلى جانب دعاة الثورة ضد الكنيسة[٢].

أما من جهة الشعب بفئتيه الأشراف والفلاحين، فقد وافقت رغبتهم في الثورة على الكنيسة رغبة الحكام والأمراء، فرأى الأشراف في الثورة ضالتهم المنشودة في الإستيلاء على أراضي الكنيسة، كما انتهز الفلاحون الفرصة للثورة على سادتهم باسم المساواة بين البشر أمام الله[٣].

ويمكننا أن نصل إلى أن حركة البروتستانت الكبرى لم تبدأ إلا بعد أن أصبحت أوربا كلها مهيأة لقبولها، من خلال الحكام والشعوب على السواء، وهذا من أهم

---

(١) فريد ريك الثاني: (١٧١٢-١٧٨٦م) ثالث ملك لبروسيا، عرف باسم فريدريك الكبير، كان يؤيد الأفكار التقدمية وإصلاحات زعماء التنوير. انظر: الموسوعة العربية العالمية: (١٧/ ٣٥٨).

(٢) انظر: معالم تاريخ الإنسانية، ويلز: (٣/ ٩٨٩).

(٣) انظر: دليل إلى تاريخ الكنيسة، كمبي، ص: ٢٣٣.

أسباب نجاح تلك الثورة وتحقيق أهدافها النهائية بالانفصال الكامل عن الكنيسة الأم.

ثالثا: الاحتكاك بالمسلمين:

احتكاك النصارى بالمسلمين السلمي والحربي مكنهم من رؤية واقع المجتمع المسلم الذي يعيش في ظل عبادة الله وحده بحرية بالغة، وبعيداً عن أي سلطة تُفرض عليهم أو وساطة بينهم وبين ربهم، ورأوا تقدم المسلمين في جميع مجالات الحياة، وشاهدوا قيامهم بأعظم الحضارات، كما في الأندلس التي قامت بها أكبر الجامعات، ونهل منها أبناء النصارى شتى أنواع المعارف، وقد حصل هذا الاحتكاك في الوقت الذي كانت فيه أوربا ترزح في ظلمات الجهل طيلة قرونها الوسطى، وقد ولد هذا الاحتكاك رغبة ملحة في التغيير.

وقد ظهر هذا الأثر في المباديء التي نادى بها البروتستانت من رفض الواسطة بين الخالق والمخلوق، ورفض صكوك الغفران، واعتبار أنَّ الذي يغفر الذنوب هو الله وحده، وتحريم الصور والتماثيل، وغيرها مما سيرد ذكره في موضعه .

عرض لحركة البروتستانت:

يقصد بحركة البروتستانت تلك الحركة التي تهدف إلى تغيير كل ما يتعلق بالكنيسة الكاثوليكية من الفساد الذي طال جميع مؤسساتها، وجميع طبقاتها .

ويذكر بعض المؤرخين أنَّ تاريخ الحركة البروتستانتية مرَّ بمرحلتين مهمتين:

المرحلة الأولى: كان أصحابها ينادون بإزالة مفاسد الكنيسة، وتنظيم شؤونها على أيدي رجالها، أي: أن تغيِّر الكنيسة نفسها بنفسها، فيكون التغيير من داخل الكنيسة، ومن كبار دعاة هذه المرحلة يوحنا روكلن وإرزم، وسيأتي الحديث عنهما، وينطبق ذلك أيضاً على أغلب زعماء هذه المرحلة قبل القرن السادس عشر.

المرحلة الثانية: يطالب أصحابها بأن تقبل الكنيسة ما يفرض عليها من الوسائل

التي يقترحونها، مادامت قد فشلت في تغيير أوضاعها، ومن أكبر زعماء هذه المرحلة لوثر، وزونجلي، وكالفن(١)، وسوف أفصل الحديث عنهم – فيما يأتي.

ونظراً لأهمية المرحلة الأولى، من جهة كونها الأساس الذي اعتمدت عليه الحركة البروتستانتية الكبرى في القرن السادس عشر؛ فسأتعرض بصورةٍ موجزةٍ لأبرز دعاتها .

المرحلة الأولى:

١ – يوحنا ويكلف:

أول من دعا إلى تغيير مفاسد الكنيسة في بريطانيا، ولد في هسبول من أعمال مقاطعة يوركشير ١٣٢٠م، وقيل ١٣٢٤م، ودرس في جامعة أكسفورد حتى صار أستاذاً لما يُسمَّى باللاهوت، ومدرساً للقوانين المدنية والدينية، ورُسم قسيساً، وتلقى عدداً من المناصب والرتب من كنائس الأبرشيات، وكان له نشاطٌ إداريٌّ كبير، وكتب في الفلسفة واللاهوت، وأسهمت كتاباته في فصل بريطانيا عن الكنيسة الرومانية قبل أن يفصلها هنري الثامن بمائةٍ وخمسةٍ وخمسين عاماً، وقبل أن تفصلها أفكار البروتستانتيين الكبار في القرن السادس عشر(٢).

وقد عاصر ويكلف فترة الأسر البابوي، التي بلغت فيها البابوية أعلى مستوى في الضعف والانحطاط .

ومن المواقف المهمة في حياته أنَّه لما حدث النزاع بين البابا أوربان الخامس(٣)

---

(١) انظر: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق، د.نوار: (٨٩–٩٠).

(٢) انظر قصة الحضارة، ول ديورانت: (٢٢/ ٦٥–٧٧)، مختصر تاريخ الكنيسة، أندروملر، ص: ٣٨٧–٣٩٤)، تاريخ الكنيسة المفصل، مجموعة من المؤلفين، ص٣٩٨ . وأكتفي بهذه الإحالة عن ويكلف تحاشيا للتكرار .

(٣) أوربانس الخامس: (١٣٦٢–١٣٧٠م)، اسمه غليوم دي غريموار، سمي بـ "نور العالم"، ويعد =

والملك الإنجليزي إدوارد الثالث[1] في مسألة الجزية السنوية التي تعهد بها الملك السابق للبابوية اعترافاً بسيادة روما، وانقطعت لأكثر من ثلاثٍ وثلاثين سنة، فلمَّا ابتدأ أوربان يطالب بها وبدفع المتأخرات رفض الملك ذلك، وأعلن تمسكه بحرية بلاده واستقلالها، ثم عين ويكلف الذي أصبح أحد كهنته للرد على الحجج البابوية، وقد نجح في ذلك بشكل كبير . وفي عام ١٣٧٤م أوفدته الحكومة لمقابلة البابا غريغوري الحادي عشر في أفنيون، لإظهار المساويء التي نتجت عن احتفاظ البابوية بحق التعيين في الوظائف في كنيسة إنجلترا وإزالتها، وقد أتاح له ذلك أن يرى كل ما يدور في البلاط البابوي من الفساد .

وأمَّا أعظم أعماله؛ فهو ترجمة ما يُسمَّى بالكتاب المقدس إلى الإنجليزية، عام ١٣٨٠م، التي انتشرت في أنحاء إنجلترا، وحاول الأساقفة استصدار قرارٍ من البرلمان بالقضاء على هذه الترجمة، ولكنَّ محاولتهم باءت بالفشل .

وفي عام ١٣٨٤م أصيب بالشلل، ومات بعده بثلاثة أيام، ونجا من المثول بين يدي البابا، ولكنَّ مجلس "كنستانس" الذي عقد عام ١٤١٥م قررعقوبته، فأُخرجت عظامه وألقيت في مجرى ماء قريب من قبره، ثم أبيد كل ما عثر عليه من كتاباته .

أهم مباديء ويكلف:

١- الأعمال الصالحة ليست هي التي تنجي الإنسان، بل الرحمة والنعمة الإلهية.

٢- العلاقة بين الله والإنسان مباشرةٌ لا تحتاج إلى وسيط، وكل مسيحيٍّ يُعدُّ قسيساً، وليس في حاجةٍ أن يرسم كذلك .

= بابا العودة إلى روما، ووصفه الشاعر بترارك بـ" ممثل الشمس والعدالة، وفي عهده تم تصالح البابوية مع الإمبراطورية، ووفود إمبراطور بيزنطة، وحاول بجميع الوسائل كبح الجشع المادي الذي كان يظهر في سلوك موظفي بيت مال البابوية. انظ: معجم البابوات، ص: ١٥٦ .

(١) إدوارد الثالث: (١٣١٢-١٣٧٢)، ملك إنجلترا، أعلن حرب المائة سنة على فرنسا. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص: ٣٢ .

٣- يتضح مما سمَّى بالكتاب المقدس أنَّ المسيح ﷺ لم يرد أن يكون للحواريين ولمن جاء بعدهم شيئاً من الأملاك، وعليه فكل كنيسةٍ أو قسٍّ يمتلك شيئاً فهو يعصي الله ويستحق الإثم، وإذا كان كذلك، فلا يستطيع القس العاصي أن يقدم العشاء الرباني، وأعظم ما تحتاج إليه الكنيسة ورجالها التخلص من الأملاك الدنيوية .

وبناءاً على مبدأ وجوب مصادرة الأموال والأملاك، فإنَّه يرى أنَّ رجال الدين إذا لم يتنازلوا عن هذه الأموال والأملاك ويرضوا بحياة الفقر فلابد من تدخل الدولة لنزع أموالهم وممتلكاتهم وإرغامهم على حياة الفقر، والملوك هم وحدهم المسئولون أمام الله عن ذلك، ويتوصل من ذلك إلى أن الدولة يجب أن تعد نفسها على أنهَّا ذات السلطان الأعلى في جميع الشؤون الزمنية، وأن تستحوذ على جميع أملاك الكنيسة، وهي التي ترسم القساوسة .

٤- رفض صكوك الغفران، والعقيدة التي قامت عليها، وهي وجود فضائل للقديسين يستعان بها على إنقاذ الأرواح من المطهر .

٥- هاجم الباباوات وصب عليهم جام غضبه، واستغل في ذلك ما حدث بينهم من الانقسام والاقتتال الذي يجلل بالعار.

٦- هاجم أخلاق رجال الدين وسَخِر من أعمالهم بل طالب بمحاكمتهم أمام المحاكم المدنية غير الدينية.

٧- أنكر الاعتراف السري أمام القس، وطالب بالاعتراف الاختياري العام، الذي يفضله النصارى.

٨- التشكيك في صحة العشاء الرباني وإنكار الاستحالة.

٩- الكتاب المقدس – كما يرى – لا يأتيه الباطل من بين يديه، بخلاف تقاليد الكنيسة وعقائدها المعرَّضة للخطأ.

١٠- عقيدة التجسد، وهو يؤمن بها على الوجه الذي تؤمن به الكنيسة .

هذه أهم المباديء التي دعى إليها ويكلف، وهي في الحقيقة تكاد تكون رد فعل للمخازي الكبيرة التي ارتكبتها الكنيسة البابوية، بسبب سلطانها المزعوم، ولذلك فإنَّ هذه الأفكار والمباديء ترتكز على ركيزتين أساسيتين:

الأولى: نزع سلطة البابا، ورجال الدين، ولاسيما السلطة الروحية، والسياسية، والمالية .

الثانية: إعادة هذه السلطة إلى كتابهم المقدس، مصدراً وحيداً معترفاً به لكل هذه السلطات .

٢- يوحنا هوس:

يعتبر التشيكيون يوحنا هوس رائد قوميتهم الذي أراد تطهير الكنيسة من شوائبها، وقد ولد في قريةٍ صغيرةٍ تُدْعى هاسنتز على الحدود البارافية عام ١٣٦٩م، وعندما مات أستاذه ويكلف كان عمره خمس عشرة سنة، ثم أرسله أبواه إلى مدينة براغ لكي يدرس اللاهوت، ويستعد للخدمة في الكنيسة، وترقى في مدارج الجامعة حتى صار "أب اعتراف" الملكة صوفي، وتعين واعظاً في كنيسة الجامعة التي تُسمَّى "بيت لحم"، وبعد أن اشترك في نزاع قام في الجامعة حول امتيازات الطلبة جاءت مقاومته للبابا غريغوري الثاني عشر(١)، فأصدر رئيس أساقفة بوهيما أمراً بتجريم هوس، ولكنَّه استمر في إلقاء مواعظه اليومية، ثمَّ قام نزاعٌ آخر مع باعة صكوك الغفران الذين تعرضوا لإهانات واعتداءات فتدخلت السلطة، واتهمت هوس بأنَّه المحرك لهذه القضية، وصدرت الأوامر بطلب مثوله أمام محكمة الفاتيكان، فلم يستجب، فأعلن الفاتيكان بأنّه قد أصبح تحت طائلة الحرمان، ثمَّ اتهم أيضاً بالهرطقة، وأنَّ تعاليمه مشابهة لتعاليم ويكلف، وكانت التهم المنسوبة إليه تعود إلى قضيتين:

---

(١) غريغوري الثاني عشر: هو أنجيلو كورير من البندقية تولى البابوية في الفترة (١٤٠٦-١٤١٥م)، وفي فترة بابويته اجتمع للكنيسة ثلاثة باباوات . انظر معجم الباباوات، خوان داثيو، ص: ١٦١ .

الأولى: قوله إنَّ تعاليم روما مضلة، حيث أنكر التعليم البابوي الخاص بالخلاص، وبالأعمال والطرق الكثيرة التي فرضتها الكنيسة .

والثانية: نظام البابوية الإكليريكي، ومساوئه الشنيعة، التي شهَّر بها هوس تشهيراً بليغاً، وبعد سلسلةٍ من المحاكمات أُمر بإعدامه عام ١٤١٥م، فرُبط في عمود ووضعت الأخشاب حول ذلك العمود، ثمَّ أشعلت النار حتى مات حرقاً، ثمَّ جمعوا رماده، وألقوا به في بحيرة مجاورة[١] .

أهم المباديء التي دعا إليها هوس:

هوس تلميذ ويكلف، وقد دعا إلى أفكار أستاذه، وإن لم يوافقه على كل آراءه، وكان من أهم الآراء التي نادى بها:

١- رأى أنَّ الكنيسة الحقيقية هي جماعة المختارين وليست تلك المنظمة الكنسية.

٢- مجمل أفكاره تدعو إلى تغيير مباديء الكنيسة الخاطئة في نظره.

٣- كان يدعو إلى الرجوع إلى الإنجيل وحده دون غيره بوصفه مصدراً للديانة النصرانية.

٤- لا واسطة بين الإنسان والرب إلا عن طريق الإيمان .

٥- بقيت أفكاره ذات تأثيرٍ بعد موته، فقد أعلن التشيكيون الذين ظهرت فيهم دعوته عن رفضهم للخضوع للبابا، ومن أجله قاوم الشعب والأشراف بالسلاح ملكهم الإمبراطور "سيجسموند" لأنَّهم رأوا فيه جلاد هوس، وقامت من أجله ثورة

---

(١) انظر لترجمته وآراءه: مختصر تاريخ الكنيسة، أندروملر، ص:٤٠٢-٣٠٧، الدليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، جان كمبي، ص:٢١٥، تاريخ الكنيسة المفصل، مقالة بعنوان الإنفصالات، ص: ٢٩٩- ٣٠٠، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دكتور عبدالفتاح أبو علية، ودكتور أحمد اسماعيل ياغي .

الهوسية التي أدت إلى الانشقاق عام ١٥٢٠م .

والحركة التي قادها هوس أعطت حركة البروتستانت بعداً زمنياً ومكانياً أكبر، حيث أصبحت أوربا أكثر تهيئة للقبول بحركةٍ كبرى تتسم بالانفصال التام عن الكنيسة البابوية، وهو ما حدث بالفعل بعد ذلك على يد البروتستانت الكبار، وقد ظهر بعدهم دعاة آخرون، ولكنَّهم كانوا أقل تأثيراً منهم، ومن أبرزهم:

٣- حنا روخلن(روكلن):

ظهر روكلن في ألمانيا، وعاش في الفترة بين عامي ١٤٥٥ و ١٥٢٢م، وقد استعان باللغة العبرية في تفسير العهد القديم، وأحدثت كتاباته ضجةً كبيرةً في أنحاء أوربا عامةً وألمانيا خاصة، ولاسيما في أوساط المثقفين مما جعل كثيراً من رجال الدين ينخرطون في حركته التي تدعو إلى ضرورة تغيير أوضاع الكنيسة مما شابها من البدع والخرافات، واستطاع أن يشكل جبهةً جديدةً تدعو إلى التغيير ومعاداة الكنيسة البابوية، ولكنَّها هذه المرة في ألمانيا، التي أصبحت بعد ذلك أكبر مركزٍ للبروتستانت في أوربا كلها[1] .

٤- إرازمس:

ولد إرازمس في روتردام سنة ١٤٦٥م، ودرس في جامعة باريس، ثم رُسم كاهناً عام ١٤٩٢م، وزار إنجلترا عدة مرات، وعين في آخرها أستاذاً للغة اليونانية في جامعة كامبردج، وقد أعد نسخةً تحليليةً لما يُسمَّى بالكتاب المقدس باللغة اليونانية، وظهرت في بازل عام ١٥١٦م، قبل حركة البروتستانت الكبرى على يد مارتن لوثر بسنةٍ واحدة، وكانت هذه النسخة مصحوبة بترجمةٍ لاتينيةٍ وفيها تصحيح لأخطاء

---

(١) انظر: تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د.عبدالفتاح أبو علية، د.إسماعيل ياغي، ص:٢٧-٢٨، والتاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.عبدالحميد البطريق و د. عبدالعزيز نوار، ص:٨٩ .

الترجمة اللاتينية الرسمية لدى الكنيسة الكاثوليكية، فأحدثت هذه النسخة مع ترجمتها هزةً عنيفةً في أوربا كلها، حيث أصبحت تنظر إلى نسخة البابوية بعين الارتياب، وقد أسهم إرازمس في تخليص الفكر الأوربي من سيطرة رجال الدين الكاثوليكي، وتوفي إرازمس عام ١٥٣٦م، وقد ساهم بشكل كبير في دفع عجلة البروتستانت في أوربا[١].

وبهذا يتبين لنا أن حركة البروتستانت قد تأسست بالفعل في كلٍ من إنجلترا، وبوهيما، وألمانيا، ومناطق أوربا التي تنقل فيها إرازمس، فشملت بذلك رقعةً كبيرةً من القارة الأوربية، ممهدةً السبيل إلى الحركات الانفصالية الكبرى التي ظهرت فيما بعد.

حركة البروتستانت في القرن السادس عشر:

ظهر في القرن السادس عشر أكبر زعماء البروتستانت وتم فيه انفصال الكنائس البروتستانتية عن الكنيسة الكاثوليكية، حتى أصبحت الكنيسة البروتستانتية تحتل مساحةً غير قليلةٍ من القارة الأوربية، وأصبحت الديانة الرسمية لبعض الدول الأوربية، وفيما يأتي سأتحدث عن أشهر دعاة البروتستانت في هذا القرن.

١ - مارتن لوثر:

ولد مارتن لوثر في إيسليبن الألمانية، وفي الثامنة عشرة أرسله أبوه إلى الجامعة في إرفورت التي تهتم بتدريس الفلسفة واللاهوت، وكان من أساتذتها أوكهام، الذي كان من آراءه التي يدرسها أنَّ الباباوات والمجالس الدينية يمكن أن تخطيء، وفي عام ١٥٠٥م حصل على درجة الماجستير في الآداب، وفي نفس السنة انضم إلى دير نساك القديس أوغسطين في إيرفورت، وبعد أن قضى سنة في ذلك الدير ورُسم كاهناً، وقرأ في هذه الفترة لجون هوس والقسيس جوهان فون شتاوبتز وهو من الرهبان

---

(١) انظر مختصر تاريخ الكنيسة، أندروملر، ص: (٤٢٢-٤٢٤)، وتاريخ أوربا الحديث والمعاصر،د. عبدالفتاح أبو علية، ود. إسماعيل ياغي، ص: (٨٥-٨٦).

الأوغسطينيين، الذين دعوه أن يستبدل بالتقشف قراءة الكتاب المقدس، وتعاليم أوغسطين بكل عناية، فحصل على نسخةٍ مما يُسمَّى بالكتاب المقدس باللغة اللاتينية، ويقال إنه في هذه الفترة اهتدى إلى أنَّ الخلاص لا يكون إلا بالإيمان بالمسيح، لا بالأعمال التي كانت الكنيسة تأمر بها كحضور القداس وتكرار الصلوات، وزيارة الأماكن المقدسة عندهم، وقد اهتدى إلى هذه الحقيقة عندما عثر على النص الذي ورد في رسالة بولس إلى أهل رومة: «إن الإنسان يبرر بالإيمان بمعزل عن أعمال الشريعة»(1)،ثمَّ انتقل بعد ذلك إلى جامعة فيتنبرج وترقى إلى درجة دكتور في اللاهوت، وكان يقوم بتدريس ما يسمى بالكتاب المقدس، وفي عام ١٥١٠م قام مع راهبٍ آخر بزيارةٍ لروما في مهمة قيل إنَّ سببها نزاع حدث بين رئيس الرهبان العام وبعض الأديرة فاختير لوثر لعرض ذلك على البابا، وفي هذه الزيارة التي قام بها شاهد بنفسه ما حل بالكنيسة البابوية من فساد رجال الدين، وحتى أصحاب البلاط البابوي نفسه وتعلقهم بالدنيا مع الانحلال الخلقي، الذي أصبح شائعاً في "المدينة المقدسة"، وعندما عاد إلى فيتنبرج نُصب نائباً للأسقف في طائفته، وفي الفترة من ١٥١٢-١٥١٧م بدأت آراؤه تتحول ببطء عن مذهب الكنيسة الكاثوليكية الرسمية(2) .

وكانت القضية الكبرى التي أشعلت نار الثورة البروتستانتية هي ما يتعلق بصكوك الغفران، وذلك عندما أرسل البابا مندوباً لجمع الضرائب من ألمانيا فقام لوثر ثائراً ضد هذه المهزلة، وكتب خمساً وتسعين قضية عارض بها تلك الصكوك، ثم علقها على باب الكنيسة، ودعا من شاء إلى مناقشتها، ولم يطل الأمر حتى جاء خطاب البابا قاضياً بتفنيد آراء لوثر، واعتبارها بدعاً مضلة، وإحراق كتبه وتحريم قراءتها، أمَّا لوثر نفسه فقد أُعطي ستين يوماً ليتراجع عن أفكاره أو يمثل للمحاكمة أمام البابا الروماني، ولكنَّه أعلن عصيانه للبابا وأحرق خطابه أمام الملأ، ولكنَّ حاكم مقاطعة

---

(١) الرسالة إلى أهل رومة: (٣/ ٢٨) .

(٢) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت:(٢٤/ ١٠-١٥) .

سكسونيا قام بحمايته وأرسله إلى قلعة فارتبورج، وتمكن في هذه الفترة الآمنة من القيام بأهم أعماله، وهو ترجمة الإنجيل إلى الألمانية وكتابة الكثير من المقالات والنشرات – التي سأتحدث عنها فيما بعد – .

وبعد هذه الضجة الكبيرة التي حدثت في المجتمع الألماني بسبب هذه الأحداث بدأت التغييرات العملية، ويقال إنَّ الذي تولى ذلك وباشر تحقيق برنامج التغيير عملياً هو الكاهن أندره كارلشتات الذي عاش في الفترة بين(١٤٨٠ – ١٥٤١م)، وقد كان معلم لوثر وزميله في جامعة فيتنبرج، وكان اهتمام لوثر في هذا الوقت ينصب على دراسة مسائل اللاهوت وانتقاد الكنيسة البابوية .

أهم أعمال كارلشتات:

١ – أعلن زواج الكهنة إلزامياً، وتزوج هو علناً .

٢ – أخذ يناول تحت الشكلين معتبراً أن المناولة تحت الشكل الواحد خطيئة(١) .

٣– ألغى القداس الكاثوليكي، واستبدله بالإنجيلي الذي يتضمن موعظةً بسيطة.

٤ – هجم هو ومجموعةٌ من أتباعه على الكنائس وقاموا بتدمير التماثيل التي بها.

٥ – أصدر نظام مدينة فيتنبرج الذي أنشأ الاحتفال بالعشاء السري على الشكل الإنجيلي (التناول على الشكلين) .

٦– حرم التسول والبغاء .

٧– في عام ١٥٢٧م تخلى الأساقفة الكاثوليك عن العمل في الكنائس الإنجيلية، وفي تلك الأثناء ألف لوثر كتابيه التعليم المسيحي الكبير لاستعمال الرعاة، والتعليم

---

(١) المناولة تحت الشكلين: يُقصد بها أن يقوم الكاهن بإعطاء أتباعه الخبز مع كأس الخمر، والمناولة تحت الشكل الواحد يكتفي فيها بإعطاء الخبز فقط، وهو التقليد الرسمي للكنيسة الكاثوليكية .

المسيحي الصغير لاستعمال الأتباع.

وبما سبق استطاع لوثر وبمساعدة كارلشتات أن يؤسس نظاماً كنسياً جديداً ألغيت فيه الممارسات الكاثوليكية، من قداس، وصلاة المساء، وزيارة الأماكن المقدسة.

وفي سنة ١٥٣٠م رفض الأساقفة الكاثوليك أن يزودوا الجماعات الإنجيلية بكهنة، فأخذ لوثر يرسم الرعاة، بوضع يده عليهم.

وبهذه الأعمال استقلت الكنائس الإنجيلية، وتوفي رائدها عام ١٥٤٦م[1].

أهم مؤلفات لوثر:

بعد أن أعلن لوثر أنه لا يؤمن بعصمة البابا والمجامع عن الخطأ صدر في حقه مرسومٌ من البابا أطلق عليه مرسوم "البراءة"، وقد جاء فيه: «انهض يا رب! انتصر لقضيتك على الثعالب الضاربة التي تسعى لتدمير كرمك، وعلى الخنزير الذي يريد إتلافها»، ثم شجبت إحدى وأربعين قضية، مما أدلى بها لوثر، فكان رد لوثر على ذلك بتأليف ثلاثة كتب شكلت البرنامج الإصلاحي الذي قام به، وهذه الكتب هي:

١- نداء إلى الأشراف المسيحيين في الأمة الألمانية:

في هذا الكتاب عرض على العلمانيين تولِّي زمام تغيير الكنيسة، بما أنَّ البابا ورجال الدين لم يحققوه، وهذا الكتاب كان بمثابة الوقود الذي أشعل النعرة القومية لدى الألمان التي دفعت الأشراف خاصة إلى تبني مبدأ تغيير الكنيسة.

٢- جلاء الكنيسة إلى بابل:

وهو مؤلَّفٌ جدليٌّ، وفكرته أنَّ الإنجيل الذي يمثل الإيمان المسيحي الأصيل هو

---

(١) انظر تاريخ الكنيسة المفصل، مقالة بعنوان لوثر والإصلاح، دانيال أولفييه: (٣/ ٢٤-٢٨)، والمؤلف من معهد الدراسات المسكونية أهالي باريس.

سجين روما، التي يشبهها المؤلف ببابل التي أجلي إليها اليهود، وهو أسير الاختلافات الكثيرة كاختلافات الأسرار السبعة، والتي لم يثبت منها لوثر إلا العماد وسر العشاء الرباني.

٣- مقالة في الحرية السياسية:

وهو مؤلَّفٌ روحيٌّ يبين كيف أنَّ الإيمان يحرر المسيحي من الشريعة، ويجعله متأهبا لخدمة الآخرين(١).

وقد أحرزت هذه المؤلفات نجاحاً كبيراً وانتشاراً واسعاً حتى قيل أنه قد بيعت ٤٠٠٠ نسخة من كتاب نداء إلى الأشراف في أسبوعٍ واحد .

مباديء لوثر:

تميز لوثر عن المصلحين السابقين بأنَّ دعوته قد تجاوزت الإطار النقدي النظري إلى الجانب الواقعي، ففي دعوته تحقق الاستقلال الحقيقي عن الكنائس الكاثوليكية، ومن أهم المباديء التي دعا إليها لوثر ما يأتي:

١- طريق الخلاص بالإيمان المطلق بالمسيح، وبتكفيره عن خطايا البشر لا بالأعمال الصالحة التي تفرضها الكنيسة .

٢- أنَّ السلطة المطلقة ليست إلا لما يسمى بالكتاب المقدس.

٣- رفض مبدأ التوسط بين الخالق والمخلوق.

٤- مهاجمة البابا ورجال الدين.

وقد حازت مهاجمة البابا ورجال الدين مساحةً كبيرةً من انتقادات لوثر، وهذا أكثر ما جلب عليه غضب رجال الكنيسة الكاثوليكية – كما سيأتي .

٥- رفض العقائد والشرائع البابوية.

---

(١) انظر المصدر السابق، ص:٣٢، وقصة الحضارة، ول ديورانت: (٢٤/ ٢٨) .

بعد أن قرر لوثر المباديء الأساسية لحركته، وبعد مهاجمة البابا، شرع في نقد العقائد التي ابتدعتها عقول رجال الكنيسة البابوية على التفصيل، وسوف نتحدث عن ذلك عند نقد الإضافات البابوية.

٢- زونجلي:

ولد زونجلي أو (زونكلي) عام ١٤٨٤م، في قرية فيلد هاوس التي تقع جنوب شرق مدينة زويوريخ في مقاطعة سانت جولد الحالية، ودرس في كل من بازل، وبرن، وفينَّا، وعندما بلغ الثامنة عشرة درس في جامعة بال التي كانت في ذلك العصر مركز الفكر والثقافة وتعلم فيها على يد توماس فيتناخ الذي اشتهر بمهاجمة الكنيسة وانتقاد صكوك الغفران وعزوبة رجال الدين، ثم رُسم كاهناً في أبرشية جلاروس وفيها واصل دراساته وتعلم اللغة اليونانية(١)، وفي عام ١٤١٦م انتقل إلى أبرشية أنيزدلن بمقاطعة شفتيز، ومن ذلك الوقت صبغت مواعظه بالصبغة البروتستانتية حيث نادى عام ١٤١٧م باعتناق دين يعتمد على الكتاب المقدس فحسب.

أعمال زونجلي:

منذ أن أعلن زونجلي دعوته إلى تغيير أوضاع الكنيسة قام بأعمال كثيرة، وكان من أهم هذه ما يأتي:

١- مهاجمة بيع صكوك الغفران.

٢- تحريض الرهبان على أن يرفعوا من المزار الذي أقيم للعذراء النقش الذي فيه وعد للحجاج والزائرين بالغفران الكامل مع العفو من العقاب.

٣- في عام ١٥١٨م عُين قسيساً في الكنيسة الكبرى في زيوريخ، ومنذ ذلك

---

(١) انظر مختصر تاريخ الكنيسة، أندروملر، ص:٥٠٧، قصة الحضارة، ويل ديورانت:(٢٤/ ١١٢-١١٤)، تاريخ الكنيسة المفصل، مقال ل ف. بوليه: (٣/ ٧٣). وصاحب المقال أستاذ فخري للمركز الوطني بفرنسا.

الوقت كان يقوم بمواعظه الحماسية، واستجاب له الكثير وأيده رؤساؤه من رجال الدين .

٤- ألف كتاباً بعنوان "بداية ونهاية"، وتنبأ فيه بثورةٍ عالميةٍ ضد الكنيسة الكاثوليكية.

٥- التمس هو وعشرة من القساوسة أن يضعوا حداً لفجور رجال الدين، وأن يسمحوا بزواج رجال الكهنوت .

٦- عندما عُقد مجلس زيوريخ الكبير عرض زونجلي آراؤه في هذا المجلس، ومع أنَّ الأسقف العام لأبرشية كونستانس رفضها إلا أنَّه اعتبر هذا الرفض لا قيمة له لأنَّ الكتاب المقدس أصبح في متناول الجميع، وهم يستطيعوا أن يحكموا على مدى صحة هذه الآراء، فوافق المجلس على آرائه، وأمر رجال الكهنوت أن تكون جميع مواعظهم بحسب الكتاب المقدس، ومن هذا الوقت تولت الدولة أمر الكنيسة .

٧- بعد أن ضمنت الدولة رواتب القساوسة قبل معظمهم الأمر الذي أوجبه المجلس وتزوج الكثير منهم، وتعمدوا باللغة الدارجة، وأغفلوا القداس، وتخلوا عن تقديس الصور، وبدأ عصبة من المتحمسين بإتلاف الصور والتماثيل في كنائس زيوريخ، ومن هذا الوقت رفعت آلات اللهو وخرج الرهبان والراهبات من أديارهم لعقد زواجهم، وألغيت أعياد القدِّيسين، واختفت طقوس الحج والقداسات التي كانت تقام للموتى.

٨- أصبحت الكنيسة والدولة منظمةً واحدة، وأصبح الإنجيل المصدر الأول للحكم، وقد قام زونجلي بترجمة واحدٍ وعشرين سفراً من العهد القديم إضافة إلى شرح القضايا السبع والستين، ورسالتي الدين الصحيح والدين الخاطيء[1] .

---

(١) انظر مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص: (٥٢١-٥٢٨)، قصة الحضارة، ول ديورانت: (٢٤/ ١١٦-١٢١)، تاريخ الكنيسة المفصل، مقالة للمؤلف ج . ف . يوليه: (٣/ ٧٣) .

أهم آراء زونجلي وأقواله:

تشكل آراء زونجلي المباديء التي قامت عليها حركة البروتستانت في سويسرا، وهي لا تختلف كثيراً عن آراء السابقين له، ومن أهمها ما يأتي:

١ - الإنجيل دستور الإيمان الوحيد،والزعم بتوقفه على موافقة الكنيسة زعم خاطيء.

٢ - إلغاء سلطة الكنيسة الروحية المتمثلة في البابا على أساس أنَّ المسيح رأس الكنيسة الوحيد، والكاهن الأعظم الخالد، والذين يزعمون أنهَّم كهنةٌ عظام يعارضون في الحقيقة شرف المسيح وجلاله .

٣ - أنَّ المسيح قام بالتضحية الكافية والدائمة للتكفير عن خطايا كل (المؤمنين)، وعليه؛ فإن القداس ليس تضحيةً وإنما تذكرةٌ للتضحية الوحيدة على الصليب.

٤ - النصارى غير مكلفين بأي أعمالٍ لم يأمر بها المسيح عليه السلام .

٥ - وسائل التكفير والغفرانات التي تفرض على الناس من اختراع التقاليد البشرية، ولا قيمة لها في الحصول على الخلاص، والله وحده هو الذي يغفر الخطايا .

٦ - بناء على اعتماده على الكتاب المقدس بوصفه مصدراً وحيداً فقد أنكر زونجلي كثيراً من الفرائض التي فرضها رجال الدين على أتباعهم، ومن أهمها:

أ - عقيدة المطهر .

ب - تحريم زواج الكهنة .

ج - تقديس الصور والتماثيل .

د - الأسرار السبعة، عدا التعميد والعشاء الرباني[(١)] .

هذه أهم ما يتعلق بآراء زونجلي ونلاحظ فيه التشابه الكبير مع آراء لوثر،

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، أندروملر، ص: (٥٢١-٥٢٨).

ونتقل إلى شخصٍ آخر .

٣- كالفن:

ولد في بلدة نويون من مقاطعة بيكاردي الفرنسية عام ١٥.٩، وفي سن الرابعة عشرة أُرسل إلى كلية دي لا مارش في جامعة باريس، ودرس اللغة اللاتينية حتى برع فيها، ثمَّ انتقل إلى كلية دي مونتج الخاصة بتعليم الكهنة، وأصبح قسيساً لكنيسة لاجزين التي تقع في ضاحية المدينة، وفي عام ١٥٢٨م وجهه أبوه إلى دراسة القانون في أدريليانز وفي بورج، وبعد ذلك عاد إلى باريس وشرع في دراسة اللغة اليونانية والعبرية والسريانية لكي يستطيع أن يفهم العهد الجديد بطريقة أدق .

وفي عام ١٥٣٣م وفي يوم العيد الذي يُسمَّى عيد القديسين اتهُم بأنَّه الذي وضع الخطاب الافتتاحي الذي ألقاه رئيس جامعة السربون الشهيرة، والذي اتسم بطابع الرغبة في تغيير وضع الكنيسة فهرب إلى أنغوليم، واستقبله القس لويس دي تيليه في بيته حيث مكث في مكتبته الغنية بالكتب مدة من الزمن، وبسبب خوفه على حياته انتقل إلى مدينة بازل التي كانت ملجأ الفرنسيين في ذلك الوقت، وفيها صرف جل وقته لتحرير أهم كتبه وهو كتاب "الأسس المسيحية"، أو "المباديء المسيحية"، الذي صدر عام ١٥٣٦م باللغة اللاتينية، وسبقه مقالٌ بعنوان: "رسالة إلى الملك"، ويعتبر كتاب المباديء المسيحية أول كتاب صدر لحركة البروتستانت في فرنسا، وبعد ذلك انتقل إلى جنيف وعُين بها راعياً وأستاذاً، فقام بوضع خطة للتعليم والسلوك، وألف في ذلك كتاباً بعنوان التعليم "المستخدم في كنيسة جنيف"، ثمَّ ألزم سكان جنيف بقبول تعاليمه، وبدأ يحرض الشعب على أن ينبذوا البابوية، ويقسموا على انتهاج الخطة المرسومة التي وضعها لهم في التعليم والسلوك، فنشأت الاضطرابات والانقسامات، التي تحولت إلى معارضة اضطر كالفن على إثرها إلى الانتقال إلى ستراسبورغ، وفيها عُين أستاذاً للاهوت وراعياً للفرنسيين اللاجئين، وأعدَّ طبعةً ثانية، وطبعةً فرنسية لكتاب أسس المسيحية، ووضع شرحاً للرسالة إلى أهل رومية،

ومقالةً وجيزةً فيما يُسمّى بالعشاء المقدس، وجواباً إلى الكاردينال سادواليه الذي دعا سكان جنيف للعودة للكنيسة الكاثوليكية[١].

ويُقال إنَّ سكان جنيف ألحوا عليه في العودة إليها مرة أخرى عام ١٥٤١م، وبقي بها وأصبحت جنيف مركزاً لحركة البروتستانت، حيث تشكل مجلس الأعيان، وتولى كالفن رئاسته، وانتشرت عن طريقه مباديء الحركة في سائر أرجاء سويسرا، ومن ثم بقية الممالك الأوربية[٢].

أهم آراء كالفن ما يأتي:

١- الكتاب المقدس هو المرجع الأخير لا في الدين والأخلاق فحسب بل في التاريخ والسياسة وفي كل شيء.

٢- أنَّ ابن الرب الذي ضحى بنفسه في سبيل البشرية هو الذي يستطيع أن يحقق الخلاص للبشر، ولكنَّ رحمة الله اختارت بعض البشر للظفر بالنجاة، وهم الذين وهبهم الله إيماناً راسخاً بتكفير المسيح عن ذنوبهم، وقد فسرها بقوله: إنَّ الرب قرر بمشيئة حرة، وقبل وقت طويل من منا يكتب له النجاة ومن يعذب في نار جهنم، وخطورة هذه العقيدة تكمن أنهَّا تلغي أي أثرٍ للأعمال، أو دورٍ فيما يسمى عندهم بعملية التبرير من الخطيئة[٣].

٣- أنكر الأسرار المقدسة عدا التعميد والعشاء الرباني، وهي في نظره تثبيت لوعد الله وسند للإيمان في ساعة الاضطراب، وأمَّا رأيه في حضور المسيح في ما يُسمَّى بالعشاء المقدس فإنَّه يرى أنَّه حاضرٌ حقاً، ولكن بواسطة الروح القدس؛ لأنَّه من المستحيل أن يكون جسد المسيح في آنٍ واحد في السماء وفي عدة أماكن أرضية.

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، أندروملر، ص:٦٢٣.

(٢) قصة الحضارة: (٢٤/ ٢١٢).

(٣) تاريخ الكنيسة المفصل، مجموعة من المؤلفين: (٣/ ٨٠).

٥- الدولة والكنيسة مقدستان وقد خلقهما الله ليعملان في انسجام كامل كالروح والجسد، وعلى الكنيسة أن تضع القواعد التي تنظم كل التفاصيل الخاصة بالعقيدة والعبادة والأخلاق، وعلى الدولة أن تدعم هذه القواعد .

٦- أنكر جميع ادعاءات البابا بسيادة الكنيسة على الدولة، وفي نفس الوقت طالب بها لنفسه .

خلاصة:

يتضح مما سبق اشتراك دعاة حركة البروتستانت في أصول حركتهم ، وهي:

١- سيادة الكتاب المقدس.

٢- الخلاص لا يكون بالأعمال، وإنَّما بالإيمان بالمسيح (الفادي) في نظرهم .

٣- إنكار سلطات البابا، وجميع ما فرضه على الأتباع مما لم يرد في كتابهم المقدس.

٤- إنكار الأسرار المقدسة، عدا المعمودية والعشاء الرباني .

المبحث الثاني: أصول البروتستانت الفكرية

خرجت الحركة البروتستانتية من رحم الكنيسة الكاثوليكية، وكانت تهدف في الأصل إلى القضاء على مفاسد الكنيسة، والحد من السلطان البابوي، ولكنها مع مرور الوقت ونمو الحركة التدريجي أصبحت تتبنى أفكاراً عامةً أصبحت فيما بعد أصولاً فكريةً عامةً تتفق عليها جميع طوائفها، وتتبناها في الدعوة إلى مذهبها، وتنتقد بناءاً عليها الكنيسة الكاثوليكية، ومن أهم الأصول التي اتفقت عليها ما يأتي:

١- الكتاب المقدس عندهم وحده مصدراً للدين.

٢- التبرير يكون بالإيمان بالمسيح فقط.

٣- الرئاسة الحقيقية في الكنيسة هي للمسيح نفسه (الرئاسة العامة)

وسأتحدث عن هذه الأصول الثلاثة في المطالب التالية:

الأصل الأول: الكتاب المقدس عندهم وحده مصدراً للدين:

يحتل ما يُسمَّى بالكتاب المقدس أهميةً كبرى لدى الطائفة البروتستانتية، تفوق اهتمام بقية الطوائف به، حيث يعتقدون أنه «بعهديه القديم والجديد هو كلمة الله المكتوبة الموحى بها بالروح القدس، وهو المصدر الوحيد الكافي لكل ما يتعلق بالإيمان والحياة والعقيدة والنظام الكنسي، والمرشد إلى الخلاص» [(١)].

وجاء في دستور الكنيسة الإنجيلية عن الكتاب المقدس (كلمة الله) بأنه: «نصٌّ مؤتمنٌ للإعلان الذي أعلنه الله عن ذاته بمقتضى نعمته، وهي تشهد للمسيح، وأنها قانونٌ معصومٌ للإيمان والأعمال، وهي المرجع الأعلى ذو السلطان للحق الإلهي الروحي»[(٢)].

---

(١) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، القس د.عيسى دياب، ص:١٨.

(٢) دستور الكنيسة الانجيلية بمصر، الدكتور القس أندريه زكي أسطفانوس، ص:٣١.

وهذا الأصل هو أهم الأصول الفكرية لدى البروتستانت، حيث يرفعون شعار (scripturasola) أي: (الكتاب المقدس وحده)، وإليه ترجع بقية الأصول في الحقيقة، وهم يجعلونه قاعدة الإيمان والتقوى والمرجع الأعلى والحكم النهائي في أي جدلٍ لاهوتي[1]، ولذلك استند عليه جميع البروتستانت في احتجاجهم على الكنيسة الكاثوليكية، وعلى أساسه رفضوا الكثير من إضافات الكنيسة الرومانية بدعوى أنها تخالف ما جاء فيه، أو لا يوجد لها أصلٌ فيه، ولذا حاز هذا الأصل على النصيب الأكبر من الاهتمام في كتابات دعاة البروتستانت ومن ذلك:

١- يوحنا ويكلف:

يعتبر ويكلف أن سلطة الكتاب المقدس فوق كل سلطة، حيث يقول: «لا شيء يجب الإيمان به مالم يكن مؤسساً على هذا الكتاب، ولا يجب إضافة شيءٍ إلى تعليمه... هذا الكتاب هو الحق الكامل الذي يجب أن يدرسه كل مسيحي، هو مقياس ونموذج كل المنطق، إن الأسفار المقدسة نعم نعم، ولا لا إنها لا تتغير أبدا كلمة الله تبقى إلى الأبد»[2].

٢- لوثر:

كان إرجاع الناس إلى ما يُسمَّى بالكتاب المقدس هو الفكرة الرئيسية التي تبناها لوثر، ومما يدل على تمسكه بهذا الأصل قوله، كما نقل عنه ديورانت: «فإنَّ ضميري أسير لكلمة الله»[3].

وهذا المبدأ يهدف إلى انتزاع سلطات البابا وردها إلى ما يُسمَّى بالكتاب المقدس، وقد دافع لوثر عنه باعتباره صحيحاً بحذافيره وحرفياً، وتطبيق هذا المبدأ

---

(١) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية،ص: ١٦٤.

(٢) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر: (٤/ ٥٤).

(٣) قصة الحضارة: (٢٤/ ٤٢).

عملياً يعني إلغاء العقائد والشرائع والطقوس البابوية؛ لأنها لم ترد في الكتاب المقدس، مثل عقيدة المطهر، وصكوك الغفران، والأسرار السبعة عدا المعمودية والعشاء .

٣- زوينجلي:

كان تقديم الأسفار المقدسة هو المبدأ الأساسي عند زوينجلي رائد الحركة البروتستانتية في سويسرا، حيث قال في هذا السياق: «الكتاب المقدس يجب أن يكون القائد والمعلم... أخيرا وصلت إلى حيث لا أثق في أي كلماتٍ بقدر ثقتي في الكلمات التي انبعثت من الكتاب المقدس»[١] .

٤- كالفن:

يعتبر الكتاب المقدس أساس الفكر اللاهوتي عند كالفن حيث قال: «إن الذي استطاع اللاهوتي أن يقوله بنفسه عن الله كان عبثاً باطلاً، عليه أن يترك نفسه لإرشاد الله نفسه في الكتاب المقدس، لا أحد يحصل على أقل درجات الفهم للعقيدة الصحيحة المؤدي للخلاص ما لم يصبح أولاً تلميذاً للكتاب المقدس... وإذا اتخذنا الكتاب المقدس وحده تكون رسالته الأساسية واضحةً لا غموض فيها»[٢].

وأما سبب اهتمام البروتستانت بهذا الأصل، فلأنهم يرون أنه الطريق الصحيح والوحيد لتمجيد الله، وقد جاء في سؤال عن أصول الإيمان ما يلي:« ما هو القانون الذي وضعه الله ليعلمنا كيف نمجده ونتمتع به؟ وجاء الجواب: إن كلام الله المتضمَّن في الكتب المقدسة، أي العهد القديم والعهد الجديد، هو القانون الوحيد الذي به يعلمنا الله كيف نمجده ونتمتع به» [٣].

ويستدل البروتستانت على هذا الأصل بنصوص من الكتاب نفسه للدلالة على

---

(١) المصدر السابق، (٤/ ١٦٦).

(٢) تاريخ الكنيسة: (٤/ ٢٥١).

(٣) شرح أصول الإيمان الدكتور القس أندراوس واطسون، الدكتور القس إبراهيم سعيد، ص: ١٢.

ذلك، ومنها:

١ - «إلى الشريعة وإلى الشهادة، إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر»(١).

٢ - «ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم، فليكن أناثيما، كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضا: إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما»(٢).

٣- «لأني أشهد لكل من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب: إن كان أحدٌ يزيد على هذا، يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب، وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب»(٣).

ولما كان الكتاب المقدس هو المعيار الأساسي الذي يرجع إليه كل شيءٍ قبولاً أو رفضاً أخضعوا له كل ما عداه من المصادر الأخرى، ومن أهمها المصادر التي تؤمن بها الطوائف الأخرى، وهي ما يُسمَّى بالتقليد والمجامع المقدسة.

موقف البروتستانت من التقليد والمجامع المقدسة:

التقليد هو: «كل تعليمٍ وصل إلينا عن طريق التسليم الرسولي والآبائي، غير الكلام الذي تحرر لنا كتابة في الكتاب المقدس، في موضوعاتٍ ربما لم تذكر في الكتاب، ولكنها لا تتعارض معه في شيءٍ ما»(٤).

والتقليد أحد المصادر الأساسية عند الطائفتين الكبيرتين الكاثوليك والأرثوذكس، بل هو جزءٌ من تعليم الرسل، ومكملٌ لوحي الكتاب المقدس عندهم،

---

(١) أشعيا: (٨/ ٢٠).

(٢) الرسالة إلى أهل غلاطية: (١/ ٨-١٠).

(٣) رؤيا يوحنا: (٢٢/ ١٨-١٩).

(٤) المصدر نفسه: (٢٢/ ١٨-١٩).

وهم يحتجون به كما يحتجون بالكتاب المقدس[1].

ولكن البروتستانت انطلاقاً من الأصل الذي يستندون إليه، وهو "الكتاب المقدس وحده" اتخذوا موقفاً مختلفاً عن الكاثوليك والأرثوذكس.

وكان التقليد يشتمل على الكتب المقدسة، وكتابات الآباء، والقرارات المجمعية، وما تمارسه الكنيسة من عبادةٍ أو تعلِّمه من العقائد.

ولكن مع ظهور حركة البروتستانت بدأ الحديث عن الكتاب المقدس والتقليد بوصفهما وحدتين منفصلتين[2]، ويرى البروتستانت أن موقفهم من التقليد وتمييزهم له عن الكتاب المقدس كان بسبب ممارسات الكنيسة الكاثوليكية نفسها، أي أن موقفهم أشبه ما يكون بردة الفعل لما كان يمارس من التجاوزات باسم التقليد نفسه، ولم يكن أمام البروتستانت إلا الكتاب المقدس وحده للاستناد عليه في الاحتجاج على تلك التجاوزات التي تخالف ما جاء فيه، ويرون أنهم بذلك يتعاملون مع التقليد بطريقة نقدية لا سلبية، حيث لم يعترفوا بسلطةٍ تعليميةٍ وعقائديةٍ غير سلطة الكتاب المقدس، ورفضوا الاعتراف بسلطة البابا أو الآباء والمجامع، وقد صرح لوثر تصريحه الشهير في اجتماع وورنز في ١٨ نيسان ١٥١٢م، حيث قال: «إني لا أقدر أن أخضع إيماني للبابا، ولا للمجامع؛ لأنهم غلطوا مرارا، وخطَّأ بعضُهم بعضاً، فما لم يبين لي أني مخطئٌ بشهادة الكتاب المقدس، أو بالأدلة القاطعة، فإني لا أستطيع أن أرجع ولا أرجع ولن أرجع؛ لأنه يحظر على المسيحي أن يسلم أو يتكلم بما يخالف ضميره»[3].

والذي يظهر أن دعاة البروتستانت يجعلون السلطة المطلقة هي الكتاب المقدس ولا يقبلون من التقليد إلا ما وافقه، فقبولهم للتقليد ليس مطلقا، وإنما مقيداً بكونه

---

(١) انظر: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص: ٥٢، اللاهوت المقارن، البابا شنودة ص:٥٠.

(٢) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص: ١٧٥ .

(٣) المصدر نفسه، ص:١٧٦.

موافقاً للأصل الذي يؤمنون به مطلقاً وهو الكتاب المقدس، وهذا الموقف تشترك فيه الكنائس البروتستانتية الكبرى.

فقد صرحت الكونكورديا (الوثيقة الرسمية لاعتراف إيمان الكنيسة اللوثرية لسنة ١٥٧٧م) أن «كتابات الآباء واللاهوتيين لا يمكنها أن تكون بمستوى الكتاب المقدس نفسه، بل يجب أن تخضع له، وأنها لا تستطيع إلا أن تشهد في أي ظروفٍ وفي أي أمكنةٍ قد حفظت عقيدة الأنبياء والرسل سليمة، وتصرح أيضاً بأن الكتاب المقدس وحده هو مقياس الإيمان، حيث أن الكتابات العقائدية يجب أن تخضع له، وأنه ما من تقليد كنسي مناقض لتعليمه يمكن أن يُقبل به»[(١)]

إذاً فالكنيسة اللوثرية لا تأخذ من التقليد إلا ما وافق الكتاب المقدس، ولذلك فإنها من الناحية التطبيقية لا تقبل من قوانين الكنيسة إلا بثلاثة قوانين فقط، هي قانون إيمان الرسل، وقانون الإيمان النيقاوي، وقانون الإيمان الاثناسي[(٢)].

وجاء موقف الكنيسة المصلحة (الكالفينية) من التقليد قريباً من موقف الكنيسة اللوثرية، من حيث إعطاء السلطة للكتاب المقدس وحده في كل ما يتعلق بالعقيدة والإيمان، حيث ينص اعتراف الإيمان الهلفيتي الأول المُسمّى اعتراف الإيمان في جنيفا[(٣)] (١٥٣٦م)، تحت البند الأول "كلمة الله"، على التالي: «نؤكد أولاً أننا نرغب في اتباع الكتاب المقدس وحده قاعدة للإيمان والتقوى دون أن نخلط معها أي شيءٍ

---

(١) المصدر السابق، ص:١٧٧ .

(٢) انظر: أصول التعليم المسيحي (الكتاخيسمس الصغير) مارتن لوثر، ص: ١٧٨.

(٣) اعتراف الإيمان في جنيفا: بعد أن انضمت مدينة جنيفا إلى المدن السويسرية التي اعتنقت المذهب البروتستانتي دعي إليها كالفن، للمساعدة في إعادة تنظيم المدينة على الأسس الجديدة للكنيسة، فكان إسهامه مهماً في تثبيت المباديء الجديدة ؛ حيث صدرت عنه ثلاث وثائق في عام ١٥٣٦م، وهي: مباديء لنظام كنسي، وتعليم مسيحي، وقانون إيمان ملزم . انظر: كتاب العقائد للكنائس الإنجيلية المصلحة، جورج صبرا، ص: ١٣ .

آخر من بدع البشر غير المتفق عليها مع كلمة الله، ولا نقبل لإدارتنا الروحية أي تعليم لا تبلغنا إياه هذه الكلمة دون زيادةٍ أو نقصانٍ بحسب وصية الرب»[1].

وفيما يخص المجامع والقوانين الصادرة عنها، جاء في اعتراف الإيمان الاسكتلندي[2]. (١٥٦٠م) في الفصل العشرين: (في المجامع العامة وسلطتها وسبب دعوتها): «وإن كنا لا ندين بتسرع ما قد وضعه لنا أناسٌ صالحون في مجامع عامةٍ وقانونية، فإننا لا نقبل دون تمييز كل ما أعلن للبشر باسم المجامع العامة؛ لأن من الواضح أن بعض المجامع بما أنها مجامع بشر قد أخطأت في أمورٍ مهمةٍ وذات شأن، لذا فنحن نقبل ونعتنق قرارات المجمع بقدر ما يثبتها المجمع بكلمة الله الصريحة، ولكن إن قام بعضهم مدعين تحت ستار مجمع صياغة بنود إيمان جديدة أو قراراتٍ منافيةٍ لكلمة الله، فيجب أن نرفضها تماماً ونعتبرها تعاليم شيطانية تبعد نفوسنا عن صوت الإله الواحد لاتباع عقائد وتعاليم بشرية»[3].

وبهذا تبين لنا موقف البروتستانت من التقليد الكنسي.

الأصل الثاني: التبرير بالإيمان:

جاء تعريف التبرير عند البروتستانت بأنه: «فعل نعمة الله المجانية الذي به يغفر خطايانا جميعها، ويقبلنا كأبرار أمامه، وذلك لأجل مجرد بر المسيح الذي يحسب لنا

---

(١) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص: ١٧٧.

(٢) اعتراف الإيمان الاسكتلندي: في بداية مسيرة حركة البروتستانت في اسكتلندا قدمت عريضة إلى البرلمان الاسكتلندي تطالب بالتغيير الكنسي، فعين البرلمان لجنة مكونة من ستة أشخاص لصياغة خلاصة العقيدة التي يريدون أن يعتنقوها وتوضع أساسا للإيمان، وتطبق في المملكة كلها، فتبنى البرلمان هذا الاعتراف في عام ١٥٦٠م. انظر: كتاب العقائد للكنائس الإنجيلية المصلحة، ص:٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٧٨-١٧٩.

الذي نقبله بواسطة الإيمان فقط»[1].

وهذا التعريف للتبرير يتضمن ثلاثة أمورٍ مهمة:

الأول: أن التبرير هو موهبة ونعمة من الله، وهو فعل من الله، ولذلك يوصف بأنه نعمة الله المجانية، وقد جاء في تفسير هذه العبارة: «إن الله هو الذي يبرر الخاطيء بدون مقابل»[2].

ويؤكد البروتستانت أن الإيمان عطيةٌ خاصةٌ من الله، حيث جاء في قانون الإيمان الهلفيتي الثاني ١٥٦٦م في الفصل السادس عشر «في الإيمان والأعمال الصالحة ومكانتها واستحقاق الإنسان) ما يلي: «الإيمان عطية من الله: ولكن هذا الإيمان هو عطية خالصة من الله، يعطيها من نعمته لمختاريه بقدر ما يشاء وحينما يشاء ولمن يشاء، وهذا يتم بالروح القدس بواسطة كرازة الإنجيل والصلاة الثابتة»[3].

الثاني: أن الوسيلة إلى التبرير هي الإيمان فقط، ويُسمّى الإيمان الخلاصي، وقد جاء توضيحه في دستور الكنيسة الإنجيلي، المادة: ١٧، تحت عنوان: الإيمان الخلاصي بأنه: «عطية من الله وأنه ليس مجرد التصديق بأن الرب يسوع المسيح هو مخلص الخطاه، بل أيضاً قبوله من كل القلب مخلصا، وتخصيصه للنفس، والاتكال الكامل عليه، وأن هذا الإيمان الذي يتناول اقتناع العقل، واتكال القلب وطاعة الإرادة، يرتكز فقط على عطية المسيح المجانية العمومية المقدمة في الإنجيل للخطاة من البشر، وأن هذا الإيمان هو الشرط والوسيلة الضروريان الكافيان لنوال كل عطيةٍ روحيةٍ وللتحقق من الخلاص تدريجيا»[4].

---

(١) شرح أصول الإيمان، ص: ٢٢٧-٢٢٨ .

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٢٩.

(٣) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص:٢٠٤ .

(٤) دستور الكنيسة الانجيلية بمصر، ص: ٣٧-٣٨).

فهذا الإيمان يشمل اقتناع العقل، واتكال القلب على المسيح، وطاعة الإرداة، وهو عطية من الله، ويستند فقط على الإنجيل، وبمعنى آخر يتكون الإيمان المخلص من:«معلومات، وموافقة عقلية، وثقة شخصية»(١).

الثالث: التبرير لا يكون بالأعمال، فالله يقبل الخاطيء، ويغفر له خطاياه لأجل محبته ورحمته فقط، وأما الأعمال الصالحة، فهي نتيجة للإيمان، وبرهان على توبة الخاطيء، ولا تجلب بذاتها غفراناً أو رحمةً من الله، وعليه فالإنسان لا يستطيع أن يشتري خلاص نفسه، ولأن الخلاص هبةٌ مجانيةٌ بحسب ما يقوله الكتاب المقدس(٢).

ومن ناحية أخرى فالتبرير عند البروتستانت يتضمن أمرين: الأول: أن الله يغفر للخاطيء خطاياه، والثاني: أن يقبله بارّاً أمامه(٣).

الأدلة على هذا الأصل:

يستند البروتستانت في استدلالهم على الكتاب المقدس نفسه، ويرون أن هناك أدلة كثيرة على أن التبرير يكون بالإيمان لا بالأعمال، ومن هذه الأدلة ما يأتي:

١- جاء في رد على سؤال: كيف يظهر أننا لا نتبرر بأعمالنا؟ وجاء الجواب كما يأتي: أولا: من تصريح الكتاب المقدس: (إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح، آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح، التبرير بأعمال يسوع، لا بأعمال الناموس، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما»(٤).

٢- من مطاليب الناموس، فإنه يطلب ما لا يستطيع الإنسان أن يعمله (أعني

---

(١) حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، ص:٢١١

(٢) شرح موجز لأصول التعليم المسيحي،ص:٧.

(٣) شرح أصول الإيمان، ص:٢٣٠.

(٤) الرسالة إلى أهل غلاطية (١٠/ ١٦). والمؤلف هنا لم يذكر النصوص وإنما ذكر الإحالات وأثبتها لمعرفة أدلتهم وكذلك الأمر في النصوص التالية.

الطاعة الكاملة)، «لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة؛ لأنه مكتوب: ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به»[1].

٣- لأنه لو أمكن تبريرنا بالأعمال لكان المسيح قد مات عبثا، «لست أبطل نعمة الله، لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذاً مات بلا سبب!؟»[2].

٤- لأنه لو كان التبرير بالأعمال لما كان بالنعمة «فإن كان بالنعمة فليس بعد الأعمال وإلا فليست النعمة بعد نعمة. وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة»[3].

٥- لأن لا أحد له أعمال صالحة يمكن أن يتبرر بها، «كما هو مكتوب: أنه ليس بار ولا واحد»[4].

تقرير البروتستانت لهذا الأصل:

يعتبر التبرير بالإيمان القضية الأساسية في العقيدة الخلاصية عند البروتستانت.

فويكلف يرى أن الأعمال الصالحة ليست هي التي تنجي الإنسان، بل الرحمة والنعمة الإلهية، وأنَّ الأعمال الصالحة مجرد علامةٍ على النعمة والرحمة ونحن نصدر في أعمالنا حسب مشيئة الله لنا، ومصيرنا هو خلقنا، وكان آدم وحواء هما الذين استمتعا بحرية الإرادة ثم خسرا وأبنائهما تلك الحرية بعد المعصية .

وهذا النص يوضح أنَّ ويكلف كان يؤمن بعقيدة الجبر التي تسلب أي إرادة للإنسان .

أما لوثر فقد اعتبر هذا الأصل بمثابة "الاكتشاف" العظيم الذي اهتدى إليه

---

(١) المصدر السابق، (٣/ ١٠).

(٢) المصدرالسابق، (٢/ ٢١).

(٣) الرسالة إلى أهل رومية: (١١/ ٦).

(٤) المصدر نفسه، (٣/ ١٠).

عندما فتح عينه على ما يُسمّى بالكتاب المقدس، وقال عن أهمية هذا الأصل: «إن التبرير بالإيمان وحده هو الشيء الذي تقوم عليه الكنيسة أو تسقط»(١).

وهذا الأصل ردٌّ على الطقوس والشرائع التي ابتدعها رجال الكنيسة البابوية، وقد أراحت أتباع لوثر من عناء تلك الطقوس، إلا أنها في المقابل فتحت الباب للتنصل من أي تبعةٍ وترك الدين بالكلية، فهي نقلت اللوثريين من واقعٍ سيءٍ إلى واقع لا يقل عنه سوءاً.

ويتفق كالفن مع لوثر في أن الخلاص يكون بالإيمان وحده، حيث ذكر عنه أوزمنت في هذا الصدد: «القديس التابع لعقيدة كالفن يخلص بالإيمان الراسخ، ومتقوياً بالأعمال الصالحة التي تثبت الحضور الإلهي ونعمته، لا يقول إنه خلص بهذه الأعمال، ومع ذلك فإن الأعمال الصالحة المنظمة علامات واضحة للفضل الإلهي الموجود، وتؤكد له أنه على طريق المجد»(٢).

وهذا النص واضح في أن الأعمال لا تخلِّص، ولكنها سببٌ في تثبيت الشخص وتدعيم حياته الروحية، وأن الخلاص إنما يكون بالإيمان فقط.

وجاء في اعتراف الإيمان للكنيسة المصلحة في فرنسا الصادر عام ١٥٥٩م(٣) ما يأتي: «نؤمن بأننا جعلنا شركاء هذا البر بالإيمان وحده، كما قيل: إنه تألم من أجل

---

(١) خصائص وأساسيات الإيمان المسيحي.و.ك.سبروك، ص:٢١٥ .

(٢) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص:١٩٤.

(٣) اعتراف الإيمان للكنيسة المصلحة في فرنسا: ظهر هذا الاعتراف إبان الاضطهادات التي حصلت في باريس عام ١٥٥٧م، وأرسل الإنجيليون إلى كالفن بياناً موجزاً عن إيمانهم في ثمانية عشر فصلاً، فقام البروتستانت في سويسرا بإضافة بنودٍ أخرى، وعندما توقفت الاضطهادات في فرنسا، قامت الكنيسة بوضع دستور لها على أساس اعتراف واحد للإيمان وقدم للملك الفرنسي عام ١٥٦٠م، وتبنت جميع الكنائس الإنجيلية الفرنسية هذا النص عام ١٥٧١م . انظر: كتاب العقائد للكنائس الإنجيلية المصلحة، ص:٢٢ .

خلاصنا، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، فبالنعمة ننال الإيمان لنحيا في القداسة، وفي مخافة الله بقبولنا الوعد المعطى لنا في الإنجيل ألا وهو أن الله يعطينا روحه القدوس، ولا يعوقنا هذا الإيمان أبداً عن طهارة الحياة، أو يحولنا عن حب الصلاح، بل على العكس إنه يولد فينا كل عمل صالح، فإننا نعترف أن الأعمال الصالحة التي تعمل صادرةٌ عن رومة، ولا يمكن أن تحسب لنا برا، أو أن تخولنا للتبني؛ لأننا سنبقى دائما في حالة شك وقلق في قلوبنا إذا لم نركن إلى الكفارة التي حررنا بها يسوع المسيح»[(١)].

ويؤكد البروتستانت أهمية التبرير الذي يكون بالإيمان وحده ويصفونه بأنه: «العمل الذي بواسطته يصحح موقف الخطاة الظالمين أمام إله عادل وقدوس، والبر هو أسمى شيءٍ يحتاج إليه الناس الجائرون»[(٢)].

الإيمان الذي يتحقق به التبرير:

يتحدث البروتستانت عن الإيمان الذي يبرر الخاطيء ويؤكدون فيه على ما يأتي:

١- الإيمان يكون من خارج الإنسان لا من داخله:

جاء في اعتراف الإيمان في جنيفا لسنة ١٥٣٦م في البند الخامس (الإنسان من ذاته هالك)، ما يأتي: «بما أن الإنسان كما ذكرنا بطبيعته محرومٌ وخالٍ من نور الله وكل بر، نقر بأنه من ذاته لا يمكن أن يتوقع إلا الغضب واللعنة الإلهية، لذا يجب أن ينظر خارج ذاته من أجل وسيلة الخلاص»[(٣)].

٢- التبرير يكون بالمسيح:

التبرير بمعنى الصفح عن الخطايا والحل من العقاب وإعلان الإنسان باراً أمام الله في مفهوم البروتستانت لا يكون من العبد -كما أشرنا سابقا- وإنما يكون بالمسيح،

---

(١) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص: ١٩٨.

(٢) حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، ص: ٢١٥.

(٣) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص: ١٩٥

فالمسيح هو الذي يبرر بفداءه ودمه، وقد تحقق ذلك على الوجه الكامل.

وقد جاء تحت عنوان: (التبرير والإيمان) «والتبرير يكون ببر أو استحقاق المسيح وحده، ليس بصلاحنا أو أعمالنا الحسنة»(١).

وأكد إعلان رئيس الكنيسة المصلحة أن «الخلاص يتحقق بنعمة الله فقط، فالمؤمنون لا يأتون بشيءٍ يجعل لهم استحقاقاً أمام كرسي عدالة الله، وإنما يتكلون على رحمة الله ونعمته فقط»(٢).

وقبل التبرير بالمسيح كان النصارى –بحسب رأي البروتستانت- خُطاة وعديمي التقوى، ومدانين أمام كرسي قضاء الله، ومستحقين للموت (بسبب خطيئة أبيهم آدم)، ولذلك بسبب محبة الله للعالم فقد أذن لابنه أن يكون «نائباً عن الخطاة ووسيطا لهم لدى الله راضيا بأن يضمن لهم خلاصاً كاملاً باتخاذه طبيعتهم البشرية، وبموته النيابي ليوفي الناموس الإلهي حقه، ويعد براً كاملاً من يؤمن به، وبسبب هذا العهد، قدم حالا بعد السقوط وعداً بالفداء، ولذلك جاء المسيح ملء الزمان إلى العالم وصنع خلاصاً كافياً للجميع ومناسبا لهم»(٣).

وبهذا الفداء من المسيح برر الله النصارى وحررهم من الخطية والموت، وتمت المصالحة الكاملة مع الله.

وبناءاً على ما سبق فالإيمان المطلوب من النصراني: هو الإيمان بالمسيح فقط، كما ورد في قانون الإيمان، وهذا الإيمان يشمل ما بيناه من قبل.

الخلفية التاريخية لمبدأ التبرير:

عند دراسة ما كتبه البروتستانت حول قضية التبرير وتحليلها، نلاحظ ارتباط

---

(١) حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، ص: ٢١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٢١.

(٣) دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر، ص: ٣٤.

هذه القضية بأمرين أساسين:

الأول: التبرير مرتبط بعقيدة الخطيئة الجدِّية:

جاءت نظرية التبرير عند البروتستانت لحل مشكلة ما يُسمَّى بالخطية الجدِّية التي تنص بأن البشر ولدوا ملوثين بخطية آدم، وبالتالي فهم مدانون ومستحقون للعنة والهلاك، ولذلك جاءت نظرية "التبرير" جزءاً من الحل لهذه المشكلة.

وهذه النظرية تركز في مفهومها الكاثوليكي على الأعمال وفي مفهومها البروتستانتي على الإيمان -كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

ولذلك يرتبط حديث البروتستانت عن التبرير بالخطيئة ارتباطاً وثيقاً.

فقد جاء في اعتراف الإيمان في جنيفا عام ١٥٣٦م، في البند الرابع (الإنسان الطبيعي)، ما يلي: «نقرُّ أن الإنسان بالطبيعة أعمى، مظلم الفهم، فاسد القلب، ومنحرفٌ لدرجة أنه بالاتكال على ذاته لا يستطيع أن يدرك معرفة الله الحق كما يجب ولا يكرس ذاته للأعمال الصالحة، بل على العكس إذا ما تركه الله لطبيعته يبقى في جهلٍ ويستسلم لكل إثم، لذا فهو يحتاج إلى تنوير الله، كي يأتي إلى معرفة الخلاص الحقيقية، فيقوم بما توجبه نزعاته، ويصلح لطاعة بر الله»[(١)].

وهذه العقيدة الباطلة "الخطيئة الجدِّية" جعلت النظرة إلى النصراني نظرة احتقارٍ وتنقصٍ، وذلك من جهتين:

١- أنه ملوثٌ بالخطيئة منذ ولادته، وبالتالي فهو عديم الجدوى مستحقٌ للعنة والغضب والموت.

٢- أنه عاجزٌ عجزاً كاملاً عن رفع هذه الخطيئة بأي عملٍ من الأعمال الصالحة، وأنه أعجز من أن يقوم بذلك بنفسه، ولذلك يحتاج إلى التدخل الخارجي من المسيح

---

(١) مدخل إلى تاريخ الكنائس الانجيلية ولاهوتها، ص: ١٩٥.

الذي يبرره إذا آمن به.

الثاني: نظرية التبرير بالإيمان هي رد فعلٍ لتجاوزات الكنيسة الكاثوليكية العملية، فنظرية التبرير بالإيمان لا بالأعمال التي يعزى اكتشافها إلى لوثر نشأت في الحقيقة رد فعلٍ لابتداعات الكنيسة وتجاوزاتها، ولاسيما العملية، ولوثر نفسه تكونت عنده هذه النظرية بعدما زار الكنيسة في روما ورأى الأعمال الكثيرة التي فرضتها الكنيسة على أتباعها، وخاصةً الكفارات التي وضعتها في الحقيقة إما لزيادة سلطتها الروحية أو زيادة مدخراتها المالية، كما هو الحال في صكوك الغفران.

ولذا نستطيع أن نقول: إن تطرف الكنيسة في الأعمال والكفارات المعروضة على أتباعها أدى إلى تطرفٍ آخر لدى البروتستانت، وهو إنكار أهمية الأعمال وأنها غير قادرةٍ على التكفير والتبرير عن الخطايا بذاتها، كما أدت إلى الاتكال على الإيمان وحده.

ويقرر البروتستانتي ميريل دوبينياه هذا المعنى، ويرى أن مبدأ الدين المسيحي كان يميل في أن الخلاص نعمةٌ من الله، وأن الإنسان عاجزٌ عن تخليص نفسه والعودة إلى البر الذي سقط منه ثم طرأ الفساد على ذلك المبدأ من جهة الكنيسة الكاثوليكية، وعم الاعتقاد أن الإنسان يبرر بالإيمان والأعمال معا، ثم تبين أن هذا الفساد أدى إلى كثيرٍ من التجاوزات مثل القول بضرورة الأعمال الوفائية على الخطايا التي يرتكبها البشر وسَنَّ التأديبات الكنسية، ثم انتهى الأمر بفرض صكوك الغفران حتى عظمت تلك التجارة وراجت في أرجاء أوربا، فلما بلغ سيل الضلال الزبى ولم يبق في الإمكان تجاوز ذلك الحد أقام الله البروتستانت للتصدي للبابوية التي أصبحت سوراً شامخاً بين الله والإنسان، وكانت حركة البروتستانت هي من هدمت ذلك السور، وجاءت نظرية التبرير بالإيمان لوقف سيل الأعمال والمخترعات الفاسدة التي اخترعتها البابوية[1].

موقف لوثر من قضية التبرير بالإيمان:

وقع الإشكال عند لوثر نفسه في قضية التبرير بسبب هذه العقيدة، وهي عقيدة

---

(١) تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر، ص: ٩-١٣.

الخطيئة الجدية، فكانت مشكلته الأساسية شعوره العميق بالذنب نتيجة تلوثه بالخطيئة وعجزه عن التخلص منها مهما كانت الأعمال التي يبذلها، وقد عبَّر لوثر عن الحالة السيئة التي مر بها، وأثر التعليمات التي تلقاها في الكنيسة الكاثوليكية، ثم اهتداءه لنظرية (البر بالإيمان)، فقال: «... ذلك أني كرهت هذه العبارة (بر الله) التي لقنوها لي لأفهمها فلسفيا .. لذلك مضيت أهذي بضمير شرس مشوش .. داومت على التفكير حول هذا الأمر في إحدى الليالي واستعدت السياق الذي وردت فيه (فيه بر الله معلن)، (البار بالإيمان يحيا)، حينئذ بدأت أفهم بر الله على أنه البر الذي عن طريقه يجعلنا الله الرحيم أبراراً بالإيمان.. انتابني الشعور أني على الفور ولدت ثانية، ودخلت من أوسع الأبواب إلى الفردوس نفسه»[(١)].

الأصل الثالث: الرئاسة العامة للمسيح نفسه:

تتفق الكنائس البروتستانتية جيمعاً على أن الرئاسة الروحية العامة الوحيدة على جميع الكنيسة هي للمسيح وحده، وقد نصت على ذلك اعترافات الإيمان الإنجيلية، ومن ذلك ما جاء في اعتراف الإيمان الهلفيتي الثاني تحت عنوان: (المسيح رأس الكنيسة الأوحد): «إن الأفضلية في الجسد هي للرأس، ومنه يستمد الجسد كله الحياة. وبروحه يحكم الجسد في كل شيء، ومنه أيضاً ينال الجسد الازدياد لكي ينمو، وأيضاً هناك رأسٌ واحدٌ للجسد، وهو ملائم له، لذلك فلا يمكن أن يكون للكنيسة رأسٌ آخر غير المسيح، فكما أن الكنيسة هي جسدٌ روحيٌّ ينبغي أيضاً أن يكون لها رأسٌ روحيٌّ متناغم معها، ولا يمكن أن تحكم بروحٍ غير روح المسيح»[(٢)].

ولأجل هذا المفهوم الجديد للرئاسة عند الكنائس البروتستانتية، فإنها تنفي أي رئاسة تحت أي مُسمًّى غير رئاسة المسيح نفسه الذي تعتبره الحبر الأعظم والراعي

---

(١) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها،ص: ١٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٢٧.

العالمي.

ومن هنا ترفض الكنائس صراحةً مفهوم النيابة عن المسيح في الأرض الذي تتبناه الكنيسة الكاثوليكية، وقد جاء في تعليمها: « لذلك لا نوافق على تعليم الإكليروس الروماني بجعل البابا في رومية الراعي العالمي والرأس الأعظم للكنيسة المجاهدة هنا على الأرض، وبهذا يكون على زعمهم نائب المسيح ذاته الذي له ملء السلطة والسيادة، إننا نعلم أن المسيح الرب كان ولا يزال الراعي العالمي والحبر الأعظم أمام الله الأب، وأنه في الكنيسة يمارس مهام الأسقف أو الراعي حتى انتهاء العالم، لذلك لا تحتاج إلى نائبٍ عنه في غيابه؛ لأن المسيح حاضرٌ في الكنيسة، وهو رأسها المعطي للحياة، لا أولية في الكنيسة، لقد منح السلطة رسله وأتباعهم أن يكون لهم أولية وسيادة في الكنيسة»[1].

وهذا الأصل عند البروتستانت يجعل جميع الأتباع سواءاً؛ لأنهم أعضاء في هذه الكنيسة، ويستدلون على ذلك ببعض النصوص، ومنها:

١ - «فلستم إذاً بعد غرباء ونزلاء، بل رعية مع القديسين، وأهل بين الله مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء مركباً معا، ينمو هيكلاً مقدساً في الرب، الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكنا لله في الروح[2].

٢ - «فإنه كما في جسدٍ واحدٍ لنا أعضاء كثيرة... هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح»[3].

وهكذا بحسب هذين النصين، فلا يوجد إلا رئيسٌ واحدٌ للكنيسة هو المسيح

---

(١) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٢) الرسالة إلى أهل أفسس: (٢/ ١٩-٢٢).

(٣) الرسالة إلى أهل رومية:(١٢/ ٤-٥).

نفسه ورعية واحدة هم أتباعه[١].

وقد أحدث هذا الأصل تغييراً في بعض المفاهيم والممارسات التي كانت سائدةً لدى الكنيسة الكاثوليكية ومنها:

١ - انتقلت سلطة الرئاسة البابوية، وأصبحت السلطة الوحيدة للكتاب المقدس عند البروتستانت.

٢ - تحولت القسمة الثنائية لأتباع الكنيسة بين إكليروس وعلمانيين، وأصبح جميع أعضاء الكنيسة شعباً واحداً وكهنةً يتبعون كاهنهم الأعظم وهو المسيح.

٣- تغير تبعاً لذلك مفهوم الكنيسة، فلم تعد الكنيسة تعني خشباً أو حجراً، بل هي جماعة المؤمنين فيها يجب أن يتمسك الإنسان)، وكان لوثر يحذر من كلمة كنيسة، ويفضل الكلام على "شعب الله" أو "جماعة المؤمنين".

٤ - تحددت مهمة الكنيسة أكثر، وانحصرت في مهمتي تعليم الكلمة، وممارسة الأسرار[٢].

النظام الإداري في الكنيسة البروتستانتية:

كانت حركة البروتستانت ثورةً ضد البابوية نظاماً وسلطةً، وبالرغم من ذلك فإن النظام الإداري لكنائس البروتستانتية لم يختلف عنه في البابوية، من حيث الدرجات الأسقفية الثلاث الرئيسية، حيث يوجد في الكنائس البروتستانتية كما في قوانينهم ثلاث درجات: القسوس، والشيوخ المدبرون، والشمامسة[٣]، ولكل منهم مهمةٌ محددة.

---

(١) انظر: أصول التعليم المسيحي (الكتاخيسمس الصغير)، مارتن لوثر، ص: ١٢٨.

(٢) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها،ص ٢٢٧، تاريخ الكنيسة المفصل ص: ٥٢،٥٣.

(٣) انظر: دستور الكنيسة الانجيلية بمصر، ص:٨٨.

أولاً: القساوسة:

يقومون بالنداء بالإنجيل، وشرح الكلمة، وممارسة الفرائض، وتعليم الشعب وإرشادهم إضافة إلى الإشراف والتدبير والرسامة بالاشتراك مع الشيوخ المدبرين، وينقسم القساوسة إلى قسمين: القساوسة المعلمين ويجوز لهم أن يعلموا في مدارس لاهوتية أو في مدارس أخرى، ويقومون أيضاً برعاية من أوكل إليهم تعليمهم، والقساوسة الكارزون ويمارسون الفرائض في الأماكن الخارجة عن دائرة الإشراف المجمعي لهم(١).

ثانيا: الشيوخ المدبرون:

ويعتبرون الصف الثاني في الكنيسة، وسلطان خدمتهم يختص بإدارة الكنيسة فقط، ومهمتهم معاونة الراعي في الشؤون الروحية في الكنيسة المحلية، وفي التعليم وتشجيع الضعفاء، وتوبيخ الضالين، وزيارة المرضى وتعزيتهم، وفي أثناء المجامع يمارسون سلطان الرسامة والتمثيل والتصويت(٢).

ثالثا: الشمامسة:

يعاونون الدرجتين السابقتين في زيارة المرضى وخدمة الفقراء والكرازة بالإنجيل، وتدبير حاجات الكنيسة، وتقديم مشروع الميزانية السنوية(٣)، وهذا التنظيم الإداري لا يختلف من الناحية النظرية عن الكنائس الأخرى، ولكن الكنائس البروتستانتية تعلل هذا التنظيم بأنه ليس من باب السلطة، وإنما من باب الخدمة، كما أنها تحصر مهمة هؤلاء الخدم في أمرين فقط هما: تعليم الكلمة، وممارسة سري

---

(١) المصدر السابق، ص: ٩٣-٩٤.

(٢) المصدر السابق، ص:١١٩.

(٣) المصدر السابق، ص:١٢٩.

المعمودية والعشاء الرباني[1].

والحقيقة أن مهمة الكنائس البروتستانتية لا تقتصر على تلك المهمات، بل تمارس بعض السلطات، ومن أهمها سلطة الحرم، وإن كانت تعلل ذلك بأنها تقتصر على التأديبات الواردة في الكتاب المقدس، وأنها تحذر من التمادي في استخدام هذه السلطة، وقد جاء في اعتراف الإيمان في جنيفا: «نعتبر أن نظام الحرم الكنسي أمرٌ مقدسٌ ومفيدٌ؛ لأنه يوجد دوما من يزدري الله وكلمته ولا يأخذ النصيحة والتحذير والاحتجاج، فمن هنا ضرورة تأديبية بشكل أعظم، وقد أنشأ الرب هذا النظام لسببٍ جيد، فالهدف منه منع الأثمة من إفساد الصالحين بتصرفاتهم »[2].

نقد الأصول الفكرية للبروتستانت:

نقد الأصل الأول:

يقوم الأصل الأول على أن الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للدين والسلطة، وأن لكل شخصٍ حق قراءته وفهمه دون الرجوع إلى كاهن الكنيسة.

ويمكن أن يتوجه إلى هذا الأصل الانتقادات التالية:

١- إن الحركة البروتستانتية كانت في مجملها ردُّ فعلٍ لتطرف الكنيسة الكاثوليكية، ولذلك أدت في نهاية الأمر لتطرفٍ مقابل، فإذا كان زعماء البروتستانت قد نقموا على الكاثوليك سلطة البابا، فقد حولوا هذه السلطة إلى أنفسهم، أو إلى ملوكهم الزمنيين .

وقد أيد كلٌّ من لوثر وكالفن مبدأ القرون الوسطى القائل: « إن الله هو من يعين الملوك، ويمنحهم سلطة الحكم على البشر، الملك خادم الله للصلاح...لأنه لا يحمل السيف عبثاً، إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر، سلطة الحاكم ولو

(١) انظر: المصدر السابق، ص:١٧، مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها،ص ٢٢٧.

(٢) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها،ص ٢٢٨.

كان ظالماً من الله، فالملك عندما يشرع، أو يقرر، أن يعين، لا يسأل سلطةً أخرى، لأن سلطته مطلقة»[١].

والمقصود هنا الاستدلال على أن مقاومة البروتستانت لتطرف البابا نتج عنها تطرفٌ آخر، وأصبحت سلطة الحاكم المطلقة هي البديل عن السلطة المطلقة للبابا.

٢- أن البروتستانت لم يلتزموا بهذا الأصل التزاماً كاملاً، ولا شاملاً، وكان هذا المنهج النقدي الذي أعلنوه يفرض عليهم - على الأقل - أمرين مهمين:

الأول: تمييز الثابت من المضاف مما ورد في كتابهم المقدس.

والثاني: رد ما ثبت بطلانه، وعدم صحته مما أثبتته المجامع النصرانية، أو تقريرات الباباوات، ولاسيما ما يتعلق بالعقائد الأساسية في الدين النصراني التي أقرتها تلك المجامع، والبروتستانت لم يلتزموا بالأمرين، وقد بقيت العقائد النصرانية الكبرى، من القول بألوهية المسيح، وبنوته، وعقيدة الثالوث، والتجسد،والصلب والفداء، وغيرها من العقائد بعيدةً عن تناول البروتستانت بالرغم من عدم وجود السند الصحيح لها في الكتاب المقدس، بل مع وجود أدلةٍ صريحةٍ تبطل تلك العقائد.

والبروتستانت تجاهلوا وضع تلك العقائد الكبرى تحت ميزان النقد، فضلاً عن إعلان بطلانها، مع أن هذا الأمر قام به آخرون من أصحاب المنهج النقدي للكتاب المقدس، ولكنهم لم يكونوا إلا أفراداً، ولم يمثلوا إلا أنفسهم، وأيضاً فإن نهايتهم في الغالب كانت نهايةً مؤسفةً، على يد الكنيسة الرومانية، وفي بعض الأحيان على يد زعماء الإصلاح أنفسهم .

وعلى سبيل المثال ظهر علماء انضموا إلى قافلة المنتقدين للكنيسة، ولكنهم أنكروا التثليث، بناءاً على أنه لا يستند على دليلٍ صحيحٍ من الكتاب المقدس، فانفصلوا عن البروتستانت بسبب موقفهم من هذه القضية، وأصبح هؤلاء

(١) المصدر السابق، ص:٢٨٧-٢٨٨ .

العلماء"مستقلين"، وأصبحوا مرفوضين من الكاثوليك، والبروتستانت على السواء، ومن أبرز هؤلاء "سرفيه" أو "سرفيتوس"(١)، حيث أنكر التثليث، وكانت نهايته الإعدام حرقاً في جنيف، لا على يد الكاثوليك الخصوم الأساسين للبروتستانت، ولكن على يد كالفن الزعيم البروتستانتي(٢).

وعن هؤلاء العلماء تحدث الإمام محمد أبو زهرة(٣) بقوله: «فوجدنا علماء كثيرين قد صرحوا في قوة بأن المسيح عليه السلام لم يكن إلا رسولاً، وأنه لم يكن أكثر من بشر، قد قبسوا ذلك من الأناجيل نفسها»(٤).

ثم ذكر الإمام أيضاً من هؤلاء العلماء في الوقت الحاضر الفيلسوف الفرنسي "رينان"(٥)، الذي جهر بإنكار الألوهية، ولم يمنعه حرمان الكنيسة من الإصرار على

---

(١) ميخائيل سرفيتوس: إسباني الأصل، ولد في العام الذي ولد فيه المصلح كالفن، كان ذا عقل وذهن متوقد. درس الطب والقانون واللاهوت، وكان معارضاً أشد المعارضة لعقيدة التثليث، وسجن بسبب ذلك في فينا، ولما ذهب إلى جنيف، أدانه المجلس، وقرر عقوبته بقتله حرقا، وتم إحراقه حيا في عام ١٥٥٣م. انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، ص: ٦٢٦-٦٢٧ .

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة المفصل: (٣/ ٦٩).

(٣) محمد أبو زهرة: هو محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (١٣١٥- ١٣٩٤هـ = ١٨٩٨- ١٩٧٤م)، من كبار علماء الشريعة الإسلامية والقانون في عصره، ولد بمدينة المحلة الكبرى بمصر،وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي بمصر، وحصل على شهادة دار العلوم في القاهرة، وتولى تدريس العلوم الشرعية واللغة العربية فيها ثلاث سنوات، وعين أستاذًا محاضرًا للدراسات العليا في جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٣٥، ثم عضوًا للمجلس الأعلى للبحوث العلمية، ثم وكيلًا لكلية الحقوق في الجامعة، ثم وكيلًا لمعهد الدراسات الإسلامية، له مؤلفات كثيرة، منها: "محاضرات في النصرانية"، و"تاريخ المذاهب الإسلامية". موقع نداء الإيمان الإلكتروني.

(٤) محاضرات في النصرانية، ص:١٧٣ .

(٥) رينان: مؤرخ النصرانية والفلسفة، ولد في مدينة تريبه شمال غربي فرنسا . تبين له أن الأسس التي تقوم عليها المسيحية غير صحيحة من الناحية التاريخية، ولذلك اشتهر بالمنهج النقدي لها، حصل على درجة الدكتوراة من جامعة السربون عام ١٨٥٢م، له مؤلفات كثيرة منها:"مسائل عصرية"، =

رأيه، و"تولستري"، الذي أنكر ألوهية المسيح عليه السلام أيضاً، وانتهى إلى أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح عليه السلام، بل طمسها، وقال في ذلك: «إنه ينبغي لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقي، كما كان يفهمه هو أن نبحث في تلك التفاسير والشروح الطويلة التي شوهت وجه التعليم المسيحي، حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقةٍ كثيفةٍ من الظلام... وأن أولئك الشُّراح والمفسرين يدعون إلهاً، دون أن يقيموا على ذلك الحجة ويستندون في ذلك على أقوالٍ وردت في خمسة أسفار، موسى، والزبور، وأعمال الرسل، ورسائلهم، وتأليف آباء الكنيسة، مع أن تلك الأقوال لا تدل أقل دلالةٍ على أن المسيح هو الله»[1].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن النقد الصحيح لما يسمَّى بالكتاب المقدس يثبت أن قضايا العقيدة النصرانية، ومنها ألوهية المسيح عليه السلام، والتثليث، لا يوجد لها سندٌ صحيحٌ في الأناجيل، وذلك ما أكده هؤلاء العلماء بعد البحث في الكتاب المقدس، ومع ذلك تجاهل زعماء البروتستانت البحث في هذه القضايا، فضلاً عن رفضها، مع أن ذلك هو مقتضى المنهج النقدي للكتاب المقدس الذي ادعوا أنهم رواده.

نقد الأصل الثاني:

١ - قضية التبرير سواء كان بالأعمال، كما يرى ذلك الكاثوليك، أو بالإيمان، أو النعمة، كما يرى البروتستانت، هو حلٌّ للعقيدة الباطلة عند النصارى، وهي عقيدة الخطيئة الجدِّية، التي تفترض أن آدم أخطأ، وأن ذريته ورثوا عنه ذلك الخطأ، ولذلك نقول: بأن هذه القضية باطلةٌ من أساسها الذي قامت عليه.

٢ - ومن جهةٍ أخرى: فإن التبرير بالإيمان نشأ عند زعيم البروتستانت لوثر بسبب مشكلةٍ خاصةٍ، مبنيةٍ على العقيدة السابقة، وهي شعوره بالذنب نتيجة تلك

= "الإصلاح العقلي والأخلاقي"، "حياة المسيح". انظر: موسوعة الفلسفة، د. عبدالرحمن بدوي، ص: ٥٤٨ وما بعدها.

(١) محاضرات في النصرانية، ص:١٧٣.

الخطيئة، وعجزه عن حل ذلك بنفسه، ولذلك لجأ إلى فكرة التبرير بالإيمان، وهو أقرب إلى الهروب من المشكلة، لا حلها، والحقيقة أن المشكلة التي شعر بها لوثر لا أساس لها، بل هي باطلة – كما سبق –.

٣- تطرف البروتستانت في قضية التبرير بالإيمان- على كونه باطلاً- أدى إلى التساهل في قضية الأعمال، حتى لم يعد لها قيمة، فمهما عمل الإنسان من الأعمال فلن يتحقق له التبرير، ولذا لا توجد أعمالٌ وطقوسٌ كثيرة لدى البروتستانت، مقارنةً بالكاثوليك.

٤- التبرير بالإيمان وحده يلزم منه إسقاط التوبة، وأنه لا قيمة لها؛ لأنها من الأعمال، وهو ما التزم به البروتستانت بالفعل، كما في كتاب شرح أصول الإيمان[1].



(١) شرح أصول الإيمان، ٢٣١ .

المبحث الثالث: خصائص البروتستانت

تميزت الكنائس البروتستانتية عن غيرها من الكنائس بعدد من المميزات، من أهمها ما يأتي:

أولا: خصائص النظام الإداري:

يتميز النظام الإداري للكنيسة الإنجيلية انطلاقاً من المبدأ الأساسي للكنيسة، وهو أن الرئاسة العامة في الكنيسة هي للمسيح نفسه، وأنه لا رئاسة عامة للكنيسة على الأرض تحت أي مُسمَّى كانت.

وعدم وجود بابا أو بطريرك في الكنيسة الإنجيلية؛ لأنه إذا كان المسيح عليه السلام هو رأس الكنيسة الوحيد فإنه «تحت سلطانه وطبقاً لإدارته تجري العبادة، والتعليم والتأديب، وسياسة الكنيسة، وأن المسيح يجري سلطانه وينفذ شرائعه بواسطة الذين يخدمون قانونياً في وظائف الكنيسة»[(١)].

ولأجل ذلك يفضل الإنجيليون إطلاق لقب "الراعي" على القسيس الذي يتولى إدارة شئون الكنيسة، كما فضلوا استخدام لقب "الرعية" بدل لفظ الكنيسة[(٢)].

ولذلك أيضاً تحصر سلطة الراعي في مهمة التعليم، والوعظ والإرشاد، والكرازة بالإنجيل.

انتخاب الراعي:

١- يتم انتخاب راعي الكنيسة عن طريق ما يُسمَّى بالرسامة، ويكون بالانتخاب، بواسطة شعب الكنيسة.

---

(١) دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر. ص: ٤٥.

(٢) انظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص:١٥.

٢- تتم الرسامة من خلال خطوتين أساسيتين هما: الأولى: الموافقة على الدعوة إلى الخدمة والحصول على التصريح الرسمي بها، والثانية: عملية الانتخاب.

وفي الخطوة الأولى لابد من قبول المدعو للرسامة على الدعوة إلى الخدمة وقبول النذر، وهي أن يقوم بالخدمة تطوعاً دون شروطٍ ماديةٍ مدة العمر، وبذلك تكون إعالته مادياً تبرعٌ من الشعب الذي يرعاه، ولذلك لا يتقدم الشخص للخدمة إلا بعد توقيع الشخص بالموافقة، وتصديق مجمع الكنيسة على ذلك.

٣- لا يقبل في اختبار التصريح للخدمة إلا من تلقى دراسةً لاهوتيةً تقرها الهيئات الكنسية المسئولة، ويكون متمسكاً بمباديء الكنيسة الإنجيلية، كما يطلب المجمع منه أن يلقي عظات ورسائل تؤكد صلاحيته للخدمة، من جهة العقيدة، والمقدرة الدراسية، والكفاية لهذه الخدمة من جميع الوجوه.

٤- يتم إجراء اختبارٍ لطالب الخدمة وبعد اجتيازه يتلو عهد النذر للتصريح بالخدمة، ويكون قد انتهى من الخطوة الأولى في حياة الخدمة الدينية.

٥- يبقى المصرَّح له بالخدمة تحت إشراف المجمع،ولا تتم رسامته إلا بعد مدة ستة أشهرٍ على الأقل من وقت حصوله على تصريح الخدمة.

٦- تبدأ بعد ذلك عملية الانتخاب، حيث يعين المجمع أحد القسوس ليترأس الإجراءات الرسمية للانتخاب، ثم يدعو القسيس للاجتماع ويصلي طالباً الإرشاد الإلهي، ويطلب من الجماعة ذكر أسماءٍ للترشيح، ثم يتم الانتخاب عن طريق القرعة بعد أن يكون المُنتخَب قد حصل على الأكثرية المطلقة بالنسبة لجميع الذين اقترعوا(١).

ثانياً: كنائس محلية وطنية:

الكنائس الإنجيلية كنائسُ محليةٌ مستقلةٌ، حيث لكل كنيسةٍ نظامٌ داخليٌّ لإدارة شئونها الروحية والمدنية، وفي الغالب يتولى إدارة شئون الكنيسة مجلسٌ منتخبٌ يطلق

---

(١) انظر: دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر، ص:٩٦-١٠٢، بتصرف واختصار.

عليه مجلس الشيوخ أو مجلس العمدة، أو اللجنة التدبيرية.

وتمثل مجموعة الكنائس المحلية مجامع أو اتحاداتٍ محلية، بمثابة مجموعةٍ من العائلات الكنسية، ويشكل لهذه المجامع أو الاتحادات هيئةٌ تنظم شئونها الداخلية، والعلاقة بين الكنائس المنتمية إليها.

ويكون لهذه المجامع أو الاتحادات تمثيلٌ في هيئةٍ عليا تُسمَّى المجمع الأعلى للطائفة الإنجيلية، حيث يشكل مندوبو هذه المجامع الهيئة العامة للمجمع الأعلى، والهيئة العامة هي السلطة العليا التي تقوم باتخاذ القرارات المتعلقة بإدارة المجمع، وتنظيم الشئون المدنية المتعلقة بالإنجيليين، وتمثيل الكنائس أمام السلطات الرسمية في البلاد(١).

وفي الجملة تتم الإدارة في الكنائس الإنجيلية بواسطة هيئاتٍ ذات درجاتٍ متنوعة، وهي كما يأتي:

أولاً: المجلس:

ويختص بإدارة كنيسةٍ واحدة، ويتألف مجلس الكنيسة من الراعي، والشيوخ المدبرين في الكنيسة، ومن أهم مسئوليات هذا المجلس:

١- الإشراف الروحي العام على الكنيسة.

٢- قبول الأعضاء الجدد، ومراقبة سيرهم.

٣- تنظيم برامج الكنيسة للأعمار المختلفة.

٤- تنظيم العبادات والاجتماعات والمناسبات وإقامة الشعائر الدينية.

٥- تعيين اللجان والمجالس المكونة من أعضاء الكنيسة لتولي شئونها المختلفة.

٦- تقرير انتخاب الشيوخ والشمامسة، والحكم على مؤهلات المنتخبين ومدى

---

(١) انظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص:١٥-١٦ .

صلاحيتهم للعمل.

٧- الإشراف الكامل على أملاك الكنيسة.

ثانياً: المجمع:

وهو الهيئة الكنسية الأعلى من المجلس، و تختص بما يتعلق بالقسوس، والمجالس والكنائس المحلية في إقليم معين، والمجمع موكولٌ له مراقبة الخدام والكنائس التي تحت دائرته، والنظر في المسائل التي تعرض له، وله أن يعزل الشيوخ والشمامسة من وظيفتهم إذا رأى مصلحة في ذلك ومن أهم أعماله:

١ - تقسيم المجمع إلى عددٍ من الدوائر متناسبٍ مع عدد كنائسه، تضم كل دائرةٍ مجموعةً من الكنائس والمراكز التبشيرية (التنصيرية).

٢- تعيين رئيسٍ لكل دائرة، ويكون له الإشراف المالي والروحي على الكنائس التابعة لدائرته.

٣- رفع ما يراه مخالفاً للدستور والقانون أو معطلاً للخدمة للمجمع، ورفع اقتراحات التعيينات للمهام التنصيرية.

ثالثاً: السنودس (المجمع الأعلى):

وهو الهيئة الكنسية التي تعلو المجمع، ويتعلق بعدة مجامع وقسوسها، ومجالسها وكنائسها المحلية، ويتكون من القسوس المسجلين في عضوية المجامع التابعة له، وشيخٍ مدبرٍ منتدب قانونياً عن كل كنيسةٍ محليةٍ ضمن دائرته.

ويقوم السنودس بعدة أمورٍ أهمها:

١ - توجيه المجامع والكنائس لزيادة النهضة الروحية لها.

٢- الفصل في الأمور التي تمس العقيدة، ومراقبة الضلالات التي قد تواجه الكنيسة.

٣- تنظيم المجامع وتقسيمها، أو توحيدها، أوحلها.

٤- تعيين القسوس في الأعمال العامة داخل اختصاصه.

٥- الإشراف على الأعمال العامة التي تمس المجامع، مثل التعليم اللاهوتي، والخدمات التهذيبية والتعليمة والروحية.

٦- يحل محل المحفل العام في حالة عدم وجوده.

رابعاً: المحفل العام:

هو أعلى محكمةٍ في الكنيسة، وتُمثل فيه جميع الكنائس، وهو رابطة الاتحاد والتعاون بين جميع الكنائس المحلية.

ويتألف من نوابٍ عن كل مجمع، ومن أهم اختصاصاته:

١- البت في المسائل المتعلقة بالعقيدة والتحذير من الضلالات والفساد.

٢- يكوِّن رابطة اتحاد بين الكنائس المحلية وهيئات الكنيسة العامة.

٣- ينظم السنودسات، أويوحدها، أو يجزأها، أو يغير حدودها.

٤- الحكم على الطعون التي ترفع إليه من السنودسات.

٥- إنشاء وتنظيم الدراسات اللاهوتية وترقيتها.

ثالثاً: محاربة الوثنية وعبادة الأصنام:

قامت الكنيسة البروتستانتية انطلاقاً من الأصل الأول الذي قامت عليه، وهو "الكتاب المقدس فقط" بالنظر في كل طقوس الكنيسة وعبادتها، ونتج عن ذلك أنها وجدت كثيراً من ممارسات الكنيسة بعيدةً كل البعد عن تعاليم الكتاب المقدس، وخاصةً ما يتعلق بالعقيدة، حيث رأت أن عدداً من تعاليم الكنيسة بعيدة الصلة عن تعليم الكتاب المقدس، وأنها من بقايا الوثنية، ثم قامت بناءاً على ذلك بمقاومة هذه العبادات الوثنية، ويمكن إبراز ثلاث جوانب مهمة في ذلك الأمر، وهي كما يأتي:

١- عبادة الصور والأيقونات:

تمتنع الكنائس البروتستانتية عن وضع الصور والتماثيل في كنائسهم؛ لأنهم

يرون أنها من بقايا الوثنية، وأن التوراة قد حرمت في وصيتها الأولى اتخاذ آلهةٍ أخرى، وقد جاء في التعليم البروتستانتي سؤالٌ عن ذلك، نصه كما يأتي: عمَّ ينهى الله في الوصية الأولى، وجاء الجواب كما يأتي: «إن الله ينهانا أن يكون لنا آلهةٌ أخرى أمامه (عبادة الأصنام،أو تعدد الآلهة)» [١].

ثم استدل على ذلك بنصٍّ ورد عند أشعياء: «أنا الرب هذا اسمي، ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمخلوقات» [٢]، وبما ورد عن متى: «للرب إلهك تسجد، وإياه وحدة تعبد» [٣].

كما يرون أن وضع الصور والتماثيل داخل الكنائس تغر البسطاء، فيسجدون أمامها، ويقيمون لها أنواعاً من العبادة.

ولذلك شددت قوانين إيمانهم على هذا المنع، ومن ذلك ما جاء في اعتراف الإيمان الهلفيتي الثاني، ومنه ما يأتي:

- صور المسيح: «ومع أن المسيح اتخذ الطبيعة البشرية، فإنه لم يفعل ذلك لكي يهيئ نموذجا للنحاتين والرسامين، لقد نفى المسيح أنه جاء لينقض الشريعة والأنبياء، ولكن الشريعة والأنبياء يحرمان الصور».

- صور القديسين: «وبما أن الأرواح المباركة والقديسين رفضوا أثناء حياتهم هنا على الأرض كل عبادةٍ لهم، ودانت الصور، فهل يظن أحد أن القديسين والملائكة السماويين يسرون بصورهم التي يجثوا الناس لها ويرفعوا أمامها غطاء رؤوسهم ويكرمونها؟ ولكن من أجل تعليم الناس التقوى وتذكيرهم بالأمور الإلهية، وبخلاصهم أوصى الرب بالكرازة بالإنجيل، لا بالتصوير وتعليم الناس (العلمانيين)

---

(١) أشعيا: (٤٢/ ٨).

(٢) متى: (٤/ ١٠).

(٣) أصول التعليم المسيحي، مارتن لوثر، ص: ٥٤.

بواسطة الصور».

- ثم جاء المنع لاتخاذ الصور في الكنيسة على وجه العموم مستنداً على أقوال وأفعال الآباء السابقين: «لذلك فإننا نوافق رأي المفكر القديم لكتنتيوس الذي قال لا توجد التقوى أبدا حيث توجد صورة... وكذلك نؤكد أن الأسقف المبارك أبكانيوس كان على حقٍ عندما مزَّق صورة المسيح أو لأحد القديسين رُسِمت على حجابٍ موضوعٍ على باب إحدى الكنائس ثم نزعها؛ لأن رؤية صورة إنسان معلقةً على كنيسة المسيح منافيةٌ لسلطة الكتاب المقدس»(١).

ويشدد اعتراف الإيمان نفسه على أنه «ينبغي أن تكون الأماكن التي يجتمع فيها المؤمنون محتشمة ولائقة بكنيسة الله من كل النواحي»(٢).

وتوكد الكنائس البروتستانتية أيضاً أن وضع الصور داخل الكنائس لم يظهر إلا في وقتٍ متأخرٍ، وأن أول من رسم هذه العبادة مجمع نيقية الذي انعقد في أيام الملكة إيرنيا سنة ٧٨٦م، وإن كانت وجدت آثار عبادة الأيقونات قبل ذلك، ولكن هذا المجمع هو الذي حكم لها(٣).

وهكذا نجد أن موقف البروتستانت مقارنةً بالكنيسة الكاثوليكية في موضوع الصور والأيقونات يعد موقفاً إيجابياً في اتجاه التخلص من بعض صور الوثنية داخل الكنيسة.

٢- الشفاعة بمريم والقديسين والأموات:

ينكر البروتستانت عبادة مريم عليها السلام، أو القديسين، فضلاً عن الأموات،

---

(١) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص ٢٧١.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) انظر: موقع كلمة الحياة على الشبكة الإلكترونية (موقع بروتستاني) تحت عنوان: في أصل عبادة الأيقونات. بتاريخ ١٥/ تموز يوليو ٢٠١٠م.

وذلك؛ لأن الشفيع الوحيد في نظرهم بين الله وبين الناس هو المسيح ﷺ، ولذلك لا تجوز العبادة إلا لله أو للمسيح ابن الله الشفيع الوحيد، كما أنهم يرون أن ذبيحة المسيح الخلاصية كافية لحصول الخلاص، ومغفرة الذنوب(١).

وعلى ذلك فهم يخالفون الكاثوليك والأرثوذكس الذي يقدمون لمريم والقديسين وحتى الأموات ألواناً من العبادة، كالصلاة والأعياد ونحوها، ويرون أن إكرام هؤلاء إنما يكون بالاقتداء بسيرتهم، وتذكر تعاليمهم ووصاياهم(٢).

ولذلك جاء في اعترافات الإيمان البروتستانتي التأكيد على ذلك، ومنها ما جاء في اعتراف الإيمان للكنيسة المصلحة في فرنسا: «نؤمن أنه لما كان يسوع المسيح شفيعنا الأوحد قد أوصانا أن نسأل الأب باسمه، وبما أنه غير جائزٍ لنا أن نصلي إلا بما يتفق مع تعاليم كلمة الله، فإن كل مزاعم البشر عن شفاعة القديسين الموتى، هي ضلالٌ ومكيدةٌ شيطانيةٌ لتحويل الناس عن العبادة الصحيحة، ونرفض أيضاً كل الوسائط الأخرى التي يحاول البشر أن يقتنوا بها فداء لأنفسهم أمام الله لأنها تنقص من ذبيحة يسوع المسيح»(٣).

وجاء في اعتراف الإيمان الهلفيتي الثاني عن الصلاة: «فلتكن صلوات المؤمنين كلها موجهة إلى الله وحده بواسطة المسيح فقط...إن كهنوت المسيح الرب والعبادة الحقيقية تحرم الدعاء إلى القديسين في السماء واستخدامهم كشفعاء»(٤).

وبناءاً على ماسبق يمنع البروتستانت مظاهر إكرام القديسين التي توجد لدى الطوائف الأخرى، من الصلاة على الموتى منهم، أو إقامة أعياد لهم.

---

(١) انظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها،ص ٢٦٩، الفروق العقدية بين المذاهب المسيحية، القس إبراهيم عبد السيد، ص:٣٣، أصول التعليم المسيحي مارتن لوثر، ص: ١٠٣.

(٢) انظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها،ص ٢٦٩.

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

وكما أن البروتستانت منعوا مظاهر الوثنية بالأشخاص الأحياء أو الأموات فإنهم جعلوا مظاهر الوثنية كلها للمسيح نفسه على أنه الرب وأنه الشفيع الوحيد من الله (الأب) وبين الناس، وهذا يدل على أن البروتستانت وإن حاولوا التخلص من الشرك إلا أنهم لم يتخلصوا منه على الحقيقة، وإنما نقلوه ليكون للمسيح وحده.

رابعاً: البساطة في المبنى والطقوس والعبادات:

تعج الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية بأنواع من الطقوس والشعائر والعبادات ويكثر جداً في هذه الكنائس أنواع الصلوات والأصوام والأعياد، حتى لا يكاد يمر يومٌ إلا ويشتمل على نوعٍ من هذا العبادات، ولكن الأمر يختلف في الكنائس البروتستانتية، فهي تتميز بالبساطة، ويمكن تمييز ذلك في ثلاث مجالات نوضحها فيما يأتي:

١- في مبنى الكنيسة:

تخلو الكنائس البروتستانتية من وضع الصور أو الأيقونات أو التماثيل؛ لأنها من مظاهر الوثنية، ومما يغر البسطاء، ويؤدي إلى عبادتها، ويرى البروتستانت أن التزيين الحقيقي للكنائس لا يكون بالعاج والذهب والحجارة الثمينة، بل في اتزان الموجودين في الكنيسة وتقواهم وفضائلهم»[(١)].

ومن الكنائس البروتستانتية من لا يعترف بالمبنى أصلا، ويعتبر الكنيسة بالمعنى الروحي فقط (أي جماعة المؤمنين) كطائفة المعمدانيين. [(٢)]

٢- في الطقوس والشعائر والمناسبات:

تتميز العبادة عند البروتستانت مقارنةً بالطوائف الأخرى بالبساطة، فمن حيث مفهوم العبادة، فإنها ترى أن العبادة يجب أن توجه مباشرةً وبدون واسطةٍ إلى المسيح

---

(١) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها،ص: ٢٧١.

(٢) الفروق العقدية، ص: ٣٩.

نفسه، فلا توجد عبادةٌ لمريم، أو القديسين، أو الأموات، أو لصورهم وذخائرهم.

وفي الصلاة لا يوجد عند البروتستانت ما يعرف بـ"القداسات"(١)، كما عند الكنائس الأخرى، وإنما مجرد صلواتٍ خاليةٍ من رسم الصليب، وبدون تغييرٍ بالاتجاه نحو الشرق، وبغير ترديدٍ للصلاة الربانية(٢).

والصوم عندهم ليس له وقتٌ محدد، وفي غالبيته يكون عملاً فردياً اختيارياً لا سلطان للكنيسة عليه، وإنما يصوم الإنسان متى شاء، وكيف شاء، كما أنهم لا يؤدون هذه العبادة إلا إذا توفر الداعي لها، ومن أهم الدواعي أن يكون للرغبة في التعفف، أوطلب النجاح في أمر، أو لقهر الشيطان، أو لطلب الهداية أو النجاة من المخاطر، أو حدوث ضائقة(٣)، فالصلاة عندهم ليست فرضاً، وإنما تؤدى عند الحاجة فقط.

وأما في الأسرار الكنسية، فلا يؤمنون إلا بسرَّين فقط، هما المعمودية والعشاء الرباني.

والسبب الذي تعزى إليه هذه البساطة، هو اعتقاد البروتستانت أن كثرة الشعائر والطقوس يكون بمثابة العودة إلى الديانة اليهودية ذات الشرائع الكثيرة والمعقدة في نظرهم، كما يرون أن كثرة الشعائر بمثابة الانتقاص من الحرية المسيحية، بل من الإيمان بالمسيح نفسه لأنه الفادي الكامل والشفيع الكامل، جاء في اعتراف الإيمان الهلفيتي الثاني: «بأننا إذا أكثرنا من الشعائر والطقوس في كنيسة المسيح.. نكون كمن يدخل ويعيد الدين اليهودي إلى المسيحية، لذلك لا نوافق أبداً على رأي القائلين

---

(١) قداسات: جمع قُدَّاس من الكلمة السريانية"قداشا"، ويقصد به ذبيحة جسد المسيح ودمه، تقرب عن يد الكاهن، وتشمل خدمة الكلمة، وخدمة القرابين، وهي القداس بالمعنى الحصري. انظر: معجم الإيمان المسيحي، ص:٣٧٠، ومعجم المصطلحات الكنسية، ص: ١٢٢ .

(٢) الفروق العقدية، ص: ٣٧.

(٣) انظر: موسوعة الحقائق الكتابية، برسوم ميخائيل، ص:٦٠٢-٦٠٣،الفروق العقيدية، ص:٣٤، شرح أصول الإيمان، ص:٣٢٤، اللاهوت المقارن ص:١٠٤.

أنه يجب ضبط كنيسة المسيح بطقوسٍ كثيرةٍ ومتنوعةٍ كنوعٍ من التدريب... كلما ازدادت الطقوس في الكنيسة انتقص لا من الحرية المسيحية وحسب بل أيضاً من المسيح ومن الإيمان به... لهذا فإنه يكفي المؤمنين عددٌ من الطقوس القليلة البسيطة المعتدلة التي لا تتعارض مع كلمة الله»[1].



(١) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص ٢٧١.

الفصل الثاني

موقف البروتستانت من مفهوم وسلطة وإضافات الكاثوليك

وفيه مدخل وثلاثة مباحث : -

* المبحث الأول: موقف البروتستانت من مفهوم البابوية.
* المبحث الثاني: موقف البروتستانت من سلطة البابوية.
* المبحث الثالث: موقف البروتستانت من الإضافات الكاثوليكية.

* * * ** * * *

مدخــــل

نـشأت البروتـستانتية مـن داخـل الكنيـسة الكاثوليكيـة مطالبـة بتعـديل أوضـاع الكنيـسة وإلغـاء التجـاوزات التـي خرجـت بهـا عـن حقيقـة رسـالة المـسيح ﷺ، ثـم انفـصلت هـذه الحركـة، وأصـبحت حركـة مـستقلة، ولكنهـا ركـزت فكرهـا عـلى نقـد الكنيسة الكاثوليكية، وعند النظر في أسباب نشأة هذه الحركة وكتابات أصـحابها نجـد أنها كونت موقفا واضحا مـن الكنيـسة الكاثوليكيـة، وقـد ظهـر هـذا الموقـف في ثـلاث مجالات أساسية، وهي:

١- موقف البروتستانت من مفهوم البابوية.

٢- موقف البروتستانت من سلطة البابوية.

٣- موقف البروتستانت من البدع الكاثوليكية.

وسوف نفصل الحديث عن هذه المجالات من خلال المباحث التالية.

المبحث الأول:

موقف البروتستانت من مفهوم البابوية

ادعت البابوية أن أسقف روما هو ممثل الله على الأرض، والوارث لسلطانه، ورئيس الكنيسة المنظور، ولكن البروتستانت في مسيرتها النقدية للكنيسة نقضت هذا الأصل الكاثوليكي، ثم بنت على أنقاضه أصلاً جديداً، وهو أن الرئيس الأعلى للكنيسة جمعاء هو المسيح نفسه، وانطلقت في انتقادها للبابوية، من حيث مفهومها، ونظامها من خلال هذا الأصل.

جاء تقرير هذا الأصل، وما بني عليه من رفض رئاسة أسقف روما على الكنيسة في اعتراف الإيمان الهلفيتي الثاني تحت عنوان: (المسيح راعي الكنيسة الوحيد): «إننا نعلم أن المسيح الرب كان ولا يزال الراعي العالمي والحبر الأعظم أمام الله الآب، وأنه في الكنيسة يمارس مهام الأسقف أو الراعي حتى انتهاء العالم، لذلك لا يحتاج إلى نائب عنه في غيابه، لأن، المسيح حاضر في كنيسته، وهو رأسها المعطي الحياة، لا أولية في الكنيسة:لقد منع المسيح رسله وأتباعهم أن يكون لهم أوليةٌ وسيادةٌ في الكنيسة»[1].

ثم جاء رفض رئاسة أسقف روما بناء على ذلك: «لذلك لا نوافق على تعليم الإكليروس الروماني الذي يجعل البابا في رومية الراعي العالمي والرأس الأعظم للكنيسة المجاهدة هنا على الأرض، وبهذا يكون على زعمهم نائب المسيح ذاته الذي له ملء السلطة والسيادة»[2].

وقضية رئاسة المسيح على الكنيسة جمعاء مسألةٌ متفقٌ عليها عند البروتستانت «وإن الأمر لا يختلف عليه اثنان أن الرب يسوع، كرأس الجسد الآن، في مباشرته

---

(١) مدخل إلى الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص: ٢٢٧.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

لرئاسته على المؤمنين كأعضاء جسده، وقيادته لهم بروحه في سيرهم معه في طريقه، هو الكفء وحده لأن يقودهم قلبياً وواقعياً، سراً وجهراً في عمل ما يرضيه ويمجده»[١].

ولا يمكن لأحدٍ غير الرب كائناً من كان البابا أو غيره أن يقوم بذلك لعجزه عن القيام به بحسب رأي البروتستانت: «ومن هو كفءٌ غير الرب للسهر على أفكار وميول وأقوال وأعمال كل قديسٍ لتدريبه وقيادته وصيانته في هذا الطريق الإلهي؟ ضع الإنسان في هذا المركز، واجعل لكل مؤمنٍ بمفرده إنساناً يرأسه في هذه الناحية، فمهما كانت مواهب هذا الإنسان ما الذي يستطيع أن يفعله؟ أيمنكه أن يرقب الأفكار والميول ويمنع الأقوال والأعمال الرديئة قبل وقوعها إن الآب لم يجد من هو أكفأ من ابنه للرئاسة، لذلك قيل: (وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده)، فلنترك الرئاسة إذاً لصاحبها، وما على الأعضاء في كل الأوضاع إلا أن يأتمروا بأمر رأسهم، وينقادوا بروحه في تنفيذ أوامره»[٢].

وقد هاجم البروتستانت البابوية كمفهوم -كما أشرنا من قبل- ثم هاجموها كنظام، حيث رأوا أنها سقطت إلى أدنى درجةٍ من الانحطاط، خاصةً في القرن التاسع والعاشر[٣].

وعقد المؤرخ ديورانت فصلا بعنوان: الكنيسة في الحضيض (١٣٠٧-١٤١٧م)، ومما جاء فيه: «... في عام ١٣٢٧م اتفق رؤساء الأديرة في كولوني، وأعلنوا على الملأ أن: الكرسي الرسولي قد انحط إلى درجةٍ من الاحتقار تجعل المذهب الكاثوليكي يبدو مُعرَّضاً لأشد الأخطار.. وذلك لأن البابوية نفسها بعد أن صارت دولةً دنيويةً قد

---

(١) موسوعة الحقائق الكتابية، برسوم ميخائيل، ص: ٤٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٨٨-٤٨٩.

(٣) مختصر تاريخ الكنيسة، ملر، ص:٢٧٧.

اصطبغت بالصبغة القومية»[(١)].

وقال أرزمس: «إن العار الذي يجلل المحكمة البابوية العليا قد وصل إلى ذروته»[(٢)].

كما قرر ميكيافلي قاعدة أنه: «كلما كان الشعب أكثر قرباً من الكنيسة الرومانية قل دينه وتدينه»[(٣)].

ووصف كاتب كاثوليكي معاصر البابوية بأنها: «كانت بابويةً دنيويةً تهتم أساساً بالسياسات الإيطالية، وكانت مركزاً لبلاط غنى، عالمي، فاسدٍ وعاجزٍ عن تقديم قيادةٍ روحيةٍ فعالة، وإرشاداتٍ للكنيسة، وحقاً كان هذا البلاط يغوص منحدراً إلى أدنى درك في القيم الأخلاقية»[(٤)].

ولأجل فساد النظام البابوي، اندفع لوثر مهاجماً له حيث قال: «كنيسة روما، سابقا أقدس كل الكنائس أصبحت مغارةً لأعتى اللصوص الخارجين على القانون، أكثر وقاحةً من كل بيوت الدعارة، المملكة الفعلية للخطية والموت والجحيم حتى أن عدو المسيح، لو قدر له أن يأتي، ما كان يمكنه أن يبتكر أي إضافة إلى شرها»[(٥)].

ثم انتقل هجوم البروتستانت إلى روما تحديدا، بوصفها مقر البابوية، حيث شبهها الكاردينال بونا فينتورا بالعاهرة، وقال إنها تسكر الملوك والشعوب بخمرها، وأضاف أنها تفسد الرؤوس الكبرى للكنيسة، وهؤلاء يفسدون صغار الكنيسة

---

(١) قصة الحضارة:(٢٢/ ٢١-٣١).

(٢) المصدر نفسه:(٢/ ٤٢).

(٣) التاريخ الأسود للكنيسة، ص:٨٨.

(٤) تاريخ الكنيسة، (٤/ ٣٥).

(٥) المصدر نفسه: (٤/ ١٢٥-١٢٦).

وهؤلاء يفسدون الشعب»[1].

ثم انتقل الهجوم إلى الباباوات أنفسهم، ومن أقوال البروتستانت في ذلك:

١- قال مكسمليانوس إمبراطور أوستريا لما عرف خيانة

لاون العاشر: «أظن البابا منافقا؛ لأنه لم يف لي بابا بعهد قط، أسال الله أن يكون هذا آخر الباباوات»[2].

٢- وهاجم ويكلف البابا بقوله: «ليس للبابا قوة في الربط والحل أكثر من أي كاهن، إنها عندي مسألة إيمانٍ بأنه لا يجب على أي إنسان أن يتبع البابا أو حتى أحد القديسين في السماء إلا عندما يقتدون بالمسيح»[3].

وفي كتاباته اللاحقة استخدم لغةً عنيفة لدرجة أنه سمَّى البابا عدو المسيح»[4]، وقال عن رجال الدين: إنَّ كثيراً من رجال الدين يدنسون أعراض الزوجات والعذارى والأرامل والراهبات بكل ضروب الفسق .. وهاجم الكهنة الذين يتملقون الأغنياء ويذرون الفقراء، ولا يترددون في أن يغفروا ذنوب الأثرياء، ولكنَّهم يحرمون الفقراء المدقعين من حظيرة الدين لكونهم لا يؤدون العشور الكنسية.

وقرر ويكلف أنه لا يجب اتباع الباباوات إلا بقدر اتباعهم للمسيح نفسه، ثم عقد مقارنة بينهما بقوله: «.. يجب أن يدفع الناس إلى ألا يؤمنوا بالباباوات إلا بقدر ما يتبع هؤلاء تعاليم المسيح.. إن مقام البابا والقسيس في مقام اللورد بل قال في مقام الملك، في الشئون الروحية، ولكنه إذا ما جمع لنفسه الأملاك الدنيوية، أو السلطة السياسية، أصبح غير خليق بمنصبه، إن المسيح لم يكن له مكان يريح فيه رأسه، أما

---

(١) المصدر السابق، ص٨٧.

(٢) تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر، ص:١٨.

(٣) تاريخ الكنيسة، (٤/ ٥٢).

(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

هذا البابا فيقول عنه الناس إنه يمتلك نصف الإمبراطورية.. وكان المسيح وديعا.. أما البابا فيجلس على عرشه، ويجعل الأعيان يقبلون قدميه، ثم يشير ويكلف إشارة رقيقة فيقول إن البابا هو عدو المسيح الذي تنبأت به الرسالة الأولى من رسائل الرسول يوحنا، وأنه الوحش الوارد ذكره في سفر الرؤيا، والذي يُنبيء بعودة المسيح»[1].

٣- أما لوثر فقد هاجم أولاً ما يسميه بعض المؤرخين بالجدران الثلاثة التي شيدتها الكنيسة الكاثوليكية حول نفسها، وهي: التمييز بين رجال الإكليروس والعلمانيين، وحق البابا في تفسير الكتاب المقدس على هواه، وحقه المطلق في دعوة مجلس عام للكنيسة، وقال: إن كل هذه الدعاوي الثلاث يجب أن تهدم، ومما قاله في ذلك كما ينقل عنه ديورانت: «فأولاً: ليس هناك فرق حقيقي بين رجال الإكليروس والعلمانيين إذ أنَّ كل مسيحي ينصب قسيساً بالتعميد، ومن ثمَّ فإن على الحكام الزمنيين أن يمارسوا سلطانهم دون عائقٍ أو اعتراضٍ بغض النظر عمَّا إذا كانوا يسيئون إلى البابا أو الأسقف أو القس ... وكل ما نص عليه القانون الكنسي مما يناقض ذلك من خالص بنات أفكار الوقاحة الرومانية، وثانياً: بما أنَّ كل مسيحي يعد قساً فإنَّ له الحق في أن يفسر الكتاب المقدس طبقاً لما يراه، وثالثاً: يجب أن يكون الكتاب المقدس مرجعنا الأخير للعقيدة أو أداء الشعائر، والكتاب المقدس لا يقدم أي بينةٍ على حق البابا المطلق في دعوة مجلس .

ويجب دعوة مجلسٍ في أقرب وقتٍ وعليه أن يفحص المفارقة الفظيعة في أن زعيم العالم المسيحي يعيش في ترفٍ دنيويٍّ يفوق ما يحلم به أي ملك، ولابد أن يضع هذا حداً لاستيلاء رجال الدين الإيطاليين على التبرعات الألمانية، وأن يقلل إلى واحد في المائة من "زمرة الهوام" الذين يشغلون في روما مناصب دينية تدر عليهم دخلاً دون أن يؤدوا عملاً ويعيشون بصفةٍ أساسيةٍ على الأموال التي يسلبونها من ألمانيا[2].

---

(١) قصة الحضارة، (٢٢/ ٧٢)

(٢) المصدر نفسه: (٢٤/ ٢٨) .

٤- أما الشاعر الإيطالي دانتي فقد هجا الباباوات، وقال أن أقواهم في جهنم، بل وجعل في كل درجةٍ من درجات جهنم فئةً من رجال الكنيسة[١].

٥- أما الشاعر بترارك فقد طالب بإرجاع الكنيسة إلى حالها الأول، وهاجم الباباوات هجوماً شديداً، حيث قال: «هنا يحكم خلفاء صيادي الجليل الفقراء، لقد تناسوا تماما أصولهم.. هنا في بابل التي هي أفينيو موطن كل الرذائل والتعاسة، لا تقوى، لا إيمان، لا وقار، لا خوف الله ..لا شيء مقدس، لا شيء عادل، لا شيء مكرس، كل ما قرأتموه أوسمعتموه دائماً عن الغدر، والغش، والكبرياء، والوقاحة والدعارة المستبيحة، باختصار كل أمثلة العقوق والشرور التي يعرضها عليكم العالم تتجمع هنا..هنا يفقد الإنسان كل الأشياء الطيبة، يفقد أولاً الحرية، ثم بالتتابع يفقد السكينة والسعادة، والإيمان والرجاء والمحبة»[٢].

وأنزل البروتستانت النصوص الكتابية التي جاءت بأوصاف(ضد المسيح) بأنها البابوية القابعة في روما[٣].



(١) تاريخ الإصلاح، ص: ٢٥، والتاريخ الأسود، ص:٨٧-٨٩.

(٢) تاريخ الكنيسة،(٤/ ٣١-٣٢)

(٣) حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، ص:٣.٥.

المبحث الثاني:
موقف البروتستانت من السلطة البابوية

كما هاجم البروتستانت البابوية من حيث مفهومها، ونظامها هاجموا كذلك السلطة البابوية التي كانت في يد البابا وحده، وبدراسة أقوالهم في الهجوم على السلطة البابوية نجد أنهم ركزوا على أربعة أمورٍ جعلوها محور انتقادهم، وهي كما يأتي:

أولا: الوصول إلى السلطة واستخدامها بطريقة غير مشروعة:

يرى منتقدو السلطة البابوية أن كثيراً من الباباوات وصل إلى السلطة بطريقةٍ غير مشروعة، وأن طريقتهم المثلى في ذلك هي الرشوة والمحسوبية، وأن المال وليس الكفاءة الدينية (إن وجدت) أصبح هو المقياس في الوصول إلى المناصب الدينية، وانتشر في الباباوات بيع المناصب الدينية، وظهر ما عرف بـ "السيمونية"، وكان هؤلاء الباباوات لا يصلون إلى المنصب إلا ويبدأون بتعيين أقاربهم في مناصب لا يستحقونها، حتى انطبق عليهم، كما يقول المؤرخون المثل الإيطالي: «لا بد من عمل شيءٍ للعائلة»(١).

وقد أدى هذا العمل إلى نتائج كان لها أثر كبير جدا على البابوية، منها:

١- أصبح همُّ كثير من الباباوات - ممن وصل بهذه الطريقة- هو استرداد ما دفعه من مال للوصول إلى هذا المنصب، واضطر لذلك إلى استخدام طرقٍ غير مشروعةٍ أيضاً.

٢- وصل إلى هذا المنصب باباوات غير أكفاء، حتى من الناحية الدينية، وبعضهم لم يكونوا يعرفون اللغة اللاتينية، التي هي اللغة التي يستطيعون بها أداء الصلاة، وبلغ ببعضهم أن يتمتم بكلامٍ فارغٍ أمام الناس موهما إياهم أنهم يصلون

---

(١) انظر: التاريخ الأسود للكنيسة، ص: ٧٩.

بهم، ووصل الأمر إلى حد أنه كان من أقذع ما يوجه لشخصٍ ما من سباب أن يقال له: (ياقس)! [(١)].

يتحدث الدكتور القس فايز عن أثر السلطة البابوية فيقول: «هذه السلطة الرهيبة لم تجعل الكنيسة قوية، بل بالعكس أضعفتها، فصار الناس يتنافسون للحصول على الوظائف الكهنوتية بمختلف درجاتها، ويشترونها بالمال والرشوة دون أن تكون لهم أية رسالةٍ روحيةٍ أو ميول دينية، وعاش رجال الدين حياة خليعةً مستهترةً أنانية، كل اهتمامهم محصورٌ في المحافظة على سلطتهم وحقوقهم وامتيازاتهم الاجتماعية والمادية.. بل كان منهم من يسعى ليحتل أكثر من وظيفةٍ لينال إيرادات أكبر، ويعين أناساً أشراراً ليقوموا بعمله، وهكذا فسدت الأخلاق، وعمت الرذيلة، والسكر والعربدة، وابتدأ الناس يحتقرون الكهنة ويكرهونهم، ومع ذلك كانوا يخافونهم لأنهم تحت سلطتهم، ومن يقرأ الأدب المعاصر لتلك الحقبة من الزمن يشعر بالنقد اللاذع والهجوم الشديد على مخازي الكهنة والأساقفة والرهبان في الأديرة»[(٢)].

٣- لم يعد من الممكن أن يصل ذوو الكفاءات إلى هذه المناصب ولم يعد مألوفا وجودهم فيها؛ لأن المنصب ارتهن بدفع المال لا غير.

يقول ويل ديورانت عن ذلك: «ولم يكن مألوفاً أن يرقى ذوو الكفايات المعدمون في مناصب الكنيسة في القرن الخامس عشر، فقد كان كل منصبٍ تقريباً يتطلب رشوة الموظفين الأعلين فيها رشاوى تختلف بين المبالغ الصغيرة لنيل منصب القساوسة، والرشاوى الضخمة التي يؤديها كثيرٌ من الكرادلة لكي يرقوا إلى هذا المنصب لما يتطلب التملق الخفي للأعلياء، وكان من الأساليب المحببة للباباوات لجمع المال بيعهم مناصب الكنيسة، وكان هذا في عرف الباباوات هو تعيين أشخاص يرجى

---

(١) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٢) أضواء على الإصلاح الإنجيلي، ص:١١.

أن يسهموا بالكثير من المال فيما تحتاجه الكنيسة من نفقات بمنحهم ألقاب شرفٍ فخريةٍ قد تصل إلى لقب الكردينال نفسه، ومن ذلك أن إسكندر السادس[(١)] أنشأ ثمانين منصباً جديداً وقبض ٧٦٠ دوقة (١٩٠٠٠ دولار) من كل شخصٍ عُيِّن في منصبٍ من هذه المناصب، وأنشأ يوليوس الثاني (مجمعا) أو مكتبا مؤلفاً من ١٠١ أمين أدوا له مجتمعين ٢٤٠٠٠ دوقة ثمناً لهذه المناصب، ورشح ليو العاشر ٦٠ من الحجاب و ١٤١ من الأتباع في القصر البابوي واستحوذ منهم على ٢٠٠٢ دوقة»[(٢)].

٤ -لم يعد هناك أي اهتمامٍ بمسئولية ذلك المنصب الذي تقلده صاحبه:

تحول اهتمام متقلدي هذه المناصب إلى شئونهم الخاصة، وبعضهم عاش بعيداً عن مقر منصبه- الأبرشية أو الدير أو الأسقفية- وفي بعض الأحيان يعمل الشخص الواحد في الكثير من المناصب في ذات الوقت، ومن الأمثلة على ذلك: «الكاردينال رويجو بورجيا النشيط (الذي صار فيما بعد إسكندر السادس) قد وهب عدة مناصب مختلفةٍ كانت تدر عليه ٧٠٠٠دوقة (١٧٥٠٠٠دولار) في العام وأن عدوه الألد الكردينال دلاروفيري (الذي صار فيما بعد يوليوس الثاني) قد كان في وقتٍ واحدٍ كبير أساقفة أفنيون وأسقفا لبولونيا، ولوزان، وكوتانس، وقفير، ومندى، واستيا ونيليتوري ورئيسا لديري نونان تولا وجبروتا فراتا. كان في وسع الكنيسة بالجمع بين هذه المناصب أن تؤدي مرتبات كبار موظفيها التنفيذين، وأن تنفح بالهبات السخية في كثيرٍ من الأحيان الشعراء والعلماء وطلاب العلم»[(٣)].

وقد تدهور حال البابوية بمثل تلك الممارسات، وبلغ الانحدار غايته عندما

---

(١) إسكندر السادس: (١٤٩٢-١٥٠٣م)، اسمه رودريغو دي بورجيا، ولد في شاطبة (بلنسية إسبانيا)، كان همه الوحيد السهر على مصالح عائلته والحصول على أراضي جديدة، وفي عهده تم اجتياح إيطاليا على يد ملك فرنسا. انظر: معجم الباباوات، ص: ١٨٤ .

(٢) قصة الحضارة، (٢٢/ ٤٢-٤٣).

(٣) المصدر نفسه، (٢٢/ ٤٣).

تفننت عقول الباباوات بوسائل جديدة تدر عليهم المال، فمثلاً البابا سيكوستوس الرابع[1] الذي انتخب عام ١٤٧١م كان أول من أعطى تراخيص لبيوت الدعارة، ليجني منها جباية سنوية، وكان أول من باع صكوك الغفران للأموات وليس للأحياء، حتى تسابق الناس لدفع أي ثمنٍ ليضمنوا الغفران لأحبائهم، ونال البابا أموالاً طائلة من وراء ذلك، واخترع الباباوات حيلاً جديدةً كذلك، وهي بيع الأعضاء الآدمية على أنها لقديسين لنوال البركة[2].

ثانياً: حدود السلطة البابوية:

قرر المجلس الفاتيكاني الأول الذي انعقد في عام ١٨٦٩م أن البابا هو القائد الأعلى لجميع الكنائس في العالم في كل من يتعلق بإدارتها ونظامها.

وعلى ذلك فسلطته ممتدةٌ بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ لكل كنيسة، وقس، وكل مرتادٍ للكنيسة أيضا[3].

ورأى المجلس هذه السلطة تعتمد على إرشاداتٍ واضحةٍ وردت في الكتاب المقدس، وهذه الإشارات متفقةٌ مع قرارات المجلس وآراء الباباوات السابقين.

وينتقد البروتستانت هذا القرار؛ لأنه -في نظرهم- لا يستند على أسسٍ صحيحة، فبالنسبة للباباوات السابقين لم يجد أحدهم في الكتابات المقدسة ما يشير إلى هيمنة شخصٍ واحدٍ على مجريات جميع كنائس الدنيا، بل هناك أدلةٌ على أن لكل راعٍ أن يحكم كنيسته بما يراه صالحاً لها، وأن محاولة باباوات روما حكم كنائس العالم أدت

---

(١) سكتس الرابع: (١٤٧١-١٤٨٤) هو فرنشيسكو دللا روفيري، كان قبل حبريته رئيسا عاما للرهبنة الفرنسيسكانية وأستاذاً في جامعة بولونيا، وفي عهده تحولت الكنيسة إلى مؤسسة دنيوية. انظر: معجم الباباوات، ص: ١٧٨ .

(٢) انظر: التاريخ الأسود، ص:٨٠.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص:١٥٧.

إلى انشقاق الكنائس الشرقية (الأرثوذكسية) التي لم تعترف بهيمنة بابا روما عليها[١].

ويستند البروتستانت في هذا النقد على أساس أن المسيح عليه السلام -في نظرهم- هو الرئيس الأعلى، وصاحب السلطة المطلقة على الكنيسة، وما يقوم به الخدام إنما هو نابع من سلطة المسيح نفسه، وليس مستقلاً بذاته[٢]،وعلى ذلك فهم يرون أن البابا قد انتزع هذه السلطات من سلطة المسيح نفسه.

وأنكر البروتستانت ذلك التوسع الكبير في استخدام هذه السلطة، التي شملت حتى السلطة الزمنية، وطالت الحكام والأمراء، ولذلك نجد كتابات البروتستانت تدعو إلى الخضوع للسلطة الزمنية، وأن تكون الكنيسة تابعةً خاضعةً للدولة دون غيرها، وأنكر ويكلف حتى السلطة الروحية، وقال في البند الرابع والعشرين ضمن بنوده السبعة والستين التي دافع عنها: «لا أساس للسلطة الروحية التي يطلق عليها اسم الكنيسة»[٣].

ورفض لوثر وجود واسطة بين الخالق والمخلوق، وقرر أنَّ كل الذين ينشدون الوصول إلى الله، ويعملون من أجل الوصول إليه بأي وسيلةٍ غير التوسل بالمسيح فإنهَّم يعيشون في ظلامٍ دامس[٤].

وهذه الفكرة اللوثرية انتقلت إلى دعوةٍ ثوريةٍ تسعى إلى تجريد رجال الدين من كل سلطاتهم، وقد بلغت قمتها عندما أعلن لوثر أنَّ مصطلح الكنيسة لا يعني إلا جماعة المؤمنين وأن كل نصرانيٍّ يمكن أن يكون قسيساً، وإذا تقرر ذلك لم يبق لأحدٍ من رجال الدين أيُّ مزيةٍ فضلاً عن أن يكون له شيءٌ من السلطة .

(١) انظر: المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٢) انظر: مدخل إلى الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص:٢٢٧.

(٣) قصة الحضارة: (١٢/ ١١٧).

(٤) المصدر نفسه: (٢٤/ ٦٦).

يقول ويل ديورانت: «وأعظم مادةٍ ثوريةٍ في لاهوت لوثر هي تجريد القسيس من منصبه، وإباحته للقساوسة الحصول على راتب لا بصفتهم موزعين لا غنى عنهم للقربان المقدس، ولا باعتبارهم وسطاء مختصين بين الله وبين الناس، ولكن بصفتهم خادمين اختارتهم كل أبرشية للوفاء بحاجاتها الروحية ولسوف يبعد هؤلاء القساوسة بزواجهم وتنشئتهم للأسرة هالة القداسة التي جعلت منصب القسوسية قوياً رهيبا... ولكن أي إنسانٍ في وسعه عند الحاجة أن يقوم بوظائفهم بل يحل تائباً من ذنبه»[(١)].

وهذا النص في غاية الأهمية لأنه ينتزع من رجال الدين كل سلطاتهم، ويجعلهم مثل بقية العلمانيين، وأنَّ أعمالهم لم تكن بمقتضى سلطتهم أو قداستهم، بل من باب الخدمة لإخوانهم، وأنَّ الانسان ليس في حاجة إليهم لأنَّه يستطيع أن يقوم بذلك بنفسه .

ويتحدث المؤرخ ملر متعجباً من هذه السلطة التي سادت في القرن السادس عشرولم تستثن شخصا ينتمي إلى الكنيسة إلا وشملته، حيث قال: «تلك كانت سيادة الكهنوت غير المحدودة في أوائل القرن السادس عشر، لم يكن هناك مخلوقٌ مستقلٌ عن الكاهن، بل كان الكاهن هو سيد كل صغيرٍ وكبيرٍ، وكان له مطلق السلطان على الجسد والنفس، على الدهر الحاضر والأبدية، ولم يكن في مقدور أحدٍ التعرض لغضبه أو الوقوف أمام توبيخه، فالحرمان كان يقطع الكل في الحال مهما كانت رتبته أو مقامه، ويطوح به بعيداً عن حظيرة الكنيسة، التي خارج حدودها لا يوجد أقل أملٍ في الخلاص، أليس عجيباً أنه في هذا الوقت لم يكن هناك أي خطرٍ يهدد هذا البرج، برج الإثم العالي الشامخ؟ فمن الفاتيكان إلى أصغر أبروشية كانت طمأنينة الكنيسة وسلامتها تبدو كأنها قد ضمنت ضمانا أبديا، فالهرطقات والحركات المختلفة التي أزعجتها وأقلقتها طوال القرون الماضية كانت قد سحقت بالنار والحديد، والشكاوي والالتماسات من أعز أبنائها وأبرهم رُفضت رفضاً شنيعاً جارحا، ونصائح أصدقائها

(١) المصدر السابق، الصفحة نفسها .

وأعز أحبابها قد أهملت وامتهنت وضرب بها عرض الحائط»[1].

وفي رؤيتهم النقدية للكنيسة دعا البروتستانت إلى أن تكون السلطة في يد "مجلس"، وليست في يد شخصٍ واحد، واعتمد البروتستانت في ذلك على أقوال الفلاسفة الذين وضعوا الأسس النظرية لـ "حركة المجالس"، ورفضوا الفكرة القائلة بأن"الكنيسة هي رجال الدين"، فقد قال وليم أوكهام «إن الكنيسة هي جماعة المؤمنين، وأن الكل هو صاحب السلطان الأعلى على كل جزءٍ من أجزائه، وأن من حق هذا الكل أن يعهد بسلطانه إلى مجلسٍ أعلى مؤلَّفٍ من جميع أساقفة الكنيسة ورؤساء إداراتها، وأن من حق المجلس المؤلف على هذا النحو أن يختار البابا ويزجره، ويعاقبه ويخلعه»[2].

وكذلك قال مرسليوس من أهل بدو «إن المجلس العام يمثل محكمة العالم المسيحي مجتمعا فكيف يحق إذن لرجلٍ واحدٍ أياً كان شأنه أن يضع عقله في منزلةٍ أعلى من عقل العالم المسيحي كله؟»[3]، وكان يرى أن هذا المجلس يجب ألا يؤلَّف من رجال الدين وحدهم بل يجب أن ينضم إليهم من غير رجال الدين من يختارهم الشعب.[4].

وهذه النظرية قد وُجِد تطبيق لها منذ القرن الخامس عشر، حيث جعل مجلس كونستانس الذي عقد في القرن الخامس عشر سلطة المجلس فوق سلطة البابا، وكذلك المجالس الكنسية المسكونية الثمانية التي انعقدت منذ عام ٣٢٥م كان الملك هو الداعي لها والمؤثر على قراراتها، كما قرر مجمع نيقية عام ٣٢٥م أن لكل راعي كنيسة أن يحتفظ بحكم كنيسته، وعندما طالب البابا ليون بسلطاتٍ أكبر في مجمع

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة، ص٤٢٦.

(٢) قصة الحضارة: (٢٢/ ٢٣).

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

خلقدونية عام ٤٥١م رفض المجمع طلبه[١].

وأخيرا رأى البروتستانت أن سلطة الكنيسة كما أنها ليست زمنية، ولا روحية، فيجب أن تقتصر على وظيفة الخدمة، وهذه تختص بأمرين فقط هما، التعليم بالإنجيل والوعظ به، وممارسة الأسرار (المعمودية والعشاء الرباني فقط).

وخلاصة ما سبق: أن البروتستانت في نقدهم لتوسع البابوية في السلطة، ركزوا على أربعة جوانب هي:

١- السلطة الكاملة للمسيح وليست للبابا.

٢- نفي السلطة الزمنية وحتى الروحية.

٣- حصر السلطة في التعليم وممارسة سري التعميد والعشاء الرباني.

٤- انتزاع السلطة من يد البابا وجعلها لمجلس الكنيسة.

ثالثا: الدعوة إلى مقاطعة سلطة روما والانفصال عنها:

ارتفعت لهجة النقد للسلطة البابوية إلى أعلى مستوياتها عندما أعلن البروتستانت صراحة دعوتهم إلى التحرر من سلطة روما، وطالبوا علنا بالانفصال عنها، عندما رأوا منها الإصرار على سياستها وعدم استجابتها لدعوات المنتقدين لها.

فقد كتب لوثر نداءه المشهور(إلى نبلاء المسيحيين في الأمة الألمانية)، وتضمن هذا النداء دعوة للمقاطعات الألمانية أن تتحرر، معلناً بأن جميع المؤمنين هم كهنة ولهم حق الاقتراب إلى الله مباشرة[٢].

وبالفعل اهتدى لوثر إلى فكرة أن «مسيحية منقسمة بلا شك أفضل من مسيحية يرأسها بابا يعمل ضد تعاليمها، وأن يسترشد بالإنجيل رأسا أفضل من أن يقوده بابا

---

(١) انظر: التاريخ الأسود، ص: ١٥٨.

(٢) أضواء على الإصلاح الإنجيلي، ص٣٤.

فاسد الذمة».

وهكذا نجد أن البروتستانت في نقدهم للسلطة البابوية سلكوا منهجاً متدرجا، حيث نقدوا الوصول إلى السلطة بطريقةٍ غير مشروعة، ومن ثم استخدامها بطريقةٍ غير مشروعة أيضا، ثم حاولوا تضييق حدود السلطة، حتى لم تعد تشمل إلا الوعظ وممارسة الأسرار، ثم هاجموا سلطة بابا روما صراحةً ودعوا إلى الانفصال عنه.



المبحث الثالث:
موقف البروتستانت من الإضافات البابوية

ينتقد البروتستانت إضافات الكنيسة الكاثوليكية على وجه العموم، إذ يرون أنها لا تقوم على أي مستندٍ من الكتاب المقدس، وإنما هي نتاج عقول الباباوات الذين لم يدخروا وسعاً في اقتراح أي وسيلة تدر عليهم الأموال، ولو كانت طرقا غير شرعية، وقد كادت البابوية أن تحصر الديانة في ممارسة هذه الطقوس، مما كان له أثر كبير في انحطاط الديانة، وانحطاط التعليم وراء ذلك.

ويتحدث الدكتور القس فايز فارس عن هذا المعنى قائلاً: «كان طبيعياً والحالة هكذا، أن تنحط الديانة وينعدم التعليم الديني للشعب، فانحصرت الديانة في الطقوس التي كان يعزى إليها الخلاص بكيفية أشبه بالسحر، وفي الصلوات إلى أرواح العذراء وللقديسين بغية نوال بركتهم، والخوف من لعنة الكهنة، والأرواح الشريرة، والاتكال على الأحجبة والتعاويذ وذخائر القديسين لتخليص الناس من العذاب، وصار الشعب دون رعاية روحية، وضعُف إشراف الأساقفة على الكهنة، واكتفوا بقراءة الطقوس والصلوات باللغة اللاتينية التي لم يكن الشعب أو حتى بعض الكهنة يفهمونها، ونادراً ما كان الكهنة يعظمون الشعب، هذا الوقت الذي نشأت فيه في أوربا مدنٌ جديدة، وتزايد السكان، لكن الرعاية والعناية الروحية بالناس قلت بل تكاد تكون انعدمت»(١).

ونأتي الآن إلى تفصيل أهم المسائل التي وجه إليها البروتستانت سهام الانتقاد مع ذكر بعض أقوالهم في ذلك.

---

(١) المصدر السابق، ص: (١١-١٢)

أولا: نقد صكوك الغفران:

احتلت مسألة الغفران التي تحولت فيها بعد إلى صكوك تعطى للتائب قائمة اهتمام المنتقدين للبابوية، ويعود ذلك إلى خطورة هذه المسألة، وآثارها المدمرة على رجال الكنيسة، وعلى الشعب النصراني على السواء، والطريقة الفجة التي انتشرت بها واكتسحت أنحاء أوربا.

وقد كانت هذه المسألة امتدادا للنظام المتعلق بالتوبة، حيث إن التائب كان يعترف بخطاياه للكاهن ليحصل على الغفران، ثم يقوم بعد ذلك بأعمالٍ خاصةٍ بالتوبة لتخفف من حسابه في الدينونة الأبدية، وهذه الأعمال تكون في صورة صلوات، أو أصوام، أو نحو ذلك(١)، ثم تطورت بعد ذلك حتى تحولت إلى "صك غفران" يُختم بختم بابا، ويعطى للتائب مقابل دراهم معدودةٍ ليفوز بالغفران –ولو من غير توبة–، فما أن ترن دراهم التائب في صندوق بائع الصكوك، إلا وقد غفر ذنبه، وأصبح في حلٍّ بعد ذلك أن يفعل ما يشاء، وليس عليه مثقال ذرةٍ من الحرج بعدما نال تلك النعمة.

ولقد كانت هذه الصكوك مهزلة أوقعت كثيراً من البسطاء في فخها فأقبلوا عليها فرحين بغفران ذنوبهم، ولكنها أثارت السخرية لدى كثيرٍ من العقلاء، لذلك حاولت عقول البابوات أن توجد لها تفسيراً منطقياً –ولو في نظرها– لهذه الفكرة فقالت للناس: إن للمسيح، ومريم العذراء، والقديسين من الفضائل ما هو أكثر من اللازم لخلاصهم، ولهم من الأعمال أكثر من ما يحتاجون، وبمعنى آخر: فإن البركة التي تجمعت من الآم المسيح وكذلك القديسين جعلت لهم من الحسنات ما يزيد على حاجتهم، ومن هذه الفضائل، والأعمال، والبركات تَحصَّل رصيد عظيم، وإن البابا هو الذي يملك مفتاح هذا "الكنز"، ومنه يهب الغفران للمذنبين من الأحياء، وحتى

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة، (٤/ ٣٨).

الأموات الذين هم في المطهر، فيمكن لأقاربهم أن يشتروا صكوك الغفران ليفرجوا عنهم[1].

وكانت صيغة صك الغفران الذي اخترعته واعتمدته البابوية كما يأتي: «ألا فليرحمك الرب يسوع المسيح، ويغفر لك بفضل ما لقي من آلام مقدسة، وأنا (أي بائع الصكوك) بتفويض منه، ومن رسوليه المباركين بطرس وبولس، ومن البابا المقدس منح لي وعهد به إلي في هذه الأجزاء أن أُحلك أولاً من كل لومٍ دينيٍّ مهما كانت الطريقة التي تعرضت لها، ثم من كل خطاياك، ومن كل تجاوز للحدود، وكل إفراطٍ في الملذات مهما بلغت من الجسامة، بل حتى من أي إثمٍ تحتفظ بتقريره وإدراكه السدة البابوية، وبقدر ما يمتد نطاق سلطان الكنيسة المقدسة أعفيك من كل عقابٍ تستحقه في المطهر بسبب هذه الآثام، وأعيدك إلى القربان المقدس للكنيسة، وإلى البراءة والطهر الذي حزتهما في العماد، ولهذا فإنك عندما تموت ستغلق أمامك أبواب العذاب، وتفتح لك أبواب جنة النعيم، وإذ لم تمت الآن فإن هذا الفضل سوف يظل في أوج قوته عندما تصبح على وشك الموت باسم الرب، والابن، والروح القدس»[2].

بدأت هذه البدعة في أواخر القرن الحادي عشر، وتحديداً في عام ١٠٩٥م، في المجمع الذي عقدة البابا أوربان الثاني في مدينة "كليرمونت" في الجلسة السادسة من جلسات المجمع، التي خصصت للحديث عن الحروب الصليبية، حيث قام أوربان واعتلى منبراً عالياً وألقى على الجماهير خطبةً حماسيةً طويلةً استثار فيها عواطف شعبه، وأعلن في ختامها تحليلا، وغفرانا لجميع الخطايا، وذلك بدون توبة لكل من يحمل السلاح في تلك الحرب المقدسة، بل وعد بالحياة الأبدية لكل من يقابل "الموت المجيد" في الأرض "المقدسة" أو في طريقه إليها، ومن طريف ما قال: إنه يجب أن

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، (٣٠١-٣٠٢)، تاريخ الكنيسة: (٤/ ٣٨)، قصة الحضارة: (١٦/ ١٧)

(٢) قصة الحضارة:(٢٤/ ٥).

يبقى في الكنيسة لحاجتها إليه، ولكن إذا سمحت الظروف فسوف يلحق بهم، ولكنه سيبقى منشغلاً لأجلهم، وقال بعض المؤرخين (لم يحدده الناقل) إنه لم توجد خطبةٌ في التاريخ عملت مثلما عملت خطبة أوربان الثاني وأنتجت ما أنتجته من الآثار على المدى البعيد.» [١].

كانت ألمانيا هي المنطقة التي بدأت منها ثورة البروتستانت، وكانت صكوك الغفران هي المسألة التي أشعلت هذه الثورة، ويذكر المؤرخون أن انطلاق الثورة من ألمانيا كان له سببان: الأول: أن ألمانيا كانت من أكثر البلاد معاناةً من مساوىء الكنيسة، حيث بلغت أملاك الكنيسة وحدها إلى نصف الممتلكات الألمانية، والسبب الثاني: هو رغبة الأمير "ألبرت" في الاحتفاظ برئاسة كنيستين من الكنائس الرئيسية في ألمانيا، وهو ما يخالف القوانين الكنسية، وكان ألبرت على استعداد لدفع الثمن لهذا المنصب، وكان البابا ليون في حاجة للمال لتجديد كنيسة بطرس، ولأن ألبرت لم يكن يملك السيولة الكافية لدفع المقابل نقداً فإن البابا ليو سمح له بقرضٍ كبير، وبسعر فائدةٍ عال، وسمح البابا للأمير ببيع صكوك الغفران لمدة ثماني سنوات، بحيث يعود نصف عائدها للبنوك، والنصف الآخر للبابا لترميم كنيسة بطرس[٢].

ولإتمام تلك الصفقة تم تعيين الراهب الدومنيكي تتزل لأداء المهمة في ألمانيا، وعندما قدم الراهب عام ١٥١٧م، إلى ويتبرغ، حيث كان يقيم لوثر بدأ عرضه العاطفي المغري لبيع صكوك الغفران، وكان يقول: «بمجرد أن ترن العملة النقدية في الصندوق، تقفز الروح من المطهر، وكانت تعرض في عربة بيع الصكوك "ذخائر من القديسين" من العظام، أو الشعر، أو مسامير الصليب، أوكسوة أو عشاء الخبز الرباني -كما يدعي أصحابها- وكانت تعرض للمشاهدة والتبرك بها مقابل مبلغ من المال[٣].

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة،ص:٢٥٩.

(٢) انظر: التاريخ الأسود، ص: (٨٦-٨٧)

(٣) انظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص:٥٠.

وبسبب ذلك هاجم البروتستانت هذه البدعة، وكان من أوائل من انتقدها ويكلف، حيث قال في ذلك - كما يذكر ديورانت -: «إن الأحبار يخدعون الناس بصكوك الغفران الزائفة أو وثائق المغفرة، وينهبون بذلك الأموال - لعنة الله عليهم - .. وما أشد حماقة من يبتاعون هذه الصكوك بهذه الأثمان الغالية، وإذا كان في مقدور البابا أن ينزع الأرواح من المطهر فلم لم ينزعها على الفور عملاً بروح الإحسان المسيحية»(١).بل هاجم ويكلف حتى مجرد الاعتراف السري، حيث قال: «لا حاجة إلى الاعتراف السري أمام القساوسة، فذلك اعتراف أدخله الشيطان أخيراً في الدين؛ ذلك أنَّ المسيح لم يكن يعمل به، كما لم يعمل به أحدٌ من الحواريين من بعده، وبه استحال الناس الآن عبيداً لرجال الدين، وهو يستخدم الآن أسوأ استخدامٍ للأغراض الاقتصادية والسياسية، وبهذا الاعتراف يستطيع الراهب والراهبة أن يرتكبا الخطيئة معا.. لكن الحق الذي لاريب فيه أن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب»(٢) .

وبسببها خرج لوثر يناهض علنا بيع صكوك الغفران، ويبين أن صكوك الغفران تعلم الناس«أن يخافوا عقاب الخطيئة أكثر من الخطيئة نفسها»، ثم قام بعد ذلك وذهب إلى كنيسة ويتنبرغ، وعلق على بابها عريضةً مكتوبةً باللاتينية، ضد بيع صكوك الغفران، عرفت فيما بعد ب "القضايا الخمس والتسعون"(٣).

وكانت أغلب بنود هذه العريضة في نقد صكوك الغفران، وإن كانت قد اشتملت على مسائل أخرى، ومن هذه البنود:

---

(١) قصة الحضارة: (٢٢/ ٧١).

(٢) المصدر نفسه: (٢٢/ ٧٣).

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص:٥١، ووضع العريضة على باب الكنيسة كان عادة من عادات الأكاديميين، فكان أحدهم عندما يريد مناقشة أفكاره يضعها في عريضة ويعلقها على باب الكنيسة ليرد عليها المعنيون بالأمر (نفس المصدر ونفس الصفحة)

١ - إن البابا لا يقدر ولا يريد أن يرفع قصاصاً إلا ما أمر به من تلقاء إرادته أو ما وافق القوانين أعني الفرائض.

٢ - إن رسل الغفرانات يضلون بقولهم إن الغفران البابوي ينقذ الإنسان من كل قصاص فيخلص.

٣- إن القائل بأنه متى رنت الدراهم في الصندوق المتين تطير النفس من المطهر إنما يبشر بحماقة بشرية محضة.

٤ - إن المتوهمين أنهم صاروا بواسطة الغفرانات في أمن يذهبون إلى الهلاك مع من يعلمونهم ذلك.

٥ - إن كل مسيحي يتوب عن خطاياه حق التوبة ينال غفرانا كاملا بلا أدنى حاجة إلى الغفرانات البابوية»[(١)].

كانت هذه سيرة صكوك الغفران، وموقف البروتستانت منها - ولاسيما لوثر - الذي كان من أكثر من انتقدها من المصلحين.

وحاصل انتقادات البروتستانت لهذه البدعة تدور حول ما يأتي:

١ - تتعارض مع الكتاب المقدس معارضة صارخةً؛ لأنها تجيز الغفران بدون توبة.

٢ - تهدم نظام التأديب الكنسي جملة.

٣- تعطي رخصةً لارتكاب الخطايا والمنكرات.

٤ - تفصل الفضيلة عن الدين فصلاً نهائيا.

٥ - ليست إلا وسيلةً لجمع المال، وقد ذكر المؤرخ النصراني القس جون لوريمر «أن صكوك الغفران أحد المشروعات العديدة المدرة للمال التي اخترعتها كنيسة

(١) تاريخ الإصلاح الديني في القرن السادس عشر، ص:٨٨.

العصر الوسيط»[١].

ثانيا: عقيدة الاستحالة:

يقصد بالاستحالة استحالة الخمر والخبز إلى جسد المسيح ودمه في العشاء الرباني[٢]، وهذا هو اعتقاد الكاثوليك، ولكن البروتستانت وإن كان يختلفون فيما بينهم[٣] إلا أنهم يتفقون على أن عقيدة الاستحالة (التحول إلى جسد المسيح ودمه) هي هرطقة شرعها البابا إنوسنت الثالث[٤].

ولذلك يرى البروتستانت انطلاقاً من الأصل الأساسي عندهم، وهو سلطة الكتاب المقدس وحده، أن الكتاب المقدس ليس فيه أي دليلٍ على هذه العقيدة، ولذلك فهو من سائر البدع التي ابتدعها الكاثوليك، ويرون أن الكاثوليك أساءوا تفسير النصوص التي اعتمدوا عليها في تقرير هذه العقيدة، ثم يردون على استدلال الكاثوليك بهذه الأدلة تفصيلا، وذلك كما يأتي:

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، ص:٣٠٢، تاريخ الكنيسة: (٤/ ٣٨)

(٢) معجم الإيمان المسيحي، ص:٣٤ .

(٣) يختلف البروتستانت في طبيعة وفاعلية العشاء الرباني، وهم في ذلك على ثلاثة آراء أساسية (الأول: الرأي الزونجلي، ويعرف بالرأي التذكاري المجرد. وهو أن العشاء الرباني مجرد تذكار لموت المسيح، من غير أن تكون فيه أدنى فاعلية في حد ذاته، ولا يحضر فيه المسيح على الإطلاق لا جسديا ولا روحيا. الثاني: الرأي اللوثري، وهو لا يقول باستحالة الخبز ونتاج الكرم إلى الجسد والدم. لكنه يقول أنه وإن كان الخبز ونتاج الكرم لا يستحيلان في جوهرهما إلى جسد المسيح ودمه، إلا أن المسيح حاضر في الفريضة جسديا، ويرافق العنصرين على منوال سري.الثالث: الرأي الإنجيلي المصلحي ومفاده أن فاعلية العشاء الرباني ليست ذاتية فيه، لكنها تحصل بواسطة الروح القدس الذي يرافقه ويبلغ فوائده إلى قلوب الذين يتناولونه بالإيمان. فالروح القدس هو الذي يجعل الفريضة المقدسة واسطة لتوثيق روابط الاتحاد بين المؤمنين وبين فاديهم، وعلى هذا تكون للعشاء الرباني فاعلية روحية عظيمة في بنيان المشتركين، وتقوية اتحادهم الروحي بالمسيح.

(٤) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص:٣٦.

جاء في كتاب شرح أصول الإيمان سؤال حول هذه العقيدة، كما يأتي: «على أي أساس بني التقليديون[1] اعتقادهم بالاستحالة؟. وكان ملخص الجواب: إن هذا الرأي مبني على سوء تفسير آيتين في الكتاب المقدس.

أحدهما: وردت في إنجيل يوحنا، وهي قول المسيح: «إن لم تأكلوا جسد الإنسان وتشربوا دمه فليست لكم حياة. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية»[2].

والثانية: هي قوله في متى «خذوا كلوا هذا هو جسدي... لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا».

ولقد أساؤوا تفسير الأولى، فحملوها على غير ما وضعت له، بأن قرنوها بالعشاء الرباني، مع أن بينها وبين الظرف الذي رسم فيه العشاء الرباني بوناً واسعاً ولو أنصفوا لقالوا إنها قيلت بمناسبة الكلام عن المن الذي أكله الإسرائيليون في البرية، فكان من الطبيعي أن يُشَبِّه المسيحُ الإيمانَ به عندئذ بالأكل، كما أنه شبَّه الإيمان به بالشرب، بمناسبة كلامه مع المرأة السامرية عن الماء؛ لأن المسيح كان يخلع على أحاديثه لباساً مستمداً من الظروف المحيطة بهذه الأحاديث[3].

ويرد البروتستانت على الكاثوليك حول هذه العقيدة بأمورٍ أخرى غير الرد على استدلالاتهم الكتابية، فيرون:

١ - أن التعليم بأن الخبز والخمر يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه الحقيقيين بدعة لم تكن موجودة عند المسيحيين الأولين. وقد ظهر هذا التعليم أولاً على الصورة التي هو عليها الآن في الكنيسة الغربية في القرن التاسع. لكنه لم يقبل عند جمهور المسيحيين، ولا صار تعليماً من تعاليم الكنيسة إلا في القرن الثالث عشر في أيام البابا

---

(١) التقليديون: الذين يؤمنون بالتقليد، وهم الكاثوليك والأرثوذكس.

(٢) يوحنا: (٦/ ٥٣-٥٤).

(٣) متى: (٢٦/ ١٦-٢٨)

إينوسنتيوس الثالث.

٢- أن الآباء الأولين يعلِّمون صريحاً بأن العناصر المقدسة، إنما هي رموز، وصورٌ وتشبيهاتٌ، وإشاراتٌ مجازيةٍ، لجسد المسيح ودمه، ولم يكتفوا بذلك، بل قالوا صريحاً إن المتناولين لا يأكلون جسد المسيح الحقيقي، ولا يشربون دمه الحقيقي.

٣- في هذه الفريضة لا يقدم المسيح ذبيحة لأبيه، ولا تقدم فيه ذبيحةٌ من أي نوعٍ كان، سواء لأجل خطايا الأحياء أو الأموات، بل إنما هو تذكار لتلك الذبيحة التي قدمت على الصليب مرة واحدة.

٤- أن الاعتقاد بالاستحالة مضاد لحكم الحواس السليمة؛ لأن الخبز بشهادة الحواس، لا يزال خبزاً، وعصير العنب لا يزال كذلك بعد البركة.

٥- أن هذا الاعتقاد مضاد لحكم العقل السليم، سيما متى ذكرنا قولهم: (أن الاستحالة تقع في جوهر الخبز والخمر لا في أعراضها)، زعماً منهم أن أعراض العنصرين تختلف عن جوهرهما، وهذا القول مناقضٌ لنفسه، لدى كل ذي عقل سليم، إننا لا ننكر أن الله قادر على تحويل الخبز إلى لحم، لكننا نقول: لو أنه عمل ذلك لغير العرض والجوهرمعا، ومن مضادته للعقل كون جسد المسيح لم يكن قد كسر بعد عند رسم هذه الفريضة، بل المسيح كان موجوداً بين التلاميذ حينما قال:(خذوا كلوا هذا هو جسدي)، فلا يعقل أن المسيح يوزع جسده بالذات على التلاميذ مع أنه كان متمتعاً بهذا الجسد عينه وهو موجود معهم[1].

وهكذا تبين لنا أن هذه العقيدة من وجهة نظرالبروتستانت ليس لها أساسٌ من الكتاب المقدس، ولم تظهر إلا في القرن التاسع، ثم ترسخت بعد ذلك.

ولذلك أنكرها البروتستانت في كتاباتهم وانتقاداتهم للبابوية.

وقد جاء في اعتراف الإيمان في جنيفا (١٥٣٦م)، الفقرة:١٦، تحت عنوان:

---

(١) انظر: شرح أصول الإيمان، ص: ٥١١ وما بعدها بتصرف واختصار.

(العشاء الرباني): «وبقدر ما كان القداس عند البابا رسما شيطانياً هالكاً يفسد سر العشاء المقدس فهو مقيت لنا، كعبادة أوثان مرذولة من الله؛ لأنهم يعتبرونه ذبيحة، من أجل خلاص النفوس، لدرجة أن الخبز فيه يعبد كالله، وإلى ذلك يتضمن تجديفات وأوهام رديئة، وإساءة لكلمة الله التي تتلى دون منفعة أو تنوير»[1].

يقول ويكلف عن هذه العقيدة: من واجبنا أن نرتاب بوجه عام في صحة العشاء الرباني الذي يقربه القس الآثم والخارج على الدين .. لا يستطيع أحدٌ أن يحيل الخبز المقدس إلى جسم المسيح ودمه..، وكان يستشنع من أن بعض من يعرفهم من القساوسة يستطيعون أن يأتوا بهذه المعجزة التي هي من صنع الله وحده، وهو يعتقد وجود المسيح عليه السلام مع الخبز والنبيذ، وأنَّهما لم ينعدمان كما تدعي الكنيسة .

ويقول مارتن لوثر في رده على سؤال: هل يتحول الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح؟ فيقول: «الخبز والخمر لا يتحولان إلى جسد المسيح؛ لأن الكتاب المقدس يعلن صراحة بأن الخبز والخمر لا يزالان حاضرين في السر المقدس»[2].

كما يرى زونجلي «أن العشاء الرباني ليس ذبيحة، هو فقط تذكارٌ لذبيحة المسيح، وأن الأطعمة لا قيمة لها»[3].

ويقول كالفن منكراً لهذه العقيدة: «إنه من المستحيل أن يكون جسد المسيح، في آنٍ واحدٍ في السماء، وفي عدة أماكن أرضية»[4]، و«إن الحق أن المسيح موجود في القربان المقدس بروحه لا بجسده، وعبادة رقاقة الخبز المقدسة، بدعوى أن المسيح يحل فيها بجسده، هي وثنية محضة»[5]، فهو ينكر عقيدة الاستحالة، وإن كان وقع في الخطأ

---

(١) كتاب العقائد للكنائس الإنجيلية المصلحة، ص: ١٩ .

(٢) المصدر نفسه، ص:٥١١-٥١٢.

(٣) مختصر تاريخ الكنيسة، ص:٥٢٣.

(٤) تاريخ الكنيسة المفصل:(٣/ ٨١).

(٥) قصة الحضارة: (٢٤/ ٢١٤).

عندما أثبت حضوراً روحياً للمسيح في أثناء القداس.

وهنا ملحظٌ مهم، وهو أن البروتستانت في انتقادهم لهذه البدعة ينطلقون من منطلقاتٍ أخرى، غير مجرد اعتمادهم على الكتاب المقدس، ومن ذلك:

المبدأ الأول: الذبيحة الكاملة هي للمسيح:

الذبيحة الواحدة والوحيدة هي ذبيحة المسيح ويقصد بها كفارته بموته على الصليب، وهذه الذبيحة كانت مرةً واحدة، ولكن المسيح أعد بها لكل مؤمن به خلاصاً أبديا، من دينونة الديان، والاستعباد من الشيطان[(١)].

وبناءاً على هذا الأساس، فإن فكرة الاستحالة واعتبارها ذبيحةً عن الخطايا اليومية تقدم على يد الكهنة كان اختراعاً يهدف إلى إيهام الناس أن الكهنة بأيديهم تقرير مصير الأتباع من الخلاص أو الهلاك حتى ينصاعوا لهم، ويمسكوا بزمام السيطرة عليهم، وفي مثل هؤلاء الكهان يأتي قول بولس لقسوس كنيسة أفسس «ومنكم أنتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ ورائهم»[(٢)].

فالبروتستانت يرون أن القول بأن الاستحالة هي الذبيحة اليومية هو انتقاص لذبيحة المسيح الكاملة[(٣)].

المبدأ الثاني: نوال الغفران بإيمان القلب بالمسيح:

فالمغفرة عندالبروتستانت تتحقق بالإيمان بالقلب بالمسيح، وأنه سفك دمه من أجل المغفرة، فالمغفرة حصلت كاملة، وطريقة نوالها هي إيمان القلب بالرب، لا الأكل والشرب من عشاء الرب، كما جاء في الإنجيل: «وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم؛ لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل

(١) انظر: موسوعة الحقائق الكتابية، ص: ٥١٩.

(٢) أعمال الرسل: (٢٠/ ٣٠).

(٣) انظر: موسوعة الخصائص الكتابية، ص: ٥١٩.

كثيرين لمغفرة الخطايا» [(١)].

ثالثا: عقيدة المطهر:

سبق الحديث عن هذه العقيدة، من حيث التقرير، والنقد، ولكننا في هذا المقام نتحدث عن وجهة النظر البروتستانتية خاصة، التي يبلورونها، كما يأتي:

يؤمن البروتستانت بحسب ما جاء في اعترافات إيمانهم بـ (أن المؤمنين يذهبون بعد الموت مباشرة إلى المسيح، كما أن غير المؤمنين يُرمَون حالاً في الجحيم، حيث لا منقذ للأشرار، مهما صنع الأحياء من أجلهم» [(٢)].

ولأن فترة الاختبار والمصير النهائي يتقرر عند الموت، ولا يوجد رجاءٌ في فرصةٍ أخرى للتوبة بعد الموت، ولا يوجد مكانٌ "للتطهير" لتحسين حالتنا المستقبلية [(٣)].

واعتماداً على كتابهم المقدس، فانه لا يوجد دليلٌ على هذه العقيدة، وفي شأنها، ورد في شرح أصول الإيمان السؤال الآتي: (هل يوجد محل (كالمطهر)، أو (السجن) ليقيم فيه شعب المسيح غير المكملين، إلى أن يطلقهم الله بصلوات الكنسية، وقداديس الكهنة؟ وجاء الجواب على ذلك، كما يأتي: (لا دليل على وجود محل كهذا، ولا أحد قرأ في كتاب الله عن رسول أو قسيس يأمر بتقديم ((قداديس) لأجل الموتى، أو يقف ليقدمها لأجلهم، بل يتضح جليا من كتاب الله أن الأشرار عند موتهم يهبطون إلى جهنم حيث يعذبون إلى الأبد، والأبرار يصعدون إلى النعيم، ويتباركون بالغبطة التامة إلى الأبد) [(٤)].

وفي سؤالٍ آخر: لماذا يقال أن نفوس المؤمنين تدخل إلى المجد حالاً عند الموت؟

---

(١) متى (٢٦/ ٢٧-٢٨).

(٢) موسوعة الحقائق الكتابية، ص: ٥١٩.

(٣) كتاب العقائد للكنائس الإنجيلية المصلحة، الفصل ٢٦،ص: ١٠ .

(٤) شرح أصول الإيمان، ص: ١٩٥.

وجاء الجواب: «يقال ذلك حذرا، من تعليم مَنْ يقول بأنها تدخل إلى حالةٍ وسطى بين النعيم والجحيم، تُسمَّى بالمطهر أو السجن»[١]، والمقالة المشار إليها في السؤال الثاني هي مقالة الكاثوليك -كما قررنا من قبل- وبناء على ما سبق، فإن دعاة البروتستانت يردون في اعترافات إيمانهم على التعليم البابوي الخاص بهذه المسألة، حيث جاء في اعتراف الإيمان الهلفيتي، الفصل السادس والعشرون، تحت عنوان: (في دفن المؤمنين والاعتناء بالموتى وفي المطهر وظهور الأرواح)، ما يأتي:

١- «لا نوافق على أفعال الذين يفرطون في الاعتناء بالموتى إلى حد السخافة، فينوحون على موتاهم، كالوثنيين، ويقدمون ذبائح من أجل الموتى، ويهمهمون صلوات لقاء أجر لكي ينقذوا أحبائهم بشعائر كهذه من العذابات التي يجابهون الموت ظانين أنهم يحررونهم بتعويذات كهذه).

٢- «أما ما يعمله البعض بالنسبة إلى نار المطهر، فإن ذلك منافٍ للإيمان المسيحي، أي لـ (أومن بمغفرة الخطايا، وبالحياة الأبدية)، وهو منافٍ أيضاً للتطهير الكامل بواسطة المسيح»[٢].

ولذلك ينتقد البروتستانت الأدلة البابوية التي أقاموا عليها عقيدتهم في المطهر، وحاصل انتقادتهم، تدور حول ما يأتي:

١- أنهم يدعمون تعليمهم باقتباساتٍ أغلبها من كتب "الأبوكريفا"، أو من التقليد، وهي مصادر غير ثابتة، إن لم نقل أنها كاذبة، والنصوص التي يستدلون بها من هذه المصادر بعيدةٌ كل البعد عن الموضوع.

٢- هناك قضايا تتعلق بهذه العقيدة، ولا توجد إجاباتٌ عليها في المؤلفات ولا في قرارات مجمع ترنت، ومنها: ما هو المطهر؟ وأين يكون؟ وكيف للنيران المادية أن

---

(١) المصدر السابق، ص: ٢٦٧.

(٢) كتاب العقائد للكنائس الانجيلية المصلحة، ص: ١١ .

تطهر الروح؟.

٣- الأفكار متضاربةٌ وغامضةٌ بين أفضل كتابهم في هذه المسألة.

٤- يوردون على ذلك رؤى موضوعة بحذق ومهارة، بغرض استغلال خوف الناس لزيادة قوة الكهنوت وجلب الهدايا والهبات للكنيسة[١].



(١) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، (٢٨٧- ٢٩٦).

الفصل الثالث

آثار موقف البروتستانت من البابوية

وفيه مبحثان : –

❖ المبحث الأول: آثار موقف البروتستانت على الكنيسة.

❖ المبحث الثاني: آثار موقف البروتستانت على المجتمع الغرب ي.

* * * ** * * *

المبحث الأول

آثار موقف البروتستانت على الكنيسة

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الانقسام.
- المطلب الثاني: الحروب والاضطهادات.
- المطلب الثالث: ما يسمَّى بالإصلاح الكاثوليكي.

* * * ** * * *

المطلب الأول: الانقسام

أدت ثورة البروتستانت إلى انشطار نصارى العالم الغربي إلى معسكرين، بعد أن أصبحت الكنائس البروتستانتية كنائس مستقلة، ومنفصلة تماماً عن الكنيسة الرومانية.

وبهذا الحدث التاريخي تغيرت معالم الخريطة الدينية للعالم الغربي؛ حيث أن ثلاثة أرباع ألمانيا قد نبذ ولاءه لكنيسة روما، وقطعت إنجلترا علاقاتها بروما كذلك، واعتنقت الدنمارك، و السويد والنرويج الحركة اللوثرية، ثم توسعت حركة البروتستانت حتى وصلت إلى فرنسا وهولاندا، واجتذبت مجموعات غفيرة من سكان بولندا وبوهيما، ولم تخل حتى شبه الجزيرة الإيطالية من أنصار يؤيدون البروتستانتية قلباً وقالباً[1].

وكانت مهزلة صكوك الغفران هي الشرارة التي أشعلت الثورة عند لوثر ووجهت عقله إلى كتابة القضايا الخمس والتسعون، وتعليقها على باب الكنيسة في ويتنبرج في ألمانيا، وكان تعليق هذه القضايا على باب الكنيسة، يعني عرضها للمناقشة من قبل النقاد الذين يطلعون عليها كما، هي عادة الأكاديميين في ذلك الوقت.

ولم يكن هجوم لوثر على كنيسة روما يهدف إلى الانفصال عنها، ولم يكن يَدُور بخلده – كما يقول المؤرخون – مثل هذا الأمر، ولذلك عندما وجه خطابا للبابا يشرح فيه موقفه، ويوضح فيه الكيفية التي كانت تباع بها صكوك الغفران، وكيف أن ذلك الأمر يعتبر إهانةً للمسيح وعاراً على الكنيسة، ثم ذيله بعباراتٍ تدل على الاحترام والثقة في البابا، حيث جاء في آخره:« أيها الأب الأقدس إني ألقي بنفسي أمام قداستكم خاضعا بكل مالي وحالي. أحيوني أو اقتلوني... إني أقبل صوتكم، كما لو كان صوت

---

(١) انظر: أروبا في مطلع العصور الحديثة، أ. د عبدالعزيز الشناوي، ص:٤٠١.

المسيح متكلماً عاملاً فيكم. فإن كنت أستحق الموت فلن أرفضه؛ لأن للرب الأرض وملأها، فليكن اسم الرب مباركاً، وليحفظكم الله للأبد»[1].

ولكن الكنيسة الرومانية، اعتبرت هذه الآراء هرطقةً وخروجاً عن القنوات المشروعة، ومن هنا بدأ الهجوم على لوثر، وساد التوتر الشديد بين الطرفين، وقد بلغت الثورة والرد عليها، وحتى الرد المقابل مستويات وجهت الأحداث نحو الانقسام النهائي وعدم العودة، وكان آخر تلك الأحداث، هو المرسوم ذو اللهجة الشديدة الذي أصدره البابا ليو العاشر لحرمان لوثر، وأطلق عليه «قم يارب»، وكان عبارةً عن وثيقة مطولة بها قائمة من ٤١ مادة، طلب من لوثر أن ينكرها، و كانت بدايتها ما يلي:« قم يارب واحكم في قضيتك، إن خنزيراً يقتحم كرمك، قم يا بطرس وتبصر في قضية الكنيسة الرومانية المقدسة أم الكنائس المكرسة بالدم، قم يا بولس، يا من بتعليمك وموتك أنرت وتنير الكنيسة، قوموا يا كل القديسين وكل الكنيسة التي هوجم تفسيرها للكتاب المقدس»[2].

وعندما تسلم لوثر المرسوم كتب إعلاناً مضاداً مبيناً أن المرسوم هرطقةٌ تدنس المقدسات، ولجأ إلى الإمبراطور ليعقد جلسةً غير متحيزةٍ أمام مجمعٍ مستقل، وقال:« إذا لم يتبرأ البابا من المرسوم أو يستنكره، ويعاقب الذين يراعون هذا المرسوم، عندئذٍ لا يشك أحد في أنه عدو لله، ومضطهد المسيح، وهادم المسيحية، والضد الحقيقي للمسيح»[3].

وعندما أُحْرِقت كتابات لوثر – طبقاً لأحد مواد المرسوم – قام لوثر عام ١٥٢٠م وأحرق ثلاثة مجلدات من القانون الكنسي، وبعض كتابات الفلاسفة، وألقى بالمرسوم البابوي فوق لهيب النار، وقال:« ليت هذه النار تهلكك، لأنك اعترضت

(١) أضواء على الإصلاح الإنجيلي، ص:٣٣.

(٢) تاريخ الكنيسة، ص: ١٢٩ .

(٣) المصدر نفسه، ص:١٣٠ .

حق الله»[1].

وكان حرق القانون الكنسي الذي يعتبر أساس الكنيسة الكاثوليكية، بمثابة الشعرة التي قصمت ظهر البعير، واتجهت بالعلاقة بين الطرفين نحو الانقسام الذي لا رجعة بعده.

أسباب الانقسام:

كانت هناك محاولاتٌ كثيرةٌ لاحتواء التوتر، ومنع حدوث الانقسام، فقد أوفدت البابوية باعتبارها الكنيسة الأم موفدين إلى زعماء البروتستانت من أجل الاجتماع ورأب الصدع، ومن هذه المحاولات:

١- أوفد البابا بولس الثالث[2] عام ١٥٣٥م بيير باولو فرجيرو ليسبر القادة البروتستانت حول حضور مجمعٍ عام، ولكنه أبى أن يَعِد بالسماح بأي تغييرٍ جوهريٍّ في العقيدة أو في سلطة الباباوات، ولذلك عاد فرجيرو من ألمانيا بخفي حنين، وأبلغ البابا بأن الكاثوليك في ألمانيا انضموا إلى البروتستانت في التشكيك في إخلاص البابا في اقتراح المجمع، وأن الأرشيدوق شكا أنه لا يستطيع العثور على أب اعتراف لم يكن زانياً أو سكيراً أو جهولاً[3].

٢- كرر بولس المحاولة ثانية عام ١٥٣٦م، وكلف بيترفان و روفورشت أن يتفق مع اللوثريين، ولكن نائب سكسونيا صد بيتر فلم يظفر بشئ[4].

٣- بذل بولس قصارى جهده في الوصول إلى تفاهمٍ مع ناقديه، فأرسل

---

(١) المصدر السابق، ص: ١٣١

(٢) بولس الثالث: (١٥٣٤-١٥٤٩) هو إسكندر فارنيزي. كرس جهده للنضال ضد المسلمين (العثمانيين) بمساعدة شارل الخامس، وباشر عملية التغيير الكنسي من خلال المجمع التريدنتيني. انظر: معجم الباباوات، ص:٢١٣وما بعدها.

(٣) انظر: قصة الحضارة: (٢٧/ ٢٣٢).

(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها .

الكاردينال جاسبارو كونفاريني، وكان رجلاً لايشك في إخلاصه في الحركة الكاثوليكية الداعية إلى تصحيح وضع الكنيسة فاقتحم ثلوج الأبنين والألب عام ١٥٤١م، وهو يتوق إلى السلام الديني واستطاع التوصل إلى اتفاق بشأن الخطيئة الأصلية، والإرادة الحرة، والعماد، والتثبيت، والرسامة، ولكن لم يتيسر الوصول إلى حلٍ وسطٍ مقبولٍ حول سرِّ القربان، فقد أبى البروتستانت الاعتراف بأن في استطاعة قسيس أن يحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه، وشعر الكاثوليك أن التخلي عن عقيدة التحول معناه التخلي عن صميم القداس وطقوس كنيسة روما، فقفل عائداً إلى روما، وقد أضناه الإخفاق والحزن، ليجد أتباع الكاثوليك الذين رموه بـ"اللوثرية"[(١)].

وانتهاء هذه المحاولات بالفشل يطرح تساؤلاً كبيراً، وهو: إذا كان تغيير وضع الكنيسة هدفاً مشتركاً لدى الطرفين –كما يدعيان ذلك– فلماذا تنتهي هذه المحاولات بالفشل؟، ولماذا يحصل الانقسام الذي لا يرغبه كلا الطرفين أيضاً؟.

ومن خلال المصادر التي أُتيح لي الاطلاع عليها لم أجد من بحث هذا الموضوع بحثاً موضوعياً متكاملاً، وغاية ما يُذْكر من تحليل لهذه الأسباب هو من باب إلقاء اللوم والمسئولية من طرفٍ على الطرف الآخر والاتهام بأنه لم يكن راغباً، أو أنه وضع بعض العوائق التي تحول دون التغيير المطلوب.

والذي يظهر لي أن هناك أسباباً عامة، وقد تكون هناك أسبابٌ أخرى تخص طائفةً أو منطقةً بعينها، ولكن الذي يعنينا هنا هي الأسباب الرئيسية التي أدت إلى فشل التغيير، وبالتالي حدوث الانقسام، وهي كما يأتي:

أولاً: لم يكن الغرض عند الفريقين (البروتستانتي والكاثوليكي) العودة إلى الدين الصحيح:

---

(١) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

فقد كان الدين الذي تحمله الكنيسة الكاثوليكية في غاية الفساد، فساد في الدين ذاته، وفي أركانه التي يقوم عليها؛ فالعقائد الأساسية التي يقوم عليها هي عقائد مبتدعة كألوهية المسيح، والتثليث، والصلب والفداء والتجسد، وغيرها، وفساد رجاله، حيث انصرفوا عن الدين و انشغلوا بالدنيا، بل بملذاتهم ومصالحهم الخاصة، ومع ذلك فلم ينظر أحد الطرفين في مسلكه إلى هذه العقائد الباطلة فضلاً عن أن ينتقدها، ولم ينظر أحدٌ منهم نظرةً شاملةً إلى ما كانت عليه الكنيسة، ويتناوله بالبحث والتحري فيثبت منه ماكان من بقايا دين المسيح، وينبذ ما أضيف إلى الدين، وتحاشى الفريقان الحديث عن هذه العقائد الكبرى.

وأيضاً فإن ما جاء به البروتستانت كان أشبه ما يكون بردة الفعل تجاة الغلو الذي مارسته الكنيسة الرومانية، ولاسيما ما يتعلق بالإضافات البدعية والطقوس والأسرار التي فرضتها على الأتباع، وكذلك الغلو في شخص البابا، واعتقاد عصمته، وقدرته على الغفران، وتوسيع سلطاته الروحية والزمنية إلى أبعد حد، ولذلك لم تتجاوز مطالبهم – وإن أصابت في بعضها – هذا الحد.

وأما غرض الكاثوليك فإنه كان مقاومة الخطر البروتستانتي الذي استحوذ على الكثير من الأتباع.

ومما يدل على ذلك. ماعقده المؤرخ النصراني ويل ديورانت، حيث عقد فصلاً بعنوان: (الباباوات يُكرهون على الدفاع)، وذكر فيه شيئاً مما يدل على ذلك، حيث وصف حال البابا الذي وجد في معمعة ثورة البروتستانت، وهو البابا ليو العاشر، فقال:«ولكن لنا أن نتصور الموقف النفسي للبابا ليوالعاشر (١٥١٣م) على هذا النحو، إذ وجد البابوية تتنهد تحت قدميه بمجرد أن دعي للاستمتاع بها... ثم ذكر أيضاً أن جيانفرانسسكو بيكو ديلا ميراندولا ألقى خطاباً أمام البابا والكرادلة يسترعي الاهتمام، ويرسم فيه بأحلك الألوان ذلك الفساد الذي تسلل إلى الكنيسة، ويتنبأ بأنه «لو أن ليو أبى إبراء الجراح، فإنه يخشى أن الله نفسه لن يستعمل بعد اليوم علاجاً

بطيئاً، بل سيبتر ويبيد الأعضاء المريضة بالنار والسيف»[1]، وهذا الذي تنبأ به ميراندولا قد وقع بالفعل، حيث انفصلت البروتستانتية عن جسم الكنيسة الجامعة، وقامت بينها وبين الكنيسة الأم الحروب الطاحنة التي راح ضحيتها الآلاف من الطرفين.

والمقصود هنا أن غرض الكاثوليك كان مقاومة القوة الثائرة والحفاظ على بقية الجسم أن يناله المزيد من الانفصال.

ثانياً: المنهج الذي سار عليه الطرفان لم يكن صحيحاً.

المنهج الذي استخدمه الطرفان لم يكن سليما من الوجهة العلمية، وبيان ذلك من خلال ما يأتي:

١- كان منهجاً توفيقياً تلفيقياً: حيث سعى الطرفان إلى الحلول الوسط، مع عدم تنازل أحدهما عن معتقداته، وقد مرَّ معنا المحاولات التي تبنتها البابوية وكانت تسعى إلى حلٍ وسط، وفي المنهج الصحيح يكون البحث عن الحق أينما وجد، لا عن الحل الوسط.

٢- كان ردة فعلٍ أكثر منه تصحيحاً إبتداءاً، وهذا يتضح من موقف البروتستانت الذي أدى بهم إلى غلو مقابل وصل إلى حد الانفلات من أي قيودٍ تحت ستار حرية الفرد في قراءة ما يسمى الكتاب المقدس، وترك العمل والاعتماد على الإيمان بالمسيح عليه السلام وحده.

٣- لم يكن شاملاً: فما يذكره البروتستانت أوالكاثوليك لم يشمل كل ما في الكنيسة من الفساد، وقد ذكرنا تجاهلهم الحديث عن القضايا الكبرى في الديانة.

---

(١) قصة الحضارة: (٢٧/ ٢٢٨).

المطلب الثاني: الحروب والاضطهادات

عندما نجحت ثورة البروتستانت، وتمكنت من الاستقلال عن البابوية الكاثوليكية بدأت مرحلةٌ جديدةٌ في التاريخ الأوربي، حيث انتقلت الثورة الفكرية إلى ثورةٍ دمويةٍ تجاوزت نطاق الأفراد إلى نطاق الحكومات التي حمَّلت شعوبها تبعات الحرب الدموية لمدةٍ تجاوزت القرنين من الزمان، وفي مسرحٍ شمل أوربا كلها طولاً وعرضاً.

وأصبحت الحروب والاضطهادات هي سمة القرن السادس عشر والسابع عشر، بعد أن كان الأمر مقتصراً على الجدل والحرم والسجن.

وكانت هذه الحروب التي شملت أوربا كلها تحمل خلفيةً دينيةً في المقام الأول وتحمل تعصباً كاثوليكياً بروتستانتيا بشكل أكثر دقة.

وسنضرب في هذا المقام بعض الأمثلة للحروب الدينية التي شنتها البابوية إما بنفسها، أو أشرفت عليها، و تركت تنفيذها لحلفائها، من الملوك والحكام الموالين لها، أو من الجمعيات التي أقسمت لها بولاء الطاعة.

حرب الملك الإسباني فيليب للبروتستانت:

كان فيليب الثاني(ت ١٥٩٨م)، ابن الملك شارل الخامس، من غلاة المتعصبين للكنيسة الكاثوليكية، وكان يؤمن«أن الله اختاره لوقف المد البروتستانتي، والظاهر أنه شارك في مؤامرة قتل الملكة إليزابيث (البروتستانتية)، حين أعيته الحيل لإنقاذ ماري ستيوارت(الكاثوليكية)، وهو الذي استعان بمحاكم التفتيش، وأطلقها في الناس تأخذهم بالشبهات، وتصليهم نارها من غير رفق، ولا رحمة، واستنفد كل جهوده، وموارد حكومته في استئصال البروتستانتية من العالم الأوربي، فقام لقتال الهولنديين، والإنجليز، والهوجونوت»(١).

(١) انظر: قصة الحضارة: (٢٩/ ٨٩)، قصة الاضطهاد الديني، ص:٩٥.

فأما هولندا، فقد ضاق شعبها ذرعاً بمحاكم التفتيش وقام بالثورة عليها، وطالب بإلغائها، واجتاح بعض الكنائس، وحطم ما تضمنته من الصور والتماثيل، فأرسل فيليب جيشه إلى هولندا، ولكن الثورة استمرت حتى ألغيت محاكم التفتيش.

وأما كفاحه ضد الإنجليز، فكان سببه أن البابا أصدر قراراً بالحرمان ضد ملكة إنجلترا "إليصابات" البروتستانتية عام ١٦٧٠م، وأباح لرعاياها حق التمرد على طاعتها. وقام اليسوعيون بالكيد لها، فقررت التخلص من وريثة عرشها "مارية ستيوارت" الكاثوليكية من خلال مؤامرةٍ ملفقةٍ ومزورةٍ من أعوان الملكة، وقررت لجنة المحاكمة إعدامها، وحينئذ تحرك فيليب بأسطول ضخم "الأرمادا" لملاقاة الإنجليز، فلما اندحر أسطوله، وانتصرت البروتستانتية تزعمت إنجلترا العالم البروتستانتي كله.

وأما فرنسا فقد فشت البروتستانتية بين شعبها، وتأثر الكثير بمذهب كالفن وسموا بـ"الهوجونت"، فنهض الكاثوليك لمحاربتهم وكونوا جماعة "العصبة المقدسة"، وقام فيليب بمؤازرتها في حروبها ضد البروتستانت، ولكن أسطوله مُنِي بالهزيمة، فانصرف عن مواصلة تقديم العون لها[1].

١- الحرب بين الكاثوليك والهوجونوت بفرنسا:

في عهد الملكة الكاثوليكية كاترين دي مديتشي ١٥٧٠م حاولت إحلال السلام بين رعاياها الكاثوليك والهوجونت (البروتستانت)، ورغبة في تحقيق هذا الهدف كانت على استعداد لتزويج ابنتها مارجريت لهنري نافار الهوجونتي، وابنها هنري لأليزابث المحرومة من الكنيسة، ونظرت إلى الموضوع في صورته الأسرية والسياسية، لا الدينية، وكانت تهدف إلى حماية وطنها من تحالف إسبانيا والنمسا وقامت كاترين نظراً لحاجتها لأموال الكنيسة بتهدئة ثورة الهوجونت بسلسلة من الإصلاحات وصدر الأمر لجميع المواطنين بحضور الخدمات الدينية البروتستانتية، وحظرت

(١) انظر: قصة الحضارة: (٢٩/ ٩٦-٩٧)، قصة الاضطهاد الديني، ص:(٩٥-٩٦).

الخدمات الكاثوليكية، وحكم على الصور والتماثيل رسمياً بالتحطيم، فهجم الهوجونت على الكنائس الكاثوليكية غير المستعملة، وشكل حاكم القلعة حكومة لحماية المصالح الكاثوليكية، وتفجر الشعب في باريس وبعض المدن الفرنسية، وأصدرت الملكة مرسوم يوليو (١٥٦١م)، الذي حظر العنف وخدمات الهيجونوت الدينية العلنية، فتجاهل الهوجونت المرسوم وقاموا بإحراق الكنائس، وقتل القسس وداسوا القربان (المقدس) بأقدامهم وطردوا الكهنة الكاثوليك، وبعد ذلك طلب الفريقان الكاثوليك والبرتستانت العون من الخارج، وقامت حرب عظيمة بين الطرفين وسيطر الهوجونت على معظم المدن جنوب فرنسا[١].

٣- حرب الثلاثين عاماً.

عانى فيها البروتستانت ألواناً من العذاب، وكابد الكاثوليك أشكالاً من الاضطهاد، وانتهت بإعطاء كل أمير الحق في اختيار المذهب الذي يراه لشعبه، وتم الاعتراف رسمياً بالمذهب الكاثوليكي واللوثري واستُبعِد ماعداها من المذاهب، وبذلك تلاشت فكرة الحروب الدينية.

---

(١) قصة الاضطهاد الديني، ص: (٩٥-٩٦).

المطلب الثالث: ما يسمَّى بالإصلاح الكاثوليكي

كان القرن السادس عشر قرن التغيير، حيث شهد أولاً التغيير البروتستانتي الذي بدأ من ألمانيا، ثم التغيير الذي أطلق عليه الكاثوليك الإصلاح المضاد، أو الإصلاح المقابل، وهم يفضلون تسميته بالإصلاح الكاثوليكي[1].

والمسألة الأكثر تداولاً حول قضية التغيير هي ما هو سبب التغيير الكاثوليكي؟ وهل سببه كان داخلياً أم أنه كان بمؤثر خارجي، وهو التغيير البروتستانتي، وهي وجهتا نظر لكل منهما من يدافع عنها.

فالكاثوليك يقللون من أهمية التغيير البروتستانتي، ويرون أن التغيير في الكنيسة الكاثوليكية كان من داخلها ولذلك يفضلون التسمية بـ"الانتعاش الكاثوليكي"،أو "التجديد الكاثوليكي"، بينما يرى البروتستانت أن التغيير في الكنيسة كان بتأثير التغيير البروتستانتي، و يحتجون على ذلك بحجج.

والذي يظهر لي أن أموراً تجمع هذه المسألة:

أولاً: أن السبب الداخلي تضافر مع السبب الخارجي، فانفجرت ثورة البروتستانت.

ثانياً: أن الكنيسة الكاثوليكية قد وصلت في القرن السادس عشر إلى مرحلة كان لابد فيها من التغيير.

ثالثاً: أن السبب الخارجي كان تأثيره أكبر في عملية التغيير – كما سيتبين لنا من الشواهد.

---

(١) انظر: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص: ٢٤٣ .

حالة الكنيسة الكاثوليكية قبل ثورة البروتستانت.

كانت الكنيسة الكاثوليكية في مطلع القرن السادس عشر قد لحق بها من ضروب الفساد في أنظمتها، وفي سلوك رجالها ما يؤجج الرغبة في عملية التغيير الشاملة، وكما يسميه المؤرخون بالإصلاح في "الرأس وفي الجسد"، فقد اعتلى عرش البابوية في مطلع هذا القرن باباوات، أطلق عليهم "باباوات النهضة"؛ لأن ضياء النهضة، وروحها المشرق قد شغلهم عن أداء رسالة الكنيسة، فعاشوا حياةً طغت عليها أسباب المجون والفسق، فزجوا بأنفسهم في غمار السياسة الإقليمية في إيطاليا حيناً، وفي السياسة الدولية حيناً آخر سعياً منهم لتحقيق مكاسب وأمجادٍ شخصيةٍ لهم ولعائلاتهم، ولذلك حدثت في بلاطهم حوادث مشينة من استغلال النفوذ، والتلاعب بالأموال، والرشاوي، والمحاباة، وتعيين الأقارب في الأجهزة البابوية(١).

ولم يكن الأساقفة أرقى خلقاً، أو أفضل مسلكاً من الباباوات، إذ لم يقيموا في مكان أسقفياتهم، بل عاشوا بعيدين عنها، حياةً طليقةً من كل قيد، يأتيهم رزقهم رغداً من الإيرادات الضخمة التي تحصل عليها كل أسقفية، واشتهر الجشع المادي والانحراف الخلقي في القسيسين، فعاشوا حياة بعيدة عن الدين، فكان الواحد منهم يسيطر على عدة أبرشيات، ويستولي على إيراداتها لنفسه وهو الأمر الذي قضى على العدالة في شغل المناصب الدينية، وتفشى في كثيرٍ منهم الفسق حتى أصبح أمراً عادياً أن يكون للقسيس عشيقةٌ لإرضاء مطالب جسده، ومن هنا يتبين لنا أنه كان هناك إجماعٌ في الوسط الكاثوليكي بأن المجتمع الكنسي ينضح بصور من الانحلال، والفساد وأن التغيير أصبح لازماً لتحقيق وحدة الكنيسة واستعادة المكانة السامية التي كانت تتبوأها في القرون الوسطى(٢).

---

(١) انظر: أوربا في مطلع العصور الحديثة، ص: ٤٠٢ –٤٠٣.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص: ٤٠٣.

وقد حدث بالفعل مبادراتٌ كثيرةٌ لتغيير وضع الكنيسة انطلقت من داخل الكنيسة نفسها، فمنذ مجمع قسطانس(١٤١٥ - ١٤١٨م) إلى المجمع اللاتيراني الخامس الذي انتهى سنة ١٥١٧م، لا يمكن إحصاء عدد محاولات التغيير التي عرضت، ونوقشت أو تمت الموافقة عليها في المجالس المجمعية أو حتى في رومة، وكانت قضايا تركيبة الديوان البابوي، ونظام الدخل الكنسي، وعدم انضباط رهبان الصدقة، وجهل رجال الإكليروس، أكثر القضايا المطروحة للنقاش[١].

ولهذا يؤكد المؤرخون للكنيسة أن الإجماع في إيطاليا اتجه إلى ضرورة التغيير الداخلي، وأن بعض رجال الكنيسة ظلوا قروناً يسلمون بالحاجة إلى التغيير، بل ويطالبون به[٢].

وإذ كان التغيير قد أصبح ضرورةً حتى عند الإيطاليين، فإن من أهم العوائق التي حالت دون تحقيقه هو عقبة البابا نفسه، فكان لابد من أن تكون وجهة نظر البروتستانت قريبة من وجهة نظر البابا، ويبدو أن وجهات نظر البروتستانت لم تكن كذلك، فلم يتحقق التغيير في تلك الفترة.

يقول أحد الكتاب عن هذه الحقيقة: «لكن كل إصلاحٍ بنيويّ كان يصطدم كل مرة بالنزاع حول الحكم الذي تتعارض فيه البابويّة والمجمعٍ، إذا كان هناك أمرٌ ثابت يخرج من تلك الانتظارات المخيّبة كلها، فهو أنه لا إصلاح على حجم الكنيسة إلا ويجب أن يمر بتقارب وجهات النظر بين المجمع والبابا»[٣].

ثورة البروتستانت هي السبب الأكبر في التغيير الكاثوليكي:

سبقت الإشارة إلى أن هناك رأيين حول سبب التغيير الكاثوليكي الذي سُمِّي

---

(١) تاريخ الكنيسة المفصل: (٣/ ١٥٧).

(٢) انظر: قصة الحضارة: (٢٧/ ١٩٢).

(٣) تاريخ الكنيسة المفصل: (٣/ ١٥٧).

"الإصلاح المضاد"، وأن كل طائفةٍ تتبنى أحد هذين الرأيين، وعند دراسة هذه المسألة يتبين لي أن العامل الأكثر تأثيراً في التغيير الكاثوليكي هو الثورة البروتستانتية، وذلك من خلال الدلائل الآتية:

أولاً: طرحت الثورة البروتستانتية أسئلةً كثيرةً تتعلق بلاهوت الكنيسة الكاثوليكية، وممارستها، وصار واجباً على هذه الأخيرة أن تقدم الأجوبة على هذه الأسئلة الأمر الذي أدى إلى مراجعة الكنيسة الكاثوليكية لكل تعاليمها، وممارساتها، ووضع تحديدٍ دقيقٍ لكل عقائدها، وإدخال كثير من التعديلات عليها، والقيام بخطواتٍ عملية لتغيير نفسها(١).

ثانياً: بالنظر إلى أهم مظاهر التغيير عند الكاثوليك نجد أن هناك تشابهاً في المحتوى الذي اشتملت عليه هذه المظاهر مع مضمون المطالب التي تدعو إليها الحركة البروتستانتية، وإذا كان التغيير الكاثوليكي الفعلي قد بدأ بعد الحركة البروتستانتية، فلا بد أن يكون قد تأثر به، ومن أهم هذه المظاهر:

١ - تأسيس جمعية الرهبة اليسوعية:

تأسست هذه الجمعية عام ١٥٣٨م، على يد إغناطيوس لويلا(٢)، ويوجد بين سيرة مؤسسها لويولا، وزعماء البروتستانت لوثر وكالفن بعض التشابه، ومن ذلك:

- الإثنان عانيا من قسوة تأنيب الضمير على خطاياهم.

- اكتشف لوثر خلاصه بواسطة قراءته لرسالة رومية، وتخلص لويلا من قيده

---

(١) مدخل إلى تاريخ الكنيسة الإنجيلية ولاهوتها، ص: ٢٧٨.

(٢) إغناطيوس لويلا: مؤسس الرهبانية اليسوعية، وقد بدأ تأسيسها عندما نظر هو وستة من رفاقه بالرهبنة،عام،١٥٣٤، وفي عام ١٥٣٩م قدم هو ورفاقه إلى روما، وقدموا أنفسهم للبابا، وأنشأوا رهبانيتهم على أساس الطاعة الشخصية للبابا، والموافقة على الذهاب إلى أي مكان في العالم يوجههم إليه نائب المسيح. انظر: تاريخ الكنيسة المفصل، ص: ١٧٦، إغناطيوس دي لويولا- سيرة مختصرة، الأب ألبير لونشان اليسوعي، ص:٥ وما بعدها.

بواسطة تركيزه على الطاعة لنواميس الكنيسة.

- بين كلٍّ من كالفن ولويلا أمورٌ مشتركة منها الإيمان بسيادة الله، ومركزية الفداء، وأن السعادة تكمن في السكون إلى الله(١).

٢- المجمع التريدنتيني (١٥٤٥-١٥٤٧م)

جاء عقد هذا المجمع بعد الهزات العنيفة التي أحدثها التغيير البروتستانتي، وكان واضحاً بأن الكنيسة تمر بأزمة، ورأى الكاثوليك أن مفاسد الكنيسة تزيد مكاسب البروتستانت وتدعم موقفهم فتنادوا لعقد المجمع، وجاء في خطابه الافتتاحي الذي قدمه الأسقف رينولد بول: « قبل محكمة رحمة الله، نحن الرعاة يجب أن نجعل أنفسنا مسئولين عن كل الشرور التي تثقل الآن قطيع المسيح خطايا الكل يجب أن نحملها على عاتقنا، ليس كرماً منا بل هو العدل، لأن الحقيقة هي أننا نحن السبب في جزءٍ كبيرٍ من هذه الشرور، ولذلك يجب أن نلتمس الرحمة الإلهية بواسطة يسوع المسيح»(٢).

وقد اعترف المؤرخ توينبي بأنه لو حدثت تغييرات مجمع ترنت قبل ثورة البروتستانت «لما كان ثمة مجال لأن يقوم لوثر بخطواته الهائلة ضد البابوية»(٣).

وأخيراً: فلنا على إثبات هذه الحقيقة شاهدان: قولي، وعملي.

أما الشاهد القولي: فهو احتجاج أحد البروتستانت(لم يذكر اسمه)، على كاثوليكي، حيث جاء في احتجاجه: « وإذا كنتم اليوم أقوى مما كنتم بالأمس، فإنما الفضل في هذه القوة لنا، فماذا كان يحدث لو لم تكرهكم حركة الإصلاح البروتستنتي على إصلاح الإدارة البابوية، وإنقاذ إكليروسكم من التسري، وتنصيب رجال مؤمنين

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص: ٢٧٩.

(٢) تاريخ الكنيسة، ص: (٤/ ٣٢٧).

(٣) تاريخ البشرية، ٥٧٩، نقلاً عن مدخل تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص:٢٨٠.

على كرسي البابوية بدلاً من الوثنيين؟ ولمن تدينون بالفضل فيما يتمتع به إكليروسكم اليوم من سمعة النزاهة؟ ألمجمع ترنت؟ ولكن لمن تدينون بالفضل في مجتمع ترنت إن لم يكن لحركة الإصلاح البروتستنتي؟ فلولا ذلك الضابط لواصلت كنيستكم انحدارها من المسيحية إلى الوثنية حتى ينتهي الأمر بتتويج باباواتكم على عالم لا أدري أبيقوري»[1].

وأما الشاهد العملي فهو أن الباباوات بعد ثورة البروتستانت بادروا بالتغيير، وذلك باتخاذ خطواتٍ عمليةٍ مباشرة، بعد أن كانوا -كما أسلفنا- هم حجر العثرة الذي حال دون التغيير.

وذكر المؤرخ ديورانت بعض الباباوات الذين قاموا بعدة تغييرات بعد ثورة البروتستانت، ومنهم البابا بولس الثالث، حيث قال عنه: «وبدأ الباباوات يوجهون اهتمامهم الصادق إلى الإصلاح الكنسي بعد أن حفزهم أمثال هؤلاء، في بواكير عهد البابا بولس الثالث قدم له الفقيه الشهير جوفان باتيستا كاتشيا بحثا في إصلاح الكنيسة قال في ديباجته: أرى أن الكنيسة أمنا المقدسة قد اعتراها من التغير الكبير ما تبدو معه وقد تجردت من سمات طابعها التبشيري، وليس فيها أثرٌ للتواضع وضبط النفس والتعفف والقوة الرسولية -وأظهر البابا بولس ميله بقبوله إهداء الكتاب إليه، وفي ٢٠ نوفمبر ١٥٣٤م، عهد إلى الكرادلة بيكولوميني، وسانسفيرينو، وتشيزى، أن يضعوا برنامج تجديد خلقي للكنيسة، وفي ١٥ يناير ١٥٣٥م أمر بتنفيذ المراسيم الداعية إلى تغيير أوضاع الكنيسة التي أصدرها البابا ليو العاشر عام ١٥١٣م تنفيذاً دقيقاً» [2].

وبهذا يتضح لنا أن التغيير الكاثوليكي كان سببه الرئيس هو ثورة البروتستانت.

---

(١) قصة الحضارة: (٢٧/ ٢٥٩).

(٢) المصدر نفسه:(٢٧/ ١٩٥).

المبحث الثاني

آثار موقف البروتستانت على المجتمع الغربي

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: انتشار الأناجيل.
- المطلب الثاني: انطلاق الحرية الدينية والاجتماعية وإعلاء شأن الفرد.

* * * ** * * *

المطلب الأول: انتشار الأناجيل

كانت لحركة البروتستانت آثارٌ واسعة على المجتمع الغربي بأسره، وهذه الآثار قد بقيت إلى اليوم، وسوف نرصد في هذا المبحث أهم تلك الآثار، من خلال ما يلي:

أولاً: انتشار الأناجيل:

حجرت الكنيسة الكاثوليكية على أتباعها قراءة الكتاب المقدس، وجعلت ذلك حكراً على رجال الكنيسة دون غيرهم، وكان الكهنة يقرأونه بلغة الكنيسة، وهي اللاتينية التي لم تكن لغة التخاطب عند الناس في ذلك الوقت، وبالغت الكنيسة في ذلك حتى جعلت النسخة الموجودة في مكتبة الكنيسة في روما مربوطةٍ بالسلاسل؛ حتى لا يصل إليها الزائرون(١).

ومع بداية القرن الثالث عشر الميلادي منعت الكنيسة أتباعها من قراءة الإنجيل إلا بترخيص من الكنيسة، وأوجبت عليهم أن يتبعوا عقائد الكنيسة التي هي تعابير عن الحقائق الموحى بها(٢).

وقد جاء تقرير ذلك من خلال المجامع الكنيسة، فقد أصدر مجمع ترنت، الذي انعقد بعد ظهور البروتستانت بقليل قراراً يضع قيوداً شديدةً على قراءة الكتاب المقدس بلغة الشعب، إذْ جاء فيه: «لما كان قد ظهر من الاختبار أنه إذا سمح لكل إنسان بدون تمييز قراءة الكتاب المقدس المترجم إلى لغة الشعب فإن تهور البشر الناجم عن قراءته يسبب شراً أكثر من الخير، لذلك وجب الحصول على إذن خاص للسماح بقراءة الكتاب المقدس المترجم إلى لغة الشعب»(٣)، ثم جاء تأكيد استمرار هذا الحق في

---

(١) انظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص:٢٨٠.

(٢) انظر: موجز تاريخ الأديان، فلسيان شالي، ص: ٥٩.

(٣) أضواء على الإصلاح الإنجيلي، ص ٤٧.

المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني وفيه:« فكل هذا الذي يتعلق بشرح الكتاب يخضع أخيراً لحكم الكنيسة التي كُلِّفت بمهمة حفظ كلمة الله وشرحها بانتداب من الله»(١).

وتحريم الكنيسة على أتباعها حق قراءة الكتاب المقدس لا يعود إلى ما أعلنته من الأسباب، ولكن يعود إلى أمرٍ آخر تحرص الكنيسة أشد الحرص على إخفاءه، وهو أن في هذا الكتاب من الإضافات الدينية والعلمية التي أضافها رجال الكنيسة ما لو كُشِف للناس لعلموا كذب رجال الدين في كثير مما يدَّعون، وابتداعهم لكثير من الطقوس والشعائر التي ألحقوها بهذا الكتاب، فحرمانهم الشعب من الاطلاع عليه يهدف في المقام الأول على المحافظة على صورتهم "المقدسة" عند أتباعهم، وذلك لضمان بقائهم كوسطاء بينهم وبين الرب.

وهذا التحليل يؤكده الهجوم الشرس الذي قامت به الكنيسة عندما ظهرت ترجمات الكتاب المقدس على أيدي البروتستانت – كما سيأتي –.

وهذا الأمر تنبه له لوثر، فجاء في رسالته إلى نبلاء الأمة المسيحية الألمانية ذكر بعض الحواجز والأسوار التي وضعتها الكنيسة لكي تحتفظ بسلطانها وسيادتها على الناس، ومن هذه الحواجز حق الاحتفاظ بتفسير الكتاب المقدس للإكليروس فقط، حيث قال:«إن تفسير الكتاب المقدس حق للجميع؛ لأن روح الله هو الذي يعمل في القاريء، سواء كان كاهناً أو علمانياً، عالماً أم عامياً لكي يفهم المكتوب»(٢).

ولكن الأمر الذي كانت تخشاه الكنيسة من جراء اطلاع الشعب على الكتاب المقدس قد وقع بالفعل على أيدي البروتستانت، ولذا كانت بداية انتشار الإنجيل هي كذلك بداية السقوط الحقيقي للسلطة البابوية.

اهتمام البروتستانت بنشر الكتاب المقدس:

كان اهتمام البروتستانت بالكتاب المقدس من حيث ترجمته إلى اللغات المحلية،

---

(١) الوثائق المجمعية للمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني.

(٢) أضواء على الإصلاح الإنجيلي، ص: ٤٨.

ثم طباعته ونشره هو القاسم المشترك بينهم، والأولوية الأولى عندهم، وكان هذا الاهتمام يرجع إلى أهمية الكتاب ذاته من جهة مكانته الدينية، وأهميته في دعوتهم ، فمن الناحية الأولى كان الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للديانة، كما أنه الأصل الأول الذي قامت عليه دعوتهم، ولذلك اعتبر المؤرخون أن ترجمة الكتاب المقدس باللغات المحلية واطلاع الشعوب عليه هو أعظم إنجازات البروتستانت على الإطلاق، ومن أعظم الذين قاموا بذلك:

١ - يوحنا ويكلف:

قام بترجمة الكتاب المقدس من اللاتينية (الفولجاتا) إلى الإنجليزية، وكان كلما انتهى من جزءٍ دفعه للنُّساخ مباشرة، حتى انتشر الكتاب المقدس انتشاراً واسعاً، وفي عام ١٣٨٠م، تمت الترجمة الانجليزية الدارجة.

ومما يلفت النظر في سيرة ويكلف - كما ذكر المؤرخون - أنه لم يتعرض لتعاليم كنيسة روما ويرفضها إلا بعد قراءة الكتاب المقدس نفسه والاطلاع على ما فيه، فكان اطلاعه على الكتاب المقدس أولاً هو سبب هجومه على الكنيسة الرومانية، ولابد أنه وجد أن تعاليم الكنيسة تخالف الكتاب الذي اطلع عليه، ثم قرأه[1].

وكان لهذا العمل أثرٌ كبيرٌ على الشعوب التي اطلعت عليه، وقد تحدث المؤرخ ملر عن ذلك الأثر بإعجاب، فقال: «ولن يستطيع العقل البشري تقدير الأثر الذي أحدثه توصيل كلمة الله بهذا الشكل لغير المتعلمين من عامة الشعب من سكان المدن وسكان القرى والجنود وكافة الطبقات الفقيرة، فقد استنارت العقول وخلصت النفوس وتمجد الله، ولقد قال في ذلك أحد الخصوم: لقد جعل ويكلف الإنجيل عاماً ومشاعاً بين الجميع، وفي متناول العلمانيين والنساء أن يقرأوه أكثر مما يقرأه رجال الإكليروس الأذكياء المتعلمين، حتى أصبحت درر الإنجيل مبعثرةً ومدوسةً تحت

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، ص: ١٩٢، تاريخ الكنيسة، ص: ٥٣.

أقدام الخنازير»[1].

٢- مارتن لوثر:

يخبر المؤرخون أن ترجمة لوثر لما يسمَّى بالكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية أعظم إنجازٍ حققه في إقامته المؤقتة في ويتنبرج، بل وفي حياته كلها، حيث بدأ في ترجمته في عام ١٥٢١م، واستغرق أحد عشر أسبوعاً فقط، وقد ظهرت هذه الترجمة في زمنٍ كانت فيه أذهان الناس في أشد حالات الهياج، وهذا يفسر سبب انتشاره في ألمانيا من أقصاها إلى أقصاها، ثم انتقاله إلى ممالك أخرى كثيرة، ولم يأت عام ١٥٣٣م حتى طبع في ويتنبرج وحدها ١٧ طبعة، وفي أوجسبرج ١٣،وفي بازل ١٢،وواحدة في إرفورت، وواحدة في جريما، وواحدة في ليبزج و١٣ في ستراسبورج، وطبع في ويتنبرج ١٠٠٠٠ نسخة من العهد الجديد[2].

وقد كتب المؤرخون عن أثر ترجمة هذا الكتاب وسرعة انتشاره، واطلاع أغلب الناس على نسخه، فقال فريدنتال: «كأنما كانت روحاً جديداً يتدفق إلى الأمام حتى أن الكلمات تعود إلى الحياة وتكتسي بالمادة... إن ذيوع «كتاب» لوثر المقدس بواسطة فن الطباعة المكتشف حديثاً كان المثل الأول لوسيلة إعلام شامل، الذي تسرب داخل المجتمع العام لذلك الزمان، كل إنسانٍ قرأه أو أصغى إلى شخص آخر يقرؤه، كل إنسانٍ جادل وفسر، وأخذ قواعد سلوكه من الكتاب المقدس»[3].

وجاء على لسان ناقد كاثوليكي:«كتاب العهد الجديد الذي ترجمه لوثر، تضاعفت أعداده وانتشر بواسطة أصحاب المطابع حتى أن الخياط والإسكافي، نعم

(١) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص ٣٩٢.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة، ص ١٣٨، ومختصر تاريخ الكنيسة، ص: ٤٥٤ - ٤٥٥، قصة الحضارة:(٢٤/ ٥٥).

(٣) تاريخ الكنيسة ، ص: ١٣٩.

حتى النساء والجهلاء الذين قبلوا الإنجيل اللوثرى الجديد، وأمكنهم قراءة الألمانية قليلاً، درسوه بشغفٍ يجل عن الوصف كينبوع لكل الحق، بعضهم حفظوه عن ظهر قلب ومضوا به يحملونه داخل صدورهم، في شهورٍ قليلة اعتبر الناس أنفسهم متعلمين إلى الحد الذي لم يكونوا فيه يخجلون من الجدال حول الإيمان والإنجيل، ليس فقط مع العلمانيين الكاثوليك لكن حتى مع الكهنة والرهبان ودكاترة اللاهوت»[1].

ومن الحقائق التاريخية المهمة التي تتعلق بالكتاب المقدس، أن أول كتاب طبعته آلة الطباعة التي اخترعها جوتنبرج هو الكتاب المقدس، الذي بلغ مجموع أوراقه ٦٤١ صفحة، وهذا يدل على أنه احتل المرتبة الأولى في الاهتمام في ذلك الوقت[2].

مقاومة الكنيسة لترجمة ما يسمَّى بالكتاب المقدس.

أدركت الكنيسة الرومانية خطورة ترجمة الكتاب المقدس وطباعته منذ الوهلة الأولى، فحاولت بشتى الطرق منع انتشاره، وعاقبت كل من يثبت إدانته بطباعته أو نشره، فقام رئيس أساقفة منتز بوضع أصحاب المطابع في تلك المدينة تحت مراقبة شديدة، والبابا إسكندر السادس أصدر مرسوماً يحرم على المطابع في منتز وكولونيا ومجدبرج وغيرها طبع أي كتابٍ بدون ترخيصٍ صريحٍ من رئيس الأساقفة[3].

وبانتشار الكتاب المقدس في أرجاء أوربا وتمكن أفراد الشعب من الاطلاع ظهرت آثارٌ أخرى كانت من نتائج الاطلاع عليه.

---

(١) المصدر السابق، ص: (١٣٩- ١٤٠).

(٢) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، ص ٢١٦.

(٣) مختصر تاريخ الكنيسة، ص: ٤١٧.

المطلب الثاني: انطلاق الحرية الدينية والاجتماعية وإعلاء شأن الفرد

كان الفرد في ظل الكنيسة الرومانية مقيداً في كل شئون حياته برجال الكنيسة، من خلال طقوسٍ وأسرارٍ تحيط بكل شئونه، وتستمر طيلة عمره، بل حتى في أمورٍ دينيةٍ لم يكن يسمح له بالتفكير في ذلك، بل عليه أن يخضع لما يتلقاه من تعاليم الكنيسة.

ويقال إنه خلال الأربعين سنة التي سبقت الثورة البروتستانتية أحرقت الكنيسة نحو من ١٣٠٠ شخص بتهمة الهرطقة، والتي تشمل في مفهوم الكنيسة حتى مجرد تفكير الإنسان لنفسه، أو شكِّه في سلطة الكنيسة التي تملك وحدها سلطة إصدار الأحكام والمقررات المتعلقة بالكنيسة(١).

ولما جاءت حركة البروتستانت كان من أهم أولوياتها تحرير عقل ذلك الفرد من القيود المفروضة عليه من الكنيسة، وكان في مقدم اهتمامها إعطاء الفرد حقه في قراءة الكتاب المقدس الذي لم يزل حبيس الكنيسة الرومانية طيلة القرون السابقة.

وكان زعيم البروتستانت لوثر يعتبر أن حق البابا وحده في أن يفسر الكتاب المقدس وفقاً لهواه هو أحد "الجدران الثلاثة" التي شيدتها البابوية حول نفسها، وأنه يجب أن تهدم، ثم قرر أن كل مسيحي يعد قسًّا، وله الحق في أن يفسر الكتاب المقدس طبقاً لما يراه(٢).

ولم يكتف بذلك، بل أرسل خطاباً للبابا، وأرفقه بياناً أطلق عليه" عجالة في الحرية المسيحية"، وجاء فيه: «إن ذلك الإيمان وحده لا الأعمال الصالحة هي التي

---

(١) انظر: أضواء على الإصلاح الإنجيلي، ص: ٥٩.

(٢) قصة الحضارة: (٢٤ – ٢٨).

تخلق المسيحي الصادق وتخلصه من عذاب النار؛ لأن الإيمان بالمسيح هو الذي يجعل الإنسان صالحاً، وأعماله الصالحة تترتب على ذلك الإيمان»[(١)].

وهذا النص يوضح اتساع مفهوم الحرية عند لوثر، وأنها تشمل الخلاص من قيود الأعمال، والاكتفاء بالإيمان بالمسيح وحده، وهذا المفهوم الخطير من المآخذ الكبيرة على لوثر، وعلى حركة البروتستانت برمتها – كما سيأتي –.

ومن أقوال لوثر المشهورة عن قيمة الفرد وحرية ضميره، قوله:«وحدي ولدت إلى هذا العالم، ووحدي يجب أن أجابه الحياة ومسئولياتها، ووحدي سأقف أمام الديان العظيم.. لن يقف أحدُ مكاني، ولا بيني وبين الله أسقفٌ ولا كاهنٌ ولا مجمعٌ كنسي ولا قانونٌ كنسي ولا تقليدٌ كنسي، بل سأقف أمام الله عارياً، وعليَّ تقع المسئولية تجاه الديان خالقي»[(٢)].

وقد أثمرت حرية الضمير التي دعا إليها البروتستانت قيماً كثيرةً في مختلف نواحي الحياة الفكرية، والسياسية، والاجتماعية، وحتى الاقتصادية، بل أنشأت واقعاً جديداً مختلفاً عما كان قبل التغيير.

يقول المفكر ماكس فيبر عن هذه التغيرات: «إن التطورات العظيمة التي طرأت على تفكير العالم سياسياً واقتصادياً، كانت نتيجةً لما قدم لوثر وكلفن من فكر»[(٣)].

وكتب المؤرخ الانجليزي "ما تولي" عن أثر البروتستانتية في القرن السادس عشر إلى التاسع عشر، فقال: «كانت أجمل وأخصب مقاطعات أوربا وهي تحت حكم الكنيسة قبل الإصلاح غارقة في الفقر، والرِّق السياسي، والسبات العقلي، وقد تحولت البلدان البروتستانتية التي كانت يوماً ما مثلاً صارخاً للقحط والبربرية، إلى حدائق

---

(١) المصدر السابق:(٢٤/ ٣٣).

(٢) أضواء على الإصلاح الإنجيلي، ص:٥٩ .

(٣) المصدر نفسه، ص:٦.

غناء بفضل نشاط ومهارة أبناء الكنيسة المصلحة، وصار من بين سكانها النخبة الممتازة من الفلاسفة والشعراء وأبطال السياسة»[١].

وتحدث المؤرخ ملر عن أثر أجواء الحرية في اسكتلندا عندما دخلتها أفكار البروتستانت وظهرت الكتب التي كشفت عن أخطاء البابوية:« وقد اشتغل الشعراء والنقاد بهذه المهمة أيضاً فأنشأوا القصائد والأناشيد وكتبوا الروايات والكتب معرِّضين بفساد أخلاق الإكليروس وجهلهم وسخافات وخرافات الديانة البابوية وكانوا ينتهجون في هذه المؤلفات أسلوباً حراً جريئاً، وكان الشعب يتهافت على تلك الكتب الصادرة بلغة بلاده ويقرأها بشغف عظيم، مما عمل بكيفيةٍ قويةٍ على تحويل أذهان الجمهور عن الديانة البابوية»[٢].

ومن آثار الحرية الدينية عند البروتستانت إعطاء الفرد العلماني دوراً أكبر في الكنيسة البروتستانتية، فبعد أن كانت الهوة شاسعة بين الإكليروس(رجال الكنيسة) والعلمانيين(بقية الشعب) أصبحت المسافة متقاربة، بل متساوية؛ لأن الشعب كلهم كهنة، وبذلك انتقل دور العلماني من مجرد متلقي، وخاضع، للكنيسة إلى مشارك، بل عضو في الكنيسة، له دور في صنع القرار، وأصبح معنياً بدراسة ما يسمَّى بالكتاب المقدس، وتسلم العلمانيون مسئولياتٍ كبيرةً في إدارة الكنيسة ، وتولوا مهام تقديم الاقتراحات والاقتراعات، من خلال اللجان ، أو الهيئات أو المجامع الكنيسة[٣].

وأكبر مثال على دور العلمانيين في الكنيسة هو وثيقة الثورة الفرنسية التي سنتها الجمعية العمومية الأولى التي أودت بالملك لويس السادس عشر(١٧٩٨م)، وطالبت بانتخاب رجال الإكليروس من قبل الشعب.

---

(١) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٢) مختصر تاريخ الكنيسة،ص:٦٧٠ .

(٣) انظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها،ص:٢٨١ .

وكانت تلك الحرية الدينية الممهد للحركات الفكرية التالية، ومنها حركة التنوير، كما صرح المؤرخ ديوارنت بذلك، فقال: «ومع ذلك فإن حركة الإصلاح البروتستانتي برغم تعصبها في أول عهدها أسدت صنيعين لحركة التنوير، فقد حطمت سلطان العقيدة، وبعثت عشرات الملل والنحل التي لو وجدت قبلها لماتت حرقاً، وسمحت بأن يقوم بينها جدل كان من القوة بحيث اعترف في النهاية بأن العقل هو المحكمة التي يتعين على جميع المذاهب أن تترافع أمامها»(١).

تلك بعض الآثار التي نتجت عن حركة البروتستانت وما تبعها من تغيرات في فكر وواقع المجتمع الغربي بأسره.



(١) قصة الحضارة:(٢٧/ ٢٦١).

الباب الرابع

الباب الرابع

موقف النصرانية من الإسلام قديما وحديثا

وفيه فصلان وهي:

- الفصل الأول: مراحل العلاقة بين البابوية والإسلام.
- الفصل الثاني: موقف النصرانية من الإسلام دراسةً وتحليلاً .

الفصل الأول

مراحل العلاقة بين البابوية والإسلام

وفيه ثلاثة مباحــث : –

- المبحث الأول: علاقة الكاثوليك بالإسلام.
- المبحث الثاني:علاقة الأرثوذكس بالإسلام.
- المبحث الثالث: علاقة البروتستانت بالإسلام.

* * * ** * * *

المبحث الأول

علاقة الكاثوليك بالإسلام

ويشتمل على مدخل ومطلبين:

- المطلب الأول: دخول الإسلام إلى أوربا.
- المطلب الثاني: مراحل العلاقة بين الإسلام والكنيسة الكاثوليكية.

* * * ** * * *

مدخـــل

بدأت علاقة الإسلام بالنصرانية في فترةٍ مبكرةٍ جداً تعود إلى عهد النبي ﷺ، من خلال إرسال الرسائل إلى الملوك والحكام، ومنهم زعماء النصارى، وسيأتي الحديث مفصلا عن ذلك في المبحث التالي.

أما حديثنا في هذا المبحث فسيكون عن علاقة الإسلام بالكنيسة الكاثوليكية تحديدا، من خلال دخول الإسلام إلى المناطق التي كانت خاضعةً للكنيسة الغربية. وسيكون هذا الحديث من خلال المطلبين الآتيين:

١ - دخول الإسلام إلى أوربا.

٢ -مراحل العلاقة بين الإسلام والكنيسة الكاثوليكية.

المطلب الأول: دخول الإسلام إلى أوربا

بدأ دخول الإسلام إلى أوربا الكاثوليكية من شبه الجزيرة الألبيرية(إسبانيا والبرتغال)، والتي أطلق عليها الأندلس[١] بعد ذلك ، والذي فتحها هو القائد طارق بن زياد[٢] في خلافة الوليد بن عبد الملك[٣] عام ٩٢هـ (٧١١م) [٤].

ثم اتجهت جهود المسلمين بعد ذلك إلى الركن الشمالي الشرقي عبر جبال البرينيه (البرانس)، حيث توجد بلاد الغالة، أوغالة (فرنسا حاليا).

وقد بدأ موسى بن نصير[٥] الخطوة الأولى؛ حيث بعث سراياه إلى قطالونيا في الشمال الشرقي، فاستولت على برشلونة على البحر المتوسط، ومن هناك اخترقت جبال البرينيه، وتوغلت في فرنسا، وضمت كلاً من قايبون،وأفنيون،وحصن لودون

---

(١) الأندلس: مصطلح مأخوذ من من قبائل الوندال، التي تعود إلى أصل جرماني، وهي التي احتلت شبه الجزيرة العربية حوالي القرن الثالث حتى القرن الخامس الميلادي، وسميت باسمها، فأندلسيا: أي بلاد الوندال، ثم نُطقت بالعربية:الأندلس، انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة.د.عبد الرحمن علي الحجي.

(٢) طارق بن زياد: مولى موسى بن نصير، كان أميراً على طنجة بأقصى المغرب، ولما بلغه اختلاف الفرنج واقتتالهم بادر بغزوهم وافتتح قرطبة، وقتل صاحبها لذريق، وأرسل إلى موسى بن نصير يبشره بالنصر. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي:(٤/ ٥٠٠) .

(٣) الوليد بن عبدالملك: أبو العباس الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم، الخليفة الأموي، فتح بوابة الأندلس، وغزى الروم، وافتتح الهند، وبنى الجامع الأموي. توفي عام ٩٦هـ. انظر: المصدر نفسه: (٤/ ٣٤٧-٣٤٨).

(٤) انظر: أوربا العصور الوسطى.د.سعيد عاشور:١(/ ٤٩٣).

(٥) موسى بن نصير: أبو عبدالرحمن اللخمي، متولي إقليم المغرب، وفاتح الأندلس. غزى قبرص وبنى هناك حصوناً، وتمم فتح الأندلس الذي بدأه مولاه طارق بن زياد. انظر: سير أعلام النبلاء: (٤/ ٤٩٦ وما بعدها).

على وادي الرون،وقرفشويه، ولم يوقف هذا الزحف نحو جنوب فرنسا إلا معركة "بلاط الشهداء"، بين القائد عبد الرحمن الغافقي[١]،وشارل مارتل قائد الفرنجة التي انتهت بهزيمة المسلمين هزيمةً كبيرة[٢].

ومع ذلك فإن المسلمين عندما أفاقوا من هذه الضربة أخذوا يستردون مراكزهم السابقة، وأقاموا بفرنسة قرنين، بعد ذلك سلم حاكم مرسيلية مقاطعة البروفنس إليهم عام(٧٣٧م) ،واستولوا على الآرل، ودخلوا مقاطعة سان ترويز سنة ٨٨٩م، ودامت إقامتهم بمقاطعة البروفنس الى نهاية القرن العاشر من الميلاد وأوغلوا في مقاطعة الغالة وسويسرة سنة ٩٣٥م[٣].

ولم تتوقف انتصارات المسلمين في أوربا عند هذا الحد، بل اتجهت نحو جنوب إيطاليا التي لم تكن في ذلك الوقت وحدةً سياسية، بل مجموعة من الإمارات المستقلة، وفي سنة ٨٣٦م، احتل العرب برنديزي، وملكوها لأكثر من ٣٠ سنة منذ سنة٨٧٠م،

---

(١) عبدالرحمن الغافقي: عبدالرحمن بن عبدالله بن بشر بن الصارم الغافقي، أبو سعيد: أمير الأندلس، من كبار قادة الفتح الإسلامي في الأندلس. أصله من غافق (من قبيلة عك في اليمن)، تولى إمارة الأندلس في عهد هشام بن عبدالملك عام ١١٢هـ، وتوفي في معركة "بلاط الشهداء" عام ١١٤هـ انظر: الأعلام ، للزركلي: (٣/ ٣١٢).

(٢) الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الاسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، د.عبدالعظيم رمضان، ص:١٣٤ .ويلاحظ أن المؤرخين الغربيين يضخمون شأن هذه المعركة التي أطلق عليها معركة"بواتييه"، ويذكرون أن شارل مارتل أنقذ أوربا النصرانية بهذا النصر، وليس الامر كذلك، فقد ذكرالمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون حول هذا الرأي ما يلي: «ولم يستطع شارل مارتل أن يطرد العرب من أية مدينة احتلوها عسكريا، واضطر شارل مارتل إلى التقهقر أمامهم تاركا لهم ما استولوا عليه من البلدان، والنتيجة الوحيدة المهمة الوحيدة التي أسفر عنها انتصاره هي أن جعل العرب أقل جرأة على غزو فرنسة، ونتيجة مثل هذه، وإن كانت مفيدة، لم تكف لتكبير أهمية انتصار هذا القائد الفرنجي». انظر: حضارة العرب، ص:٣١٦ .

(٣) انظر:حضارة العرب، ص:٣١٥-٣١٦.

وهاجموا نابولي سنة ٨٣٦، واجتاحوا إقليم كلابريا، وهو أقصى جنوب ايطاليا.

ومن الانتصارات المهمة في هذا السياق، وصول العرب في غزوهم إلى روما، التي تعد في ذلك الوقت"ملكة العالم"، وكانت تحت حماية دولة الفرنجة، وبعد أن توج البابا شارلمان عام ٨٠٠م إمبراطورا على الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وعند ذلك هب "لويس الثاني"ملك الفرنجة بإرسال حملة لمواجهة المسلمين وساندت ملك الفرنجة ثغور نابلي، وامالفي، وجايتا، ووصلت في المقابل تعزيزات للمسلمين، ودارت معاركٌ عنيفةٌ بين الطرفين، وتمكنت حملة المسلمين من الانتصار والعودة الى الجنوب، محمَّلةً بالغنائم والأسرى عام ٨٥٠م، واضطر البابا يوحنا الثامن إلى التفاوض مع المسلمين على الجلاء عن روما ،وتم الاتفاق على ذلك، مقابل أن يدفع البابا جزيةً سنويةً مقدارها خمسة وعشرون ألف مثقالٍ من الفضة[1].

والذي يهمنا من هذا العرض بيان أن المسلمين قد وصلوا الى أهم المناطق التي تتبع الكنيسة الكاثوليكية في الجزء الغربي من أوربا، الأمر الذي يلزم فيه بالضرورة أن يكون المجتمع الأوربي ومجتمع الكنيسة على وجه الخصوص قد عرف الإسلام عن قرب، وعايش المسلمين، مما يستدعي أن يكون صورة صحيحة عن الإسلام تؤدي بالتالي الى بناء علاقةٍ إيجابيةٍ مع المسلمين، ولزيادة الإيضاح فسنأخذ إسبانيا نموذجا لذلك؛ باعتبارها المنطقة التي شهدت لقاءاً مبكراً وطويلاً بين الإسلام والنصرانية، وسنرى كيف كانت حالة الكنيسة قبل وصول الإسلام إليها، وكيف تعامل المسلمون مع النصارى، وما هي نتائج ذلك.

كانت أوربا، ومنها أسبانيا، قبل الفتح الإسلامي على المذهب الكاثوليكي الذي استقر في البلاد بعد انتصاره على المذهب الآري، وقد أصدر المجمع السادس في طليطلة قراراً يقضي بأن يقسم كل الملوك بأن لا يسمحوا بانتشار أي مذهبٍ آخر غير

---

(١) انظر:الصراع بين العرب وأوربا، ص:١٩١-١٩٥.

المذهب الكاثوليكي، ثم تلا هذا القانون قانونٌ يحرِّم على كل شخصٍ أن يتطرق الى ذهنه أي شكٍ في الكنيسة الكاثوليكية المقدسة، أو النظم الإنجيلية، أو تفاسير ومراسيم الكنيسة والقرابين المقدسة إذا ما صودرت أملاكه أو حُكم عليه بالسجن المؤبد[1].

واستغل القسس هذه القوة التي وصلوا إليها لإنهاء اليهود الذين كانوا طائفةً كبيرةً في ذلك الوقت، وصدرت الأوامر المشددة ضد كل من امتنع من الدخول في النصرانية(الكاثوليكية) [2].

ولما جاء الفتح الإسلامي جاء بنظامٍ أخلاقيٍّ واضحٍ متكاملٍ ومتميزٍ في التعامل مع غير المسلمين، وكان هذا المنهج يقوم على العدل، وعدم حمل الناس على الإسلام أو اضطهادهم بأي وسيلةٍ من وسائل الاضطهاد[3]، وقد أدهش هذا التعامل الأخلاقي الرفيع الأسبان أنفسهم،كما أدهش المؤرخين لتلك الفترة، فعبروا عن ذلك ،بما يدل على الأثر الكبير الذي كان له على حياة الأسبان.

يقول المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون[4] عن ذلك: «كانت الطريقة التي يجب على الخلفاء أن يسلكوها واضحة، فعرفوا كيف يحجمون عن حمل أحدٍ بالقوة على ترك دينه، وعرفوا كيف يبتعدون عن إعمال السيف فيمن لم يسلم، وأعلنوا في كل مكان

---

(١) انظر:الدعوة إلى الاسلام، توماس آرنولد، ص:١٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ١٥٥-١٥٦.

(٣) انظر:المصدر نفسه، ص:١٥٧.

(٤) غوستاف لوبون: (١٨٤١ - ١٩٣١) هو طبيب ومؤرخ فرنسي، عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، كتب في علم الآثار، وعني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند و"باريس ١٨٨٤" و"الحضارة المصرية" و"حضارة العرب في الأندلس" و"سر تقدم الأمم" و"روح الاجتماع" الذي كان انجازه الأول. هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية.الموسوعة الحرة (ويكبيديا).

أنهم يحترمون عقائد الشعوب، وعرفها وعاداتها، مكتفين بأخذهم في مقابل حمايتها جزيةً زهيدةً تقل عما كانت تدفعه إلى ساداتها السابقين من الضرائب»[١].

«وأحسن العرب سياسة سكان إسبانية، كما أحسنوا سياسة أهل سورية ومصر، فقد تركوا لهم أموالهم وكنائسهم، وقوانينهم، وحق المقاضاة إلى قضاة منهم»[٢].

وتبعاً لذلك فقد مارس النصارى شعائرهم الدينية بكل حرية، ولذلك فقد دُهش الأسبان عندما استعادوا طليطلة، وكذلك النورمانديين عندما استعادوا صقلية؛ لأنهم وجدوا الكنائس لم يمسها سوء، كما وجدوا رجال الكنيسة يؤدون شعائرهم الدينية دون تدخلٍ أو إزعاج[٣].

وأقبل الأسبان على الإسلام؛ حيث رحب به اليهود، وأيضا الأرقاء الذين حل بهم الشقاء في عهد الكاثوليك، لما رأوا ذلك التسامح الديني، وتلك المزايا الكثيرة التي حصلوا عليها في ظل اتباعهم للمسلمين[٤]، واعتنق هذا الدين الكثير من أشراف النصارى، وعددٌ كبيرٌ من الطبقات الوسطى الذين تدينوا بالاسلام عن قناعة ويقين[٥].

وكانت أعظم آثار ذلك الفتح الحضارة التي استضاءت بنورها جميع أنحاء أوربا، وتسابق النصارى إلى مدارسها وجامعاتها، وتخرج منها نخبة من كبار رجال الدين، وبلغت قرطبة القدح الأعلى منها، فأصبحت أرقى مدن العالم القديم مدة ثلاثة

---

(١) حضارة العرب،ص:١٣٤.

(٢) المصدر نفسه،ص:٢٦٦ .

(٣) انظر:العلاقات بين الشرق والغرب، د.عزيز سوريال عطية، ص:٢٧.

(٤) انظر:الدعوة إلى الإسلام، ص:١٥٥.

(٥) المصدر نفسه، ص:١٥٥.

قرون[1].

وهذا الأثر الكبير على النصارى الكاثوليك، وعلى أوربا كلها ،يجعلنا نطرح التساؤل التالي:كيف كانت علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالإسلام؟ وكيف ردت هذا الجميل للمسلمين؟.

وهذا ما سأحاول الإجابة عنه من خلال معرفة مراحل العلاقة بين الكنيسة والإسلام في هذه الفترة.



(١) انظر:حضارة العرب ، ص:٢٧٣. وهذا الأثر العظيم الذي امتد إلى سائر أرجاء أوربا، واعترف به كل منصف أغاظ من امتلأت قلوبهم حقدا على المسلمين وعلى الإسلام نفسه، وأرادوا إطفاء نور الله بأفواههم وبأيديهم، ومن ذلك ما قام به رئيس الأساقفة الإسباني كز يمينيس عندما أحرق ما قدر على جمعه من المخطوطات الإسلامية والتي بلغت-حسب ما ذكر المؤرخون-ثمانين ألف كتاب، وكان يهدف إلى محو ذكر المسلمين من صفحات التاريخ إلى الأبد، ولكنه لم يعلم أن ما تركه المسلمون من الآثار التي ملأت إسبانيا-خلا مؤلفاتهم-يكفي لتخليد اسمهم إلى الأبد. انظر: المصدر نفسه، ص:٢٧٤.

المطلب الثاني: مراحل العلاقة بين الإسلام والكنيسة الكاثوليكية:

عندما ندرس علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالإسلام الذي وطأ أراضيها منذ فترة مبكرة، نجد أنها لم تكن على صورةٍ واحدةٍ، ولم تتشكل في وقتٍ قصير، ولكنها تميزت بالتنوع ، والتشكل في زمنٍ طويل، وإن كان يختلف باختلاف المكان ويتغير بتغير الظروف السياسية، وغيرها، وفي الجملة: يمكن أن نقول: هناك سماتٌ عامة، ومراحل مختلفة تميزت بها تلك العلاقة، وإن كانت السمة الكلية هي العداء للاسلام والمسلمين إلا أن ذلك كان يختلف من زمنٍ إلى آخر، ولما كانت الحروب الصليبية التي قادتها الكنيسة الكاثوليكية ضد المسلمين، في مدة قاربت القرنين من الزمان، لما كانت هذه الحروب تمثل الدرجة العليا من العداء جعلتها أساسا لتقسيم المراحل التي مرت علاقة الكنيسة، وذلك كما يأتي:

أولا: مرحلة ماقبل الحروب الصليبية:

هذه المرحلة من الناحية الزمنية تبدأ من القرن الثامن إلى أواخر القرن الحادي عشر الذي بدأت فيه الحروب الصليبية.

ومن المهم أولا، الإشارة إلى أن الصورة التي تشكلت في أوربا من العصور الوسطى عن الإسلام، وعن النبي -ﷺ-كانت من صنع رجال الكنيسة، وهذه الإشارة في غاية الأهمية، لما يترتب عليها عند التحليل، ومعرفة الأسباب التي أدت اليها تلك الصورة، ولذلك يؤكد الباحثون في تاريخ العصور الوسطى مسئولية رجال الكنيسة تجاه تكوين تلك الصورة.

يقول المؤرخ ريتشارد سوذرن، المتخصص في تاريخ العصور الوسطى: «الواقع أن الكنيسة نفسها عبر رهبانها وقساوستها انفردت خلال العصور الوسطى التي كانت تسيطر فيها على الأفكار والأقدار بتشكيل الرؤى والصور عن الإسلام

والمسلمين ما بين القرنين التاسع والخامس عشر الميلاديين، إن الصورة الأوربية التقليدية عن الإسلام (والتي ما تزال أجزاء أساسية منها تقاوم الزوال) هي من صنع رجالات الكنيسة...إن الغرب الوسيط الذي شكل هذه الرؤيا أو الرؤى الشاملة عن الإسلام والمسلمين يشمل لاهوتيين ألمانا وفرنسيين وإيطاليين، في وقت كانت فيه هذه البلدان (ألمانيا وفرنسا وإيطاليا) قلب المسيحية الكاثوليكية، هذا إذا لم نقل كل المسيحية الغربية»(١).

ويقول المفكر الالماني هوبرت هيركومر: «إن الغرب الذي كان لمؤسساته الكنسية على مر قرون طويلة إسهامات فاضحة ومخزية في تشويه صورة العرب والأتراك»(٢).

صورة النبي ﷺ عند رجال الكنيسة الغربية.

رسمت الكنيسة الكاثوليكية صورة تقليدية للنبي ﷺ منذ وقت مبكر، وأصبحت هذه الصورة هي الصورة التي سادت أرجاء أوربا، وتتلخص هذه الصورة في ثلاثة آراء كانت هي الأكثر تداولاً في الأوساط الدينية، وهي كما يأتي:

الرأي الأول: وهو أن محمدا ﷺ، هو المسيح الدجال، والأمارة الأساسية على اليوم الآخر.

وكانت الانتصارات السريعة في ذلك الوقت تغذي هذا التصور وتدعمه عند أصحابه، ويرى المؤرخون أن هذه الفكرة بيزنطية الأصل، وأنها تطورت إلى اعتبار أن النبي ﷺ والإسلام هو حقبة أو دور نهايته النفخ في الصور، بعد أن كانت الفكرة الأولى أن القيامة ستقوم بمجرد ظهور ذلك الرجل (أي في القرن السابع الميلادي)(٣).

---

(١) صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى، ص:١٢.

(٢) صورة الإسلام في الأدب الألماني الوسيط، ص:٣٧.

(٣) انظر:صورة الإسلام في أوربا في قرون الوسطى، ريتشارد سوذرن،ص:١٣.

الرأي الثاني: أن محمدا ﷺكان مطراناً أو بطريقاً في الأصل، تشاجر مع بطريق آخر، فشكل هرطقة، انفصلت تدريجيا عن المسيحية الكاثوليكية الصحيحة.

وهذا التصور عند أشهر المؤرخين في العصور الوسطى بيزنطي الأصل أيضا، ويرجع إلى أسطورة الراهب "بحيرا "[1]، التي ظهرت في عصر الإسلام الأول[2].

وفكرة أن محمدا ﷺ تعلم القرآن من بشر، فكرةٌ قديمةٌ بدأت في عهد النبي -ﷺ- ، وقد أشار إليها القرآن بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣]

الرأي الثالث: وهي صورة مغرقة في الخيال والغلو أيضا، وترى أن محمدا ﷺ هو أحد الآلهة الرئيسة، ضمن ثلاثين آلهة، كانت موجودة في ذلك الوقت، وهذه الآلهة هي فرَّاكوتوس، وأبولو، ومحمد ﷺ، وهذه الصورة استندت على عوام الكهنة المتجولين، وانتشرت انتشاراً شعبياً واسعاً، استمر الى نهايات العصور الوسطى[3].

وإضافة إلى هذه الصورة المشوهة والمغلوطة عن الإسلام والنبي ﷺ فإن هناك تفاصيل أخرى، تبعت هذه الصورة الرئيسة، تتعلق بالنظرة إلى المسلمين، وإلى الفتوحات الإسلامية.

فكان المسلمون في نظر الغرب، في ذلك الوقت - كما ذكر كاتب حوليات من بورغونيا بعد ثلاثين أو أربعين سنة من فتح الاندلس -: «شعبٌ صاخبٌ وناهبٌ، وغير مسيحي، وفضلاً عن ذلك قد اجتاح وخرب أقطاراً شاسعة، منتزعاً إياها من

(١) بحيرا كلمة سريانية تعني المتبحر. انظر:مسيحية ضد الإسلام، ص:٤٦.

(٢) انظر:صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى،ص:١٣،مسيحية ضد الإسلام،لودفيغ هاغمن، ص،٤٦ .

(٣) انظر:صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى، ص:١٤.

ملك المسيحية»[1].

ويلخص بيدا الراهب الإنكلوسكسوني في كتابه "التاريخ الكنسي لأمة الأنكل" الحوادث الأخيرة (عام ٧٣٥م)، كما يأتي: «في هذه الآونة فتكت جائحةٌ مرعبةٌ من الساراسين[2]، ببلاد الغول، وأحدثت فيها مجزرةٌ محزنة، لكنهم بعد قليل نالوا في هذه البلاد[3] العقاب[4] الذي يوجبه فسقهم»[5].

وهذا العرض يبين الصورة التي رسمها رجال اللاهوت في الكنيسة الغربية للإسلام ولنبي الإسلام ﷺ، وهي صورةٌ تنم عن الجهل الشديد، وهي الصفة الأساسية المميزة لهذه المرحلة، وهذا الجهل في الحقيقة لم يكن مبررا، وأيضاً لم يكن خالياً من تعصبٍ مقيتٍ وحقدٍ دفين، غرسه اللاهوتيون في نفوس أتباعهم. وهذا التعصب المقيت هو الذي حجبهم عن الصورة المشرقة للإسلام، والتعاليم الخلقية الرفيعة لنبي الإسلام، ولم تكن تلك الصورة بعيدة عنهم، بل انتشرت في أرضهم (إسبانيا)، وتحققت في درجتها الكاملة،نظرية وتطبيقاً، واستفاد منها من أراد الله لهم الخير من النصارى أنفسهم -كما أشرنا إلى ذلك من قبل-.

وكل هذه الصور التي جاء بها الخيال الشعبي الغربي عن النبي ﷺ، وعن ظهور الإسلام كانت تسعى لتحقيق هدفٍ جلي، وهو تصوير الدين الجديد على أنه غير أصيل، وغير عريق، وأنه مجرد صدى لهرطقةٍ نصرانية، وأن القرآن لم يكن كتاباً منزلاً

---

(١) انظر:جاذبية الإسلام، مكسيم رودنسون، ص:١٥.

(٢) الساراسيون: المقصود بهم المسلمين، وهي نسبة إلى سارة، وهذا غريب؛ لأن نسبهم يعود إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام من زوجته هاجر، وليست سارة.

(٣) المقصود بالبلاد الأندلس.

(٤) والمقصود بالعقاب هنا معركة بلاط الشهداء(بواتيه).

(٥) جاذبية الإسلام، ص:١٦.

من السماء أو تكون له صفة الوحي الإلهي[١].

ولم يقتصر الموقف النصراني عند رسم هذه الصورة المشوهة والمنفرة عن الإسلام وعن نبيه ﷺ، وإنما تعدى ذلك إلى محاولة جادة لمحاربة وإيقاف مده الجارف، الذي بلغ عقر دار أوربا، بكل وسيلة ممكنة.

ومن ذلك على سبيل المثال:

١ – في ديسمبر عام ٨٥٣م، طلب البابا ليو الرابع [٢](٨٤٧-٨٥٥م) مساعدة الجيوش الفرنجية ضد المسلمين، الذين هاجموا روما، ووعدهم بأن من يموت في هذه الحرب سوف يجد مكافأة على ذلك في السماء، واستطاع البابا بذلك إضفاء الشرعية، على حرب المسلمين، بل وجعلها سببا لنيل الثواب، وضمان نيل المكانة في السماء[٣].

وفي عام ٨٧٦م، طلب البابا يوحنا الثامن[٤](٨٧٢-٨٨٢م)، مساعدة الملك شارل ضد المسلمين، وعبر عن خوفه، بأنه بدون هذه المساعدة، سوف تتعرض الديانة المسيحية والمجد الإمبراطوري للخطر، وفي معرض الإجابة على سؤال من الأساقفة، حول ما إذا كان الذين يموتون دفاعاً عن الكنيسة، سينالون الغفران، أكد البابا بأن

---

(١) انظر: مسيحية ضد الإسلام، ص:٤٨.

(٢) ليو الرابع: اهتم هذا البابا ببناء سور أوريليانس القديم، وأحاط الفاتيكان بسور جديد عرف بالمدينة اللاونية، وأنشأ أسطولاً بحرياً لمواجهة المهاجين له (ومنهم المسلمين). انظر: معجم الأديان، ص: ٦٦-٦٧ .

(٣) انظر: الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية، د. قاسم عبده قاسم، ص:١٩.

(٤) يوحنا الثامن: شهدت فترة بابويته اضطرابات استفاد المسلمون منها، وهاجموا إيطاليا وفرضوا على البابا دفع الجزية، تمرد عليه النبلاء الإيطاليون، وسممه أحد أقربائه، ولكنه لم يمت سريعاً، فقضى عليه بمطرقة، وكانت أول جريمة من هذا النوع ترتكب في الفاتيكان. انظر: معجم البابوات، ص:٦٩ .

أولئك المحاربين سينالون الخلود[1].

وهكذا نجد أن المرحلة الأولى من مراحل العلاقة بين الكنيسة والإسلام، قد تميزت بالجهل الشديد بالإسلام ونبيه ﷺ، ولم تبذل الكنيسة أي محاولاتٍ جادة، وحقيقية في سبيل التعرف على الإسلام، من خلال الطرق الصحيحة والوسائل الموضوعية، مع إمكانية ذلك، وسهولة تحقيقه؛ بسبب وجود المسلمين في منطقة غرب أوربا.

ويستثنى من ذلك المواقف الإيجابية المنصفة التي شهد بها بعض أفراد النصارى لصالح المسلمين، ولكنها تظل مواقف فردية، لا تمثل الموقف الرسمي للكنيسة.

ونختم ذلك بشهادة، ذات أهميةٍ كبيرة، ودلالةٍ قوية على وجود فهمٍ صحيحٍ لحقيقة الفتح الإسلامي، وغايته، وهي شهادة مبكرة جداً، حيث جاءت في بداية الفتوحات الإسلامية، عندما وبخ هرقل أحد الحكام الرومانيين على عجزه عن صد هجمات المسلمين، فرد عليه الحاكم النصراني الروماني، قائلا له: «إنهم أقل منا عددا، ولكن عربياً واحداً يعادل مائةً من رجالنا؛ ذلك لأنهم لا يطمعون في شيءٍ من لذات الدنيا، ويكتفون بالكساء البسيط، والغذاء البسيط، هذا في الوقت الذي يرغبون في الاستشهاد؛ لأنه أفضل طريق يوصلهم إلى الجنة، في حين نتعلق نحن بأهداب الحياة، ونخشى الموت، يا سيدي الإمبراطور»[2].

ثانيا: مرحلة الحروب الصليبية.

انتقلت الكنيسة الكاثوليكية، بعد المرحلة الاولى من علاقتها بالإسلام، التي اتسمت بالجهل، وتكوين صورة مضللةٍ ومنفرةٍ عن الاسلام، ونبيه ﷺ، وعن المسلمين، مقترنة بنوع من الحرب ضد المسلمين، ولكنها اقتصرت في أشد حالاتها

---

(١) انظر: الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية، د.قاسم عبده قاسم، ص:١٩.

(٢) أوربا العصور الوسطى، د.سعيد عاشور، ص:١٤٥.

ولأسبابٍ كثيرةٍ - أهمها قوة المسلمين- على الجانب الدفاعي فقط.

انتقلت الكنيسة، بعد هذه المرحلة، إلى مرحلةٍ جديدةٍ ومتميزةٍ من العلاقة مع المسلمين، وهي الحرب الهجومية التي اصطلح على تسميتها بـ "الحروب الصليبية"، وهذه المرحلة التي استمرت لما يقارب القرنين من الزمان، تعتبر المرحلة الأسوأ في تاريخ العلاقة مع المسلمين.

وسنتحدث عن الحروب الصليبية في هذا المقام لا من حيث تفصيلاتها، إنما من حيث منطلقها الكنسي الكاثوليكي، ودوافعها، وأثرها في العلاقة مع المسلمين.

دامت مرحلة الحروب الصليبية ما يقارب مائتي عام، وهي تشمل على وجه التقريب القرن الثاني عشر، والثالث عشر، وأما سمة هذه المرحلة -كما هو ظاهر- فهي الحرب المسلحة التي انطلقت من عقر دار البابوية إلى أرض المسلمين، وركزت على أرض الشام، باعتبارها، موضع قبر المسيح (المقدس)،كما يزعم النصارى.

واكتسبت الحروب الصليبية أهميةً بالغةً في التاريخ، حيث كانت تمثل انعطافاً خطيراً في تاريخ الغرب الأوربي، حيث دارت هذه الحرب على نطاقٍ واسعٍ من حيث المجال الجغرافي، والاطار الزمني، وأعداد المشاركين فيها، وكانت هذه الحرب هي أول حرب تخوضها أوربا تحت راية دينية[(١)].

وتعتبر هذه الحرب ذروة مرحلة الإحياء الديني، الذي بدأ في الغرب منذ القرن العاشر الميلادي، وارتفع شأنه في القرن الحادي عشر، وبلغ ذروته في الحروب الصليبية، ومن جهة أخرى، تعد هذه المرحلة أهم المراحل في تاريخ العلاقة بين الشرق والغرب، أي بين العالم النصراني والبابوية على وجه التحديد، وبين المسلمين.

كان هدف هذه الحرب المعلن، هو استرجاع القبر المقدس، من أيدي المسلمين.

ولاشك أن هناك أهدافاً كثيرةً لهذه الحملة، وقد تفاوت المؤرخون في تعداد هذه

(١) انظر: ماهية الحروب الصليبية، د.قاسم عبده قاسم، ص:٥٥.

الأهداف ، وترتيبها من حيث الأهمية، وقد ذكر المؤرخ نورمان ف.كانتور أربعة أهداف رئيسة، رأى البابا أوربان الثاني أن الحملة الصليبية ستحققها له، وهي كما يلي:

١- إعادة توحيد العالم النصراني.

٢- زيادة هيبة البابوية.

٣- إنهاء الشقاق بين الكنيسة الشرقية والغربية.

٤- تسخير طاقات الجيوش الإقطاعية لصالح الكنيسة[(١)].

ولا شك أن هذه الأهداف كانت مقصودةً لدى الكنيسة الغربية، ولكن الهدف الديني كان هو المحرك الرئيس لهذه الحرب، كما يدل على ذلك مضامين خطبة أوربان الثاني، ودور بطرس المبجل في هذه الحملة-كما سيأتي-.

كانت الإرهاصات لهذه الحملة مبكرة، منذ عهد البابا جريجورى السابع، ولكن بدايتها الفعلية كانت في عهد البابا أوربان الثاني في ٢٧/ نوفمبر عام ١٠٩٥م، وفي مدينة كليرمون، جنوب فرنسا، حيث طلب من الأساقفة، ومقدمي الأديرة أن يدعو كبار الأمراء الإقطاعيين في مناطقهم لحضور احتفالية يعقدها البابا في نهاية المجمع المذكور[(٢)].

ومن أهم النصوص التي اشتملت عليها خطبة أوربان ما يأتي:

١ -«اطردوا الجارية وابنها، تقلدوا سيوفكم، وإلى الأمام، والله معكم،كفروا عن خطاياكم، وما ترتكبونه، من هدم، وسلب، وسفك دماء، بطاعتكم، فليظهر الإفرنج شجاعتهم المشهودة وبسالتهم المعهودة، في قضية الموت فيها هو الضمان لكل

---

(١) انظر:التاريخ الوسيط، ص:٣٩٨-٣٩٩.

(٢) انظر:ماهية الحروب الصليبية، د.قاسم عبده قاسم،ص:١٠٣.

بركة»[1].

٢ -«احسبوه فرحاً أن تموتوا من أجل المسيح، حيث مات المسيح لأجلكم، إنسوا أقاربكم وبيوتكم، فأنتم مدينون لله بمحبة أعظم»[2].

٣ -«إن الاتراك (المسلمين) عِرْقٌ ملعون، عِرْقٌ غريبٌ تماماً عن الله، وهم حقاً جيلٌ لم يتوجه بقلبه أو يعهد بروحه الى الله، إن قتل هؤلاء الوحوش الكفرة عملٌ مقدس، فالواجب المسيحي يقضي باستئصال هذا العرق الفاسد من أراضينا»[3].

٤ -«ومن ثم فإنني لست أنا، ولكن الرب هو الذي يحثكم باعتباركم وزراء المسيح أن تحضوا الناس من شتى الطبقات»[4].

٥ - اعتمد في خطبته على نصوص من الإنجيل من أهمها: «ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي ، فلا يقدر أن يكون لي تلميذا»[5].

٦ -أعلن أن مكافأة كل من يحمل الصليب هو نيل الغفران فوراً لجميع خطاياه: «وهذا ما أمنحه لكل من يذهب بحكم السلطان الذي خولني الله إياه»[6].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن أوربان لم يترك عاطفة لدى النصارى إلا وأثارها، ولا وتراً حساساً إلا وضرب عليه، وعند تحليل النصوص السابقة، نجد ما يأتي:

١ - أن الهدف الأساسي من هذه الحملة هو الهدف الديني- كما صرح بذلك-

---

(١) انظر:مختصر تاريخ الكنيسة، ص: ٢٥٩.

(٢) انظر:المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) الحرب المقدسة، كارين أرمسترونق، ص:٣٥.

(٤) ماهية الحروب الصليبية، ص: ١٠٥.

(٥) لوقا: ١٤/ ٢٧

(٦) انظر:العلاقات بين الشرق والغرب، عزيز سوريال عطية، ص:١١.

حينما اعتبرها مقدسة، واستعمل لذلك الخطاب الديني، من حيث النصوص الإنجيلية التي أوَّلها ليعطي لهذه الحرب الصبغة الشرعية، وكذلك من خلال الوعود بالغفران الكامل، لمن شارك في هذه الحملة، وأيضا فقد جعل الأمر بهذه الحملة من الله-لا منه- لتأكيد شرعية هذه الحملة.

٢ – أن هذا الهدف الديني يتمثل في أهم غاياته إلى استئصال شأفة المسلمين إلى الأبد، على الأقل في البلاد التي فتحوها، وكانت تحت يد النصارى قبل ذلك.

٣ – استخدم أسلوب التضليل، والدعاية المزيفة، حيث ادعى أن النصارى يعيشون أوضاعاً قاسيةً، في ظل حكم المسلمين، وهذه الدعاية استخدمتها البابوية طيلة فترة الحروب الصليبية؛ لتحرك بها مشاعر الجماهير نحو إخوانهم النصارى المضطهدين من قبل الكفرة، والملاعين،وهم يستندون فيها إلى ما يأتيهم من إخوانهم بطارقة المشرق، ومن أوضح الأمثلة على ذلك الوثيقة المشهورة التي بعث بها بطريرك أورشليم "غرموند"، عن وضع النصارى الغير مستقر في أورشليم، وأطلق عليها وثيقة الإستغاثة، وجاء نصها كما يلي: «إن المسلمين يحيطون بنا من كل جهة: في الشرق بابل، وفي الغرب عسقلان، وعلى البحر صور، وفي الشمال دمشق، وفي كل يوم يغزوننا ويلقون القبض علينا، وأجسادنا المقطوعة الرأس تترك للحيوانات الضارية والجوارح، يبيعوننا في السوق كالغنم، وماذا نزيد على ذلك؟ في سبيل اسم يسوع، نحن مستعدون لأن نذوق عذاب الموت قبل أن نترك مدينة أورشليم المقدسة وصليب ربنا وقبر المسيح المقدس، ولكن هذا الوضع الرهيب الذي نحن فيه، أغيثونا!» [(١)].

وهذه الوثيقة إن صح ثبوتها لم يصح مضمونها قطعا؛ لأن المسلمين لم يزالوا محافظين على عهودهم مع النصارى، كما جاء في دينهم، وكما أعطاهم عمر- رضي الله عنه- من العهود عندما فتح القدس، وهذا الأمر مشهور في التاريخ، وقد اعترف به المنصفون

(١) تاريخ الكنيسة المفصل: (٢/ ١٧٦).

من النصارى أنفسهم، فهذا بطريرك بيت المقدس نفسه "ثيودوسيوس" يكتب لزميله بطريرك القسطنطينية عام ٨٦٩م، أي بعد أكثر من ٢٣٠سنة من حكم المسلمين رسالةً يمتدح فيها المسلمين ويثني على قلوبهم الرحيمة، وتسامحهم المطلق، حتى أنهم سمحوا للنصارى ببناء كنائس دون تدخل منهم، وقد صرح في رسالته بالحرف الواحد «إن المسلمين قوم عادلون، ونحن لم نتلقى منهم أي أذى أو تعنت»[(١)].

وهناك أكثر من مؤرخٍ أوربيٍّ منصفٍ قد قدر في صراحة: «أن السلاجقة لم يغيروا شيئاً من أوضاع المسيحيين في الشرق، وأن المسيحيين الذين خضعوا لحكم السلاجقة صاروا أسعد حالا من إخوانهم الذين عاشوا في قلب الإمبراطورية ذاتها»[(٢)].

والمقصود هنا أن الحملة الصليبية ضد المسلمين تم الإعداد لها والدعم والإشراف عليها من البابوية، بل من البابا نفسه.

وأما نتائج هذه الحملات؛ فمن الناحية العسكرية فقد انتهت بهزيمة الصليبيين وسقوط المملكة اللاتينية في القدس ثم عكا في أيدي المماليك عام ١٢٩١م، وبالتالي انتهى الوجود الصليبي على أرض فلسطين.

ولكن النتيجة النهائية التي توصلت اليها الكنيسة الغربية- فيما يتعلق بالعلاقة بالمسلمين – هي مكونة من شقين:

١ – أن الحروب الصليبية فشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق أهدافها العسكرية؛ فلم تنته باحتلال نصارى الغرب للشرق، وإنما انتهت باستيلاء المسلمين على الأراضي التي كانت خاضعة لهم قبل ذلك ،وانتهى بذلك الوجود النصراني في الشرق إلى حد كبير.

---

(١) الحركة الصليبية، د.سعيد عاشور(١/ ٢٦).

(٢) المصدر نفسه: (١/ ٢٨).

٢- آمنت الكنيسة منذ بداية القرن الثالث عشر،- أي أثناء الحملة نفسها -بعدم جدوى الحملات المسلحة لفرض النصرانية بالقوة، وبالتالي اتجهت إلى حربٍ صليبيةٍ أخرى، ولكنها غير مسلحة، وهي تتمثل في نشر النصرانية عن طريق الاقناع وحده[1].

ويبدو أن هذه القناعة بعدم جدوى الحملات العسكرية قد ولدت في أثناء الحملات العسكرية نفسها، ولذلك ظهرت هناك ثلاثة أحداثٍ ذات دلالةٍ في مسيرة العلاقة بين الكنيسة والعالم الإسلامي، وجميع هذه الأحداث حدثت في فترة الحملات الصليبية، وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وهي كما يأتي:

١- ظهور أول ترجمة للقرآن الكريم الى اللغة اللاتينية في أوربا على يد روبرت كننز، وبإشراف مباشر من رئيس دير كلوني بطرس المبجل عام١١٤٣م.

٢- عام ١٢١٩م، بدأت أول رحلة تنصيرية بقيادة فرنسيس الأسيزي رئيس ومؤسس رهبانية الفرنسيسكان، وكانت إلى مصر في فترة الحملة الصليبية السادسة.

٣- وفي عام ١٢٥٤م (قبل سقوط الدولة العباسية بأربع سنوات)، وفي مدينة قراقورم بمنغوليا، جرت أول مناظرة علنية كبرى بين النصرانية والإسلام واليهودية والبوذية ،وكانت بقيادة الراهب الفرنسيسكاني يوحنا كاربيني، وبإشراف البابا إنوسنت الرابع.

وهذه المحاولات الثلاث تبنتها البابوية بشكلٍ مباشرٍ، وأكدت جميعها وجوب اتخاذ وسائل أخرى لمواجهة الإسلام غير الوسيلة الحربية التي ظهر عدم جدواها، وهذه الأحداث ظهرت بوصفها حالات قليلة في تلك الفترة، ولكنها جرت في سياقٍ أصبح سمةً للقرون التالية لمرحلة الحروب الصليبية، ولذلك سنتحدث عنها بشيءٍ من

---

(١) انظر: الحروب الصليبية، أرنست باركر، ص: ١٤٢، الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور: (٢/ ١٠١١-١٠١٢).

التفصيل، ضمن الحديث عن مرحلة ما بعد الحروب الصليبية.

ثالثاً: مرحلة ما بعد الحروب الصليبية:

انطلاقا من قناعة الكنيسة الرومانية بعدم جدوى الحرب المسلحة في حل ما سمته بـ "المسألة الإسلامية" ،أو "المسألة الشرقية"، ويقصد به التعامل مع الخطر الإسلامي، الذي أحاط بأوربا من عدة جوانب.

بدأت الكنيسة تبحث عن حلولٍ أخرى تكون أكثر فائدة مما سبق، وكانت أهم النتائج التي توصلت اليها من هذا البحث، هي ضرورة دراسة الإسلام ذاته ودراسة العلوم الإسلامية؛ لتكوين رؤى ومنطلقاتٍ جديدةٍ للتعامل مع الاسلام.

دراسة الإسلام والعلوم الاسلامية.

كانت الاتجاه نحو دراسة الإسلام من الداخل ودراسة العلوم الاسلامية المختلفة هي السمة الرئيسية التي اتسمت بها المرحلة التي تلت مرحلة الحروب الصليبية، وبقيت سمةً مستمرة، الى يومنا الحاضر.

وعندما قرر الغرب وعلى رأسه رجال اللاهوت دراسة الإسلام، شملت دراستهم دراسة الإسلام بوصفه نظاماً، ودراسة مصادره الأساسية من القرآن والسنة، وكذلك دراسة السيرة النبوية، واتخذوا لأجل تحقيق ذلك الهدف خطوات هامة، من أهمها ما يأتي:

١-ترجمة المصادر الإسلامية الى اللغة اللاتينية، وغيرها من اللغات الأوربية الحية:

ومن أهم الترجمات التي ظهرت في ذلك الوقت، ترجمة القرآن الكريم، وكانت أول ترجمة ظهرت في أوربا ترجمة روبرت الكيتوني[1]، وسوف نتحدث عنها بشيءٍ من

(١) بطبيعة الحال كانت هذه الترجمة مليئة بالهنات والأخطاء، ومع ذلك اعتبرت إلى أواسط القرن السابع عشر أكثر الترجمات انتشارا وأقربها نسبياً إلى الصواب. انظر: صورة الإسلام في أوروبا، =

التفصيل.

تمت هذه الترجمة على يد العالم الإنجليزي روبرت كيتون، بإشراف وتمويل مباشر من رئيس دير كلوني بطرس (المبجل)، وقد تم إنجاز هذا المشروع عام١١٤٣م، ويعد عند الأوربيين معلما بارزا في تاريخ العلاقة بين الإسلام والكنيسة، ومعلماً بارزاً في نفس الوقت في مجال الدراسات الإسلامية بأوربا الغربية في العصر الوسيط، وشكَّل هذا المشروع الركيزة الأساسية للبدء بدراسة حقيقية حول الإسلام، ولأجلها أيضا أطلق على بطرس (المبجل) مؤسس الدراسات الاسلامية لدى نصارى القرون الوسطى. [١]

وقد كانت هذه الترجمة في نظر الأوربيين انتهاكاً للحظر ضد الإسلام، ولذلك بذل بطرس المبجل محاولاتٍ كثيرةً وكبيرةً لإقناع زملائه من اللاهوتيين وجذب من يمكن جذبه للعمل معه، وقد سوغ عمله هذا برؤية بعيدة المدى، تكمن في أن الإسلام هو آخر الهرطقات المسيحية، وأشدها ضررا، وأنه منبع جميع الهرطقات الأخرى، وأنه لم يعد يشكِّل خطراً عسكرياً، ولكن يشكِّل خطراً فكرياً بالغ الخطورة، ولذا فلابد من التعرف عليه لأجل مكافحته[٢].

وقد بدأت هذه الفكرة عند بطرس (المبجل) أثناء إحدى رحلاته التفقدية للأديرة التي كان يشرف عليها في إسبانيا عام١١٤٢م، حيث خطر بباله فكرة مناقشةٍ فكريةٍ مع الإسلام، وكان أساس هذه الفكرة هو الدفاع عن العقيدة المسيحية في وجه الإسلام، وهي القضية التي تتبوأ مركز الصدارة في فكره[٣].

= ص:٨٠، الإسلام والمسيحية، ص:٧٩ .

(١) انظر:صورة الإسلام في أوروبا ، ص٨٠، الإسلام والمسيحية، ص: ٧٩.

(٢) صورة الاسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ص: ٨١.

(٣) انظر:مسيحية ضد الاسلام، ص:٦٢-٦٣.

وكانت طليطلة الواقعة في قلب إسبانيا أحد أهم مراكز نشاط الترجمة من العربية الى اللاتينية، وبقيت مايقارب ٤٠٠عام، تحت السيادة الإسلامية، واستطاع بطرس أن يكسب روبرت الكيتوني الذي كان يشتغل بترجمة الكتب الفلكية الهندسية ذات الأصل العربي إلى اللاتينية الى مشروعه، حتى تم إنجازه عام ١١٤٣م.

والذي يهمنا في هذه الترجمة أن منطلق بطرس المبجل لهذا المشروع هو مسلَّمة حتمية الصراع مع الإسلام، ولكن ليس بالسيف، وانما بالكلمة والإقناع والحجة.

وفي نظرته إلى المسلمين الذين يعتبرهم (الهراطقة) كان يعتقد أنه يمكن إعادتهم الى الكنيسة، اذا تمكن اللاهوتيون والمبشرون المسيحيون من أن يظهروا لهم بشكل مقنع أين تظهر انحرافاتهم وضلالهم، ويشهد لهذا رسالته المهمة التي وجهها الى العرب، وقال فيها: «من بطرس الفرنسي الجنسية المسيحي العقيدة، الآباتي في الخدمة الكنسية، من أولئك الناس الذين يطلق عليهم الرهبان، إلى العرب أبناء إسماعيل، الذين يتبعون قانون الرجل الذي يدعى محمد، قد يبدو غريباً، ومن الممكن أن يكون كذلك، إنني إنسان، كم أنا بعيد عنكم موطناً، وأتكلم لغة أخرى، وأفكر بصورة مختلفة، وأعرف أن عاداتكم ونمط حياتكم مغايرةٌ لحياتنا، ونمط معيشتنا، ومع ذلك أكتب إليكم من عمق الغرب، إلى شعوب الشرق والجنوب، الذين أرجح أنني لن أتمكن من رؤيتهم أبداً، لكنني أجيء إليكم ليس بالسلاح، كما يفعل مسيحيونا، في أغلب الأحوال، وإنما بالكلمة، ليس بالبغض والكراهية، وإنما بالمحبة، ... إنني أحبكم وبالمحبة اكتب أليكم داعياً إياكم للخلاص، ليس ذلك الخلاص الذي يزول ويتبدل، وإنما إلى الخلاص الذي يبقى ويدوم، ليس إلى الخلاص الذي ينتهي مع انتهاء هذه الحياة، وإنما إلى ذلك الخلاص الذي يستمر في الحياة الأبدية»[1].

ومضمون هذه الرسالة يوضح بكل جلاء أن هذا المشروع قد تم توظيفه للطعن

---

(١) الكنيسة والإسلام ، ص: ٧٩-٨٠.

في الإسلام بدلا من أن يستغل، وسيلة للمعرفة والتفاهم، وقد وظف بالفعل لهذا الغرض لقرون طويلة[1].

٢-إنشاء الكليات والمعاهد لدراسة العلوم الإسلامية واللغة العربية:

بعد منتصف القرن الثالث عشر قام الفيلسوف الغربي روجر بيكون[2] بعرض مشروع مفصل على البابا في الأعوام ١٢٦٦ إلى ١٢٦٨م، وتضمن هذا المشروع مقترحاتٍ لإصلاح الكنيسة، وكان من أهم ما قام به أنه وضع النصرانية في موضعها الصحيح بين الأمم في ذلك الوقت، فقال في ذلك: «هناك مسيحيون قليلون في العالم اليوم، أما سائر الأرض المعمورة فيغص بالكفار الذين لا يجدون أحداً يهديهم الى طريق الحق»[3].

والكفار في نظره هم المسلمون، الذين اعترف بتفوقهم العددي وإن كانوا يحتاجون الى الهداية إلى النصرانية، وكانت رؤيته التي انطلق منها مشروعه، هي أن الحروب الصليبية كانت عديمة الجدوى وعديمة النجاح وحتى لو انتصرت عسكرياً لبقيت عديمة الجدوى، لأنه لم يكن ممكناً احتلال الأرض كلها(أرض المسلمين)، ولو حصل ذلك لأثار حفيظة المستعمرين، بحيث تتعذر مع ذلك هدايتهم الى طريق الحق.

وعجز النصارى عن هداية المسلمين في نظر باكون يعود الى ثلاثة أسباب:

١ - عدم معرفة لغة المسلمين.

---

(١) انظر:صورة الإسلام في الأدب الألماني الوسيط، هوبرت هيركومر،ص:١٩-٢٠.

(٢) روجر بيكون: (١٢٤١-١٢٩٢) فيلسوف وعالم إنجليزي، وأستاذ في جامعة أكسفورد اهتم بالكيمياء والعلوم البيلوجية، له عدد من الاكتشافات منها اكتشاف العدسة المكبرة. في عام ١٢٦٦م قام بتأليف شامل لجميع فروع المعرفة بدعوة من البابا كليمنت الرابع، ومن مؤلفاته المشهورة " في المرايا" و"الميتافيزيقا"، و"تعدد الأنواع".انظر: معجم الأفكار والأعلام، ص: ١٠٤-١٠٥.

(٣) صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى، ص:١٠٠.

٢- عدم معرفة عقائدهم.

٣- عدم وجود حجج مؤسسة على المعرفة لدعوتهم[١].

ومن هنا دعا باكون إلى ضرورة تعلم لغات المسلمين، لكونها وسيلةً إلى دعوتهم إلى الحق -كما يرى-.

وهذه الدعوة التي دعا اليها بيكون ورهبان آخرون منذ ١٢٥٠م، بدأت تدخل ضمن البرنامج الرسمي للكنيسة الغربية منذ مجمع فينا عام١٣١٢م، وقد تقرر في هذا المجمع أن تنشأ المدارس في باريس، وأكسفورد، وبولونيا، وأفنيون، وسلامنكا، وفيها تقرر تعلم العربية، إضافة الى لغات أخرى[٢].

وتعود أول دراسة منتظمة للإسلام وتاريخه في أوربا الغربية إلى نهاية القرن السادس عشر، وفي عام ١٦١٣م أنشأت أستاذية لتدريس اللغة العربية في جامعة ليدن في هولندا، وفي انجلترا أنشأت أستاذية في جامعة كامبريدج سنة١٦٣٢م، وأخرى في أكسفورد سنة ١٦٣٤م، ومنذ ذلك الحين بدأت دراسة المصادر العربية بشكلٍ جديٍّ وثابت.

وقد حققت هذه الخطوات معرفةً كبيرةً بالإسلام في أوربا، وأثمرت هذه الدراسات ثلاثة اتجاهات كبرى حددت مسار العلاقة بين الكنيسة الغربية والاسلام.

أولاً: الاتجاه نحو تشويه صورة الاسلام:

بالرغم من أن الدراسات العديدة التي نشأت في أوربا، ولاسيما بعد مرحلة الحروب الصليبية أتاحت معرفةً كبيرةً لدى المفكرين بالإسلام، وقيمه، ونظامه، إلا أن أقلام أغلب هؤلاء المفكرين انبرت لتشويه صورة الإسلام في المجتمعات الغربية، وهذا يعود إلى أن منطلق هذه الدراسات -كما بينا- كان الرغبة في الطعن في الإسلام،

(١) انظر:المصدر السابق، ص١٠٠-١٠١.

(٢) المصدر السابق ص:١١٩، والكنيسة والإسلام، ميشال لولون،ص:٢٩.

وليس معرفته وفهمه، كما هو على الحقيقة، وهذا يدل أيضاً على أن المناخ الذي نشأت فيه هذه الدراسات هو مناخ الحقد على الإسلام وأهله، بعد عصر الحروب الصليبية التي قضت نتائجها على آمال النصارى، في استرداد الممالك النصرانية التي كانت خاضعة لسلطتها وشعورهم بأن الإسلام أصبح قدراً واقعاً، لا يمكن القضاء عليه، ولم يبق لهم إلا محاولة القضاء عليه على صعيد الفكر.

ولذلك حفلت كتابات العصور الوسطى خاصة بعد الحروب الصليبية بهجمةٍ فكريةٍ شرسةٍ، تهدف إلى تشويه الإسلام، والتحذير منه بكل طريقة، ولا يسعنا إلا أن نستعرض نموذجاً لذلك:

دانتي:

ولد دانتي في أواخر مايو عام ١٢٦٥م، وعُمِّد باسم دورانتى أليجيري، ويقال أن معنى هذا الإسم حامل الجناح الباقي على الزمن، وينتمي إلى أسرةٍ يقال إنها من أصلٍ رومانيٍّ نبيل، وتُدْعَى أسرة اليزي التي ترجع الى عهد يوليوس قيصر.

انصرف دانتي الى الدراسة، وتلقى التعليم السائد في ذلك الوقت، واختلف الى دير الفرنسسكان في فلورنسا، حيث درس علوم القديس فرنسسكو، كما تردد على دير الدومنيكان، ودرس تعاليم توماس الأكويني، ودرس تراث اللاتين، وألم بتراث اليونان والشرق، وعرف ثقافة العصور الوسطى، وتعلم الفرنسية، ودرس الأدب الإيطالي، وفي عام ١٣٠٠م، اختير عضواً في مجلس السنيوريا الذي يمثل سلطة الحكومة العليا في فلورنسا.

وكان ممن يعارض البابا في سياسته، ولقى جراء ذلك حكماً بالنفي والقتل، وحرم عليه إلى الأبد رؤية وطنه فلورنسا.

وكان دانتي ساخطاً أشد السخط على المجتمع الذي عاشه، وكثيراً ما بدا له أن العالم مليءٌ بالأخطار، وخلواً من كل فضيلة، واعتبر المبشرين والوعاظ كالحيوانات والقسس يملئون بطونهم التي لا تمتليء، والبابا مرتشٍ وخارجٌ عن تعاليم الكنيسة،

وكان شعور العنف، والقسوة، والانتقام جزءاً من شخصيته.

من آثار دانتي كتاب "الحياة الجديدة" وهي عبارةٌ عن قصة شبابه، و"الوليمة"،ويشتمل على ثلاث قصائد، وكتاب عن "اللغة العامية"، و"الملكية"، وهو آخر كتبه الصغرى، وأما أثره الكبير، فهو كتاب "الكوميديا الالهية"، الذي تناول فيه عالم ما بعد الحياة، وهي عبارةٌ عن قصيدةٍ طويلةٍ مقسَّمةٍ إلى ثلاثة أناشيد، الجحيم، والمطهر، والفردوس، ويتكون كل نشيدٍ من ثلاثٍ وثلاثين أنشودة،إضافةً إلى أنشودة مدخل الجحيم فتكون مجموعة الأناشيد مائة أنشودة، وتبلغ الجحيم ٤٧١٠ بيت، والمطهر ٤٧٥٥بيت، والفردوس ٤٧٥٨ بيت، فيكون المجموع،١٤٢٢٣وهي رحلة خيالية إلى العالم الآخر، وقد ترجمت الكوميديا إلى اللغة الإنجليزية أكثر من ٧٥ ترجمة، وإلى الفرنسية أكثر من ٢٢ ترجمة، وكذلك إلى الألمانية أكثر من٢٢ ترجمة، وإلى الإسبانية أكثر من ٨مرات، ومرتين على الأقل إلى اليونانية الحديثة، كما ترجمت إلى لغات أخرى[(١)].

والذي يهمنا هنا هو بيان موقف دانتي من الإسلام، ومن النبي ﷺ بصفةٍ خاصة، حيث نجد أنه وضع النبي ﷺ في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة من حلقات جهنم، ومعه ابن عمه الخليفة الراشد علي بن أبي طالب- رضي الله عنه -،حيث جعلهما في أنشودة الجحيم ضمن فئة مثيري الصدامات والانشقاقات الدينية ووصفهم بأنهم الذين يزرعون الفتن فيرصدون الأوزار[(٢)].

وقد جاء في قصيدته فيما يتعلق بهذا الشأن وصف النبي ﷺ بأنه يتألم في جهنم وأن عليا رضي الله عنه يخطو باكيا في جهنم، ووصف جميع من معه في هذه المنزلة بأنهم أهل شجار وشقاق، وقد أعرضت عن ذكر أبيات هذه الأنشودة لشناعة الأوصاف التي

---

(١) انظر:مقدمة كتاب الكوميديا الالهية ترجمة الاستاذ حسن عثمان.

(٢) انظر:الاسلام والمسيحية، ص:٦٥.

أطلقها على النبي ﷺ وعلى علي رضي الله عنه[1].

وهذا التشويه الشنيع لم يكن عن جهل، بل عن معرفةٍ من دانتي، فقد اطلع على علوم المسلمين بدليل أنه كتب عن فلاسفة المسلمين من أمثال ابن سينا وابن رشد، بل وضعهم مع كل الخيرين من غير المسيحيين في جحيمه، بل إن كتاب "الكوميديا الالهية"، قد تأثر فيه بعلماء المسلمين، كما ذهب إلى ذلك الكثير من المؤرخين[2].

الاتجاه الثاني: الجدل والمناظرة مع المسلمين:

انطلق هذا الاتجاه في أوربا من الرؤية التي سادت في ذلك الوقت، بعد الحروب الصليبية، وهي عدم جدوى الحملات العسكرية المسلحة، وضرورة أن يحل محلها الحل الفكري.

وهذه الرؤية قادت إلى استحداث اتجاه جديد في العلاقة بين أصحاب العقيدة النصرانية والمسلمين تقوم على الدفاع عن العقيدة المسيحية أمام أعدائها عن طريق الإقناع بواسطة الجدل والمناظرة.

وتعود بداية هذا الاتجاه عملياً الى منتصف القرن الثالث عشر، عندما أرسل

---

(١) جاءت هذه الأبيات في قصيدة الجحيم، الأنشودة ٢٧،الأنشودة٢٨، ووردت ترجمتها في كتاب صورة الإسلام في الأدب الألماني، للمفكرهويرت هيركومر،ص:٢٤، وأما الأستاذ حسن عثمان، فلم يترجم الأبيات المتعلقة بهذا المعنى،وقال ما نصه: (ولقد حذفت من هذه الأنشودة أبياتا وجدتها غير جديرة بالترجمة، وردت عن النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. وقد أخطأ دانتي في ذلك خطأ جسيما، تأثر فيه بما كان سائدا في عصره، بين العامة أو المؤلفات، عن الرسول العظيم، بحيث لم يستطع أهل الغرب وقتئذ تقدير رسالة الإسلام الحقة وفهم حكمته الإلهية. على أن هذا لم يمنع أهل العصر -ومن بينهم دانتي- من تقدير الحضارة الإسلامية والتأثر بثمراتها، التي كانت عنصرا فعالا في خروج العالم الغربي من العصور الوسطى إلى عصر النهضة إلى العصر الحديث). انظر: (الكوميديا الإلهية:حاشية٢٨، ص:٣٧١).

(٢) انظر: الإسلام والمسيحية،ص:٦٥ . ومما ذكر أيضاً أنه تأثر باتجاه الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، وكذلك علماء التصوف المسلمين.

البابا إنوسنت الرابع عام ١٢٤٥م، الراهب الفرنسيسكاني يوحنا كاربيني إلى بلاد المغول ليكتب له تقريرا عن الوضع هناك.

وعلى إثر هزيمة الملك لويس التاسع في مصر أرسل البابا مندوبه الثاني الراهب الفرنسيسكاني فلهلم فون رويك إلى منغوليا، وكان يؤمل أن يعين المغول أوربا على المسلمين.

وعندما وصل مندوب البابا عام1254م، نظم الخان الأكبر المناظرة التاريخية الكبرى الضخمة بين الأديان، واشتركت فيها أربع فئات:النصرانية اللاتينية، ومثلهم فلهلم، والنصرانية النسطورية، والبوذية(١)، والإسلام، وكانت نتيجة هذه المناظرة انتصار المسلمين والنصارى على البوذيين.

وكانت هذه المناظرة هي بداية تأسيس هذا الاتجاه، ليكون وسيلةً لمحاربة المسلمين(٢).

وممن اهتم بهذا الاتجاه عند الغرب الإسباني يوحنا السيغوفي، حيث قام بعملٍ بالغ الأهمية وهو ترجمة جديدة للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية؛ لأنه رأى أن الترجمة السابقة (ترجمة بطرس "المبجل") لم تفي بالمطلوب؛ لأنها أدخلت في الترجمة تصورات اللاتينيين أنفسهم واستعملت كلمات وتعابير وتعريفات من صلب تصورات العالم النصراني، ولا يعرفها المسلمون، وكان هدف يوحنا الإجابة عن التساؤل: هل القرآن كلمة الله؟ فإذا أمكن عن طريق النص القرآني إثبات أنه يتضمن تناقضات وأخطاء

---

(١) البوذية: إحدى الديانات الكبرى في العالم، ظهرت قبل الميلاد بخمسمائة سنة، على يد بوذا، وتقوم على مبدأ "ضبط النفس"، على أساس أربعة أمور هي: أولاً:الوجود لا ينفك عن الحزن والأسى، ثانياً: الحزن والأسى له أسباب، ثالثاً: ينبغي القضاء على الأسباب، رابعاً: لا يتأتى ذلك إلا من خلال عناصر ثمانية، هي: العقائد السليمة، والأغراض النبيلة، والقول الحسن، والعمل الصالح، وانتهاج نهج شريف، وألا يتراخى في بذل الجهد، والانهماك في العمل، ثم صفاء الروح بالتبتل الروحاني. انظر: معجم الأفكار والأعلام، ص: ٩٢ .

(٢) انظر:صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى، ص:٩٠-٩٤، جاذبية الإسلام، ص:٣٥.

كان بالإمكان إقناع كل المتسائلين، بأنه ليس كتاباً موحى به من الله -كما يدعي المسلمون- ولذلك كان الشرط الأول عنده للحجاج مع الإسلام هو انجاز ترجمةٍ أمينةٍ ودقيقةٍ للقرآن.

وبعد انجاز هذا المشروع شرع يوحنا في إقناع المجتمع بأهمية هذه الوسيلة حتى في حالة الفشل في هداية المسلمين، وذكر ثلاثين وجهاً إيجابياً لها، وكان عمله انتصاراً على الرأي السائد في ذلك الوقت الذي يرى أن مسوغ النقاش مع الكفار(المسلمين) هو هدايتهم فقط[1].

ثم جاء بعد يوحنا الفيلسوف الكبير توما الأكويني[2] الذي سعى لتأسيس منهج هادفٍ في الجدل مع أهل العقائد الأخرى، وألَّف في ذلك الوقت مؤلفين هامين، الأول: "منطق الإيمان"، وافتتحه بالجملة المأخوذة من رسالة بطرس الاولى: « فلتكونوا مع الدوام مستعدين بالإجابة عن أسئلة كل من يطالبكم بأداء الحساب عما يمثل فيكم الأمل والإيمان»[3].

وهذا الكتاب يمثل اختصاراً لأركان العقيدة النصرانية، للجدال مع الاسلام.

والكتاب الثاني هو"الخلاصة ضد الأمم"، وهو يمثل عرضاً إجمالياً للعقيدة النصرانية، من أجل مجادلةٍ قابلةٍ للفهم مع عقيدة غير النصارى (المسلمين) عن طريق

---

(١) صورة الإسلام في أوربا، ص:١٣٢-١٣٨.

(٢) توما الأكويني: أكبر فلاسفة العصور الوسطى النصرانية، ولا يزال تأثيره عظيماً في الكنيسة الكاثوليكية وفي الفكر المسيحي. ولد سنة ١٢٢٥م، بقصر روكاسكا بالقرب من آكوين (ومن هنا جاءت التسمية بالأكويني)، في إقليم نابلي. دخل الطريقة الدومنيكانية عام ١٢٤٣م، التي تأسست في نابلي عام ١٢٣١م، وفي عام ١٢٥٧م، عين أستاذاً بجامعة باريس بأمر البابا الكسندر الرابع. توفي عام ١٢٧٤م، وله مؤلفات كثيرة منها الشروح على آرسطو وكتاب الخير، والكتب التنظيمية، مثل الخلاصة ضد الكفار، وورسائل منفردة، وتبلغ ٤٧ رسالة. انظر: موسوعة الفلسفة: (١/ ٤٢٦ وما بعدها).

(٣) رسالة بطرس الأولى: (١/ ١٥).

العقل فقط.

وقد ركز في هذين المؤلفين على حصر اعتراضات المسلمين العقدية على النصارى وإجاباتها، وأهم هذه القضايا هي وحدانية الله ،الموت على الصليب، حرية الإرادة البشرية(١).

وهذا الاتجاه- اتجاه المناظرة والجدل- هو الذي فتح الباب بعد ذلك لنقد القرآن في الغرب، والحديث عنه باعتباره ظاهرةً تاريخيةً، وتطبيق قوانين النقد عليه كغيره من الكتب البشرية في نظرهم.

الاتجاه الثالث: التنصير.

سعى رواد هذا الإتجاه إلى هدفٍ أكبر من مجرد الجدل والمناظرة مع المسلمين (الكفار في نظرهم)، وهو هدايتهم إلى طريق الحق؛ باعتبار أن ذلك هو الغاية من رسالة المسيح ﵇، وهو تبشير الأمم (تنصيرهم)، كما رأوا أن هذا هو الحل الأمثل لمحاربة الاسلام.

ولذلك انطلقت الكنيسة لتحقق ذلك الهدف وشجعت أتباعها على القيام بالتنصير في العالم ولاسيما العالم الإسلامي.

وفي الجملة كانت رهبانية الفرنسيسكان(٢) والدومنيكان(٣) هما رائدا العمل

---

(١) انظر:مسيحية ضد الإسلام، ص:٧٦-٨٦.

(٢) الفرنسيسكان: رهبانية كاثوليكية أسسها الراهب الإيطالي فرنسيسكان . ولد في فرنسيس سنة ١١٨٢م، في مدينة أسيسي في منطقة "أومبريا"، في وسط إيطاليا. أصبح في عام ١٢.٨م واعظاً متجولاً، فاجتمع حوله الأتباع، فألف منهم رهبانية عرفت بـ " الفرنسيسكان"، وكانت أهم نذورها الفقر، والعفاف، والتواضع، والطاعة، ثم وضعت على عاتقها واجب التنصير، وسمح له البابا إينوسنت الثالث بالتنصير عام ١٢.٩م. انظر: الفرق والمذاهب المسيحية، ص:١١٢-١١٣ .

(٣) الدومنيكان: رهبانية كاثوليكية، أسسها الراهب الأسباني "دومنيك"، الذي ولد عام ١١٧٠م. وأسس رهبانيته في "أوسما"، من أسبانيا عام ١٢١٥م، بموافقة البابا، وقامت هذه الرهبانية بممارسة التنصير وركزت على أبناء الطبقات العالية. انظر: المصدر نفسه، ١١٣ وما بعدها .

التنصيري في العالم، ولكن بداية هذا النشاط تعود إلى مؤسس رهبانية فرنسيس الأسيزي(ت١٢٢٦م)، الذي يعتبر عند الغرب المنصر الأول، وأول من نفذ حرفيا وصية المسيح« اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل الخليقة كلها»(١).

ولأجل تحقيق هذه الغاية جمع فرنسيس سبعةً من أتباعه المخلصين، وقرر أن يوفدهم إلى التبشير في أركان الدنيا الأربعة، وقام هو برحلته التنصيرية الأولى عام ١٢١٩م، حيث وصل إلى دمياط هو وراهب آخر في زمن الحملة الصليبية السادسة، في عهد الملك الكامل الأيوبي، ووصلا إلى معسكر المسلمين، وطلبا مقابلة السلطان فقادهما الجند إلى الملك، وأخذ فرنسيس يشرح له معنى الثالوث، وقابله الملك برحابة صدر جعلت فرنسيس يبادر بدعوته إلى اعتناق النصرانية، وعرض عليه استعداده للبقاء إلى جانبه حتى يعلمه حقائقها(٢).

وبعد ذلك أصبح التنصير عملاً منظماً على يد المنصر الدومينكاني رامون دي بينيافورتى(١١٧٥-١٢٧٥م)، حيث بدأ عمله في إسبانيا، ثم أسس مدرسةً لتأهيل المنصرين في طليطلة، وفيها تعلم المنصرون اللغة العربية لأول مرة، وأما مطران طليطلة الفرنسيسكاني ريمون لول(١٢٣٥-1316م)، فقد وضع خطة مفصلة لإعداد الكوادر التنصيرية المحترفة، وأقام لذلك مراكز تعليميةٍ متخصصة(٣).

رابعاً: مرحلة ما بعد المجمع الفاتيكاني الثاني إلى الوقت الحاضر:

كانت النظرة العامة السائدة للكنيسة الكاثوليكية من الإسلام هي النظرة العدائية – كما سبقت الاشارة إلى ذلك – والحقيقة أن سبب هذا العداء ليس مجرد كونه الخطر الذي تصدى للنفوذ الغربي، واحتل الأراضي التي كانت خاضعة للإمبراطورية

---

(١) مرقس: (١٦/ ١٥). وسبق نقد هذا النص.

(٢) انظر: مسيحية ضد الإسلام، ص:٧٥، الكنيسة الكاثوليكية والإسلام، ص:٢٧، الاسلام والمسيحية، ص:٨٥-٨٦.

(٣) الإسلام والمسيحية، ص:٨٦.

البيزنطية، وأجهز عليها حتى محاها من الوجود، ثم غزا إسبانيا وقسماً من الأراضي الفرنسية لعقود طويلة.

هذه الاعتبارات لها وجاهتها في اعتبار العداء، ولكن السبب الرئيس هو أن المسلمين غزوا أوربا باسم الفتح الذي هدفه نشر الاسلام في البلاد المفتوحة، وتوسيع رقعة الإسلام في أصقاع الأرض، باعتبار أن محمداً ﷺ رسول للعالمين وأن صحابته - ﷺ - من بعده حملوا رايته لتحقيق ذات الهدف.

ومن هنا رأى الغرب النصراني في هذه الفتوحات خطراً يهدد عقيدتهم، أكثر من تهديده لأراضيهم(١).

يوضح المؤرخ أليكسي جورافسكي إشكالية الغرب مع الإسلام بقوله: «ولكنه وضع نفسه (أي الاسلام) من ناحية أخرى في خندقٍ متعارضٍ تماماً مع التقاليد الدينية المذكورة، وذلك من خلال تعميمٍ مطلقٍ غير محدودٍ لهذا التوحيد ألغى في حقيقة الأمر أي إمكان لتجسيد الطبيعة الإلهية، مع نفيٍ تامٍّ لفكرة الثالوث، وبذلك التوجه العقائدي حطم الإسلام النظام البنيوي اللاهوتي الذي كان مهيمناً في التصورات المسيحية(لاسيما في العصر الوسيط)، حول التكوين الإلهي للتاريخ، وحول التقديس وتجديد الإله، ولهذا كان ظهور الإسلام بالنسبة للديانتين اليهودية والمسيحية نوعاً من التحدي الديني التاريخي»(٢).

وهذا العداء وإن اختلفت أساليبه ودرجاته من مرحلةٍ إلى أخرى من المراحل السابقة، إلا أنه بقي السمة العامة لتاريخ العلاقة بين الغرب والاسلام.

ولكن بعد منتصف القرن العشرين، وتحديداً في المجمع الفاتيكاني الثاني حدث تغيرٌ كبيرٌ في نظرة الكنيسة الغربية للاسلام.

المجمع الفاتيكاني الثاني والتغير في العلاقة مع الاسلام.

انعقد هذا المجمع على مدار أربع سنوات(١٩٦٢-١٩٦٥م)، وصدر عنه عدة

---

(١) انظر:الإسلام والغرب تحدي أم مواجهة، د.محمد علي الفرا، ص:٤٤-٤٥.

(٢) الإسلام والمسيحية، ص:٣٩-٤٠.

وثائق، تمثل تحولاً إيجابياً لأول مرة، بعد أربعة عشر قرناً من العلاقة السائدة المتوترة، بين النصرانية والإسلام، ومن أهم الوثائق الصادرة ما يأتي:

١-تحت عنوان: (دستور عقائدي- غير المسيحيين):«أما الذين لم يقبلوا الإنجيل بعد، فإنهم متجهون نحو شعب الله بطرقٍ شتى، باديء ذي بدء، ذلك الشعب الذي اقتبل العهد والمواعيد، ومنه خرج المسيح بحسب الجسد شعب محبوب من حيث الاختيار، من أجل الآباء؛ لأن مواهب الله ودعوته هي بلا ندامة، ولكن تصميم الخلاص إنما يشمل الذين يعترفون بالخالق، ومن بينهم أولاً المسلمون الذين يقرون أن لهم إيمان ابراهيم، ويعبدون معنا الإله الواحد الرحيم، الذي سيُدين البشر في اليوم الأخير»[١].

٢-تحت عنوان: (تصريح في علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية)، فقرة:٣.: تحت عنوان: (الديانة الإسلامية): «وتنظر الكنيسة بعين الاعتبار أيضا إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحي القيوم الرحيم الضابط الكل خالق السماء والأرض المكلم البشر.ويجتهدون في أن يخضعوا بكليتهم حتى لأوامر الله الخفية، كما يخضع له ابراهيم الذي يسند إليه بطيبة خاطر الإيمان الإسلامي، وأنهم يجلون يسوع كنبي وإن لم يعترفوا به كإله، ويكرمون مريم أمه العذراء، كما أنهم يدعونها أحيانا بتقوى. علاوة على ذلك أنهم ينتظرون يوم الدين، عندما يثيب الله كل البشر القائمين من الموت؛ ويعتبرون أيضا الحياة الأخلاقية، ويؤدون العبادة لله، لاسيما بالصلاة والزكاة والصوم، وإذا كانت قد نشأت، على مر القرون، منازعاتٌ وعداواتٌ كثيرةٌ بين المسيحيين والمسلمين، فالمجمع المقدس يحض الجميع، على أن يتناسوا الماضي، وينصرفوا بإخلاص إلى التفاهم المتبادل، ويصونوا ويعززوا معا العدالة الاجتماعية، والخيور الأخلاقية، والسلام، والحرية، لفائدة جميع الناس»[٢].

---

(١) المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني-الوثائق المجمعية، ص:٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص:٨٦٣-٨٦٤.

وإذا نظرنا إلى مضامين هاتين الوثيقتين، نجد أموراً مهمة منها:

١ - أن المسلمين يشملهم الخلاص أيضا؛لأنهم يعترفون بالخالق، ويعبدون الإله الواحد، وهذا يعني أنهم سيدخلون في دائرة النجاة، وهذا الخلاص عند الكاثوليك كان محصورا في أتباعهم فقط، ولم يكن يشمل حتى النصارى من الطوائف الاخرى.

واتساع دائرة الخلاص حتى شملت جميع من يؤمن بالإنجيل[١]، ومن لم يؤمن به عندهم كالمسلمين يعد تغيرا كبيراً في موقف الكنيسة من المسلمين.

٢ - أن الكنيسة الكاثوليكية أصبحت تنظر إلى المسلمين بعين الاعتبار، باعتبار أنهم يشتركون معها في بعض المعتقدات المشتركة في نظرهم، وكذلك الأخلاق المشتركة، مثل: عبادة الإله الواحد، إجلال المسيح ﷺ، باعتباره نبياً دون أن يكون إلها، إكرام مريم، والاشتراك في العبادات مثل الصلاة والصوم والزكاة.

وهذا النظر الاعتباري للمسلمين، وإن كان يشوبه الغموض والإيهام، إلا أنه يعد تحولا كبيرا في النظر الى المسلمين ، حيث لم تكن الكنيسة تعد الإسلام أكثر من هرطقةٍ نصرانية، بل كانت تعده أشد الهرطقات التي خرجت على الكنيسة.

٣-الدعوة إلى تناسي الماضي بين النصارى والمسلمين والانصراف إلى التفاهم المتبادل، وتعزيز العدالة والخيور الأخلاقية والسلام والحرية تحمل اعترافاً ضمنياً بإساءة النصارى تجاه المسلمين، والدعوة إلى التفاهم المتبادل والقيم الانسانية وإن كانت كلمات في غاية الإجمال إلا أنها تتضمن تغيراً في شكل العلاقة بين النصارى والمسلمين من التعادي والتصادم، إلى التعاون والتفاهم، وهي لغةٌ جديدة تتبناها الكنيسة لأول مرة.

وهاتان الوثيقتان على مافيها من مضامين تدل على تحولٍ كبيرٍ في موقف الكنيسة من الإسلام إلى الحد الذي وصفه بعض المؤرخين بـ"الإنقلاب الكوبرنكي" إلا أنها لا

---

(١) بطبيعة الحال المسلمون غير مؤمنين بالإنجيل في نظر النصارى.

تخلو من المآخذالكبيرة، ومنها:

١- تتسم الصياغة لهذه الوثائق بالحذر الشديد في استخدام الكلمات والألفاظ، مما يدل على أنها صيغت في مناخٍ من الحذر، وأنها أيضاً وجدت نوعاً من المعارضة الداخلية في إقرارها.

٢- كما تتسم أيضا بالاجمال في أغلب القضايا المطروحة، ولاسيما القضايا العقدية الأساسية التي تختلف بطبيعة الحال بين المسلمين والنصارى، فهي تذكر القضايا العقدية التي ترى أنها مشتركةً بإجمالٍ يوحي بأن إيمان المسلم والنصراني في هذه القضايا سواء، مع أن بينهما من الفرق كما بين السماء والأرض، فالوحدانية عند المسلمين تناقض الوحدانية المزعومة عند النصارى، وكذلك الإيمان بعيسى عليه السلام ومريم يختلف كلية عن إيمان النصارى، والفرق بينهما كالفرق بين التوحيد والشرك.

٣- من أعظم المآخذ عدم تطرقهما لقضية الإيمان بنبوة محمد ﷺ ،ولا شك أن إسقاط هذه القضية من وثيقه بهذه الأهمية لم يكن من باب السهو والغفلة، بل هو أمرٌ مقصود، وله دلالته الهامة؛ لأن إيمانهم واعترافهم بالنبوة يسقط بنيانهم من أساسه، ولذلك تجاهلوها بهذا الشكل المثير للاستغراب.

ولذلك كانت هذه القضية من أكبر الإشكاليات وأعقدها في مسيرة الحوار المعاصر بين هاتين الديانتين، وموقف الكاثوليك من هذه القضية لا يتجاوز في أحسن حالاته الاعتراف بالدور الإيجابي التاريخي لمحمد ﷺ فقط، أي أنها تنكر الاعتراف بنبوته[1].

وهذا العائق يفسر لنا عدم نجاح كثيرٍ من مساعي الحوار في العصر الحاضر،كما حدث في المؤتمر الإسلامي- النصراني الذي عقد في قرطبة عام ١٩٧٧م، وكُرس لمناقشة موضوع (تبجيل محمد وعيسى عليهما السلام في الإسلام والنصرانية)،

---

(١) انظر:المسيحية والإسلام، ص:١٤٢.

واشترك فيه أكثر من ٢٠٠ لاهوتي وعالم مسلم، ولكن مجموعة من الأقطار العربية رفضت إرسال مندوبين لها إلى المؤتمر، محتجةً بعدم جدوى أي حوار بين الديانتين ما دام أن الكنيسة لن تغير رسمياً موقفها من النبي ﷺ[1].

الإساءات المعاصرة إلى الإسلام وإلى النبي ﷺ:

بالرغم من الدعوة الفاتيكانية الصريحة إلى تناسي الإساءات الماضية إلى الإسلام، والنظر إليه بعين الاعتبار. إلا أن مسلسل الإساءة إلى الإسلام وإلى النبي ﷺ لم يتوقف حتى في الأجواء التي توجد فيها أيضا الدعوة الى الحوار و التفاهم بين أصحاب الديانتين.

واستعراض هذه الإساءات ليس ممكناً في هذا المقام، ولكن سنختار على ذلك مثالين:

المثال الاول: إساءة بابا الفاتيكان السابق بيندكتوس السادس عشر (٢) في ١٢ أيلول سبتمبر عام٢٠٠٦م.

كانت هذه الإساءة من البابا الذي يعتلي عرش الكنيسة الكاثوليكية من خلال محاضرة ألقاها في جامعة ريجنسبورج تحت عنوان: (الايمان والعقل والجامعة).

وجاء في النص الذي نشرته دائرة الصحافة للكرسي الرسولي كالآتي: جاء على لسان البابا نقلاً عن أحد القياصرة قوله: «دلني حقاً على الجديد الذي جلبه محمد،

---

(١) انظر: المصدر السابق،ص:١٤٣ .

(٢) بندكت السادس عشر: ولد باسم جوزيف راتزنغر وهو البابا رقم (٢٦٥)، انتخب عام٢٠٠٥م . درس الفلسفة واللاهوت، وأصبح محاضرًا في عدة جامعات ألمانية، ورُسِم كاهنًا عام ١٩٥١م، ثم رئيس أساقفة ميونخ، ثم كاردينالاً عام ١٩٧٧م. وفي العام١٩٨١م انتقل إلى روما حيث أصبح رئيس مجمع العقيدة والإيمان وكتب قبل انتخابه عددًا كبيرًا من المؤلفات واستقال هذا البابا عام ٢.١٣ م ليكون أول بابا يستقيل منذ ستة قرون.

وسوف لا تجد إلا ما هو سيئٌ وغير إنساني»[1].

والبابا عندما نقل هذه العبارة نقلها للاستشهاد بها، وهذا يقتضي بطبيعة الحال إقراره بها، وهذه الاساءة تتضمن أمرين مهمين:

الاول: التنقص من قدر النبي ﷺوأن ما جاء به كله سيئٌ وغير إنساني.

الثاني:تكرارٌ للشبهة القديمة التي تقول إن الإسلام إنما انتشر بالسيف.

وصدور هذه الاساءة من البابا نفسه يدل على أمورٍ خطيرة.

١ - أن هذا الموقف لم يعبر عن موقفٍ شخصي، وإنما يعبر عن موقف الكنيسة التي يتربع البابا على عرشها.

٢ - أن هذه الاساءة تُكذِّب دعوى المجتمع الفاتيكاني الثاني إلى تناسي الماضي ،حيث إن البابا نفسه هو الذي زاد من تأجيج جراحات الماضي، وفتح بوابة الإساءة على مصراعيها من جديد.

المثال الثاني: الرسوم الكاريكاتورية عن النبيﷺ.

ربما لا تكون هذه الإساءة هي الأشد، ولكن اختيارها يعود لأمور:

١ - صدرت من قسيس ينتمي الى الكنيسة الكاثوليكية.

٢ - تبعتها أحداثٌ أخرى مشابهة في أرجاء من أوربا، فكأنها حلقةٌ مقصودة ومتفق عليها.

٣ - أنها صدرت منذ وقت قريب جداً، مما يدل على استمرار لاتجاه الإساءة إلى الإسلام.

٤ - أنها بهذه الصورة ، وهذا الإتساع تعد سابقةً تاريخية، لم تعرف من قبل، حيث إن الصور التي ظهرت كانت في غاية المهانة ، وانتشارها تم بشكلٍ سريعٍ

(١) بين روما ومكة، هاينز بواكيم فشر، ص:٢١٩.

وواسع، ووصل إلى قطاعٍ عريضٍ من العالم، منهم على الأقل مليار وثلاثمائة مليون مسلم، جرحت مشاعرهم، في أعظم رموزهم.

بداية هذه الإساءة وعلاقتها بالإسلام.

بدأت هذه الإساءة في ٣٠ سبتمبر عام ٢٠٠٥م، عندما قامت صحيفة (يولاندس بوستن) الدانماركية بنشر ١٢ صورة كاريكاتيرية للرسول ﷺ، وبعد عشرة أيام فقط، وفي ١٠ يناير ٢٠٠٦م، قامت الصحيفة النرويجية (Magazinert)، والصحيفة الألمانية (دي فيلت)، والفرنسية (France Soir)، وصحف أخرى في أوربا، بإعادة نشر تلك الصور.

وجاء نشر هذه الصور في الصحيفة الدانماركية ضمن مقالٍ بعنوان: (وجه محمد Muhammedsansigt)، وجاء فيه: «إن بعض المسلمين يرفضون المجتمع العلماني، ويطالبون بمنزلة خاصة، من ناحية التعامل مع مشاعرهم الدينية الخاصة. وهذا لا يطابق المفاهيم الديمقراطية الحديثة، وحرية التعبير عن الرأي التي تفرض على كل شخصٍ أن يتقبل النقد، والسخرية، والتسخيف»[1].

ومن أهم الأوصاف التي جاءت في هذه الصور ما يأتي:

١- رجلٌ ملتحي بعمةٍ حمراء يتكيء على عصا، وبيده الأخرى حبلٌ مربوطٌ بدابةٍ تحمل كيسين أحمرين.

٢- رجلٌ ملتحي يحمل خنجراً، وخلفه امرأتان منقبتان.

٣- رجلٌ ملتحي بعمةٍ كتب عليها (لا إله إلا الله)، والعمَّة تمثل أيضاً قنبلةً كرويةً لها فتيل.

٤- رجلٌ ملتحي بيده رسمٌ ينظر إليه يرفع يده لرجلين ملتحيين يعدوان أحدهما

---

(١) موسوعة ويكيبيديا الحرة، تحت عنوان الرسوم المسيئة للنبي ﷺ.

يحمل سيفاً، والآخر قنبلة.

٥- رجلٌ ملتحي بعمةٍ ، وأمامه طابورٌ من الرجال يقول لهم:(توقفوا.. توقفوا لقد نفذت لدينا العذراوات).

٦- رسمٌ يشير تعليقه إلى أن محمداً ﷺ كان يضطهد النساء. [١]

وهذه الصور وغيرها هي رسائل يريد بها أصحابها تشويه صورة الإسلام، ونبيه ﷺ وتتضمن التشويه والتنقص من الإسلام وأهله، فمنها ما يشير إلى العنف والإرهاب، ومنها ما يشير إلى أن محمدا رجلٌ بدوي لا يعرف شيئاً من أمور الحضارة، ولا يعرف إلا الجمال، والصحراء، ومنها ما يشير إلى تعلقه بالنساء، بحسب يزعمون ، وهكذا ...

والمقصود هنا أن هذه الحادثة جاءت في سياق حالة العداء العام للإسلام والمسلمين من قبل النصارى، وهي حالةٌ تجاوزت كل الخطوط، حيث توجد تعبئةٌ عامةٌ في الغرب ضد الإسلام على كافة المستويات بدأت من تصريح ملكة الدنمارك"مارجريت الثانية"، الذي قالت فيه «إن الإسلام يمثل تهديداً على المستويين العالمي والمحلي، ثم حثت حكومتها إلى عدم إظهار التسامح تجاه الأقلية المسلمة»[٢]، وانتهت بمواقع الإنترنت التي يطلقها دينماركيون يحذِّرون من السائقين المسلمين لأنهم (إرهابيون وقتلة)، ومروراً بالحملة العامة في الصحف ومحطات التلفاز العامة التي أعلنت الحرب ضد الإسلام والمسلمين.

---

(١) انظر: المصدر السابق تحت العنوان نفسه.

(٢) موقع الدكتور راغب السرجاني تحت عنوان: قصة الصور المسيئة للنبي محمد ﷺ.

المبحث الثاني

موقف الكنيسة الأرثوذكسية من الإسلام

ويشتمل على مدخل وثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: مرحلة العهد النبوي .
- المطلب الثاني: مرحلة الفتوحات الإسلامية.
- المطلب الثالث: مرحلة ما بعد الفتوحات الإسلامية.

* * * ** * * *

مدخـــل

تعود بداية العلاقة بين الكنيسة الأرثوذكسية والإسلام إلى فترةٍ مبكرةٍ جدا من تاريخ الإسلام، حيث تعود إلى عهد النبي ﷺ نفسه، وذلك لوجود الطوائف الأرثوذكسية والممالك العربية التابعة لها على حوض البحر المتوسط، وأطراف الجزيرة العربية، وهذا العامل الجغرافي كان له أثرٌ على طبيعة العلاقة، وكذلك اختلافها عن علاقة الغرب الكاثوليكي مع الإسلام.

وإذا نظرنا إلى تاريخ العلاقة بين الإسلام والنصارى الأرثوذكس نجد ثلاث مراحل متميزةً عن بعضها، من حيث صورة العلاقة، والوسائل المستخدمة في الدعوة، وكذلك موقف النصارى من ذلك وتفصيل هذه المراحل سيأتي في المطالب التالية:

المطلب الأول: مرحلة العهد النبوي

ما أن أمَّن النبي ﷺ جبهة الأعداء الداخلية، من خلال صلح الحديبية، مع قريش الذي كان أحد بنوده الهامة توقف الحرب لمدة عشر سنوات بين المسلمين والكفار، حتى تفرغ للدعوة خارج الجزيرة تحقيقاً لعالمية هذا الدين، وكان أول ما قام به النبي ﷺ هو إرسال الرسل إلى كل من يمكن أن تطأ أقدام المسلمين أرضهم، وخاصة الملوك والحكام الذين كانوا يحكمون في أطراف الجزيرة، أو خارج حدود الجزيرة.

ولما قفل النبي ﷺ راجعاً إلى المدينة من الحديبية كتب كتباً إلى الملوك يدعوهم إلى الاسلام، فقال له أصحابه: إن الملوك لايقرأون كتابا إلا مختوما، فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذ خاتما من فضة، نقشه ثلاثة أسطر: محمد، رسول، الله وختم به الكتب ،فخرج ستة نفر منهم في يومٍ واحدٍ، وذلك في المحرم سنة سبع من الهجرة[1].

أولاً: موقف ملوك النصارى من كتب النبي ﷺ:

كانت الدول الكبرى في عهد النبي ﷺ أربع: دولة الروم وعلى رأسها هرقل، ودولة الفرس وعلى رأسها كسرى، ودولة الحبشة وعلى رأسها النجاشي[2]، ودولة القبط في مصر وعلى رأسها المقوقس[3]، وكانت ثلاث دول من هذه الأربع تدين بالنصرانية،وكان بعض ملوك وأمراء العرب في شمال الجزيرة وجنوبها يدينون

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (١/ ١٩٨).

(٢) النجاشي: اسمه "أصحمة" ملك الحبشة. توفي في حياة النبي ﷺ، وصلى عليه صلاة الغائب، وقد أمن في عهده الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة رضي الله عنهم . انظر: سير أعلام النبلاء: (١/ ٤٢٨ وما بعدها).

(٣) المقوقس: اسم أطلقه العرب على "كورش" وزير حاكم مصر البيزنطي وبطريرك الإسكندرية في عهد عمرو بن العاص. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص:٥٤٢ .

بالنصرانية تبعا للولاء السياسي لهذه الدول[١].

وقد أرسل النبيﷺ إلى جميع هؤلاء وغيرهم ،وكانت مواقفهم من هذه الدعوة متباينة ،وذات دلالات مهمة، ومن أهم الذين أرسل اليهم النبي ﷺهرقل، والمقوقس والنجاشي وسوف نأخذ كتاب النبيﷺ إلى هرقل نموذجاً على ذلك، لأنه أصح الأخبار، وأكثرها تفصيلا، ويمكن أن يقاس عليه مثله، لاتحاد الغرض.

جاءت السنة النبوية تفصل أخبار الرسل الذين أرسلهم النبي ﷺ إلى ملوك النصارى،ومن ذلك: ما أخرجه البخاري في صحيحه، عن ابن عباس – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺكتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام ،وبعث بكتابه إلى دحية الكلبي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر ،وكان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس مشى من حمص إلى إيليا شكراً لله فيما أبلاه من ذلك، فلما جاء قيصر كتاب رسول الله ﷺقال: التمسوا هاهنا من قومه أحد نسألهم عنه[٢].

ومما يدل على اهتمام قيصر بكتاب النبي ﷺ سؤاله عن أمر النبي ﷺ بعد أن جاءه كتابه،كما في قصة أبي سفيان ﷺ، وسنورده بتمامه هنا؛ لما فيه من الدلالات المهمة.

أخرج البخاري – رحمه الله – في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:(فأخبرني سفيان بن حرب أنه كان بالشام في رجال من قريش قدموا تجارا في المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش قال أبو سفيان: فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام، فانطلق بي وبأصحابي حتى قدمنا إيلياء، فأدخلنا عليه، فإذا هو جالس في مجلس ملكه وعليه التاج، وإذا حوله عظماء الروم، فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم إليه نسباً، قال: ما قرابة

---

(١) انظر: العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، أ.د.طارق حمادة، ص٣١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي–صلى الله عليه وسلم–إلى الاسلام والنبوة رقم: ٦/ ٢٠٩، ومسلم رقم ١٧٧٣.

ما بينك وما بينه؟ فقلت هو ابن عم، وليس في الركب يومئذٍ أحدٌ من بني عبد مناف غيري، فقال قيصر أدنوه، وأمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري عند كتفي، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه إني سائلٌ هذا الرجل عن الذي يزعم أنه نبي، فإن كذب فكذبوه، قال أبو سفيان: والله لولا الحياء يومئذٍ من أن يأثر أصحابي عني الكذب لكذبته حين سألني عنه، ولكني استحييت أن يأثروا الكذب عني فصدقته، ثم قال لترجمانه: قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول أحد منكم قبله؟ قلت لا، فقال: كنتم تتهمونه على الكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: فيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟، قلت: لا، ونحن الآن منه في مدة نحن نخاف أن يغدر، قال أبو سفيان: ولم تمكني كلمةً أدخل فيها شيئاً أتنقصه به – لا أخاف أن تؤثر عني – غيرها، قال: قاتلتموه وقاتلكم؟ قلت: نعم، قال فكيف كانت حربه وحربكم؟ قلت: دولاً وسجالاً: يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى، قال: فماذا يأمركم؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، فقال لترجمانه حين قلت ذلك له: قل له إني سألتك عن نسبه فيكم، فزعمت أنه ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحدٌ منكم هذا القول قبله؟ فزعمت أن لا، فقلت لو كان أحدٌ منكم قال هذا القول قبله قلت رجل يأتم بقول قد قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فزعمت أن لا، فقلت لو كان من آبائه ملكٌ قلت يطلب ملك آبائه، وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فزعمت أن ضعفائهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل

يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فزعمت أن لا، فكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد، وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أن لا، وكذلك الرسل لا يغدرون، وسألتك هل قاتلتموه وقاتلكم؟ فزعمت أن قد فعل، وأن حربكم وحربه تكون دولاً، ويدال عليكم المرة وتدالون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة، وسألتك بماذا يأمركم؟ فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة، والصدقة والعفاف، والوفاء والعهد، وأداء الأمانة، قال: وهذه صفة نبي قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أعلم أنه منكم، وإن يك ما قلت حقاً فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه) [(١)].

وفي هذين الحديثين مسائل مهمةٌ فيما يتعلق بالعلاقة بين الاسلام والنصرانية.

١ - التأكيد على عالمية هذا الدين وأنه رحمةٌ للعالمين، وليس خاصاً للعرب وحدهم، كما يدعي ذلك النصارى، ولذلك تفرغ النبي ﷺ لهذه المهمة بمجرد عقد المعاهدة مع قريش، وتوقفت الحرب بين الطرفين.

٢ - اهتمام النبي ﷺ بشأن هرقل باعتباره زعيم النصارى في أرض الشام وفي إسلامه أثر كبير في إسلام قومه، وتبين اهتمام النبي ﷺ من خلال تلطفه في الخطاب ووصفه لهرقل بـ"عظيم الروم" ،وترغيبه له في الإسلام، وكذلك اختيار الرسول وهو

دحية الكلبي وقد ورد في بعض الروايات ما يدل على أنه كان من أجمل الناس، وأنه كان صاحب حجاج وجدال وهاتان صفتان في غاية الأهمية لمن يكون ممثلاً لقومه، حيث يكون جمع بين حسن الهيئة، وقوة الحجة، وكذلك وردت روايات تفيد أن مراسلة النبي ﷺ لم تكن مرةً واحدة، وإنما متعددة، وأهمها هذه الرواية التي ذكرتها،

---

(١) اخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الاسلام والنبوة، ٢٩٤١ (٦/ ٩، ٢، ٢١١).

وكذلك مراسلته له في تبوك[1].

٣- اهتمام هرقل بكتاب النبي ﷺ من خلال التحري عنه وعن أمَّته قبل أن يرد على هذا الكتاب، وأهم من ذلك معرفة أهل الكتاب بأخبار النبي ﷺ، وبأوصافه بدليل الأسئلة الدقيقة المحددة التي سألها هرقل لأبي سفيان،وكذلك قوله: (قد كنت أعلم أنه خارجٌ ولم أكن أعلم أنه منكم).

٤- أن هرقل كان موقنا بأن محمداً ﷺكان هو النبي حقا ولكن منعه من ذلك حرصه على كرسيه وإيثار الدنيا على الآخرة.ولذلك كتب إلى النبيﷺ: (وإني مسلم وبعث له بدنانير، فقال رسول الله ﷺ حين قرأ الكتاب: (كذب عدو الله ليس بمسلم وهو على النصرانية ، وقسم الدنانير) [2].

وجملة القول: أن رسالة الإسلام قد وصلت إلى كل من أمكن الوصول اليه من غير المسلمين ومنهم النصارى، وأن أهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ بأوصافه وزمان خروجه، ولكن شهوة الملك كانت من أهم اسباب رفضهم للإسلام.

ثانيا:الوفود النصرانية التي جاءت إلى النبي ﷺ.

بعد فتح مكة العظيم ودخول الناس في دين الله أفواجاً انتشر الإسلام في الأرض وظهر أمر النبيﷺ في أرجاء الجزيرة في شمالها وجنوبها وشرقها وغربها.

ومن هنا قدمت الوفود على النبي ﷺ، وتكاثرت في السنة التاسعة للهجرة حتى سمي ذلك العام"عام الوفود"، وكان النبي ﷺ يهتم بهم استقبالاً وضيافةً وتجملاً وجوائز، فكان يجري عليهم الضيافة ويحسن استقبالهم ويخصص لهم دارا للضيافة[3].

وكان من بين هذه الوفود وفود النصارى ومنها:وفد نجران، وفد ثعلب،وفد

---

(١) انظر:الروض الأنف، السهيلي: (٤/ ٢٤٩).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم٤٥٤٠، وأبو عبيدة في كتاب الاموال، ص١٣٢٤.

(٣) انظر: العلاقات الإسلامية النصرانية، ص:٩٤-٩٥.

جذام وفد فروة بن عمرو الجذامي ،وفد الجارود العبدي وبني عبد القيس، وفد غسان، وفد الداريين، ومن الأشخاص الذين وفدوا على النبي ﷺ عدي بن حاتم الطائي، وسلمان الفارسي، وسوف نأخذ مثالين على هذه الوفود:

١ - وفد نجران:

كان لأهل نجران –كما تذكر كتب السير- كتبٌ يتوارثها رؤساؤهم، وكلما مات رئيسٌ منهم، وأفضت الرئاسة إلى غيره، ختم على تلك الكتب خاتما من الخواتم التي كانت قبل، ولم يكسرها، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي ﷺ يمشي فعثر فقال ابنه تعس الأبعد- يريد رسول الله ﷺ، فقال له أبوه لاتفعل فإنه نبي واسمه في الوضائع- في الكتب- فلما مات لم تكن لابنه همةٌ إلا أنه شد فكسر الخواتم، فوجد فيها ذكر النبيﷺ ،فأسلم، فحسن إسلامه[١].

وأما وفد نجران الذي وفد على النبيﷺ،فقد رجح الباحث الدكتور فاروق حمادة أن النصوص الواردة تبين أن لأهل نجران ثلاث وفادات على النبي ﷺ ،الأولى إلى مكة، والثانية والثالثة إلى المدينة المنورة[٢].

وسنشير هنا إلى روايتين ذات أهميةٍ في مسيرة العلاقة بين الإسلام والنصرانية.

الرواية الأولى:

قال بن اسحاق –رحمه الله-: (ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى، حين ظهر خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجالٌ من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ،وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما

---

(١) انظر:سيرة النبي ﷺ، لابن هشام،(٢/ ٢٠٥).

(٢) انظر: العلاقات الاسلامية النصرانية، ص:١٠٤.

كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفرٍ من قريش فقالوا: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلما تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم، فصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركباً أحمق منكم، أو كما قالوا لهم، فقالوا: سلامٌ عليكم لا نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا نألوا أنفسنا خيراً، ويقال: إن النفر النصارى من أهل نجران فالله أعلم على أي ذلك كان، ويقال – والله أعلم – إن فيهم نزلت هؤلاء الآيات: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص:٥٢-٥٥] [(١)]

وهذه الرواية تدل على أمورٍ مهمة، منها:

١ – أن أهل الكتاب – ومنهم النصارى - كانوا يعرفون النبي ﷺ، وأوصافه وأخباره في كتبهم، وهذا مادلت عليهم كتبهم ومما استفاضت به الأخبار.

٢ – أن الدافع لهذا الوفد هو معرفة النبي ﷺ بعد أن بلغ ذكره إلى الحبشة من خلال الصحابة الذين هاجروا اليها فراراً بدينهم، ولما وجدوا أوصاف النبي ﷺ مطابقةً لما جاء في كتبهم فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا وآمنوا، وفي روايةٍ أخرى عند بن إسحاق أن النجاشي هو الذي أرسلهم إلى النبي ﷺ يسألونه ويأتون بخبره إلى النجاشي، وكان فيهم سبعة رهبان وخمسة قسيسين،أو خمسة رهبان وسبعة قسيسين، وأن فيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة:٨٣]

٣ – لم تكن هناك صورةٌ مغلوطةٌ عن النبيﷺ، ولم يكن هناك حقدٌ أو كراهيةٌ

---

(١) انظر:السيرة النبوية، ص:٢٥٢-٢٥٣.

للإسلام في ذلك الوقت لعدم مشروعية الجهاد، بل كانت الصورة التي بلغت النصارى سواء من المهاجرين الذين هاجروا إلى الحبشة موافقة لما في كتبهم، وكان ذلك من أعظم أسباب إسلامهم.

الرواية الثانية:

قال بن اسحاق: (وقدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب: أمير القوم، وذو رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح، والسيد: ثمالهم، وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة ابن علقمة أحد بني بكر بن وائل: أسقفهم، وحبرهم، وإمامهم، وصاحب مدراسهم، وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه، وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات؛ لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم، فلما وجهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له موجها إلى رسول الله ﷺ وإلى جانبه أخ له يقال له كور بن علقمة، قال ابن هشام: ويقال: كوز، فعثرت بغلة أبي حارثة، فقال كوز تعس الأبعد يريد رسول الله ﷺ فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست، فقال: ولم يا أخي؟ قال: والله إنه للنبي الذي كنا ننتظر، فقال له كوز: وما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوْا إلاخلافه، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى، فاضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك، فهو كان يحدث عنه هذا الحديث، فيما بلغني) [1].

وهذا الوفد ورد أن سبب مجيئه هو كتاب بعث به النبي ﷺ إلى نجران يدعوهم

(١) سيرة ابن هشام: (٢/ ٢٠٤ وما بعدها).

إلى الاسلام أو الجزية أو الحرب[1].

ويبين النص أن غرض هذا الوفد هو معرفة خبر رسول الله ﷺ ورفعه إلى أسقف نجران الذي أرسلهم من أجل ذلك.

كما أن من أغراض هذا الوفد أيضاً هو مجادلة النبي ﷺ في شأن عيسى عليه السلام، وكل ذلك يدل على معرفة علماء النصارى بالنبيﷺ بدليل امتناعهم عن المباهلة، وأن أكثر ما كان يمنعهم من الدخول في الإسلام إنما هو ما كانوا عليه من المناصب والجاه والمكانة التي كانوا عليها كما يدل على ذلك اعتراف أبو حارثة،وهو أحد رؤساهم المعظمين الذي لا يخرج قومه عن رأيه.

والمقصود هنا أن الوفود النصرانية التي وفدت على النبي ﷺ تمثل موقفاً إيجابيا في سياق العلاقة بين الإسلام والنصرانية فإن بعضها جاء ليعلن إسلامه أمام النبي ﷺ ،أو يعلن التزامه بدفع الجزية مع بقائه على دينه.

ومن المهم هنا التنبيه على أن الفترة الأخيرة من هذه المرحلة شهدت بداية مواجهات عسكرية بين المسلمين وبعض النصارى، مثل غزوة مؤتة التي انتهت بانسحاب المسلمين بعد استشهاد قادتها الثلاثة، وغزوة تبوك التي كانت تهدف إلى بسط هيبة الدولة الاسلامية، وحماية حدودها الشمالية، وإظهار قوة المسلمين أمام الروم، وهذه الحملات العسكرية لم يتم فيها فتحٌ لشيء من البلاد الخاضعة للنصارى.

ومما سبق نستخلص أن المرحلة الأولى من مراحل العلاقة بين الإسلام والنصرانية تتميز بوضوح صورة الإسلام، ونبيه ﷺ، وبالإيجابية من قبل النصارى على مستوى الحكام، وعلى مستوى القسيسين والرهبان، حيث دخل عدد منهم في الإسلام

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: (٣/ ٦٣١-٦٣٤)، العلاقات بين الاسلام والنصرانية، ص:١٠٦.

وبقي آخرون منهم على الحياد ،ولكنهم اعترفوا بنبي الإسلام.



المطلب الثاني: مرحلة الفتوحات الإسلامية

بعد استقرار الدولة الاسلامية ،والقضاء على الفتن الداخلية بعد وفاة الرسول ﷺ اتجهت أنظار المسلمين إلى فتح البلدان، لنشر دين الله تعالى في الأرض، وكانت الإمبراطورية الرومانية البيزنطية هي القوة الأكبر والأكثر أتباعاً في ذلك الوقت(١)، حيث تمتد رقعتها إلى الشام ومصر.

ودارت بين المسلمين ونصارى الروم معارك كبرى، ومن أهم المعارك الحاسمة التي دارت بينهما: فتح الشام، وفتح بيت المقدس، وفتح مصر، وسأتحدث عنها بشيء من التفصيل:

١ - فتح الشام(معركة اليرموك).

كانت معركة اليرموك من أهم وأكبر المعارك في عصر الفتوحات الإسلامية، وقد وقعت في شهر رجب سنة خمس عشرة للهجرة، وكان قوام جيش المسلمين بين أربعة وعشرين وأربعين ألفا، بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، وقوام جيش الروم بين مائة وأربعين ومائتي ألف بقيادة ماهان، وعندما توجهت جيوش المسلمين إلى الشام أفزع ذلك الروم وخافوا خوفاً شديداً، وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بأمر المسلمين، وكان يومئذ بحمص.

فلما انتهى اليه الخبر قال لهم: «وَيْحَكم إن هؤلاء أهل دينٍ جديد، وإنه لا قِبَل لأحدٍ بهم، فأطيعوني وصالحوهم بما تصالحوهم على نصف خراج الشام وتبقى لكم جبال الروم، وإن أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم، فنخروا من ذلك نخرة حمر الوحش، كما هي عاداتهم في قلة المعرفة والرأي بالحرب، والنصرة

---

(١) كانت دولة فارس هي القوة الأخرى المنافسة لها، ولكنها انهزمت في آخر المعارك أمام الروم قبل فتح المسلمين لها.

في الدين والدنيا فعند ذلك سار إلى حمص، وأمر بخروج الجيوش الرومية[1].

وانتهت هذه المعركة بهزيمةٍ منكرةٍ للبيزنطيين كان من آثارها انسحاب هرقل حتى ترك الشام كلها وذهب إلى القسطنطينية ، وسقوط مدن الشام الشمالية المدينة تلو الأخرى في أيدي المسلمين[2].

ومن الشواهد ذات الدلالة في هذه المعركة: أن هرقل عندما كان على أنطاكية وقدمت إليه الروم، وهي منهزمةٌ قال لهم: «ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرا مثلكم؟ قالوا: بلى: قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أننا نشرب الخمر، ونزني، ونرتكب الحرام، وننقض العهد، ونغصب ونظلم، ونأمر بالسخط، وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض فقال: أنت صدقتني»[3].

٢- فتح بيت المقدس:

بعد فتح دمشق على يد أبي عبيدة بن الجراح ﷺ، كتب إلى أهل إيليا ، وهم أهل بيت المقدس يدعوهم إلى الله تعالى وإلى الإسلام، أو دفع الجزية، أو الحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى شيءٍ مما دعاهم اليه، فركب إليهم في جنوده وحاصرهم، وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح، واشترطوا أن يقدم الخليفة عمر بن الخطاب-ﷺ-بنفسه، فكتب أبو عبيدة ﷺ إلى الخليفة عمر ﷺ، وقدم الخليفة إلى بيت المقدس في السنة السادسة

---

(١) الإسلام والمسيحية وصراع القوى بينهما في العصور الوسطى، جوزيف نسيم، ص:٣٦.

(٢) انظر:الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الاسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، د.عبد العظيم رمضان، ص:٣٨.

(٣) البداية والنهاية: (٧/ ١٥-١٦).

عشر للهجرة، وصالح أهلها ،ووضع ما سُمِّي بالوثيقة العمرية المشهورة، وهي وثيقةٌ في غاية الأهمية، حيث أنها عبَّرت عن السياسة العامة التي انتهجها المسلمون في جميع الفتوحات الإسلامية مع النصارى، ودستورها بحسب الرواية التي أوردها الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، كما يأتي: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبها، ولا من شيءٍ من أموالهم، ولا يُكْرَهون على دينهم، ولا يُضار بأحدٍ منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص؛ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بأهله وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيءٌ حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة.»[(١)].

وهذه الوثيقة تُعَدُّ من المعالم التاريخية المهمة حيث توضح حقوق وواجبات النصارى في ظل دولة المسلمين، كما أنها تقطع الطريق على كل من يقول بأن غرض المسلمين من الفتوحات الإسلامية إنما هو مجرد القتل، وأن الإسلام انتشر بالسيف، إذ لو كان الأمر كذلك لم تبرم مثل هذه الوثيقة الملزمة للمسلمين، ولم تُعْقَد مثل هذه

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: (٢/ ٤٤٩).

العقود ، ولفعل المسلمون مثل غيرهم من الأمم من أعمال القتل والتخريب، والاستيلاء على الأموال والممتلكات، وغيرها، كما هي عادة الفاتحين الأقوياء مع المغلوب الضعيف.

وهكذا فُتِح بيت المقدس صلحا ، وبه أصبح المسلمون سادةً على فلسطين، وبلاد الشام.

٣- فتح مصر:

بعد تحقيق السيادة على أرض الشام وفلسطين اتجهت أنظار المسلمين إلى مصر، التي تقع على حدود فلسطين، ويوجد فيها جيشٌ كبير للبيزنطيين، وسواءٌ كان قرار فتح مصر هو بأمر من القائد عمرو بن العاص الذي سبق له زيارة مصر ومعرفة أحوالها، أو كان من الخليفة نفسه بعدما حضر إلى الشام، واستلم مفاتيح القدس، فقد أصبح ذلك الفتح ضرورة بالنسبة للمسلمين لتأمين الإنتصارات الإسلامية، وقطع الطريق نهائيا على البيزنطيين[(١)].

وتذكر الروايات التاريخية أن عمرو بن العاص عندما خرج إلى مصر في السنة العشرين الهجرية، وانتهى إلى باب ليون واتبعه الزبير فاجتمعا هناك لقيهم أبو مريم جاثليق[(٢)] مصر، ومعه الأشعث الذي بعث به المقوقس لمنع بلاده، فلما تصافوا دعاهم عمرو إلى عدم الاستعجال، ثم دعاهم إلى الإسلام أو الجزية، فإن أبوا فالحرب وكانوا يرغبون في الحرب، ولكنهم لما حاصرهم طلبوا الصلح، فصالحهم عمرو، وعهد لهم بمثل ما عهد به عمر بن الخطاب ﷺ لأهل بيت المقدس[(٣)].

---

(١) انظر: الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، ص٤٨.

(٢) جاثليق: كلمة أرمينية من أصل يوناني، وتعني " متقدم الأساقفة"، أي المشرف على أكثر من أسقفية محلية، ويكون تابعاً للبطريرك. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: (١/ ٣٣١).

(٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك: (٢/ ٥١٢)، البداية والنهاية: (٧/ ١٠١).

موقف المؤرخين من الفتوحات الاسلامية:

كان تعامل المسلمين في هذه الفتوحات هو ترجمةٌ حقيقيةٌ لتعاليم دينهم ولمباديء الحرية التي رباهم عليها القائد ﷺ، وقد طبقت هذه التعاليم من خلال العهدة العمرية، والتزم تعاليمها قادة المسلمين في هذه الفتوحات، وكان هذا سبباً في تأثر النصارى بهذه المباديء وترحيبهم في بعض الأحيان بالفاتحين الجدد ، بل وتفضيلهم على حكام أسيادهم الرومان.

ومن الشهادات المتعلقة بهذا الشأن ما كتبه النصارى عندما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في فَحَل حيث قالوا: «يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا) وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم[1].

وهذه الصورة تدل على أن المسلمين كانوا في قمة المستوى الأخلاقي في التعامل مع النصارى وهذا ردٌ على من يقول بأن المسلمين عاملوا النصارى بكل قسوةٍ وعنفٍ وظلم.

ولكن الملاحظ على كتابات المؤرخين ولاسيما الأوربيين عن هذه الفترة أن كثيراً منهم يخطؤون في تحليلهم لاتساع وسرعة انتصارات المسلمين على البيزنطيين فيرجعون ذلك إلى عدة أمور:

١- الضعف والوهن الذي أصاب الدولة البيزنطية بسبب حروبها مع الخصوم الأمر الذي أدى إلى استنزاف طاقة الدولة وشيوع الاضطراب والفوضى.

٢- استبداد الملوك والبذخ الذي كانوا يعيشون فيه.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، ص:٧٣.

٣- الخلافات الدينية العميقة بين أتباع الإمبراطورية الواحدة.

يرجع بعض المؤرخين تلك الانتصارات إلى طبيعة العلاقة التي تربط بين القبائل العربية والنصرانية في الشام وفلسطين، والعرب المسلمين من جهةٍ أخرى، حيث تربطهم روابط الجنس، واللغة، والتجارة ، الأمر الذي سهَّل على المسلمين فتح هذه البلاد(١).

وهذا التحليل كما أنه يعد تحيزاً واضحاً من هؤلاء الأوربيين الذين تغلب عليهم النفسية الإستعلائية نحو العرب فإنه أيضاً يعد إجحافاً بالحقيقة الناجعة الواضحة كالشمس، وهي أن انتصارات المسلمين السريعة والواسعة في ذلك الزمن تعود أولاً إلى قوة المسلمين لا إلى مجرد ضعف البيزنطيين، وهذه القوة ترجع إلى عدة عوامل، منها:

١ - قوة العقيدة، ومن أعظم مظاهرها فيما يتعلق بالفتوحات الإسلامية هو حبهم للجهاد في سبيل الله النابع من معرفتهم بفضله في الدنيا والآخرة، حتى وصفوا بأنهم يحبون الموت أكثر من حب أعدائهم للحياة(٢).

٢ - اهتمام المسلمين العسكري بالكيف لا بالكم؛ لقلة عددهم، وكثرة عدد أعدائهم، والكيف يغلب الكم في العادة، وأما البيزنطيون فكانوا على عكس ذلك(٣).

وفي ختام الحديث عن هذه المرحلة، وهي مرحلة الفتوحات نجد أن أهم سمات هذه المرحلة هي:

١ - انتشار الإسلام في هذه المرحلة كان واسعاً جداً وسريعاً ،وقد سبقتها معرفةٌ واضحةٌ بالإسلام، ونبي الإسلام لدى النصارى من خلال رسائل النبي ﷺ إلى

---

(١) انظر: الصراع بين العرب وأوربا، ص:٣٣.

(٢) انظر:المصدر نفسه، ص:٣٤-٣٥.

(٣) انظر:المصدر نفسه، ص: ٣٥.

ملوكهم ،ومن خلال معرفتهم بالنبي ﷺ من خلال كتبهم، وهذان الأمران مما يفسر سرعة انتشار الإسلام في تلك المدة الوجيزة.

٢- قام تعامل المسلمين مع النصارى على أساس الرحمة، والعدل، فلم يكن تعاملاً إنتقاميا، كما هي العادة عند أغلب المنتصرين بعدما يخضعون ممالك أعدائهم، وهذا الأمر كان سبباً في دخول أعداد من النصارى في الإسلام عن رغبةٍ وقناعة.

٣- انتصارات المسلمين تعود في المقام الأول إلى قوة دينهم، وصحة معتقدهم وسمو هدفهم، وهي العناصر التي كان يفتقدها أعدائهم في نفس الوقت.



المطلب الثالث: مرحلة ما بعد الفتوحات الإسلامية

كانت مرحلة ما بعد الفتوحات مرحلةً أقرب إلى الاستقرار في المنطقة التي خضعت للدولة الاسلامية، فلم تكن هناك حربٌ عسكرية -كالحملات الصليبية- وذلك لقوة المسلمين في ذلك الوقت، ولذلك كانت صورة العداء للإسلام تكاد تقتصر على الجانب الفكري -كما هو الحال في الكنيسة الغربية بعد مرحلة الحروب الصليبية- وإن كان أقل درجةٍ منه بسبب أن النصارى يعيشون بين ظهراني المسلمين، وتجرى عليهم أحكام "أهل الذمة" في الغالب، وهذا العداء جاء في مجالين رئيسيين، وهما التشويه، والجدل، وهذه الصورة من العداء لم تتوقف بشكلٍ كاملٍ إلى اليوم، وإن اختلفت في درجتها بحسب ظروف الزمان والمكان والأحوال السياسية، ونحاول إبراز ذلك، فيما يأتي:

١ - مجال تشوية صورة الاسلام:

بدأت علاقة الإسلام بالكنيسة الأرثوذكسية الشرقية في فترةٍ مبكرةٍ تعود إلى عهد النبي ﷺ، وكانت بدايتها سلميةً من خلال إرسال الرسل، واستقبال الوفود، ثم جاءت مرحلة اللقاء الحربي من خلال الفتوحات التي تميزت بتسامح الفاتحين مع أهل البلاد المفتوحة، وإعطاء أهل الذمة حقوقهم التي قررها الإسلام،وصاغتها وثائق وعهود قادة المسلمين.

وكان لذلك أثرٌ على النصارى، فبعضهم دخل في الإسلام عن رغبةٍ وقناعة، ومن لم يفعل ذلك عاش في أمن وأمان في ظل حكم الإسلام الذي وجدوا فيه من الرحمة والعدل ما فاق تعامل زعمائهم السابقين قبل الإسلام.

ومع ذلك فقد ظهر تيارٌ معادٍ وحاقدٌ على الإسلام تزعمه القسس وآباء الكنيسة، حيث سعوا إلى تشويه صورة الإسلام المشرقة، وتشويه صورة الفتح الإسلامي الناصعة، ومن أهم صور ذلك التشويه ما يأتي:

أولاً: الزعم بأن الإسلام بدعةٌ نصرانية:

زعم النصارى البيزنطيون أن الإسلام ماهو إلا بدعةٌ من البدع النصرانية والهرطقات التي خرج بها أصحابها على الكنيسة، وتبع هذا الزعم قول كثير من اللاهوتيين البيزنطيين بأن محمدا ﷺ ما هو إلا مطرانٌ أو بطريقٌ تشاجر مع بطريق القسطنطينية فشكَّل هرطقةً انفصلت تدريجياً عن المسيحية الكاثوليكية الصحيحة(١).

وهذا التصور عن النبي ﷺ هو بيزنطي في الأصل، ثم انتقل إلى الغرب الأوربي –كما أشرنا إلى ذلك من قبل – .

ولإثبات هذه الدعوى حاول النصارى إيجاد صلةٍ بين النبي ﷺ وشخصيةٍ نصرانية يمكن إرجاع ماجاء به النبي ﷺ اليها، فمنهم من جعل هذه الشخصية هي بحيرا الراهب، ومنهم من جعلها ورقة بن نوفل.

فمن جعله بحيرا الراهب قال: لما خرج أبو طالب متاجرا إلى الشام ،أخذ معه النبيﷺ، وهو صغير، فمرا على راهب نصراني يدعى "بحيرا"، وإليه علم أهل النصرانية، فلما مرا عليه صنع لهم طعاماً كثيرا، ثم جعل يسأل النبيﷺ والنبيﷺ يجيبه، ثم قال لأبي طالب : ارجع به إلى البلدة، واحذر عليه من اليهود، فإن له شأناً عظيما، ثم تكرر لقاء النبي ﷺ بعد ذلك مرة مع أبي بكر، ومرة مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها(٢).

ومن قال إنه تعلم من ورقة بن نوفل قال: إنه كانت تجمعه به صلة قرابة، وهو الذي زوجه ودربه، وأعلن أنه خليفته، حتى دخلت النصرانية بيت النبي ﷺ(٣).

والقول بأن النبي ﷺ تعلم من بشر ليس بدعةً جديدة، بل هي بدعةٌ قديمةٌ ظهرت منذ عهد النبيﷺ، وتولى القرآن الرد عليها،كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ

---

(١) انظر:صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى، ص:١٣.

(٢) انظر:الإسلام بدعة نصرانية، إلياس المر، ص:٧٦.

(٣) انظر:قس ونبي، أبو موسى الحريري، والكتاب كله في إثبات هذه القضية.

يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:١٠٣] .

وكان المشركون يزعمون أن النبي ﷺ تعلَّم القرآن من رجلٍ أعجمِيٍّ من بعض بطون قريش كان بين أظهرهم، وكان بياعاً عند الصفا، فنزلت هذه الآية رداً على افترائهم.

قال ابن كثير -رحمه الله-: «فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة، التي هي أكمل من معاني كل كتابٍ نزل على نبيٍّ أرسل،كيف يتعلم من رجل أعجمي؟ لا يقول هذا من له أدنى مُسْكَة من العقل»[(١)].

والذي ادعاه المشركون ادعاه بعض النصارى أيضاً ونسبوه إلى بحيرا، أو ورقة بن نوفل كما أشرنا، وهذه الدعوة ساقطة علمياً وتاريخياً؛ لأنها لا تقوم على أي مستندٍ صحيح،ولذلك نجيب عنها بالقول:

١- لكي تكون هذه الدعوة صحيحة لابد أن يكون النبي ﷺ قد عاش في بيئة نصرانية، أو خرج من بيئته والتقى بنصارى أخذ عنهم هذا القرآن وهذا ما لم يحدث أبدا، ولم يقل به أحد، فلم يكن للنصرانية وجود بمكة، وإنما كانت بأطراف الجزيرة في شمالها وجنوبها، ولم يثبت أن النبي ﷺ ذهب إلى أحد تلك الأطراف ، واذا كان النبي ﷺ لم يخرج من مكة، ولم يكن بها نصارى فكيف أصبح كاردينالا ينشق عن الكنيسة وينشيء جماعةً مستقلة.

٢-ما ثبت من لقاءه ببحيرا (إن صح ذلك)، أو بورقة كان لقاءاً عابراً ولم يثبت حتى عند من أثبته أن الرسول ﷺ قد تعلم شيئا من النصرانية، بل إن هذا اللقاء العابر كان إثباتا لنبوته ،سواء ما كان مع بحيرا أو ورقة بن نوفل، فقد شهدا له بالنبوة، ومن كان يعرف أن النبي ﷺ سيكون نبيا، كيف يُعْقَل أن يعلمه النصرانية.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: (٤/ ٦٠٣).

٣-كل البدع والهرطقات النصرانية قد ظهرت في بيئاتٍ نصرانية، وتصدى لها النصارى وعقدوا من أجلها المجامع، وأصدروا القرارات بالحرم على المهرطقين والمبتدعين، فأين من تصدى لبدعة النبي ﷺ -كما يزعم هؤلاء-، مع أنه اتبعه أهل الجزيرة، وأذعن له جميع العرب، ويعجز النصارى عن ذكر أي مصدرٍ يثبت تلك الدعوى.

٤-دلائل نبوة محمد ﷺ كانت مستقرةً ومتظافرةً عند كثيرٍ من النصارى ،علماؤهم ،وحكامهم، ولذلك أذعنوا له، وإن لم يؤمنو به ، ولا أدل على ذلك من موقف هرقل وأسئلته الدقيقة التي تبين أن خبره ﷺ موجودٌ في كتبهم على وجه التفصيل، وقد أعلن أنه نبي الله حقا، ولكنه امتنع عن اتباعه إيثاراً للملك-كما يزعم.

ولم ينكر هؤلاء الحكام نبوته، بل أرسل بعضهم وفوده لمطابقة أوصافه وأخباره بما جاء في كتبهم، وغاية ما ذكر عنهم -كما ذكر عن هرقل والمقوقس - أنهم كانوا يظنون أنه سيخرج من الشام، كما هو شأن الأنبياء السابقين لا من أرض العرب.

ثانياً: دعوى أن الإسلام انتشر بالسيف:

كانت هذه الشبهة من أكثر الشبه التي روج لها النصارى،واستند عليها المستشرقون فيما بعد ، وهي في نفس الوقت من أكثر التبريرات التي برر بها النصارى هزائمهم أمام المسلمين في الفتوحات الاسلامية.

ويمكن الرد على هذه الشبهة من خلال ما يأتي:

١ – أن مباديء تعاليم الإسلام الواضحة تنص على أنه لا إكراه في الدين، وأن الله تعالى أرسل رسوله ﷺ رحمةً للعالمين، وهدايةً للبشر جميعا.

ولذلك فالنبي ﷺ بدأ بالدعوة من خلال إرسال الرسل ليدعوهم إلى الإسلام أولا.

٢ – أن سياسة الفاتحين المعلنة والمستمدة من تعاليم الإسلام تقطع هذه الشبهة

من أصلها ،فإنها تقوم على تخيير أهل البلاد المفتوحة بين ثلاثة أمور، هي الإسلام أو الجزية نظير حماية المسلمين لهم، فإن أبو آذنوهم بالحرب.

ومع ذلك فخيار الحرب ليس هو الأساس،كما أنه ليس مراداً لذاته، بل هو وسيلةٌ لإيصال الإسلام ونشره، وإزاحة ما يعوق بين الناس ورسالة الإسلام.

٣-تعامل الفاتحين بعد الفتوحات وتأمينهم أهل البلاد على أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم، وحتى دينهم وكنائسهم، بل وحماية بلادهم ،يدل على أن الغرض من الفتح ليس القتل لذاته.

٤-شهادة المنصفين بأن الإسلام لم ينتشر بالسيف، وإنما بالدعوة، ولو كان انتشار الإسلام بالسيف لم يدخل الناس في دين الله أفواجاً عن رغبة وقناعة، ومن ذلك:

١- يقول توماس كارليل، في كتابه"الأبطال وعبادة البطولة"، ما ترجمته: «وإن اتهامه –أي محمد ﷺ- بالتعويل على السيف في حمل الناس على الإستجابة لدعوته سخف غير مفهوم، إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس، أو يستجيبوا له، فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم، فقد آمنوا به طائعين مصدقين، وتعرضوا للحرب من غيرهم قبل أن يقدروا عليها »[1]

٢- يقول المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون: «وقد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة، فلما قهر النصارى عرب الأندلس فضل هؤلاء القتل والطرد عن آخرهم على ترك الإسلام ولم ينتشر القرآن بالسيف إذن بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند، التي لم يكن العرب فيها الا عابري سبيل، ما زاد معه عدد

---

(١) نقلا عن كتاب حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، بإشراف وتقديم أ.د.محمود حمدي زقزوق، ص:٤٠٩.

المسلمين على خمسين مليون نفس فيها»[١].

٣- يقول السيدان سير توماس، و آرنولد: «لدينا الدليل القاطع الذي شهد به الرحالون وغيرهم على نشر الدعوة بالطرق السلمية وقيام الداعي المسلم بأعمال تنطوي على الرفق والأناة، تلك الأعمال التي عملت في سبيل انتشار الإسلام سريعاً في إفريقية الحديثة، أكثر مما عمل أي أسلوب من أساليب العنف»[٢].

وهذا يبين لنا أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة، وقد تبعتها دعوى أخرى قريبةٌ منها، وهي الدعوى الثالثة:

ثالثاً: الفاتحون تعاملوا بالعنف والقسوة لا بالتسامح.

وهذه الدعوى تابعةٌ لما سبق، ولذلك يمكن أن يُرَدُّ عليها بمثل ما سبق، ويضاف إلى ذلك:

١ - اعتراف السيدان، السيد توماس ،وآرنولد أنه لما كان النصارى يعيشون في مجتمعهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم ناعمين بمثل هذا التسامح الذي منحهم حرية التفكير الديني تمتعوا، وخاصةً في المدن، بحالةٍ من الرفاهية والرضا في الأيام الأولى من الخلافة[٣].

٢- ألحق كثيرٌ من الخلفاء رجالاً من النصارى في أعمال وخدمة الدولة، مثل معاوية بن أبي سفيان، في عهد الدولة الأموية، وهارون الرشيد والمعتصم في عهد الدولة العباسية، وغيرهم[٤].

---

(١) حضارة العرب، ص ١٢٨.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، ص ٣٩١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨١.

(٤) انظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

المحور الثاني:محور الجدل والمناظرة.

منذ بدايات الفتوحات الاسلامية بدأ لاهوتيو الكنائس الأرثوذكسية يعتمدون على الجدل والمناظرة أسلوباً في الدفاع عن عقيدتهم أمام الدين الجديد الذي أصبحوا يعيشون تحت حكمه.

وتعود المناقشات اللاهوتية إلى سنوات الفتح الأولى، ففي عام ٦٤٤م، فتح يوحنا الأول(٦٣٥-٦٣٨م)بطريرك أنطاكيا اليعقوبي باب المناقشة مع سعيد بن عامر، في حضور جمع غفير من المسلمين والنصارى،كما جرت مناظرةٌ أخرى بين عمرو بن العاص وبنيامين بطريرك الإسكندرية[١].

ثم تلت تلك المناقشات مؤلفاتٌ تتميز بالأسلوب الدفاعي عن العقيدة النصرانية، وجاء في كتاب الدليل لأنستاسيوس السينائي هذه العبارة: «إذا أردت المناقشة مع العرب فقل: ملعون ومبسل كل من اعترف بإلهين، وآمن بأن الله يلد على طريقة البشر وعبد خليقة ما كما يعبد الله»[٢].

وكتب أثناسيوس البطريرك اليعقوبي(٦٨٤-٦٨٧) منشوراً حول العلاقة بين المسلمين والنصارى، وألف إبراهيم البيتجالي مقالاً دفاعياً عن النصرانية سنة ٦٧٠م، على شكل مناقشةٍ بين نصراني ومسلم[٣].

وفي كتاب ينبوع المعرفة الذي ألفه يوحنا الدمشقي فصولٌ تتضمن نقداً غير مباشرٍ للإسلام وعقيدته المبسطة، ودفاعاً عن المعتقدات النصرانية[٤].

---

(١) انظر: منصور بن سرجون(يوحنا الدمشقي)،ص:١٨.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها .

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

المبحث الثالث

موقف البروتستانت من الإسلام

ويشتمل على مدخل وأربعة مطالب:

- المطلب الأول: تأثر حركة البروتستانت بالإسلام.
- المطلب الثاني: نظرة البروتستانت إلى الإسلام والقرآن والنبي ﷺ.
- المطلب الثالث: الطعون الموجهة إلى الإسلام.
- المطلب الرابع: التنصير.

* * * ** * * *

مدخــــل

ترجع علاقة البروتستانت بالإسلام إلى القرن السادس عشر الميلادي، وهي فترة متأخرة جداً مقارنةً بعلاقة الطائفتين الأرثوذكس والكاثوليك التي بدأت في فترةٍ مبكرةٍ جداً، حيث تعود علاقة الأرثوذكس بالإسلام إلى بداية ظهوره، وعند الكاثوليك إلى ما قبل نهاية القرن الهجري الأول.

ويعود سبب تأخر هذه العلاقة إلى عاملين أساسيين:

الأول: تأخر نشأة البروتستانت، حيث لم تنشأ هذه الطائفة إلا في القرن السادس عشر الميلادي، كما هو معلوم.

الثاني: إشتغال هذه الطائفة منذ بداية نشأتها، حيث استنفرت قوتها، واستنفذت طاقتها في ثلاثة ميادين كان لابد من خوضها لتثبّت أقدامها كطائفة مستقلّة وبديلة للكاثوليك، وهذه الميادين هي:

١- محاربة الكاثوليك، والسلطة البابوية التي رأت أنها وصلت إلى درجةٍ من الفساد لابد معه من التغيير، أو الانفصال، وتكوين كنائس مستقلة.

٢- انشغالها بتثبيت نفسها وتحقيق الانفصال، وتكوين كنائسها المستقلة بعد أن فقدت أملها في تغيير وضع الكنيسة الأم (الكاثوليكية).

٣- صراعها مع الكاثوليك بعد استقلالها وانفصالها، وذلك بغية السيطرة على أكبر رقعةٍ من القارة الأوروبية وجذب أكبر عددٍ من الممالك لمبادئها الجديدة[١].

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، أفغراف سمير نوف، ص ٦٥١، تاريخ الكنيسة، لوريمر:(٥/ ١٢٦).

المطلب الأول: تأثر البروتستانت بالإسلام

يرى عددٌ من الباحثين أن حركة البروتستانت نشأت متأثرةً بالإسلام، وأن بعض مبادىء الحركة جاءت نتيجة الاتصال بالإسلام.

ومن هؤلاء الباحثين الإمام محمد أبو زهرة، ومحمد أمين الخولي، حيث ألف الثاني كتاباً بعنوان صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، وتوصل إلى أن عدداً من مبادىء البروتستانت قد تأثرت بالإسلام، وذكر الأول في نهاية كلام له حول مبادىء البروتستانت تأييده لذلك، وأن تلك المبادىء قد قبسها البروتستانت من نور الإسلام(١).

ومن أهم هذه المبادىء التي اقتربت من الإسلام ذكر الخولي عشرة مبادىء، وذكر أبو زهرةسبعة مبادىء، منها:

١ - رفض سلطة الكنيسة سواء للبابا أو المجامع.

٢- رفض وساطة رجال الدين، لاسيما في مسألة الغفران.

٣- إنكار الرهبانية.

٤- إنكار العشاء الرباني.

٥- تحريم اتخاذ الصور والتماثيل.

٦-الرجوع إلى الكتاب المقدس وحده.

٧- عدم الصلاة بلغةٍ غير مفهومة(٢).

وهذا الرأي له وجاهته، كما أن له ما يؤيده من الناحية التاريخية، مثل ظهور

---

(١) انظر: صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، أمين الخولي، ص:١٠١، محاضرات في النصرانية، للإمام أبي زهرة، ص: ١٧٢.

(٢) انظر: صلة الاسلام بالمسيحية،ص:١٠١، ومابعدها، محاضرات في النصرانية، ص ١٦٨- ١٧٢.

ترجمات القرآن الكريم في ألمانيا قبل ثورة مارتن لوثر، وكذلك احتكاك لوثر باللاهوتيين الذين قاموا بترجمة القرآن الكريم، بل إن لوثر نفسه اطلع على ترجمة للقرآن الكريم ، وقدم لترجمةٍ أخرى أطلق عليها فيما بعد طبعة بازل[1].

وعلى هذا الرأي تكون علاقة الإسلام بالبروتستانت قد بدأت مع نشاة الحركة نفسها، وبعبارةٍ أدق نقول: إن حركة البروتستانت نشأت متأثرة بالإسلام، مع اعتبار المؤثرات الأخرى المعلومة في التاريخ.



(١) انظر: صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، ص ٢٦.

المطلب الثاني: نظرة البروتستانت إلى الإسلام والقرآن والنبي ﷺ

في القرن السادس عشر لم يكن موضوع الإسلام غريباً على المجتمع الأوروبي، فضلاً عن رجال اللاهوت، حيث انتشرت بعض ترجمات القرآن الكريم من قبل هذا القرن، وتسامع الغرب من خلال الاحتكاك السلمي والحربي، وكانت الدولة العثمانية تقف على حدود أوروبا وتحاصر بعض أجزائها.

ولم يكن البروتستانت الذين برزوا في هذا القرن استثناءاً من ذلك الوضع، فقد عرفوا الإسلام، واطلعوا على مصادره، وكانت لهم آراء ومواقف منه، وسنعرض هنا نموذجين من دعاتهم للتعرف على تصورهما للإسلام.

جون ويكلف:

يذكر المؤرخون أن ويكلف كانت لديه معلوماتٌ عن الإسلام، وكان لديه ما يكتبه عن خصوصيات الفترة الواقعة بين عامي(١٣٧٨ – ١٣٨٤م)، وقد استمد القسم الأكبر من معلوماته من خلال دوائر المعارف الموجودة في عصره، مثل دائرة معارف Vinzenzvon Beaunais، ودائرة معارف Raoulf Highden، والأهم من ذلك أنه قرأ القرآن، وهو مايعني أنه تعرف على الإسلام مصدره الأساسي[1].

ويمكننا أن نلحظ جملة من الآراء كونها ويكلف عن الإسلام، ومن أهمها ما يلي:

١ – أن خصائص الإسلام التي يتميز بها هي خصائص الكنيسة الكاثوليكية نفسها، وهي الكبرياء، والشراهة وحب السلطة، واعتبر القرآن هو إنجيل القوة

---

(١) انظر صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ص ١٢٤.

والجبروت، والسير مع الهوى، ولذلك رأى أن هذه الصفات هي المسئولة عن الانشقاقات التي حدثت داخل الكنيسة ولذلك قال: «إننا محمديون غربيون، و في الواقع جزء صغير من المسيحية في العالم، لكننا نزعم أن العالم كله مرغم على اتباع آرائنا ونزعم أيضاً أن هذا العالم يرتعد تحت وطأة توجيهاتنا»(١).

٢- رأى ويكلف - أيضاً - أن أخطاء الكنيسة هي سبب صعود الإسلام، وأن ظهور الإسلام بدأ من تفاقم خيلاء الكنيسة، وحبها للتملك والسلطان، وبنى على ذلك أن اختفاء تلك الصفات من الكنيسة سيؤدي إلى تراجع الإسلام واختفائه، وليس هناك طريقةٌ أخرى للانتصار على الإسلام غير تلك الطريقة، ولذلك صرح عام ١٣٧٨م ، عشية عيد العذراء قائلاً: « إني لأجرؤ على القول أن هذا الدين المعادي (الإسلام) سيستمر في النمو والتقدم إلى أن يعود الكهنة لفخر المسيح وتواضعه، وموقف الكنيسة الأولى ذلك أن النقيض يستند على نقيضه»(٢).

٣- كوَّن ويكلف صورةً شاملةً عن الإسلام الصاعد في العالم، وهي صورة الدين الساعي للسيطرة على الدنيا المتليء بشهوة السلطة والتملك، وأن شريعة النبي محمد ﷺ اشتملت أشياء من العهد القديم والجديد لتدعم توجهها الدنيوي، ثم أضاف النبي محمد ﷺ بدعاً أخرى من عنده، كما فعلت الجمعيات الرهبانية في الغرب الشيء نفسه، ولذلك رأى أن الإسلام هرطقةٌ قويةٌ، لم تقتصر على مجال العقيدة، بل كانت انحرافاً في مجال الأخلاق كذلك(٣).

وبناءً على ذلك قامت فكرة التغيير عند ويكلف على أساس:

١- أن الإسلام لن يستقيم انحرافه بغير استقامة الكنيسة، ولذلك فالحروب

---

(١) المصدر السابق، ص ١٢٦.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٢٦.

(٣) المصدر السابق، ص: ١٢٨.

الصليبية ـ في رأيه ـ كانت بغير معنى؛ لأن الأسباب الداعية لها كانت دنيوية تتعلق بحب التملك والسلطان، وليس بدين المسيح ﷺ.

٢- إصلاح الإسلام أيضاً لن يتم الا بالتبشير (التنصير)، والدعوة بالحسنى والبرهان، وذلك غير ممكن إلا بإصلاح وضع الكنيسة قبل ذلك.

هذه آراء ويكلف حول الإسلام، ومن خلال النظر إليها نجد أن ويكلف لم يكن موضوعياً، ولم يستخدم منهجيةً علميةً صحيحةً في التعامل مع قضية الإسلام، لامن جهة طريقة فهمه، ولا من جهة الموقف منه المبني على ذلك الفهم، وبمعنى آخر: نجد أنه أخطأ في الطريقة، ثم أخطأ في النتيجة بناءاً على ذلك، ويتبين ذلك من خلال ما يأتي:

١- أن ويكلف لم يتعرف على الإسلام بطريقةٍ صحيحةٍ، بل تعرف على الإسلام من خلال خلفياتٍ سابقة، ونلاحظ منها على الأقل خلفيتان بارزتان:

الأولى: خلفية موقفه من الكنيسة الكاثوليكية ذات السلطة المطلقة والأخطاء العديدة، وهذه الخلفية أثرت على دراسته للإسلام، فجعل الكنيسة والإسلام في خندقٍ واحد، وسحب أخطاء الكنيسة على الإسلام مع عدم وجود جامع بينهما.

الثانية: خلفية المناخ السائد في عصره، وهو مناخ الكراهية والعداء للإسلام باعتباره الخطر الذي يهدد أوروبا، ويحيط بحدودها من كل جانب.

٢- لم يدْرُس الإسلام من خلال مبادئه وقيمه الذاتية، أو نظامه الخلقي، ولم ينظر إليه كما هو في مصادره الأصلية، ولو درس الإسلام دراسةً متجردةً من كل هوىً أو تحيز لوصل إلى أحد أمور ثلاثة إما الدخول في الإسلام، أو الإعجاب والاعتراف بفضله، أو الإنصاف في النظر إلى الإسلام. وهذا هو شأن الدراسات المنصفة التي لاتزال خير شاهد على فضل الإسلام وسماحته.

وهذا أمر مكررٌ على مر العصور، وليس هذا مجال تفصيله، ولكن نذكر على ذلك شاهداً واحداً للتوضيح، وهو ماقرره عالمُ اللاهوت الألماني "يوسف فان إس"

بأن «الإسلام هو دين المساواة، ولايعرف الفوارق الطبقية التي عرفناها عند الرومان، ومسيحيي أوروبا في العصور الوسطى، ويؤكد على أن الإسلام لم يجبر أحداً من أهل الكتاب على الدخول فيه، وأن من دخل منهم الإسلام، إنما دخله لما رآه من معاملةٍ حسنة، كما يؤكد على عدم انتشاره بالقوة... ثم يقول في صراحة: إن الإسلام ينتشر ببساطة ووضوح مبادئه وسماحته التي تصل مباشرة إلى الإنسان أيا كان مركزه الاجتماعي، أو مستواه الثقافي،ولذلك فإن الإسلام يتميز على المسيحية بما يلي:

١ - أنه مؤسس على مباديء عقلية في العقيدة.

٢ - التسامح والمساواة في التطبيق واتباع الوسطية والاعتدال.

٣ - اعتبار التثليث، الذي تراه المسيحية عقيدة مقدسة عبثاً منطقياً.

٤ - الرهبنة التي تراها المسيحية تحرراً من قيود الحياة مبالغةٌ خاطئة[١].

ثانياً: مارتن لوثر:

جرى زعيم البروتستانت الألماني لوثر في موقفه من الإسلام على سنة سلفه الإنجليزي ويكلف، حيث اطلع على مصادر عدة عن الاسلام، وكوَّن أفكاراً واضحةً عن الإسلام، من خلال تلك الدراسة، ومن خلال الأحداث التي جرت في عصره.

وقد تكونت علاقة لوثر بالإسلام من خلال ما يأتي:

١ -كان لوثر يتوق الى التعرف على القرآن ذاته، وإلى النظر فيه، وقد أعلن في عام ١٥٣٠م أنه سيكون مسروراً لو قرأ القرآن. وهذا الأمر قد تحقق له في عام ١٥٤٢م، كما أخبر هو بذلك، حيث قال: «غير أني رأيت في ثلاثاء المرفع هذا القرآن باللاتينية، ولكن ترجمته رديئةٌ جداً، حتى وددت لو أنظر في ترجمة أكثر وضوحاً»[٢].

(١) مارتن لوثر والإسلام، محمد أبو حطب خالد، ص: ١٩٠ – ١٩١.

(٢) انظر: مسيحية ضد الإسلام، لودفيغ هاغمن، ص: ١٣٩.

٢- تدل كتاباته على أنه كان يمتلك نسخاً من القرآن الكريم، فقد ورد في رسالته عن "الحرب ضد الأتراك" العائدة لعام ١٥٢٩ م، قوله: «ولدي بعض أجزاءٍ من قرآن محمد يمكن أن تكون مترجمةً بالألمانية موعظةً أو كتاباً تعليمياً، كما يرد في المرسوم البابوي، واذا توفر لدي الوقت فلابد أن أنقله إلى الألمانية»[١].

والذي يهمنا هنا هو أن هدفه من التعرف على القرآن كان واضحاً، وقد صرح به، وهو « لكي يرى كل امرئٍ كم هو كتابٌ فاسدٌ و مشينٌ»، « لماذا ارتضى المرء لفترة طويلة بمعرفةٍ ضئيلةٍ، ومعلوماتٍ سطحيةٍ عن هذا القرآن، وعدم نقله في الوقت المناسب إلى اللاتينية، وذلك أن معرفة العدو الجيدة تفتح الأبواب على مصراعيها لمهاجمته مهاجمةً جيدة»[٢].

٣- ذكر في مقدمة رسالة حررها بعنوان "كتاب عن الأتراك القتلة"، أنه يملك رسالتين عن الإسلام معروفتين لديه، رسالة لـ "ركلدس"، ورسالة "نظرة في القرآن"، لنيقولاس الكويسي [٣]

٤- ألّف لوثر في عام ١٥٣٢ م كتاباً بعنوان "دحض القرآن ونقده"، وهو عبارةٌ عن شروحٍ وهوامش توضيحيةٍ لترجمة القرآن اللاتينية التي أنجزها القس ريكاردي توليتانر.

وكانت مصادر لوثر في تأليف هذا الكتاب هي:

١_ ترجمة القرآن الكريم لـ "فراتر ريكاردو ديمونتي كروسي"، وهو راهبٌ دومينيكي (ت ١٣٢٠م)، عاش في منطقةٍ مجاورةٍ لمدينة فلورنسا، وتجول لفترةٍ طويلةٍ في الشرق، ومارس أعمال التنصير، وكان يجيد اللغة العربية، ويحاور العديد من علماء

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص: ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص: ١٤، ومارتن لوثر والإسلام، ص: ٢١٢.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص: ١٤.

القرآن، ومن أهم أعماله تأليف كتاب "ضد شريعة المسلمين"، ومن أهم ما أورده في هذا الكتاب أن القرآن كتابٌ غير مستساغ، ومفتقرٌ لترتيب الأحداث، ويحتوي على العديد من المتناقضات، والقصص المستهجنة، وهذا الكتاب قد قام لوثر بترجمته أيضاً إلى اللغة الألمانية ووضع له مقدمة طويلة، وأضاف إليه ذيلاً[(١)].

ومضمون هذا الكتاب الذي قام لوثر بترجمته والتقديم والتذييل عليه يعطينا تصوراً مبدئياً عن الآراء التي يمكن أن يحملها لوثر عن الإسلام.

٢- ترجمة القرآن، لنيقولاوس فون كوز، تحت عنوان: كبرياتو القرآن.

٣-ترجمة القرآن تحت اسم كوريوس توليتانوم، عام ١٥٤٢م، والتي رأى لوثر أنها ترجمة ركيكةٌ وسيئةٌ للغاية [(٢)].

أهم آراء لوثر حول الإسلام:

١- رأى لوثر أن الإسلام هو دولة آخر الزمان، وقد عبر عن ذلك بقوله: «ذلك لأن الشيطان لايسعى عن طريق أداته المتمثلة في "التركي"إلى السيطرة على العالم فقط، بل يسعى أيضا إلى إخراج مملكة المسيح، وقدسيته، وأتباعه من عقيدتهم، كما يقول دانيال في الفصل السابع».

ومنطلق لوثر في هذا التفسير هو التنبؤات التوراتية الخاصة بسفر الرؤيا المتعلقة بنهاية الدنيا، حيث فسر الإسلام تفسيراً لاهوتياً على أساس هذه التنبؤات، ومن خلال التفسير اللاهوتي أيضاً المتعلق بنهاية العالم فسر النبوءة الخاصة بوجود طاغيتين قاسيين يدمران المسيحية، ويقضيان عليها إلى يوم القيامة، أحدهما يطغى بالحيل، أو بالتعاليم الزائفة ضد المسيحية الحق، وهذا الطاغية عند لوثر هو البابا، أما الآخر فهو

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص: ١٣٩، وصورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ص ١٥١، مارتن لوثر والإسلام، ص: ٢١٢ – ٢١٣.

(٢) انظر مارتن لوثر والإسلام، ص: ٢١٦.

صاحب السيف الذي يقاتل بجسده، وبمظهره الخارجي بأشد وطأة، وهذا عند لوثر هو المسلم الذي يلقبه لوثر دائما بلقب "التركي".

ويقول لوثر في ذلك: «وعلى هذا فلابد للشيطان، إذا تكون نهاية الدنيا قد حلت أن يهاجم المسيحية بكلتا قوتيه، وبأشد الأفعال عنفاً وجبروتاً، ويسدد إلينا الضربة الأخيرة قبل أن نصعد إلى السماء»(١).

وعلى ذلك يرى لوثر أن العقيدة المسيحية واقعةٌ بين فكي كماشة، عدوٌّ خارجي رهيب(الإسلام)، وعدوٌّ داخليٌّ أكثر نعومة، ودهاءً ومكراً(البابا)، ولكي يكون المرء مجهزاً ضد العدو الخارجي لابد للمسيحية أن تتخلص أولاً من عدوها الداخلي.

والبابوية والإسلام - على هذا الرأي - يقفان على صعيدٍ واحدٍ في معاداة المسيحية، من وجهة نظر لوثر " فالتركي أيضا يعد بابوياً؛ لأنه يظن أنه مقدسٌ بعمله وسعيد، ولايرى في إفساد المسيحية إثماً ولا خطيئة، ولا في تدمير السلطة والعلاقات الزوجية، والبابا يمارس هذه الخصال الثلاث(إفساد المسيحية، وتدمير السلطة، والعلاقات الزوجية) أيضاً، ولكن بطريقةٍ أخرى، أي بالنفاق، مثلما يفعل التركي ذلك بالقوة والسيف) (٢).

٢- يرى لوثر أن القرآن هو من تأليف محمد، وأن الشيطان هو الذي حرضه على ذلك، وبهذه الطريقة يمكن إبطال حجية النبوة، التي يقول بها القرآن، وتفنيد النظرة القرآنية التي تقوم على أن القرآن كلام الله الحقيقي، وأن الإعجاز القرآني لا يعود فقط إلى جماله الأدبي، ولغته، وجرسه، وأسلوبه، بل يكمن قبل كل شيءٍ في مصدره الإلهي(٣).

---

(١) مسيحية ضد الإسلام، ص:١٣٣.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٣٥.

٣- يرى لوثر بأن الاسلام إنما هو نتيجة الأعمال العسكرية، وهذه هي الشبهة السائدة في ذلك العصر، وهي قديمة، وتعود إلى القرن الأول من الإسلام، وهي شبهة انتشار الإسلام بالسيف التي ظهرت في الشرق البيزنطي أولاً، ثم انتقلت إلى الغرب الأوروبي.

كتب لوثر في ذلك قائلاً: «إنه أمر يوصى به في شريعتهم (المسلمين)، بصفته عملاً ربانياً مستحسناً، أن ينهبوا، ويقتلوا، ويلتهموا، المرة بعد الأخرى، كل شيءٍ من حولهم، ويفسدوا كل شيء، كما يقولون هم يحسبون أنهم يسدون به خدمة لله»[١].

٤- وإضافةً إلى هذه الآراء الرئيسة كان للوثر موقفٌ من حرب الأتراك كما يسميها حيث رأى أن تلك الحرب ليست إلا عقاباً من الرب، وقد كتب في رسالته "الحرب ضد الأتراك": «التركي هو سوط الله، وخادم الشيطان مافي ذلك شك»[٢]، وهذا التفسير للوثر عن الحرب مع الدولة العثمانية، كما أنه ينطلق من تفسيراته اللاهوتية، فإنه أيضاً ينطلق من توظيف تلك الحرب لصالح مصلحته الخاصة، ضد خصمه الرئيسي وهو البابا، ولذلك كان هذا التفسير نقطة نزاع رئيسة بينه وبين روما.

وتبعاً لذلك التفسير بين لوثر موقفه من الحروب الصليبية، فرفض سياسة تلك الحروب، وكتب عام ١٥٢٩م في رسالته "الحرب ضد الاتراك": «إذا لم نشأ أن نتعلم من الكتاب المقدس، فلا بد أن يعلمنا التركي بالسيف، إلى أن نعرف بعد أن يحيق بنا الاذى، أن المسيحيين لا ينبغي لهم أن يظفروا بطائل ولا أن يقاوموا الشر»[٣].

ولوثر هنا لا يمنع من الحروب ضد الأتراك، ولكنه لايرى لذلك فائدة مالم

---

(١) المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٢٧.

(٣) المصدر السابق، ص: ١٢٩.

يسبقه إصلاح الكنيسة نفسها «أن الله لن يهبنا النصر، إذا كان هؤلاء(أتباع البابا) الذين نعرفهم هم الذين سيقاتلون المسلمين»[١].

أسباب موقف لوثر العدائي للإسلام.

قد يثير موقف لوثر العدائي من الإسلام، لكون لوثر من أكثر البروتستانت دراسةً للإسلام، ولأن مبادئه تأثر بعضها بالإسلام - كما بينا من قبل -؛ وأيضاً فإنه كان يملك نسخاً من القرآن، مكَّنته من قراءته، ودراسة ترجماته المتداولة في ذلك الوقت، ولكن النظر إلى العصر الذي عاش فيه لوثر يطلعنا على بعض الأسباب التي أثرت في موقفه تجاه الإسلام، ومنها:-

١- المناخ الفكري السائد في ذلك الوقت.

كانت أغلب الدراسات السابقة للوثر، والتي جعلها أحد مصادره الرئيسية تتجه نحو اتجاهٍ واحدٍ هو العداء للإسلام، وقد سبقت الإشارة إلى الدراسة والترجمة التي قام بها المفكر" كروسي"، واعتمد عليها لوثر كثيراً في كتاباته ضد الإسلام[٢].

والمناخ السائد والكتابات السائدة في ذلك الوقت ليست مبرراً لموقف لوثر، ولاسيما مع تمكنه من الوصول إلى الحقيقة وتمكنه من أدواتها، وقد مرَّ من كتاباته مايدل على معرفة كبيرةٍ للإسلام، ولكنه أغلق بصره عن رؤية الحق الواضح، وجرى على الأمر السائد كما فعل غيره.

٢- التهديد العثماني لأنحاء أوروبا:

في الوقت الذي ظهرت فيه حركة البروتستانت وتحديداً حركة لوثر،كان السلطان العثماني يغتنم فرصة الساعة ليتحفز لضربةٍ قويةٍ ضد أوروبا، ولم يقف الخطر العثماني عند حد التهديد، بل وصل بالفعل إلى أجزاء من أوروبا، وجرت أحداث

---

(١) صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ص: ١٥١.

(٢) انظر مارتن لوثر والإسلام، ص:٢٠٩.

متسارعة عايشها لوثر بنفسه، حيث سقطت بلغراد عام ١٥٢١ م(أي بعد ظهور حركة البروتستانت بأربع سنوات فقط)، ثم رودوس عام ١٥٢٣ م، وجرى ضرب ملك المجر لودفيغ الثاني عام ١٥٢٦م، وفي عام ١٥٢٩ م، وقعت فيينا تحت الحصار، وفي عام ١٥٤١م، جرى غزو بودابست، وضم العثمانيون المجر إلى دولتهم، وبين عامي(١٥٣٧ - ١٥٤١ م) سقطت قبرص، وهي آخر قاعدةٍ بحريةٍ مسيحيةٍ في الشرق[(١)].

وهذه الخلفية العسكرية مهمةٌ جداً في تفسير موقف لوثر العدائي من الإسلام، ولذلك ألّف رسائل كثيرة عن الحرب مع الأتراك مثل" الحرب ضد الأتراك"، و"الموعظة الحربية ضد الأتراك"، وغيرها.

وكان لوثر يصرح ويكرر عبارة تدل على تأثير تلك الحرب على موقفه من المسلمين،حيث يقول: «لأن الأتراك يقتربون منا... »،كما في رسالته "الحرب ضد الأتراك".

وهنا يرى لوثر أن الإسلام يمثل خطراً سياسياً يهدد كيانهم السياسي.

٣- موقف الإسلام الحاسم من العقيدة النصرانية.

أبطل الإسلام العقائد النصرانية، ومنها مايتعلق بالمسيح عليه السلام، وكونه إلهاً أو ابناً لله، أو ثالث ثلاثة، وكذلك أنكر قضية صلبه، وكونه مخلِّصاً للجنس البشري، وهذا الموقف الحاسم _ في نظري _ هو أهم الأسباب التي جعلت لوثر يتخذ ذلك الموقف المخزي من الإسلام، ومن القرآن، والنبي ﷺ تبعاً لذلك.

وهذا يعني أن الإسلام قد نقض العقيدة النصرانية من أساسها وهذا هو الواقع، وقد رأى لوثر أن الإعتراف بالإسلام يعني هدم النصرانية في ذات الوقت، ولذلك صرح بقوله: «فهنا لايكون المسيح منقذاً ولا مخلصاً، ولا ملكاً، ولا غافراً للخطايا،

---

(١) انظر مسيحية ضد الإسلام، ص: ١٢٦.

ولا رحمة ولا روح القدس»، كما يقول لوثر شاكياً: «لقد ولى الأدبار هنا الأب والابن والروح القدس والمعمودية، والسر، والإنجيل، والإيمان، وكل التعاليم المسيحية والنظام المسيحي، وما عاد ثمة شيء يحل محل المسيح سوى محمد بتعاليمه المتعلقة بأعمال المرء الخاصة به، ولا سيما ما يتصل بالسيف، وهذا هو الجزء الرئيس من العقيدة الإسلامية»[1].

مجالات العداء للإسلام:

لَمَّا كانت البروتستانتية تقف من الإسلام موقف العداء، وترى أنها هي الكنيسة الحقيقية دون غيرها المتمسكة بما يسمَّى بالكتاب المقدس، قامت بعملٍ مزدوجٍ في اتجاهين في وقت واحد:

الأول: الطعن في الخصم والمنافس لها، وهو الإسلام.

والثاني: الدعوة إلى نفسها فيما يعرف بالتنصير.

وقد وجه البروتستانت طعونهم إلى الإسلام من خلال عناصره الأساسية:

١ - الإسلام، كنظام يتظمن عقيدة وشريعة.

٢ - مصادر الإسلام، ولاسيما القرآن.

٣ - الرمز، وهو النبي ﷺ.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف سعى البروتستانت ولاسيما مبشروهم على دراسة الإسلام دراسةً شاملةً من خلال إنشاء المراكز المتخصصة، وكذلك الأقسام الخاصة بدراسة الإسلام في الجامعات والكليات المختلفة، بغرض إعداد دارسين مُلِمِّين بعلوم الإسلام، ثم استخدامهم أيضاً في عملية التنصير فيما بعد، من خلال المواد العلمية التي أَلَمُّوا بها حول الإسلام.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص: ١٣٨.

ومن أهم المراكز التي أنشئت لدراسة الإسلام ما يأتي:-

١- مركز الدراسة النصراني في روالندي.

٢- مدرسة الشرق الأدنى للاهوت في بيروت.

٣- معهد صموئيل زويمر بكالفورنيا.

٤- معهد هندري مارتن للدراسات الإسلامية في حيدر أباد.

٥- مركز دنكان ماكدونالد، لدراسة الإسلام والعلاقات النصرانية الإسلامية في هادرفورد[١].

---

(١) منهج البروتستانت في تنصير المسلمين خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ص: ١١٩.

المطلب الثالث: الطعون الموجهة إلى الإسلام

١ - الإسلام بدعةٌ نصرانية:

وهذا المطعن ردده لوثر كثيراً في كتاباته عن الإسلام، وكان بسبب الخلفية الدينية، والسياسية، والعسكرية، الواقعة تحت تأثير التهديد العثماني التي ترى أن الإسلام من الديانات المصطنعة ذات الصبغة البابوية.

كما أن هذا المطعن لم يكن خاصاً بالبروتستانت، بل اشتركت فيه طوائف النصارى، وأيضا لم يكن مطعناً جديداً، بل كان مطعناً قديماً جدده البروتستانت، وتعود نشأة هذا المطعن إلى الكنيسة الشرقية البيزنطية التي قررت أن محمدا ﷺ كان كلما ذهب إلى فلسطين اجتمع بالنصارى واليهود وسألهم عن مسائل معينة، ثم يعود إلى زوجته ليخدعها بقوله: إنه يرى ملكاً اسمه جبريل، وأنه لايحتمل رؤيته فيغمى عليه، وكان لزوجته صديقٌ (هكذا يذكرون) محرومٌ من الكنيسة بسبب عقيدته الخاطئة، قالت له كل شيء، وأراد أن يرضيها فقال لها: إنه يقول الحق، وعندما سمعت ذلك من الراهب كانت أول من آمن به، وأخبرت بقية نساء القبيلة، وهكذا انتشر الخبر بين الرجال والنساء(١).

وعلى ذلك، فإن لوثر لم يأت بجديدٍ فيما يتعلق بهذا المطعن، وإنما كرر ماكان أصله في الشرق، ثم أصبح منتشراً وسائداً في الغرب.

٢- انتشار الإسلام بالسيف:

وهذا المطعن ردده لوثر أيضاً، وهو قديمٌ ويعود إلى عهد الفتوحات، ومصدره كان بيزنطياً أيضاً، وقد سبق ذكر رأي لوثر في ذلك، كما سبق الرد على هذا المطعن.

---

(١) انظر المسلمون وأوروبا، قاسم عبده قاسم، ص: ٢٩.

٣- عدم احترام الإسلام للحياة الزوجية:

تحتل هذه المسألة أهميةً كبرى في لائحة انتقادات لوثر على الإسلام، فهي تعتبر عنده المسألة الثالثة من المسائل التي أخذها على الإسلام، ولذلك كتب:«المسألة الثالثة هي أن قرآن محمد لا يحترم الحياة الزوجية»(١)، ويعلل لوثر ذلك بأن الإسلام يأمر بأن يتزوج كل نساء المجتمع و رجاله المؤهلين للزواج، وأن عدد الزوجات الشرعيات للرجل أربع زوجاتٍ في وقت واحد.

ومن وجهة نظر لوثر، فإن هذه الأخلاق(يقصد التعدد) تتجاهل جوهر الزواج، وسبب خطأ لوثر هنا أنه لم ينظر إلى مبدأ تعدد الزواج في ذاته من حيث حكمته والمصالح المترتبة عليه، وإنما نظر إلى معنى موجودٍ عنده في الكتاب المقدس، وهو أن الرجل لا يمكن أن يقصد البقاء مع المرأة بجسده إلى آخر العمر، كما ورد ذلك في سفر التكوين(٢).

الطعن في النبي ﷺ وفي القرآن:

المطعن الأساسي الذي وجهه البروتستانت إلى الرسول ﷺ هو أن ماجاء به لم يكن وحياً جديداً، أو دينا جديداً، وإنما أخذه من غيره، أو هو من تأليفه هو، وهذا المطعن يتجه إلى النبوة نفسها، فهو ينكر أنه نبيٌّ مرسلٌ من عند الله، وإنما هو عنده رجل انشق عن النصرانية، وألّف وحياً جديداً، أخذه من راهب نسطوري (بحيرا)، أو من صديق زوجته(ويقصد ورقة بن نوفل)، ثم أبلغه للناس على أنه من الله تعالى، والطعن الموجه إلى النبي ﷺ ينسحب على القرآن كذلك(٣).

ولأجل ذلك وصف لوثر النبي ﷺ بأقبح الأوصاف، فاعتبر أنه ﷺ والشيطان

(١) مسيحية ضد الإسلام، ص: ١٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٣٥، مارتن لوثر والاسلام، ص: ٢١٤.

شخصان في شخصٍ واحدٍ، وجعله ﷺ هو الطاغية الذي يأتي في آخر الزمان، بحسب نبوءة سفر دانييل، وكان يطلق على ما جاء به من الوحي إلى محمد نفسه، ويسميه "المذهب المحمدي"، ويعتبر القرآن كتاب سيئاً، مليئاً بالأكاذيب، والأساطير والهرطقات[1].

(١) مارتن لوثر والإسلام ص: ٢٢٩ .

المطلب الرابع: التنصير

قررت الكنيسة البروتستانتية اتخاذ التنصير أسلوباً من أساليبها في مواجهة الخطر الإسلامي بحسب رؤيتها.

وكان اتخاذ هذا القرار يعود لسببين هامين تشترك فيهما طوائف النصارى، وهما:

الأول: انطلاقاً من نصوص كتابهم المقدس عندهم، حيث جاء فيها الدعوة إلى تنصير العالم، وتوحيده تحت راية المسيح.

ومن تلك النصوص التي تدعو إلى تنصير جميع الأمم بمن فيهم المسلمين: « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس »[(١)]، «وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع و أكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» [(٢)]، «كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم»[(٣)].

وبالرغم من أن هذه النصوص تتعارض مع خصوصية رسالة عيسى عليه السلام؛ كما سبقت الإشارة إلى ذلك _ إلا أن البروتستانت جعلوها الأصل الذي قام عليه التنصير، فانتشروا في أنحاء العالم ليكرزوا بالإنجيل استجابةً لأمر الرب _ بزعمهم_.

الثاني: انطلقوا من قناعة توصلوا إليها من خلال دراستهم للإسلام، وهي أن عدم جدوى الحروب الصليبية التي قادتها الكنيسة الكاثوليكية؛ لأن المسلمين أصحاب عقيدة ولا يمكن القضاء عليها من خلال الحرب المسلحة، بل لابد من أسلوبٍ يعتمد على الإقناع والحجة، وأيضاً: لأن الكنيسة التي قادت تلك الحرب لم تكن مؤهلة بسبب فسادها الداخلي، وبالتالي فهي غير مستحقة للنصر في تلك الحالة.

---

(١) متى: (٢٨ / ١٩).

(٢) مرقص: (١٦ / ١٥).

(٣) يوحنا: (١٧ / ١٨).

وهنـاك سـببٌ ثالـثٌ لـه علاقـةٌ خاصـةٌ بالبروتـستانت، وهـو سـعيها لتوسـيع نفوذها، وتقوية استقلالها في أوربا على حساب خصمها التقليـدي، وهـو البابويـة، مـن خلال زيادة عدد أتباعها، داخل أوربا وخارجها، ولذلك كان التنصير بالنسبة لها أحد الخيارات الهامة لها في إثبات وجودها أمام الكنيسة الكاثوليكية.

وهناك سببٌ آخر زاد من حماس البروتستانت للتنصير وهو اعتقـادهم بـالمجيء الثاني للمسيح ﷺ، وأن ملكوت الله سوف يعلن للعالم بقوة في اليوم الآخر من خلال المجيء الثاني[1].

وهـذا المجـيء عنـد البروتـستانت لابـد لـه مـن ممهـدات، ومـن أهمهـا انتـشار النـصرانية في العـالم، وقـد ربـط "بـات روبرتـسون"، مؤسـس التحـالف المـسيحي، والرئيس السابق للقناة التبشيرية" قناة الأسرة"، ومؤلف البيان المعروف باسم "النظام العالمي الجديـد"، بـين أهميـة الدورالتنـصيري لأمريكـا، وبـين حـصول الـسلام العـالمي الممهد لمجيء المسيح ﷺ قائلاً: «لن يكون هنـاك أي سـلامٍ عـالميٍّ قبـل أن يتـولى بيـت الله، وشعب الله، دورهـم القيادي في زعامة العالم»[2].

بداية الإرساليات التنصيرية البروتستانتية:

لم يبدأ النشاط الإرسالي البروتستانتي إلا في مطلـع القـرن التاسـع عـشر، ويعـود سبب تأخر ذلك إلى وجود العديد من العوائق التي حالت دون بدايته، ومنهـا انـشغال الكنائس البروتستانتية بخصومها في الخارج، وكذلك معالجـة مـشاكلها الداخليـة التـي تتمثل في كثرة الانقسامات في صفوفها.

و قد عد مؤرخ الإرسـاليات ك. س. لاتوريـت القـرن التاسـع عـشر بأنـه القـرن الكبـير بالنـسبة للانتـشار البروتـستانتي، حيـث أصبحت أجـزاءٌ مـن العـالم موضـوعاً

---

(١) انظر الأصولية الإنجيلية، نشأتها وغايتها، وطرق مقاومتها، صالح الهذلول، ص:٤٨.

(٢) تنصير العالم، أ.د . زينب بنت عبد العزيز، ص: ٩.

لمحاولاتٍ إرسالية، منها الصين وشبه الجزيرة الهندية، وأفريقيا، وقد ارتبطت بداية العمل التنصيري ببرامج اجتماعية، وتربوية وطنية[1].

وقد كان دخول الإرساليات التنصيرية إلى العالم الإسلامي نتيجةً لحركةٍ تنصيريةٍ نشطت في صفوف الطوائف البروتستانتية ابتداءً من أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وأوائل التاسع عشر، وعرفت باسم الحركة الإنجيلية[2].

وقد ظهرت هذه الحركة أول الأمر في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وكانت تهدف إلى معالجة الشرور الاجتماعية الناجمة عن الثورة الصناعية من خلال التبشير بالكتاب المقدس، وقد بدأ بهذا النشاط جمعياتٌ تطوعيةٌ اهتمت بطبع وتوزيع الكتاب المقدس وتأسيس مدارس الأحد، وتعريف الصغار بجوهر الدين من وجهة النظر البروتستانتية.

وفي مستهل القرن التاسع عشر انطلقت الإنجيلية بكل قوتها متخطيةً مهدها الأول لتصبح حركةً تنصيريةً بروتستانتيةً مؤثرةً في جميع أنحاء العالم، بما فيه العالم الإسلامي[3].

بدأ العمل التنصيري البروتستانتي في كل من تركيا و سوريا ولبنان عام ١٨١٨ م، حيث قررت إرسالية الكنيسة المصلحة الجمهورية في الولايات المتحدة الأمريكية إرسال مرسلين هما القس بليني فسك، والقس ليفي بار سونس للعمل في منطقة الشرق، وفي سنة ١٨١٩ م، حطت بهما السفينة في مرفأ أزمير في تركيا، وبعد عامين توجه المرسلان إلى مدينة القدس لاستكشاف إمكانية العمل التنصيري فيها، وفي عام

(١) انظر: تاريخ الكنيسة المفصل:(٤/ ١٦١).

(٢) انظر: المسيحية في العالم العربي، الحسن بن طلال، ص: ١١٩.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص: ١١٩ – ١٢٠.

١٨٢٣م زار المرسلان لبنان، ثم نقلا مركز عملهما من القدس إليها[١].

ولم تكن تلك الإرساليات التنصيرية تهدف في بداية عملها إلى إنشاء كنائس محلية، وإنما اقتصرت على الاهتمام بنشر الانجيل بين طوائف المسلمين واليهود، حتى نصارى المشرق، ولكن مع مرور الوقت وبذل الجهود المستمرة استطاعت تلك الإرساليات البدء في بناء الكنائس، حيث توصل الانجيليون بعد جهود مضنية إلى إنشاء أول كنيسةٍ إنجيليةٍ في اسطنبول عام ١٨٤٦م، وهي أول كنيسةٍ في الشرق الأوسط[٢]، ثم تبعتها كنائس أخرى في سائر أنحاء تركيا[٣]، أما في سوريا ولبنان فقد عقد الإنجيليون اجتماعاً في بيروت برئاسة المعلم بطرس البستاني الذي تحول إلى المذهب الإنجيلي وقدموا عريضةً إلى المرسلين الإنجيليين يطلبون فيها مساعدتهم على تشكيل كنيسةٍ إنجيليةٍ وطنية، وبعد مراسلاتٍ عديدةٍ تأسست أول كنيسة في الديار الشامية، بل في البلاد العربية على النظام الإنجيلي وكان ذلك عام ١٨٤٨م.

وهكذا انتشرت الكنائس في البلاد العربية والإسلامية، واتسع النشاط التنصيري[٤].

أهداف التنصير:

أولا: إدخال المسلم في النصرانية:

وتحقيق ذلك يعني أن هذا الشخص قد تحول من مرحلة "العدو" إلى مرحلة الحليف والموالي.

وقد ظهر للمنصرين بوضوح «أن أشد الأديان مراساً في إباء الإستعباد إنما هو

---

(١) انظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص: ١٠٩ –١١٠.

(٢) مع التحفظ على هذه العبارة والمقصود في ذلك الوقت العالم الاسلامي.

(٣) انظر: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ص: ١١١.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص: ١١١.

الإسلام، ولذلك يتمنى المنصرون أن ينصّروا المسلمين كلهم، ومع أن التنصير يتناول البوذيين والبرهميين أيضاً، إلا أن المقصود الأول بالجهود التنصيرية هم المسلمون، ولقد استوى في هذه الرغبة جميع المنصرين، على الرغم من اختلاف طوائفهم، و تباين الأقنعة التي يضعونها على وجوههم»[1].

وهذا الهدف قد أبرم عليه المنصرون العهد و الميثاق، وقد تضمن معهد صموئيل زويمر المتخصص بالتنصير البروتستانتي قسماً خاصاً أطلق عليه "العهد أوالميثاق"، ونص هذا العهد هو: « بمعونتك يا إله كل شيء ممكن ، وإيماناً بأنك ترغب بالمسلمين من كل أمة ولغة وعرق ليصبحوا أعضاء في مملكتك، نلزم أنفسنا بأن نرى كنيستك تزرع بين كل شعب مسلم فوق وجه الأرض ويسرنا أن نؤكد طاعتنا لوكيلك الرب يسوع، برحمتك وقوة الروح القدس نبحث عن تلمذة المسلمين الذين لم نصلهم بعد وبذلك تسرع عودتك ، وطالما تهبنا روح الإله الحرية نتعهد:

١ - أن نصوم ونصلي للمسلمين من جميع الأعراق ليعرفوا المسيح.

٢ - أن نرغب بالذهاب إلى أي مكانٍ في العالم استجابةً لنداء يسوع المسيح للوصول إلى المسلمين من أجله.

٣- أن نعطي بكرمٍ من ثرواتنا المادية لتنصير المسلمين.

٤ - أن نبحث بدون راحة عن أيِّ طريقٍ تساعدنا بفاعلية لإيصال المسلمين رجالاً ونساءاً إلى يسوع المسيح»[2].

وقد اعترف أحد المنصرين الكبار صراحةً بهذا الهدف، وهو المستر بنزور - رئيس الجامعة الأمريكية ببيروت -، حيث يقول:«إن المبشرين يمكن أن يكونوا قد

---

(١) التبشير و الاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي ، عمر فروخ ، ص: ٤٥.

(٢) الهجوم على الإسلام والمسلمين د. ماجد عرسان الكيلاني. ص٢٠٩.

خابوا في هدفهم المباشر، وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات»[١].

وهذا الاعتراف الصريح يتضمن اعترافاً بالهدف، وبالنتيجة، وهي خيبة أمل المنصرين في ذلك، ولذلك انتقلوا إلى أهداف أقل منه _ كما سيأتي _.

ثانياً: إضعاف مصادر قوة المسلمين:

بالرغم من ظهور بعض مظاهر الضعف عند المسلمين إلا أنه بقيت مصادر قوةٍ لم يصل إليها الضعف، ولم تلامسها أيدي الكيد وأجنحة المكر من أعدائها، ومن أهم ذلك صحة عقيدتها[٢]، وسلامة مصادرها من الإنحراف، ووحدتها، ولذلك سعى المنصرون إلى إضعاف مصادر هذه القوة، فكان من أهدافهم إضعاف وحدة الأمة الإسلامية، ولقد أبرز لورنس براون هذا الموقف بصورة واضحة حيث قال: « إذا اتحد المسلمون في إمبراطوريةٍ عربيةٍ أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطراً... أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذٍ بلا وزن ولا تأثير»[٣].

أما القس سيمون، فقد كان أكثر صراحة في التعبير عن ذلك الهدف عندما قال:« وإن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر[٤]، وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوروبية، ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركة... من أجل ذلك قالوا يجب أن يحول التبشير مجاري التفكير بالوحدة الإسلامية حتى تستطيع النصرانية أن تستغل المسلمين»[٥].

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي، عمر فروخ، ص: ٤٦ – ٤٦.

(٢) لايعني ذلك عدم وجود فرق وقعت في البدع والإنحراف ولكن المراد بيان واقع أغلب الأمة فإنها بقيت ولا زالت تعبد الله على العقيدة الصحيحة.

(٣) التبشير والاستعمار، ص: ٣٧.

(٤) يقصد سكان القارة الإفريقية،ص:٦٧.

(٥) التبشير والاستعمار، ص: ٣٧.

ثالثاً: إخراج المسلم عن دينه.

بعد خيبة الأمل التي مر بها المنصرون خلال سنواتٍ عديدةٍ من إدخال المسلم في النصرانية، انتقلوا إلى أهدافٍ أكثر واقعية، وهو الاكتفاء بخروج المسلم من دينه بحيث يصبح مخلوقاً لا صلة له بالله تعالى.

ولذلك صرح زعيمهم المنصر الأمريكي صمويل زويمر في خطاب شهير بذلك الهدف، حيث قال: «إني أقركم على أن الذين أُدخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة: إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام، وإما رجل مستخف بالأديان لا يبغى غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش، وإما آخر يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية، ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد الإسلامية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذه هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الإستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام إنكم أعددتم نشئاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي فقد جاء النشءُ الإسلامي طبقا لما أراده له الإستعمار لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وان تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات»(١).

أهم المجالات التنصيرية.

يصعب في هذا الموضع حصر الوسائل التي استخدمها البروتستانت _ وسائر

---

(١) نقلاً عن البروتستانتية، وأثرها على العالم الإسلامي ، د. مريم الحربي، ص: (٥/ ٧٤٥ – ٥٤٦).

الطوائف النصرانية _ في تحقيق أهدافهم، ولذلك سأتحدث عن المجالات الأساسية التي نفذوا منها إلى العالم الإسلامي، وقد استغلوا هذه المجالات لكونها تمثل احتياجاً أساسيا في كثير من البلاد الإسلامية، وهي كما يأتي:

١ _ المجال التعليمي:

الحاجة إلى العلم والمعرفة من أشد الإحتياجات الإنسانية، ومن أهم معوقات الرقي والتقدم الحضاري، وقد أدرك المنصرون هذه الحقيقة الهامة، وإضافةً إلى ذلك فقد كانت أغلب البلاد الإسلامية تعيش حالة من الجهل، وضعفاً في مستوى التعليم العام فضلاً عن التعليم العالي، ومن هنا استغل المبشرون هذه النقطة، وجعلوها منطلقاً للتنصير، الذي غلفوه بغلاف العلم والتعليم، فظهروا أمام المسلمين وكأنهم يحلون مشكلة من أكبر المشاكل التي يعيشونها، وهي مشكلة التعليم ومن هنا بدأ انتشار المؤسسات التعليمية المختلفة، التي تسعى لهدف غير معلن وهو التنصير.

قال نفر من المنصِّرين: « إن أهداف المدارس والكليات التي تشرف عليها الإرساليات في جميع البلاد كانت دائماً متشابهة. إن المدارس والكليات كانت في الدرجة الأولى تعتبر واسطة لتمرير قسس الكنيسة... حتى الموضوعات العلمانية التي تعلم من كتب غربية، وعلى يد مدرسين غربيين ، تحمل معها الآراء النصرانية، وعلى هذا الأساس كتب المبشر هنري هرميس إلى المحترم د. سنورات دودج في عام ١٨٧٠ م: «نبتهل إلى الله في سبيل تعميد نفوس أولئك الشبان الذين يترددون على الكليات»(١).

وعلى هذا الأساس كان انتشار جميع المؤسسات التعليمية، من مدارس، ومعاهد، وكليات، ومراكز علمية، حيث الغاية هي قيادة الناس إلى المسيحية -كما

---

(١) التبشير والاستعمار، ص: ٦٦.

يقولون - ومن الأمثلة على ذلك الجامعة الأمريكية في بيروت[1]، حيث لا يختار لها من الأساتذة إلا من كان من المنصرين، وكانوا يضيفون لها مناهج دراسية تشوه الإسلام وتاريخه وشخصياته بالباطل والبهتان[2].

ويعترف بذلك المستر نبروز الذي استلم رئاسة الجامعة الأمريكية ببيروت عام ١٩٤٨م، فيقول: «لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة، استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان، ومن أجل ذلك تقرر أن يختار رئيس الكلية البروتستانتية الإنجيلية، التي أصبحت الجامعة الأمريكيةاليوم من مبشري الإرسالية السورية، وهذه الجامعة ولا تزال مؤسسةً تبشيرية، بل إن التبشير كان المبرر الوحيد لتأسيسها؛ لأن الغاية القصوى للكلية أن تحتضن التبشير المسيحي، وتبذر بذور الحقيقة الإنجيلية»[3].

ثانياً: المجال الطبي:

كما استغل المنصرون حالة الجهل في الكثير من البلدان الإسلامية لصالح التنصير، استغلوا أيضاً حالة المرض، وهي حالةٌ يكون فيها المريض في موقف ضعفٍ، ويتعلق بطبيبه - ولاسيما مع الجهل - تعلق الغريق بالقشة التي تحمله على الأمواج المتلاطمة.

وعلى هذا الأساس استغل المنصرون مهنة الطب أسوأ استغلال، وحولوها إلى وسيلةٍ من أكبر الوسائل لنحقيق التنصير، فأنشأوا المستشفيات والمستوصفات والمراكز الطبية لتحقيق هذه الغاية.

---

(١) الجامعة الأمريكية: تأسست عام ١٨٦٥، وكانت تسمى الكلية السورية الإنجيلية، ثم تحول المسمى إلى الجامعة الأمريكية. انظر التبشير والاستعمار، ص: ٩٥ .

(٢) انظر التبشيروالاستشراق أحقاد وحملات، المستشار محمد عزت الطهطاوي، ص: ١١ .

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص: ١٤.

وعلى ذلك تواصت مؤتمراتهم التنصيرية، كما في مؤتمر القدس(١٩٢٤م) ومابعده من المؤتمرات في استانبول، وحلوان بمصر، ولبنان وبغداد ، وذكروا أن التطبيب وسيلة إلى التنصير (التبشير).

يقول الطبيب الأمريكي بول هاريسون في كتابه "التطبيب في بلاد العرب": «إن المبشر يرضى عن إنشاء مستشفى، ولو بلغت منافع ذلك المستشفى عمان بأسرها، لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونسائها نصارى»[١].

ويقول أ. موريسون في مجلة العالم الإسلامي التبشيرية(التنصيرية): «نحن متفقون بلا ريبٍ على أن الغاية الأساسية في أعمال التنصير بين المرضى في المستشفيات أن نأتي بهم إلى المعرفة المنقذة بمعرفة ربنا يسوع المسيح، وأن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية»[٢].

المجال الثالث: الاجتماعي (الإغاثي).

في البيئات الفقيرة تصبح الحاجة إلى العمل الاجتماعي حاجةً ماسةً، واليد التي تعطي ربما تكون مؤثرةً على الأشخاص الذين تعطيهم، والمحتاج والفقير يكون بمثابة الأسير عند من يعطيه أو يحسن إليه.

ومن هذا المعنى فطِنَ المنصرون إلى أهمية العمل الإجتماعي ودوره الكبير في التأثير

على المجتمعات، فشرعوا في بناء المؤسسات الاجتماعية، وبيوت الطلبة من الذكوروالإناث، ودور الأيتام، والنوادي الرياضية والاجتماعية، والترفيهية، وغيرها، كما رفعوا شعاراتٍ اجتماعيةً متعددة، مثل: العطل للمدرسة والعمل، وانصاف العمال، وحتى الرفق بالحيوان.

---

(١) انظر: المصدر السابق ، ص: ٩.

(٢) المصدر السابق والصفحة نفسها.

وكان هذا النشاط الاجتماعي المحموم يحمل لبوساً تنصيرياً، ويستغل حاجة الناس أعظم استغلال، حتى أصبح في بعض البلاد يقدم الطعام أو المال في يد، والانجيل في اليد الأخرى ، ومن رفض اليد التي تعطيه الانجيل يكون قد قرر على نفسه الحرمان من الطعام.

جاء في كتاب مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين: «نحن نعني بالعمل الاجتماعي المسيحي تطبيق مبادىء يسوع المسيح في جميع الصلات الإنسانية، إن المسلمين يدعون أن في الإسلام ما يلبي كل حاجة اجتماعية في البشر، فعلينا أن نقاوم الإسلام دينياً بالأسلحة الروحية، فالنشاط الاجتماعي يجب أن يرافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتمه... فلنبدأ بالصلات اليومية، تلك التي تتصل بالطفل والمرأة ثم نتوسع في تلك الصلات حتى نبلغ إلى المباديء الواسعة التي أقرتها عصبة الأمم»(١).

ويتلخص مما سبق أن المنصرين قد استغلوا حاجات المسلمين الأساسية التي كانت في نفس الوقت أهم المشكلات التي يعانون منها، وهي الأركان الثلاثة: الجهل والمرض والفقر، وجعلت ذلك من أعظم الوسائل إلى تنصيرهم.

أهم آثار التنصير البروتستانتي:

بالرغم من أن التنصير البروتستانتي قد واجه مقاومةً شديدةً في البلاد الإسلامية لكونه يمس جوهر عقيدتهم، الإ أنه قد استطاع أن يحقق بعض المكاسب وإن لم تكن بالصورة والمستوى الذي كان يطمح اليه، ومن تلك المكاسب في نظري ما يلي:

١- تنصر أعداد من المسلمين في بعض البلاد الإسلامية:

تشهد الدراسات والأرقام تنصير أعدادٍ من المسلمين في بعض البلاد

---

(١) التبشير والاستعمار، ص: ١٩١.

الإسلامية، وإن كانت أغلب هذه الحالات لم يكن تنصيرها عن قناعةٍ كاملةٍ لكن يبقى للتنصير دوره وأثره في ذلك.

٢- زيادة المؤسسات التنصيرية في العالم الإسلامي واستمرار أعمالها:

لاتزال المؤسسات التنصيرية وخاصة التعليمية والطبية والاجتماعية في ازدياد في أرض المسلمين، ولا يزال المنصرون يمارسون أعمالهم تحت شعارات متعددة وهذا يعني بقاء أثرهم على المسلمين.

٣- استمرار حملات التشويه والتخويف من الإسلام:

تشهد الأنشطة التنصيرية عموماً والبروتستانتية خصوصاً عبر آلتها الإعلامية الهائلة تصعيداً كبيراً في حملات التشويه والتخويف من الإسلام وأهله تحت شعاراتٍ مختلفةٍ من الارهاب والتطرف والعنف، وغير ذلك.

٤- خدمة الاستعمار:

قدَّم المنصرون خدمةً جليلة للدول الاستعمارية وهي دول نصرانية تتمثل في التمهيد للاستعمار وتقديم الدعم - ولاسيما المعلوماتي - له ثم التمكين وإعطاء الغطاء الشرعي له وحتى بعد رحيل الاستعمار المادي بقي أثره المعنوي إلى اليوم، وكل ما حدث هو أنه ذهب المستعمر الذي يُرى أنه عدو ظاهر وبقيت حالة الاستعمار كما هي، من خلال المستعمر بالوكالة، وهو العدو الخفي.

ولذلك «كان رجال السياسة هناك على صلةٍ وثيقةٍ بأساتذة تلك الكليات، وإلى آرائهم يرجعون قبل البت في المسائل السياسية المتعلقة بالأمم العربية والإسلامية، بل إن بعض أولئك الأساتذة كان يستغل صداقته بالبارزين من رجال تلك الدول فيتخذ منهم ستاراً يقوم من ورائه بأعمال التجسس في الحرب»[1]

---

(١) التبشير والإستشراق، ص: ٤٢.

الفصل الثاني

موقف البابوية من الإسلام دراسةً وتحليلاً

وفيه مبحثان : -

- المبحث الأول: مصادر الصورة التي رسمتها النصرانية عن الإسلام.
- المبحث الثاني: أسباب موقف النصارى من الإسلام.

* * * ** * * *

المبحث الأول:
مصادر الصورة التي رسمتها النصرانية عن الإسلام

بعد ظهور الإسلام واحتكاكه بالنصرانية بدأت هناك صورةٌ تتشكل تدريجياً عن الإسلام، وعن النبي ﷺ، وبعد اكتمال هذه الصورة الرئيسية واستقرارها، أصبحت مادة تناولها مفكرو ورجال اللاهوت النصارى على اختلاف طوائفهم، وما زالت أصداء هذه الصورة حاضرة في عقول المفكرين ورجال الكنيسة الغربية الكاثوليكية والبروتستانتية، والشرقية الأرثوذكسية.

وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، ولكن يهمنا في هذه الدراسة بيان أهم المصادر التي شكلت هذه الصورة التي بقيت تتردد إلى عصرنا الحاضر.

المطلب الأول: العهد القديم والجديد

كانت صورة الاسلام وصورة النبي ﷺ منذ ظهوره ناصعةً واضحة، وكان أمام النصارى سواء كانوا البيزنطيين الأرثوذكس في الشرق، أو اللاتين الكاثوليك في الغرب فرصة التعرف على هذه الصورة، كما هي على الحقيقة من خلال التعرف المباشر على الإسلام الذي أشرق نوره على الأرض التي يعيش فيها النصارى، أو على أطراف تلك الأرض، أو التواصل المباشر مع المسلمين الذين فتحوا أجزاءاً واسعةً من الممالك التي كانت خاضعة للنصارى سواءاً كان ذلك في الشرق أو الغرب، أو حتى في البحث في المصادر الأساسية للإسلام المتمثلة في الكتاب والسنة، أو حتى كتب المسلمين التي كانت متاحةً في ذلك الوقت.

ولكن رجال اللاهوت أعرضوا عن كل ذلك، وبدأوا البحث عن مصادر أخرى تعطيهم صورة للإسلام، أو تفسر لهم تلك الظاهرة، وكان من أهم المصادر التي كونوا منها صورتهم عن الإسلام الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ومن النصوص التي استندوا إليها في تكوين تلك الصورة ما يأتي:

النصوص التي تدل على قرب آخر الزمان:

جاء في نصوص العهدين القديم والجديد أخبارٌ كثيرةٌ عن قرب نهاية الزمان، ومن ذلك ظهور الدجال الذي يعتبر العلامة الرئيسية على قرب اليوم الآخر، وكان الحس الأوربي النصراني في ذلك الوقت مشبَّعاً بترقب يوم القيامة.

ومن هنا قام شرّاح الكتاب المقدس ورجال اللاهوت بإسقاط هذه النصوص على نبي الإسلام ﷺ، واعتباره هو المسيح الدجال، وأصبحت هذه الشبهة هي السائدة في تلك العصور اعتباراً من القرن التاسع الميلادي(١).

---

(١) انظر: صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى، ص: ١٣.

ووجد رجال اللاهوت أن انتصارات المسلمين الواسعة والمتسارعة دليلٌ على صحة هذا التصور، ومع أن هذا التصور القائم على اعتبار أن ظهور النبي ﷺ هو دليلٌ على قرب يوم القيامة قد سقط تاريخياً، حيث توفي النبي ﷺ ولم تقم القيامة على رؤية النصارى إلا أنه بقي سائداً في تلك العصور بدليل أن لوثر لم يزل يردد هذه الشبهة وهو الذي عاش في القرن السادس عشر، وقرأ القرآن الكريم، والتطور الوحيد الذي طرأ عليه هو اعتبار النبي ﷺ والإسلام حقبةً تاريخيةً نهايتها النفخ في الصور دون تحديد وقتٍ لذلك[1].

النصوص تتحدث عن نسب النبي ﷺ:

عندما أصبح الإسلام يمثِّل قوةً كبرى على الأرض، ورقماً صعباً في ميزان القوى، ورأى فيه الشرق والغرب خطراً يهدد كيانهم، وحتى ديانتهم هرع رجال اللاهوت إلى كتب العهد القديم والجديد، الذي كان أهم مصادر صياغة أفكارهم والأداة الفعالة في مطلع القرون الوسطى ليحددوا تفسيراً لظاهرة الإسلام، ومعرفة أصل المسلمين، فبحثوا فيما يسمَّى بالكتاب المقدس عن أصول المسلمين، الذين أطلق عليهم في تلك العصور "السرازيين"، حتى توصلوا إلى صورة أصبحت هي السائدة في تلك العصور[2].

وكان من أشهر هذه المحاولات التفسيرية ما قام به العالم "بدا" العالم بنصوص الكتاب المقدس في مطلع القرون الوسطى، حيث توصل إلى أن المسلمين (السرازانيين) هم ذرية هاجر زوج ابراهيم عليه السلام المصرية وأم إسماعيل، الذي جاء وصفه في العهد القديم بأنه كان بدوياً، شرساً، رافعاً يده على الجميع. وعلى ذلك فالسرازانيين (المسلمين) الذين هم أحفاده لم يكونوا يتخلفون عنه، وعلى ضوء هذا

---

(١) انظر: صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى، ص: ١٣.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص:(٥١ – ٥٢).

التفسير يمكن فهم أخلاق وسلوك المسلمين.

ونسبة المسلمين إلى إسماعيل بن إبراهيم لم تكن تخلو من التحقير لشأن المسلمين والتنقص من قدرهم، كما يدل على ذلك سياق قصة هاجر أم إسماعيل في العهد القديم حيث جاء وصفها في سفر التكوين بأنها كانت مولاة لسارة(ويطلق عليها ساراي في العهد القديم) التي أذلتها بعد أن حبلت بإسماعيل، وطردتها من عندها، حتى هربت إلى البرية[1].

وقد اكتسب تفسير بدا أهميةً كبرى في العصور الوسطى؛ لكونه أول من أدخل المسلمين في تفسير العهد القديم ، وكل من جاء بعده تبعه على ذلك ، ولأن هذه الصورة التي رسمها ظلت هي السائدة لمدة طويلة دون إضافات تذكر[2].

نصوص النبؤات:

إذا كان الكتاب المقدس هو مركز الفكر النصراني الذي تعلق به رجال اللاهوت، فإن أسفار النبؤات تمثل الأهمية الكبرى من أسفار هذا الكتاب، حيث يلاحظ تعلق رجال اللاهوت ولجوئهم إليها لتفسير الكثير من الأحداث الماضية، والحاضرة، وحتى أمور المستقبل، وإذا كان الأمر كذلك، فلا غرابة أن تخضع الكنيسة الإسلام، ونبيه ﷺ لهذه الأداة الفكرية لكي تخرج منها الصورة المنسجمة مع تعليم هذه الأسفار، ونذكر هنا مثالين لتوظيف رجال اللاهوت لهذه النبوءات في تفسير الإسلام.

المثال الأول:

تفسير الوحش الرابع الوارد في سفر دانيال بأنه الإسلام ودولته ، وأنه بفناء الحيوان الرابع تكون نهاية الأشياء ، وينتهي العالم ، وقد جاء وصف هذا الوحش في

---

(١) التكوين: (١٦ / ١-٦).

(٢) انظر: صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى ، ص: (٥٣ – ٥٤).

سفر دانيال ، كما يلي: «بحيوانٍ رابعٍ هائلٍ وقويٍ وشديدٍ جداً، وله أسنانٌ من حديدٍ كبيرة، أكل وسحق وداس الباقي برجليه، وكان مخالفاً لكل الحيوانات الذين قبله، وله عشرة قرون... أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعةٌ على الأرض مخالفةً لسائر الممالك، فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها، والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدهم آخر، وهو مخالفٌ الأولين، ويذل ثلاثة ملوك، ويتكلم بكلام ضد العلي ويُبلى قديسي العلي، ويظن أنه يغير الأوقات والسنة ويسلمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان فيجلس الدين وينزعون عنه سلطانه ليفنوا ويبدوا إلى المنتهى»(١).

وكان يمكن أن تؤول هذه الرؤيا تأويلاً إيجابياً لصالح الإسلام ، وتعد من ضمن البشارات بنبوة محمد ﷺ، ودليلاً على صدقه وموجباً لاتباعه، ولكن اللاهوتيين تحكموا في هذه الرؤيا بحيث تدل على المعنى الذي يريدون، ولذلك زعموا بأن محمد ﷺ لم يمت في عام ٦٣٢م، كما هو ثابتٌ ومعلوم، وإنما في عام ٦٦٦م، حتى ينطبق هذا الرقم على ما جاء في الرؤيا.

وقد تحدث الدكتور محمد علي الفرا عن تلاعب رجال اللاهوت بهذه النبوءة بقوله: «وقد حرفوا كذلك اسم هذا الوحش، واطلقوا عليه "ماهاوندMahound "، حتى يصبح محمد ﷺ في نظرهم تجسيداً للشيطان. إن اسم"ماهمت Mahmet " بالإنجليزية و " ماهون Mahon " بالفرنسية ، و " ما تشميت Machmet " بالألمانية ، كانت جميعها مرادفة لكلمة عفريت وشيطان وصنم، ابتكرها كتاب مسيحيون صيغت حولها قصص أسطورية ورومانسية في أوربا إبان القرن الثاني عشر وفي هذه الكتابات لم يظهروا فيها محمداً نبياً، وإنما صوروه على أنه صنمٌ ووثنٌ عبده العرب»(٢).

---

(١) دانيال:(٧/ ٧-٢٦) باختصار.

(٢) الإسلام والغرب مواجهة أم حوار، ص:٥٠.

المثال الثاني: تنزيل نصوص الأنبياء الكذبة على النبي ﷺ:

جاء في نصوص العهد الجديد التحذير من أنبياء يأتون في آخر الزمان، وأطلق عليهم الأنبياء الكذبة، ووردت عدة صفاتٍ لهم، ومن هذه النصوص: «واحترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحُملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة من ثمارهم تعرفونهم، هل يجتنون من الشوك عنباً؟ أو من الحسك تيناً؟ هكذا كل شجرةٍ جيدةٍ تصنع أثماراً جيدةً وأما الشجرة الردية فتصنع أثماراً ردية، لا تقدر شجرةٌ جيدةٌ أن تصنع أثماراً ردية، ولا شجرةٌ رديةٌ أن تصنع أثماراً جيدة، كل شجرةٍ لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار، فإذاً من ثمارهم تعرفونهم، ليس كل من يقول لي: يارب، يارب! يدخل ملكوت السماوات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات، كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يارب، يارب! أليس باسمك تنبَّأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرّح لهم: إني لم أعرفكم قط! اذهبوا عني يافاعلي الإثم»(١).

وقد استغل اللاهوتيون هذا النص، وأنزلوه على محمد ﷺ، فجعلوه أحد هؤلاء الكذبة الذين يأتون آخر الزمان، والذين حذر منهم عيسى عليه السلام.

ونلاحظ هنا أنه لا يوجد أيُ طابعٍ علميٍّ لمثل هذا الافتراء العظيم، ولا حتى مقارنةً علميةً بين ما ورد من صفات الأنبياء الكذبة ، وبين صفات محمد ﷺ .

وهذه الملاحظة تسري على كل ادعاءات رجال اللاهوت في تنزيلهم مثل هذه النصوص – على فرض صحتها – على دين الإسلام ، أو على رسوله ﷺ، وهذا يعفينا من مناقشتها علمياً، ولكن لابد من الإشارة إلى أن هذه الطريقة التي يسير عليها رجال الكنيسة في رسم مثل هذه الصورة المشوهه تقوم على أساسين مهمين:

الأول: انصرافهم عن الرجوع إلى المصادر الصحيحة للوصول إلى المعرفة

---

(١) متى: (٧/ ١٥ – ٢٤).

الحقيقية بالإسلام وبالنبي ﷺ من خلال التعرف إلى واقع المسلمين المطبق في أجزاء من أوربا نفسها وقد ساكن بعض النصارى المسلمين وتعاملوا معهم، وبعضهم جاورهم، ومع ذلك فلم يكلف هؤلاء أنفسهم ليكونوا وسطاء أمناء وصادقين في نقل الصورة الصحيحة عن الإسلام، وفي المقابل لم يبذل رجال اللاهوت الذين رسموا هذه الصورة الجهد المطلوب في تحري الحقيقة ومعرفتها من خلال هؤلاء الوسطاء.

وأيضاً: كان أمام هؤلاء اللاهوتيين طريقة أخرى للمعرفة الصحيحة بالإسلام، وهي معرفته عن طريق مصادره المعتبرة عند المسلمين من الكتاب والسنة وكتابات المسلمين، وقد فوّت هؤلاء اللاهوتيين تلك الفرصة أيضاً.

الأساس الثاني: الارتداد الانتقائي إلى كتب العهد القديم.

لم تكن كتب العهد القديم والجديد على الصورة الصحيحة التي جاء بها النبيان الكريمان موسى وعيسى عليهما السلام، بل دخلهما أصنافٌ من التحريف والتغيير، ومع ذلك فقد كان فيها ما يكفي اللاهوتيين لو كانت نظرتهم موضوعية ومتجردة ومقصدهم صحيح في الرغبة إلى الوصول إلى الحق، ومن أعظم ذلك البشارات العظيمة بالنبي ﷺ، وهي بشاراتٌ متظافرةٌ، ومبينةٌ، ومفصلةٌ في بعض الأحيان لدين الإسلام، أو أوصاف النبي ﷺ وأخباره ومكان هجرته، وحتى أخبار أصحابه، إلى غير ذلك، ولكن النصارى عند رجوعهم إلى تلك الأسفار أغفلوا مثل هذه البشارات التي بعضها كالشمس دلالة وبرهانا، وخير شاهد على ذلك موقف هرقل وحواره لأبي سفيان وتصريحه بأن أوصاف النبي ﷺ المفصلة موجودةٌ في كتبهم.

ومما يلفت النظر في رسالة عيسى عليه السلام أن التبشير بالنبي ﷺ هو أحد الأغراض الرئيسية من بعثة عيسى عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف:٦].

ولكن رجال اللاهوت لم يبحثوا عما هو موجودٌ في كتبهم، وإنما بحثوا عما

يريدون هم وانتقوا ما يناسبهم، وأعرضوا عن مثل هذه الحقائق فصرفوا عن الوصول إلى الحق، ووقعوا في الضلال.

وقد أشار إلى هذا الملحظ المنهجي المؤرخ اليكسي جوار افيسكي، بقوله: «ولكن كانت المعلومات المقدمة تنتزع في معظم الحالات من سياقها الأصلي، ثم تقدم إلى القاريء الأوربي، وبهذا الشكل شوهت الوقائع بصورةٍ متعمدةٍ واعيةٍ أحياناً، أو بشكل غير واعٍ في أحيان أخرى»[1].

وفي نهاية هذا التعقيب نقول: إن هذه الطريقة التي عمد إليها رجال اللاهوت وإغفالهم لهذه البشارات الناصعة بذكر النبي ﷺ لا يمكن أن يكون عملاً عفوياً، بل إنه كان عملاً مقصوداً، تقف وراءه مجموعة من الأسباب، وهو ما سنتحدث عنه في موضعه في هذا البحث ان شاء الله.

---

(١) الإسلام والمسيحية، ص: ٦٧.

المطلب الثاني: الصورة الدينية السائدة في المجتمع النصراني أو خارجه

كما فسر بعض اللاهوتيين الإسلام تفسيراً لاهوتياً، من خلال الرجوع إلى كتب العهد القديم والجديد، برسم صورةٍ له تكون مقبولةً عندهم، ومقنعةً لأتباعهم، فقد ذهب آخرون ضمن سعيهم الحثيث لتفسير تلك الظاهرة[1] الخطرة على إيمانهم وكيانهم إلى البحث عن تفسيرٍ آخر خارج دائرة كتبهم، وبحثوا عن أشد الخصوم المخالفين لهم لوضع الإسلام في خانة أحد هؤلاء الخصوم، ولمحت لهم صورتان رأوا أنها أقرب الصور التي يمكن حمل الإسلام على إحداهما:

الصورة الأولى: صورة الهرطقات والفرق المنشقة عن الكنيسة، وكان تيار الهرطقة، والاختلاف، ثم الإنفصال عن الكنيسة (أياً كانت هذه الكنيسة) هو التيار السائد في الكنيسة النصرانية عامة منذ نهاية عهود الإضطهاد وحدوث الاستقرار السياسي إلى يومنا الحاضر، ولذلك كانت هذه الصورة السائدة والمنتشرة في الوسط الكنسي الشرقي أو الغربي مصدراً استند إليه بعض رجال اللاهوت، ومن هذا الباب ظهر القول بأن الإسلام بدعةٌ نصرانية، وأن النبي ﷺأحد الكاردينالات أو البطارقة الذين انشقوا عن الكنيسة مع فرق واحد، هو اعتبار الإسلام أشد الهرطقات وأخطرها على الكنيسة على وجه العموم.

الصورة الثانية: صورة الوثنيات الكثيرة التي عاصرت الكنيسة واحتكت بها احتكاكاً معنوياً وحسياً، ومن هنا جاءت فكرة أن الإسلام ديانةٌ وثنية، وأن محمداً ﷺ هو أحد المعبودات الوثنية الكثيرة التي وجدت في ذلك الوقت.

---

(١) الإسلام ليس ظاهرة، ولكنه وحي أنزل من عند الله، ولكن الحديث من خلال رؤيتهم.

وبالرغم من بعد هذه الصور عن الواقعية ومنافاتها لمنطق العقل، وشهادة التاريخ، وكذلك شهادة المنصفين من النصارى إلا أنها استطاعت أن تعشعش في عقول النصارى لفترة طويلة.



المطلب الثالث:
ما تناقله النصارى الذين احتكوا بالمسلمين

منذ ظهور الإسلام كان هناك لقاءاتٌ بينه وبين النصرانية، ومن هذه اللقاءات ما اتصف بصفة الدوام، كما هو الحال في المناطق التي خضعت لحكم الإسلام في أرض الشام، أو مصر، أو الأندلس، وفي هذه الحالة كان النصارى يعيشون مع المسلمين ويشتركون في بعض الأمور التي تتعلق بالحياة اليومية.

ومن هذه اللقاءات ما كان عابراً، ومنه احتكاك المسلمين بالنصارى في الفتوحات الإسلامية، أو في الحروب الصليبية، أو اللقاءات الفردية للتجار، أو الرحالة، أو المكتشفين أو الحجاج، أو غيرهم.

وفي كل هذه اللقاءات كان النصارى يكوِّنون صورةً عن الإسلام وعن نبي الإسلام ﷺ، ولكن أغلب التصورات التي حملها النصارى عن الإسلام كانت تصورات سلبية، ومشوهة، أو مغلوطة عن الإسلام، والذي كتب أو نشر هذه التصورات هم في الغالب رجال الدين الذين اعتمدوا الحكايات الشعبية ، وقصص الأبطال والحجاج ومن يسمى بالقديسين، والمؤلفات الجدلية الدفاعية عن النصرانية في تغذية هذه التصورات(١).

ومن أهم المناطق التي اتصفت باللقاء الدائم بين المسلمين والنصارى أرض الشام وأسبانيا، حيث خضعتا لحكم الإسلام لفترة طويلة، ولا غرابة حينئذٍ أن تكون هاتان المنطقتان من أكثر المناطق التي ظهرت وانتقلت منها تلك الصور السيئة عن الإسلام أو نبيه ﷺ.

أما في الشام فقد ظهر فيها يوحنا الدمشقي(ت/ ٧٥٠م) الذي ينسب إليه وضع

---

(١) انظر: الإسلام والمسيحية ، ص: ٦٧.

أول الدراسات النصرانية عن الإسلام، وقد اشتغل في بلاط الدولة الأموية وعمل في قصر الخليفة، بعد جده ثم والده، وعرف اللغة العربية، واطلع على القرآن وبعض الأحاديث النبوية، ثم كتب مجادلاته عن الإسلام، التي ركز فيها على اعتبار أن الإسلام بدعة من سائر البدع، وقلل من قيمة تعاليم الإسلام؛ لكونها تتعارض مع العقائد الأساسية للنصرانية، وهذا السبب جعله أيضا يقلل من قيمة اليقينيات الإسلامية المتعلقة بالقرآن وبالنبي ﷺ [(١)].

والمقصود هنا أن يوحنا الدمشقي أول من رسم الصورة السيئة عن الإسلام، والقرآن والنبي ﷺ، وهذه الصورة انتقلت إلى أوربا في العصور الوسطى، ثم انتشرت، وتداولها، علماء ومؤرخو الكتاب المقدس، ومنهم "بيدا المبجل" (٦٧٣ – ٧٣٥م) المؤرخ والعالم البريطاني الذي كان معاصراً ليوحنا، وقد كتب كتاباتٍ سلبيةً عن النبي ﷺ، وعن نسبه، وأتباعه الذين أطلق عليهم"السراسنة"، ووصف النبي ﷺ بأنه رجل من الصحراء، يشبه جده إسماعيل الذي كانت يده ضد كل إنسان، ووصف السراسنة(المسلمين) بالوقاحة والبربرية وحب الحرب، وأن محمداً ﷺكان أمياً ، ووضعه الإجتماعي كان وضيعاً، وكان جاهلاً بالعقيدة المسيحية، ومتعطشاً للسلطة، مما ساعده ليكون حاكماً ادعى النبوة[(٢)].

أما المنطقة الثانية التي شهدت لقاءاً دائماً مع المسلمين فهي إسبانيا المسلمة التي عاش فيها المسلمون قرابة الثمانية قرون، وشهدت إزدهار العلوم والآداب الإسلامية، ولقي فيها النصارى المعاملة الحسنة، ولكنها مع ذلك وجهت أنشطتها ضد الإسلام، ونشرت صورة مغلوطة عنه، ولا سيما من خلال حركة الإسترداد والتي بدأت منذ القرن التاسع الميلادي على يد أسقف طليطلة "يولو غيوس"، الذي قال بأن المسلمين

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص: ٦٨-٦٩.

(٢) انظر: الإسلام والغرب، ص: ٥٤ – ٥٥.

هم الوحش الوارد ذكره في رؤيا يوحنا[1].

وإذا كانت هذه المناطق هي أكثر المناطق التي تركزت فيها صناعة الصورة السيئة عن الإسلام فلا غرابة أن تتفوه ألسنة الرحالة الذين زاروا أو قرأوا عن هذه البلاد بنفس النفس السائد فيها.

فهذا أحد الرهبان الدومنيكان (معاصر للشاعر الإيطالي دانتي) يزور بغداد ويخرج على الأوربيين بالحكاية الخرافية التالية: «بما أنه لم تكن للشيطان قدرات ذاتية كافية لوقف انتشار المسيحية في الشرق، اخترع (كتاباً)، يمثل حلقة وسطى بين العهدين القديم والجديد ، واستخدم لأجل هذه الغاية الشريرة (وسيطاً) من طبيعة الشيطان ذاته، أما الكتاب فهو القرآن، بينما الوسيط هو محمد، الذي يجسد دور المسيح الدجال»[2].

وأيضا ذكر السيد جون ماندفيل(ت١٣٧٢م) مؤلِّف أشهر كتابٍ عن أدب رحلات العصور الوسطى وأكثرها شعبية "رحلات ماندفيل" بأن محمد ﷺ: «كان يتردد باستمرار على صومعة الراهب (بحيرا)، وحينما اكتفى بإشباع فضوله عن المسيحية، وأظهر مقدرته على كتابة القرآن قام رجاله بذبح بحيرا بسيف محمدٍ الذي كان آنذاك نائماً من تأثير شرب الخمر، وحينما أفاق من نومه، واسترد وعيه، أخبروه بأنه هو الذي ارتكب الجريمة، ولذلك – وكما زعم ماندفيل – فقد حرَّم محمد شرب الخمر وأصبحت بعد ذلك محرمة في الإسلام بسبب نتائجها السيئة»[3].

وكما أسهم الرحالة في نشر الصورة السيئة عن الإسلام فعل الحجاج الأوربيون

---

(١) المصدر السابق ، ص: ٦٢ -٦٣.

(٢) الإسلام والمسيحية. ص: ٧٢.

(٣) الإسلام والغرب. ص ٦١.

كذلك؛ لأنهم كانوا مشحونين ضد الكفار(المسلمين)، الذين احتلوا قبر المسيح في نظرهم ودفنوه، وأساءوا معاملة إخوانهم النصارى في الشرق.

وقد كانت المراكز الرئيسية للحج ثلاثة مراكز: الأول إسبانيا، حيث مكان القديس جيمس (يعقوب) من كومبوا ستيلا، والثاني روما حيث قبر(القديسين) بطرس وبولس، والثالث الأماكن المقدسة في فلسطين(أورشليم)، التي اعتبرت عند النصارى أجمل المدن المقدسة جميعاً.



المبحث الثاني

أسباب موقف النصارى من الإسلام

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : الجهل .

المطلب الثاني : الحسد والحقد على الإسلام .

المطلب الثالث : التعصب .

المطلب الرابع: الحرص على الدنيا.

* * * * * *

المطلب الأول: الجهل

بين الجهل والعداء للمجهول ارتباطٌ وثيق، فالإنسان يعادي ما يجهل، فإذا تمكن من معرفته زال هذا العداء في الغالب.

وهذا ما ينطبق على علاقة النصرانية بالإسلام، فقد كان الجهل السمة البارزة في هذه العلاقة، لا سيما في بداياتها، وقد كان هذا الجهل شاملاً لمضمون الإسلام، ولمصادره، وتبعاً لذلك لنبي الإسلام، وأيضاً شمل وسيلة الفهم، وهي اللغة العربية التي لم تكن معروفة تماماً في العالم الغربي، وهذا ما تؤكده كتابات المؤرخين الدارسين لهذه الفترة.

فقد سمى المؤرخ ريتشارد سوذرن في دراسته عن صورة الإسلام في أوروبا، الفترة التاريخية الواقعة بين القرنين الثامن والثاني عشر الميلادي بـ "حقبة الجهل"، ثم قسم هذا الجهل إلى مرحلتين:

الأولى: مرحلة الجهل الناجم عن ضيق الأفق بالمعنيين الفكري والجغرافي ويحتل القرون الأربعة الأولى(بين عامي ٧٠٠ م و١٠٠٠ م).

وهذه المرحلة سادتها مواقف مصدرها تفسيرات العهد القديم والجديد، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الجهل الناجم عن مخيلة بشعة ، وتحتل عقود السنين الواقعة بين(١٠٠٠ و١٤٠٠م)، وهذه المرحلة سادتها أوهام وأحلام المخيلة الخلاقة[(١)]، ثم شبه سوذرن حال المفكرين الغربيين في معرفتهم بالإسلام، كحال السجين الذي يسمع ضجيجاً وأصواتاً عالية خارج الأسوار، ويحاول بفكرته السابقة عن المصادر الممكنة للضجيج والأصوات أن يصيغها بالشكل المناسب، ولذلك ففي هذه الفترة كان المؤلفون الغربيون لا يعرفون شيئاً عن الإسلام بوصفه ديناً غير المسيحية، ولذلك

---

(١) صورة الاسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ص: ٥٠-٥١ .

عادَوه ووضعوه في قائمة الأعداء الطويلة الذين يتهددون المسيحية من كل ناحية، ولم يكن عندهم استعدادٌ للتمييز بين وثنية الأوربيين الشماليين وتوحيد الإسلام، ولم يكن الإسلام عندهم شيئاً يختلف عن المانوية[١] التي واجهتها النصرانية قديماً، وليس هناك مايدل على أن واحداً ما بشمال أوربا سمع باسم النبي محمد ﷺ[٢].

وأما الباحثة كارين أرمسترونق فقد اعتبرت أن اهتمام أوربا بالنبي ﷺ إلى ماقبل عام ١١٠٠م يكاد أن يكون في حكم المعدوم، ولكن الجميع أصبحوا يعرفونه في عام ١١٢٠م (عندما ظهرت أول ترجمة للقرآن الكريم على يد بطرس المبجل)[٣].

ويؤكد أيضاً المؤرخ الروسي جوارفسكي أن الجزء الأكبر من التراث الإسلامي ظل مجهولاً للأوربيين في هذه الفترة، مثل أحاديث الرسول، والسنن النبوية، وعدد كبير من المؤلفات الإسلامية في الشريعة والأحكام، وكذلك في الميدان التاريخي[٤].

ويؤكد الدكتور قاسم عبده قاسم أن الأسئلة المضنية والمربكة التي كانت تمسك بتلابيب العقل الأوروبي، وتشكل معضلة تاريخية مستعصية على الحل كانت تدور حول سر وجود الإسلام، وما هو دوره الإلهي في التاريخ الانساني، هل كان من علامات نهاية العالم، أم كان مرحلة في تطور الديانة المسيحية؟ هل كان هرطقة، أم انشقاقاً، أم ديانةً جديدة؟ هل هو دين من عمل الإنسان، أم من وسوسة الشيطان، أم

---

(١) المانوية: عقيدة ابتدعها ماني (٢١٦-٢٧٦م)، وازدهرت وانتشرت حتى القرن العاشر الميلادي. وذهب ماني إلى أن العالم شر من الواجب استئصاله، وأن قوى الظلام تحاول اقتحام قوى النور الروحانية، وأن جزيئات من الضوء محبوسة في المادة الشريرة سينقذها المسيح ثم ماني نفسه. انظر: معجم الأفكار والأعلام، ص: ٤٥٦.

(٢) صورة الاسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ص: ٥٠ – ٥١.

(٣) انظر: محمد (صلى الله عليه وسلم)، كارين آرمسترونق، ص: ٣٩.

(٤) الاسلام والمسيحية، ص: ٤٨.

أنه تقليدٌ هزليٌّ قبيحٌ للمسيحية [١].

ولذلك كان الجهل والعداوة أبرز خصائص الموقف الأوروبي من الإسلام في القرون الأولى من تاريخ العلاقات النصرانية الاسلامية، وكانت المشكلة الرئيسية التي تواجه النصارى بشأن الإسلام تتعلق بحقيقة هذا الدين، وماهيته، ورسالته ،ونبيه ، وطبيعة موقف الإسلام من النصرانية وعقائدها [٢].

ويذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي في دراسته عن صورة النبي ﷺ لدى الأوروبيين وخلاصة لذلك يقول: «خلال تتبعي للمفاهيم التي تبناها الأوربيون حول نبي الإسلام محمد انتابني الذهول من جهلهم المطبق وعدوانيتهم الواضحة وأحكامهم المسبقة المتأصلة وتجرؤهم الطاغي ضد خصومهم ، وهذا لا ينطبق فحسب على الشعب الجاهل والساذج ولكنه ينطبق أيضاً على أكبر علمائهم وفلاسفتهم ورجال الدين والمفكرين والمؤرخين، حتى أنه خلال القرون التي شهدت انطلاق الفكر الأوربي من القرن الثاني عشر وحتى القرن السابع عشر لم يكن لدى أي من هؤلاء المفكرين الشجاعة في تحري المعرفة الحقة والموضوعية عن الإسلام ونبيه ، فلا البرت الكبير ولا توماس الأكويني ولا روجر بيكون في القرن الثالث عشر ولا فرنسيس بيكون ولا بكال ولا اسبينوزا في القرن السابع عشر لم يحاول أي من هؤلاء أن يبذل جهداً لفهم الإسلام مع أنهم كانوا يعرفون بشكل أو بآخر الفلاسفة والعلماء العرب ولم يدخروا وسعاً في مهاجمة آرائهم ودينهم» [٣].

وهذا الجهل هو المسؤول عن تكوين الصورة النمطية المشوهة والمغلوطة عن الإسلام لاسيما في الغرب، وبسبب الجهل أيضاً حملت لنا كتابات المؤرخين الأوروبيين ما يبعث على السخرية لجهلهم بحقائق ومضامين رفعة الإسلام.

---

(١) انظر: المسلمون وأوروبا، ص: ٨٨ – ٨٩.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص:٩٠.

(٣) دفاع عن محمد ﷺ، ص: ٥.

ونضرب مثلاً واحداً في بيان جهالاتهم، وهو مازعمه فردريك بلس من: «أن القرآن الكريم لم يفرق بين مريم والدة عيسى عليه السلام وبين مريم ابنة عمران، أخت موسى وهارون ، وأن القرآن خاطب مريم على لسان قومها بعد أن ولدت عيسى ، ولم يكن لها زوج ، بقوله: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[مريم:٢٨] . كيف تكون مريم أخت موسى التي عاشت قبل المسيح بألف وأربعمائة سنة هي أم المسيح، ولكن بلس لم يعرف أن هذا من باب الكناية في علم البلاغة، ومؤداه: مريم التي تشبه (في العفة) ابنة عمران أخت هارون، كما نقول نحن مثلاً: (يا أخا العرب) مدحاً لرجل لا صلة له بالعرب أحياناً »[١].

ونخلص مما سبق إلى ما يلي:

١- أن الجهل كان من أعظم أسباب الموقف العدائي للنصرانية مع الإسلام ، وأنه لم يكن بطبيعةالحال هوالسبب الأوحد.

٢- الجهل في الأتباع أكثر منه في المتبوعين وإن كان جهل المتبوعين غير مبرر بسبب امتلاكهم إمكانية وأدوات الوصول إلى الحق.

٣- الجهل في الكنيسة الغربية أكثر منه مما لدى الشرق بسبب التباعد الجغرافي، والثقافي، واللغوي، وغير ذلك.

٤- أن هذا الجهل تميزت به جميع الفترات ما عدا القرون الثلاثة الأخيرة التي بدأت في الاتجاه نحو الفهم، و التعقل والمعرفة.

---

(١) التبشير والاستعمار ، ص: ٤٠-٤١.

المطلب الثاني: الحسد والحقد على الإسلام

جاء الاسلام بعد ظهور الديانة النصرانية بما يقارب ستة قرون، وكانت النصرانية بجزئيها الشرقي والغربي في ذلك الوقت من أكثر الديانات انتشاراً في الأرض، وكانت القوة التي تدين بهذه الديانة، وهي الإمبراطورية الرومانية ولاسيما في قسمها الشرقي البيزنطي من أكثر القوى السياسية على الأرض في ذلك الوقت.

ولما بدأ الإسلام في الظهور وأصبح له دولة تحميه ظهر كقوة جديدة ومنافسة ومؤثرة في موازين القوى المعاصرة. ومن هنا بدأ الحقد عند النصارى، وهو يقوم على أمور من أهمها:

أولاً: ما يتميز به الاسلام من:-

١- عقيدة توحيدية صافية سهلة وواضحة، وموافقة للعقل والمنطق.

٢- عبادات تزكي النفس وتربط بالخالق مباشرة دون أدنى وساطة كهنوتية.

٣- مباديء خلُقية رفيعة تحقق التآلف والمحبة بين أفراد المجتمع.

٤- معاملة قائمة على أساس الرحمة والعدل مع جميع المخلوقات.

٥- مجتمع مترابط برابط العقيدة والأخوة في الله وقائم على أساس التقوى لا على أساس الطبقية أو العنصرية المقيتة .

وكل هذه الأسس كانت مفقودةً أو ضعيفةً في الديانة النصرانية المحرفة.

ثانياً: ما رأى النصارى أن الإسلام قد سلبهم إياه ،سواءً من حيث الأرض حيث أصبحت الممالك النصرانية تحت سلطة الدولة الإسلامية في مناطق واسعة ، أو من حيث الأتباع، حيث دخل الكثير من الناس في دين الإسلام عن رغبةٍ وقناعةٍ سواءً من النصارى أو غيرهم، فبينما كانت النصرانية قوةً ضاربةً في الأرض، وإذا بالممالك التابعة لها تتساقط المملكة تلو الأخرى ، وإذا بأتباعها يديرون ظهورهم لها

ويستجيبون إلى ذلك الدين الجديد.

ثالثا: وهو من أعظمها موقف الإسلام الصريح والحاسم من المعتقدات النصرانية، حيث حكم على معتقداتهم بالكفر في الألوهية، والتثليث، والصلب، وغيرها، وحكم بأن الدين المقبول والمعتبر عند الله ليس إلا الإسلام.

وهذه الدوافع قد ملأت قلوب النصارى على الإسلام، ونبيه وأهله، فطفحت كتاباتهم بالتحامل على الإسلام، وتشويه صورته بغية تنفير أتباعهم منه، وافتقرت إلى أدنى درجات التجرّد والموضوعية والمنهجية العلمية.



المطلب الثالث: التعصب

الشعب الروماني الجنس النصراني الديانة شعبٌ يتميز ويُعرَف بنظرة استعلائية ظاهرة ويتصف بـ « اعتزاز بالقومية وتعصب لها ، وحبٍّ زائد للوطن ، زد على ذلك الاعتداد بالقوة والاحترام الزائد لها إلى الحد الذي يبلغ العبادة والتقديس»[1].

وهذه النظرة الاستعلائية حجبت عنهم رؤية ماعند غيرهم من التاريخ، أوالحضارة، أو نظم، أو غير ذلك.

ولم يكن العرب استثناءً من هذه الحالة، فقد كانوا في نظرهم بدواً، لايملكون تاريخاً، وليس لهم حضارة، ولا يصح أن يكونوا عندهم أكثر من درجة العبيد الذين وضعوا لخدمتهم.

ولما بدأت مواجهة المسلمين العرب للنصارى في أماكن مختلفة كانت هذه النظرة هي الغالبة عليهم، وفاضت بها كلمات حكامهم وقوادهم، وكانت تعبر عن معاني الازدراء والاحتقار للمسلمين.

وقد بلغت ذروة هذا التعصب ورفض الإسلام في الحروب الصليبية التي كانت تهدف إلى استئصال الاسلام والقضاء عليه قضاءً نهائياً. ثم محاكم التفتيش في إسبانيا التي كانت تهدف أيضاً إلى طرد المسلمين من إسبانيا ، وعدم ترك أي أثرٍ لهم.

وكان لهذا التعصب عدة نتائج مهمة، و منها:-

١- تمسك النصارى بدينهم المحرف ، وعدم قبول أي انتقادٍ يوجه إليه.

٢- رفض ما عند المسلمين واحتقاره وازدراءه والتنقص منه كلما سنحت الفرصة لذلك.

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص: ١٦٢.

٣- فشل جميع المحاولات الداعية إلى الحوار مع المسلمين مع دعوتهم لذلك نظرياً بسبب عدم الاعتراف بنبوة محمد ﷺ.

المطلب الرابع: الحرص على الدنيا

سبقت الإشارة إلى أن أهل الكتاب، ومنهم النصارى يجدون في كتبهم أخبار النبي ﷺ وأوصافه وأوصاف دينه، وأوصاف أتباعه من خلال بشارة نبي الله عيسى عليه السلام به ، وهذا العلم كان منتشرا بين علمائهم، وحتى رؤسائهم، ومن أول الدلائل على ذلك موقف ملوك النصارى الثلاثة الذين أرسل إليهم النبي ﷺ برسائله ، وهم هرقل ملك الروم، والمقوقس ملك القبط، والنجاشي ملك الحبشة، وقد اتفق رأيهم على أنه النبي المنتظر، ولكن اختلفت مواقفهم ، بين إسلام ملك الحبشة، ورفض ملكي الروم والقبط، مع اعترافهم بنبوته، وكان المانع لهما هو الحرص على الدنيا والحفاظ على العرش ، مع أن الإسلام لايزيل العروش عن أصحابها إذا أسلموا، كما حصل للنجاشي، حيث أسلم، وبقي على ملكه حتى توفاه الله تعالى، ورحمه الله رحمة واسعة.

وقد دعا هرقل بطارقته وأهل حاشيته إلى الأمر الذي فيه نجاتهم، وبقاء ملكهم، وهو الإسلام ، فلما رأى موقفهم وغضبهم، عاد إلى رأيهم.

وهذا الذي جرى لهرقل جرى لمن هم دونه في السلطان، كما أعلن ذلك أحد رؤساء النصارى في نجران، وأخبر أنه لولا أيدي النصارى عليه وعطاياهم له لدخل الإسلام.

وهكذا نجد أن الطمع في الدنيا أو شيء من متاعها كان أحد أسباب العداء للدين أورفضه ، وإن كان صاحبه مقتنعاً به قناعةً كاملة.

الخاتمة

الخاتمــة

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده وأشكره على توفيقه ومنِّه علي في إتمام هذا البحث

وقد توصلت في نهايته إلى مجموعة من النتائج والتوصيات المهمة ومنها ما يأتي:

أهم النتائج:

١ - من القواسم المشتركة بين جميع الطوائف النصرانية غلوها العظيم في زعمائها على اختلاف درجاتهم .

٢ - غلو الطوائف في متبوعيها من جهة العقائد التي ارتبطت بأشخاصهم لم يكن بدرجةٍ واحدة.

٣- لم تحافظ أي طائفةٍ على الشعار الذي رفعته وادعت الدفاع عنه.

٤ - الركن الأساس الذي بنت عليه البابوية الكاثوليكية بنيانها هو سلطان بطرس المزعوم.

٥ - توفرت للطائفة الكاثوليكية عدة عواملٍ ساعدت على اتساع سلطانها في الغرب ولم يتحقق ذلك للكنائس الأخرى.

٦- من أهم آثار تسلط الكنيسة الغربية هو قيام الثورات الدينية والفكرية ضدها.

٧- من أهم آثار تسلط الكنيسة الغربية على المجتمع هو قيام الفكر الديني المعادي، وقيام الفكر الإلحادي.

٨- ادعاءات الأرثوذكس في بطاركتهم لم تختلف كثيراً عن ادعاءات الكاثوليك، ولكنها لم تستطع تطبيقها على أرض الواقع كما فعل الكاثوليك.

٩- جميع الطوائف النصرانية احتكت بالإسلام احتكاكاً مباشراً أو غير مباشر وعبر مجالات مختلفة، ولكنها- لأسبابٍ كثيرة- لم تقبله ولم تستفد منه، وإن تحقق شيء من ذلك فهوعلى مستوى الأفراد وليس على نطاق واسع.

١٠- البروتستانتية خرجت على الكاثوليكية ثم انفصلت عنها نهائياً، ولكنها لم تخالفها في أي من عقائدها الأساسية التي اشتمل عليها ما يُسمَّى بقانون الإيمان.

١١- البروتستانت تخلصوا من بعض المظاهر الوثنية المتعلقة بمريم عليها السلام، ومن يُسمَّى بالقديسين، ولكنهم- انطلاقاً من أصولهم – جعلوا هذا الشرك مرتبطاً بالمسيح نفسه، فهم في الحقيقة نقلوا الشرك من شخص إلى آخر .

١٢- هناك بشائر كثيرة بأن المستقبل للإسلام، من جهة واقع النصرانية، ومن تلك البشائر:

- انصراف كثير من الأتباع عن الكنائس- بأنواعها -، وقلة مرتاديها، الأمر الذي أدى إلى إقفال بعض الكنائس، أو بيعها، أو تأجيرها إلى جهات أخرى، وبعضها تحول إلى مساجد لكثرة عدد المسلمين في المنطقة التي تتبعها الكنيسة، وقد اعترف بهذا العزوف كبار القسس ورؤساء الكنائس.

أهم التوصيات:

١- إنشاء مراكز بحثٍ متخصصة تُعنى بدراسة العلاقة بين الإسلام والنصرانية دراسةً علميةً.

٢- قيام الجامعات من خلال الباحثين المتخصصين، ومن خلال التعاون مع مراكز الترجمة بترجمة الكتب المهمة وذات العلاقة بالموضوع وتقديم ملخصاتٍ ودراسات عنها.

٣- توصية الباحثين في تخصص الأديان بالقيام بالدراسات العلمية عن الشخصيات النصرانية ذات التأثير من القدماء أو المعاصرين ومن أمثال هؤلاء: ل

وثر، دانتي، فولتير، توما الأكويني، يوحنا الدمشقي، وغيرهم.

٤ – التعاون بين الجامعات، وبين مراكز التعريف بالإسلام، مثل الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام، ومراكز التعريف بالإسلام، بحيث تقدم الجامعات الدراسات العلمية التي تستند إليها تلك المؤسسات في دراساتها ومجال عملها.





الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	النمل:١٤	٢٧	٢٠٦
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾	القصص:٥٢–٥٥	٢٨	٥٤٥
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ﴾	القصص:٣٨	٢٨	٢٠٥
﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾	الجاثية:٢٤	٤٥	٢٠٥
﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾	الحديد:٢٧	٥٧	٣٢٧
﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾	الصف:٦	٦١	٦٠١

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

م	اســـم العلـــــــم	الصفحة
٤٠	ديدرو اسمه دينس ديدرو	١٩٠
٤١	ديسقورس الأول (البابا)	٢٣٥
٤٢	ديوكليسيان	٢٩
٤٣	روجر بيكون	٥٢٠
٤٤	رودريغوي بورجيا (إسكندر السادس)	٤٤٦
٤٥	روميولس	٣٣
٤٦	رينان	٤٢٢
٤٧	سرجيومي (سيرياني)	١٣٠
٤٨	سرفيتوس	٤٢٢
٤٩	سيكوستوس الرابع (البابا)	٤٤٧
٥٠	شارلما أو شارل الكبير	٣٠٥
٥١	شنودة الثالث (البابا)	٣٦٧
٥٢	طارق بن زياد مولى موسى بن نصير	٤٩٩
٥٣	عبد الرحمن الخافقي عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله	٥٠٠
٥٤	عبدا لأحد داود اسمه بنجامين كلداني	١٥٠
٥٥	عبدالأحد داود	٣٣٨
٥٦	غريغوريوس الحادي عشر (البابا)	٥٤
٥٧	غوستاف لوبون	٥٠٢
٥٨	فالنتينيان الثالث	٤٠
٥٩	فرانسيس الأسيزي	٦٦
٦٠	فريدرك الثاني ثالث ملك لبروسيا	٣٨٢

م	اســـــم العلــــــم	الصفحة
٦١	فوليتير	١٩٢
٦٢	قسطنطين	٢٩
٦٣	كانت	٢٠٨
٦٤	كلوديوس قيصر ابن دروسوس	١٠٣
٦٥	كليمانت	١٧٨
٦٦	لاون التاسع	٢٤٢
٦٧	لاون الخامس	٣٤٦
٦٨	لاون العاشر	٤٤١
٦٩	لاون الكبير	٣٠٧
٧٠	محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة	٤٢٢
٧١	محمد عبده حسن خير الله	١٧٦
٧٢	مرتين الخامس اسمه أوتون كولونا	٥٥
٧٣	مرقيان الإمبراطور الروماني	٢٣٤
٧٤	موسوليني	١٩٦
٧٥	ميخائيل كيرولاري	٢٤٢
٧٦	ميكيافلي اسمه نيقولا	١٩٥
٧٧	نصر بن يحيى المتطبب	٣٣٨
٧٨	نيرون	٢٩
٧٩	نيوتن السير إسحاق فيزيائي	٢٠٧
٨٠	هتلر	١٩٦
٨١	هربرت جورج ويلز	٥٧



فهرس الأماكن المعرف بها



فهرس الديانات والفرق والمذاهب والمؤسسات ونحوها

فهرس المصطلحات



فهرس المصادر والمراجع

(١) آباء الكنيسة. أسد رستم، منشورات المكتبة البولسية: بيروت .

(٢) أثر العامل الديني في توجيه الحركة. د. محمد صالح منصور، منشورات جامعة قاريونس: بنغازي – ليبيا، ط:١، ١٩٩٠ .

(٣) أثر الكنيسة على الفكر الأوربي . د.أحمد عجيبة، دار الآفاق العربية – القاهرة، ط:١، عام ٢٠٠٤م.

(٤) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات في المسيحية. اللواء أحمد عبدالوهاب، مكتبة وهبة – القاهرة، ط: ١، عام ٢٠٠٥م.

(٥) أديان العالم . د . هوستن سميث، تر: سعد رستم، دار الجسور الثقافية: حلب، ط: ١، عام ٢٠٠٤م.

(٦) أديان العرب قبل الإسلام وجهها الحضاري والاجتماعي . الأب: جرجس داوودمجد. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع: بيروت، ط: ٣، عام ٢٠٠٥م .

(٧) أديان الهند الكبرى . أحمد شلبي، مكبة النهضة المصرية، ط:٥، عام ١٩٩١م.

(٨) أرني أين قال المسيح أنا هو الله فاعبدوني . يوسف رياض، دار الأخوة للنشر: شبرا، ط: ١، عام ٢٠٠٦م.

(٩) إسبينوزا والإسبينوزية . بيار – فرنسوا مورو، تر: جورج كتورة، ط: ١، دار الكتاب الجديد المتحدة –رياض الصلح – بيروت .٢٠٠٨م.

(١٠) استحالة تحريف الكتاب المقدس . القمّص مرقص عزيز خليل، الناشر: كنيسة القدّيسة مريم العذراء والشهيدة ديهانة: المعلقة – مصر القديمة، ط: ٦، عام ٢٠٠٣م.

(١١) أسرار أبدية وراء القبر . القيّم أنطوني، تر: أبيفانيوس زائد، منشورات مكتبة السائح: طرابلس، ط: ٢، عام ١٩٩٧م.

(١٢) أسرار الآلهة والديانات . أ . س ميغوليفسكي، تر: د. حسان ميخائيل إسحاق، دار علاء الدين، ط: ٢، عام ٢٠٠٦م.

(١٣) أسرار الحرب العالمية الثانية . فريد الفالوجي، ط: ١، عام٢٠٠٧، دار الكتاب العربي: دمشق – القاهرة .

(١٤) أسرار الفاتيكان . قضية ليدل . ليوبولد، تر: تحسين حجازي، ط: ١، عام ١٩٨٩م، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت .

(١٥) أسرار الكنيسة السبعة . الأرشيدياكون حبيب جرجس، ط: ٦، مكتبة المحبة .بدون

(١٦) إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية . اللواء أحمد عبدالوهاب، مكتبة وهبة – القاهرة، ط:٢، عام ١٩٩٧م.

(١٧) أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح . مجموعة من الأساتذة اللاهوتيين البريطانيين، إشراف البروفسور جون هِك، تر: نبيل صبحي، ط: ١، عام ١٩٨٧م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع – الكويت .

(١٨) أسقف روما . ج . م . ر . تيار، تر: الأب جورج خوام البولسي، ط: ١، عام ٢٠٠٣، منشورات المكتبة البولسية: بيروت .

(١٩) أصول التعليم المسيحي (الكتاخيسمس الصغير) . مارتن لوثر، ترجمة ونشر: المركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط: بيروت – لبنان.

(٢٠) أصول النصرانية في الميزان . د . محمد المسيري، ط: ١، عام ٢٠٠٢، مكتبة الصفا .

(٢١) أضواء على الإصلاح الإنجيلي. د. القس فايز فارس، دار الثقافة المسيحية – القاهرة،عام ١٩٨٤م.

(٢٢) اطلالة الألف الثالث – رسالة الحبر الأعظم البابا يوحنا بولس الثاني إلى الأساقفة والإكليروس وسائر المؤمنين لتهيئة يوبيل السنة الألفين، عام ٢٠٠٠م، منشورات الأسقفية لوسائل الإعلام: جبل الديب – لبنان .

(٢٣) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان . ابن القيم، تصحيح وتحقيق وتعليق: محمد عفيفي، ط:٢، عام ١٩٨٩م، المكتب الإسلامي: بيروت – لبنان، مكتبة الخاني: الرياض .

(٢٤) أفكار ورجال .كرين برنتن، تر: محمود محمود، بدون، مكتبة الإنجلو المصرية – القاهرة .

(٢٥) أقدم النصوص المسيحية . إقليمندس الروماني . راعي هرماس، تر: جورج نصور، رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط، الكسليك ١٩٧٥ .

(٢٦) أقدم النصوص المسيحية . الديداكة – التقليد الرسولي – . نافور ادي وماري خولاجي سيرابيون عهد الرب، تر: الأب: جورج نصور ويوحنا ثابت، رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط، الكسليك ١٩٧٥ .

(٢٧) أقدم النصوص المسيحية . القديس يوستينوس – الدفاع عن المسيحيين – الحوار مع تريفون، تر: الأب: جورج نصور، رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط، مركز النشر والتوزيع ٢٠٠٧، جامعة الروح القدس – الكسليك – جونية – لبنان .

(٢٨) أقدم النصوص المسيحية . القوانين الرسولية . تر: جورج نصور، مركز النشر والتوزيع، الكسليك٢٠٠٦، جونية – لبنان .

(٢٩) أقدم النصوص المسيحية . كيرلس الأورشليمي – العظات – . تر: جورج نصور، رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط، الكسليك ١٩٨٢ .

(٣٠) أقدم النصوص المسيحية . مار أفرام السرياني – منظومة الفردوس – . تر: الأب: روفائيل مطر اللبناني، رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط، الكسليك ١٨٩٠.

(٣١) أقدم النصوص المسيحية . ويلي دوردورن – السبت والأحد في تقليد الكنيسة –، نصوص من القرن الأول حتى القرن السابع، تر: مارسيل هدايا – من راهبات القلبين الأقدسين، رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط، الكسليك ١٩٨٢ .

(٣٢) أقدم كتاب في العالم ريك فيدا . دراسة وترجمة لحلقة السوما وتعليقات . د . لويس صليبا، ط: ٢، عام ٢٠٠٧م، دار ومكتبة ببليون: بيروت .

(٣٣) الآباء السواح .القمُّص سمعان السرياني، لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسا ط: ٢، عام ١٩٩٠م .

(٣٤) الإتجاهات الفكرية المعاصرة . المستشار علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع: المنصورة، ط:٤، عام ٢٠٠٤م.

(٣٥) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة . شهاب الدين أبو العباس احمد بن ادريس المشهور بالقرافي، تحقيق: مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب: بيروت، ط:١، عام ٢٠٠٥م.

(٣٦) الأديان السماوية . ناصر حسين بانافع، توزيع مؤسسة الجريسي: الرياض، ط:١، عام ٢٠٠٤م.

(٣٧) الآراء والمعتقدات . غوستاف لوبون، تر: عادل زعيتر، دار ببليون: باريس، ط: ٢٠٠٨م.

(٣٨) الأرثوذكس عقيدتها وواقعها وأثرها على العالم الإسلامي. أحمد بن مؤنس بن خلف العنزي، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى عام ١٤٣٢هـ (غير مطبوعة).

(٣٩) الآريوسية والرد عليها . الأنبا غريغوريوس، الكلية الإكليريكية اللاهوتية للقبط الأرثوذكس .بدون معلومات .

(٤٠) الأسبوع العظيم في آلام المسيح وموته . رومانو كوارديني، تر: الأب: جرجس المارديني، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت، ط: ٤، عام ٢٠٠٧م.

(٤١) الأسس اللاهوتية في بناء حوار المسيحية والإسلام . مشير باسيل عون، ط:٢٠٠٣، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٤٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام . د.علي وافي، ط:١٩٩١م، دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة .

(٤٣) الأسفار المقدسة قبل الإسلام . دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية. د.صابر طعيمة، ط:١، عام ١٩٨٥م، عالم الكتب: بيروت .

(٤٤) الأسقف في الكنيسة. مجموعة مؤلفين، منشورات النور، ط:١٩٨٤م .

(٤٥) الإسلام بدعة نصرانية. بدون معلومات النشر.

(٤٦) الإسلام كبديل . د . مراد هوفمان (مهتدي إلى الإسلام)، ط: ٤، عام ٢٠٠٢، مكتبة العبيكان – الرياض .

(٤٧) الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف . اللواء المهندس أحمد عبدالوهاب، ط: ٢، عام ١٩٩٨م، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة .

(٤٨) الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة. جراهام إي أو.فوللر- إيان أو. ليسر، تر: شوقي جلال.

(٤٩) الإسلام والغرب في كتابات الغربيين. د. زغلول النجار، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: الجيزة – القاهرة.

(٥٠) الإسلام والغرب مواجهة أم حوار، د. محمد علي الفرا، دار مجدلاوي للنشر، عمان – الأردن، ط:١، ٢٠٠١م.

(٥١) الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، أليكسي جورافكسي، تر: د. خلف محمد الجراد، دار الفكر المعاصر: بيروت – لبنان، ط:٣، ٢٠٠٥م.

(٥٢) الإسلام والمسيحية وصراع القوى بنهما. د. جوزيف نسيم يوسف، دار الفكر الجامعي: الأزاريطة، ط:١، ١٩٨٦م.

(٥٣) الإسلام والنصرانية . دراسة مقارنة . د.محمد الخولي، ط:١، عام ٢٠٠٠م، دار الفلاح للنشر والتوزيع: صويلح – الأردن .

(٥٤) الإسلام يتحدى (مدخل علمي إلى الإيمان) . وحيد الدين خان، تر: د. ظفر الإسلام خان، مكتبة الرسالة.

(٥٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام. القرطبي، تقديم وتحقيق وتعليق: د.أحمد حجازي السقا، بدون، دار التراث العربي .

(٥٦) الأعمال والرسائل المنحولة . تر: إسكندر شديد، تقديم ومراجعة: أ . جوزيف قزي – أ . إلياس خليفة، دير سيدة النصر، نسبية – غوسطا ١٩٩٩ .

(٥٧) الأقباط . النشأة والصراع من القرن الأول إلى القرن العشرين . ملاك لوقا، ط: ٣ عام ٢٠٠١م، الناشر: مكتبة إنجليوس – شيرا .

(٥٨) الأقباط والرقم الصعب . د.عمرو عبدالسميع، ط: ١، عام ٢٠٠٤م، الدار المصرية اللبنانية .

(٥٩) الإلحاد في الغرب . د . رمسيس عوض، ط: ١، عام ١٩٩٧م، مينا للنشر: القاهرة، مؤسسة الانتشار العربي: بيروت .

(٦٠) الإلحاد وأسبابه . الصفحة السوداء للكنيسة، أ.د. زينب بنت عبدالعزيز، ط:١، عام ٢٠٠٤م، دار الكتاب العربي: دمشق، القاهرة .

(٦١) الإمبراطورية الرومانية . باتريك لورو، تر: د . جورج كتورة، ط: ١، عام ٢٠٠٣م، دار الكتاب الجديد المتحدة:بيروت،دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية: طرابلس .

(٦٢) الأمير . نيقولا مكيافيلي، دراسة وتعريب: كرم الدكوري، ط:١، عام ٢٠٠٧م، منشورات نون: شبرا – القاهرة .

(٦٣) الأناجيل المنحولة، تر: إسكندر شديد، تقديم ومراجعة: أ . جوزيف قزي – أ.إلياس خليفة، دير سيدة النصر، نسبية – غوسطا ١٩٩٩ .

(٦٤) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية . سليمان بن عبدالقوي الطوفي الصرصري الحنبلي، دراسة وتحقيق: د.سالم محمد القرني، ط:١، مكتبة العبيكان: الرياض .

(٦٥) الإنجيل . للقديس يوحنا مع تفسيره، ترجمة لجنة برئاسة نيافة الأنبا غريغوريوس، الناشر: دار المعارف – القاهرة .

(٦٦) الإنجيل للقديس لوقا . تر: لجنة اعتمدها البابا كيرلس السادس وترأسها نيافة الأنبا غريغوري، بدون .

(٦٧) الإيمان الكاثوليكي . نصوص صادرة عن السلطة الكنسية، تقديم: جرفييه دوميج اليسوعي، تر: الأب: صبحي حموي اليسوعي، ط: ١، عام ١٩٩٩م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٦٨) البابا يوحنا بولس الثاني في لبنان . مقتطفات إعلامية جمعها ونسقها الأب يوحنا العنداري م . ل، جونية ١٩٩٧ .

(٦٩) البحث الصريح في أيمّا هو الدين الصحيح . زيادة بن يحي الراسي، دراسة وتحقيق: د.سعود بن عبدالعزيز الخلف، ط:١، ٢٠٠٣م، الجامعة الإسلامية – عمادة البحث العلمي

(٧٠) البحث عن يسوع . قراءة جديدة في الأناجيل . كمال الصليبي، ط: ١، عام ١٩٩٩م، دار الشروق للنشر والتوزيع: عمان .

(٧١) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان . أبو الفضل السكسكي، تحقيق وتعليق: احمد فريد، ط: ١، عام ٢٠٠٤م، منشورات محمد علي بيضون .

(٧٢) البروتستانتية وأثرها على العالم الإسلامي (رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى غير مطبوعة) . د. مريم الحربي.

(٧٣) البيان في مقارنة الأديان . د . أسعد السحمراني، ط: ١، عام ٢٠٠١م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت .

(٧٤) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة. د. عبدالرحمن الحجي، دار القلم: دمشق، ط:٢، ١٤٢٩هـ.

(٧٥) التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . أ . د . عبدالحميد البطريق – د . عبدالعزيز نوار، دار النهضة العربية للطباعة والنشر: بيروت، ط:٢٠٠٦.

(٧٦) التاريخ الروماني من أقدم العصور حتى بداية العصر الإمبراطوري . د.ممدوح درويش مصطفى، مكتبة الرشد: الرياض، ط:٢٠٠٤م .

(٧٧) التاريخ المعاصر (أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية) . د . عبدالعزيز سليمان نوار – د . عبدالمجيد نعنعي، دار النهضة العربية: بيروت .

(٧٨) التاريخ الوسيط. نورمان ف. كانتور، تر: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم- القاهرة،ط:٢٠٠٩.

(٧٩) التاريخ الأسود للكنيسة. دي روزا، ترجمه من الألمانية يوسف حطيبة، الدار المصرية للنشر والتوزيع، ط:١٤١٥هـ.

(٨٠) التبشير والاستشراق (أحقاد وحملات)، المستشار محمد عزت الطهطاوي، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية – إدارة نشر الثقافة الإسلامية: القاهرة، ط:١٣٩٧هـ.

(٨١) التبشير والاستعمار في البلادالعربية، مصطفى خالدي و عمر فروخ، المكتبة العصرية: صيدا – بيروت، ط: ١٩٨٦.

(٨٢) التثليث بين الوثنية والمسيحية . د.محمود علي حماية، ط:٣، عام ٢٠٠٥، مكتبة النافذة.

(٨٣) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة . د.سارة العبادي، ط:١، عام٢٠٠٤، دار طيبة الخضراء: مكة المكرمة .

(٨٤) التربية الخاطئة للغرب (كيف يشوه الإعلام الغربي صورة الإسلام)، جوكينشلو وشيرلي شتاينبرغ، تر: حسان بستاني، دار الساقي: بيروت – لبنان، ط:١، ٢٠٠٥م.

(٨٥) الترتيب الإلهي لاجتماعات المؤمنين معاً للعبادة والخدمة، بروس انستي، ط:١، الناشر: بيت عنيا – مركز المطبوعات المسيحية، ط ١٩٩٦م .

(٨٦) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية . نشر النص اللاتيني: دار الفاتيكان، تر: المتروبوليت وآخرين، منشورات الرسل:جونية – لبنان، توزيع: المكتبة البولسية: بيروت، ط:١٩٩٩م .

(٨٧) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس . لجنة التحرير والنشر: د . بروس بارتون وزملاؤه، لجنة المراجعة اللاهوتية: د . كينيت كانتزر وزملاؤه، لجنة الترجمة والتحرير: وليم وهبة وزملاؤه، تعريب وجمع تصويري ومونتاج وأعمال فنية: شركة ماستر ميديا: المعادي – القاهرة، ط:١٩٩٩م .

(٨٨) التكريس . د . زكريا إستاورو، ط: ٣، عام ٢٠٠٥م، مكتبة الأخوة: شبرا .

(٨٩) التنصير الأمريكي – خطة لغزو العالم الإسلامي(الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التنصيري الذي عقد بولاية كولورادو في الولايات المتحدو عام ١٩٧٨م)، دراسة: الحسيني الحسيني معدي، مطبعة وهبة – القاهرة، ط:١، عام ١٤٣٢هـ.

(٩٠) التوبة . القديس يوحنا ذهبي الفم، تر: نشأت مرجان، ط: ١، عام٢٠٠٧م، دار النشر الأسقفية شبرا .

(٩١) التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القدِّيسين بولس ويوحنا . سعد رستم، ط:٢، عام٢٠٠٧، صفحات للدراسات والنشر: دمشق .

(٩٢) التوحيد والتثليث في حوار المسيحية والإسلام . محمد الحمد، ط:١، عام ٢٠٠٣، دار الأوائل للنشر والتوزيع: دمشق .

(٩٣) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم . موريس بوكاي (مهتدي إلى الاسلام)، تر: حسن خالد، ط: ٣، عام ١٩٩٠م، المكتب الإسلامي: بيروت – لبنان، دمشق .

(٩٤) الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . وجهة نظر المؤرخ العثماني أحمد جودت باشا المسمى بتاريخ جودة هل كانت حملة أم غزو ثقافي . وجدا سندسي، تر: مدحت عايد فهمي، ط: ١، مكتبة مدبولي: القاهرة، ط:٢٠٠١م .

(٩٥) الجامع لأحكام القرآن . القرطبي، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي،ط:١، عام ١٤٢٧هـ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع:بيروت .

(٩٦) الجانب المظلم في التاريخ المسيحي . هيلين إيليربي، تر: أ . د . سهيل زكَّار، ط: ١، عام٢٠٠٥، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق .

(٩٧) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين . محمد علي يوسف، منشورات دار ومكتبة الحياة: بيروت، بدون .

(٩٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د.علي بن حسن بن ناصر وزميليه، ط:١، عام ١٤١٤هـ، دار العاصمة: الرياض .

(٩٩) الحرب العالمية الأولى . عرض مصور أعده وحققه على أوثق المصادر عمر الديراوي، ط:٢.، دار العلم للملايين: بيروت – لبنان .

(١٠٠) الحرب العالمية الأولى .محمد بركات،ط: ١،دار الكتاب العربي: دمشق- القاهرة، ط:٢٠٠٦م .

(١٠١) الحرب العالمية الثانية . عرض مصور أعده وحققه على أوثق المصادر رمضان لاوند، ط:٢٢، عام ٢٠٠٧، دار العلم للملايين: بيروت .

(١٠٢) الحرب المقدسة . كارين آرمسترونق، تر: سامي الكعكي، دار الكتاب العربي: بيروت، بدون .

(١٠٣) الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام . دراسة مقارنة . د.أميمة بنت أحمد شاهين الجلاهمة، دار زهراء الشرق – القاهرة، بدون .

(١٠٤) الخطيئة والموت . إينوكيندي، تر: المطران ابيغانيوس زائد، بدون .

(١٠٥) الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه . د.أحمد عجيبة، ط:١، ٢٠٠٦م، دار الآفاق العربية – القاهرة .

(١٠٦) الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية. د. قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط:١، ١٩٩٩ .

(١٠٧) الدعوة إلى الإسلام (بحث في نشر العقيدة الإسلامية) . سير توماس.و.ارنولد،تر: د. حسن ابراهيم حسن وزملائه، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، ط:١٩٧١م .

(١٠٨) الدم المقدس الكأس المقدسة . ميشيل بيجنت وآخرين، ترجمة وتعليق: محمد الواكد، ط: ١، ٢٠٠٦م، الأوائل للنشر والتوزيع: دمشق .

(١٠٩) الدواء المنسي . سر التوبة والاعتراف . الأرشمندريت سيرافيم أليكسييف، تر: سيرافيم كركور، ط: ٢٠٠٤.

(١١٠) الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى . د. محمد العريبي، ط:١، ١٩٩٥م، دار الفكر اللبناني: بيروت .

(١١١) الديانات الوضعية المنقرضة. د.محمد العريبي، ط:١، دار الفكر اللبناني: بيروت .

(١١٢) الدين المصري . خزعل الماجدي، ط:١، ١٩٩٩م، دار الشروق للنشر والتوزيع: عمان .

(١١٣) الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين . أبكار السقاف، ط: ١،٢٠٠٤م، مؤسسة الانتشار العربي: بيروت .

(١١٤) الراعي والكنيسة . من هو الراعي في الكنيسة الإنجيلية . د . القس فايز فارس، ط: ١، ٢٠٠٤، دار الثقافة – القاهرة .

(١١٥) الرد الجميل لإلهية عيسى عليه السلام بصريح الإنجيل . الغزالي، تقديم وتحقيق وتعليق: د.محمد الشرقاوي، ط:٣، ١٤٠٣هـ، دار الجيل: بيروت .

(١١٦) الرد على أصناف النصارى . علي بن ربَّن الطبري (مهتدي إلى الإسلام)، تحقيق وتقديم: خالد محمد عبده، ط: ١، ٢٠٠٤، الناشر: مكتبة النافذة .

(١١٧) الرد على النصارى . جزء ضمن رسائل الإمام القاسم بن ابراهيم بن إسماعيل الرسي (ت ٢٤٦ هـ)، تحقيق ودراسة إمام حنفي عبدالله، ط:١، ٢٠٠٠م، دار الآفاق العربية – القاهرة .

(١١٨) الرموز المسيحية . الخوري ناصر الجميل، تقديم: سيادة المطران أنطوان – حميد موراني، ط: ١، بيروت –٢٠٠٧ .

(١١٩) الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها . د . أحمد علي عجيبة، ط: ١، ٢٠٠٤م، دار الآفاق العربية – القاهرة .

(١٢٠) الروح القدس أقنوم إلهي . هت . ل . هايكوب، تر: ثروت فؤاد، ط: ١٩٨٨، الناشر: بيت عنيا – مركز المطبوعات المسيحية: رمسيس – القاهرة .

(١٢١) الروح القدس في التراث الأرثوذكسي . بول إفدوكيموف، تر: المطران إلياس نجمة، تقديم: جورج خضر، ط: ١، ١٩٨٩م، منشورات المكتبة البولسية: بيروت، المنشورات الأرثوذكسية: طرابلس .

(١٢٢) الروم الأرثوذكس. عرض ودراسة في ضوء العقيدة الإسلامية. عبدالله بن علي الشهري، رسالة دكتوراة بجامعة الملك سعود عام ١٤٣٤هـ (غير مطبوعة).

(١٢٣) الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب . د . أسد رستم، ط: ٢، ١٩٨٨م، منشورات المكتبة البولسية: بيروت .

(١٢٤) الرؤى المنحولة . تر: إسكندر شديد، تقديم ومراجعة: أ . جوزيف قزي – أ . إلياس خليفة، دير سيدة النصر، نسبية – غوسطا ١٩٩٩ .

(١٢٥) الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله . مجموعة من المؤلفين، منشورات النور ١٩٩٧ .

(١٢٦) الزنديق الأعظم . قصة وسيرة . جوزيف جاي ديس، تر / أحمد نجيب الهاشم، بدون .

(١٢٧) السلم إلى الله . يوحنا السلمي، تر: رهبنة دير مار جرجس الحرف، منشورات النور، بدون .

(١٢٨) السيرة النبوية . محمد بن إسحاق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان، ط:١، ٢٠٠٤م.

(١٢٩) الشعائر بين الدين والسياسة في الإسلام والمسيحية . روبير بندكتي، ط: ١، ٢٠٠٥م، دار مصر المحروسة: القاهرة .

(١٣٠) الصراع العظيم (إله هذا الدهر وهزيمته الآتية) . ألن هوايت، تر: إسحاق فرج الله، تنقيح: أنطوان عبيد، ط: ٣، دار الشرق الأوسط للطباعة والنشر: بيروت .

(١٣١) الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية. د. عبدالعظيم رمضان، دار المعارف: القاهرة.

(١٣٢) الصلاة بالكلمة المقدسة لحياة روحية أعمق . بيني موسترت، تر: رانيا نبيه، تحرير: فريد فؤاد عبدالملك، ط: ١، الناشر بالعربية: مكتبة المنار سانت فاتيما – مصر الجديدة، بدون .

(١٣٣) الصليب في الإسلام . حبيب زيات، تقديم: د . وسام كبكب، ط: ٢،٢٠٠٥م، منشورات المكتبة البولسية: بيروت .

(١٣٤) الصليب وكلمات المصلوب . يوسف رياض، ط: ١، ٢٠٠٤م، مكتبة الأخوة: شبرا .

(١٣٥) الصهيونية تحرف الإنجيل . سهيل التغلبي، ط:١، توزيع مكتبة السائح: طرابلس، ط:١٩٩٩م .

(١٣٦) الصوم الكبير . الأب: ألكسندر شمين، تر: ابراهيم سروج، مكتبة السائح: طرابلس، بدون .

(١٣٧) الطائفة الكاثوليكية وأثرها على العالم الإسلامي. د محمد علي آل عمر، مجلة البيان: مركز البحوث والدراسات، ط:١، ١٤٣٢هـ.

(١٣٨) الطبقات الاجتماعية . يانيك لوميل، تر: د . جورجيت الحداد، ط: ١، ٢٠٠٨م، دار الكتاب الجديد المتحدة: رياض الصلح – بيروت .

(١٣٩) الطوائف المسيحية في التاريخ والعقيدة واللاهوت المقارن . القمّص بولس عطية بسيليوس، ط: ٣، ٢٠٠٤، مطبعة الخانكة الحديثة .

(١٤٠) الطوائف المسيحية في مصر والعالم . ماهر يونان عبدالله، تقديم ومراجعة: جرجس صبحي، ط: ٣، ٢٠٠٢م، الناشر: ماهر يونان عبدالله .

(١٤١) العبادات في الأديان السماوية . (اليهودية،المسيحية، الإسلام) . عبدالرزاق رحيم صلال الموحي، ط: ١، ٢٠٠١م، الأوائل للنشر والتوزيع: دمشق .

(١٤٢) العبادة الفردية والعبادة الجماعية . الأب: جورج فلورنسكي، منشورات النور ١٩٨٢ .

(١٤٣) العبادة المسيحية . الأرشمندريت إلياس، دير الحرف، ط: ١٩٩٨م– .

(١٤٤) العذراء مريم . حياتها ورموزها وألقابها فضائلها تكريمها . المتنيح الأنبا غريغوريوس، الناشر: جمعية الأنبا غريغوريوس – أسقف البحث العلمي:٢٠٠٥م .

(١٤٥) العقائد الإسلامية . سيد سابق، الفتح للإعلام العربي– القاهرة، بدون .

(١٤٦) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية . محمد طاهر التنير، نشره ونقحه وقدم له: محمد ابراهيم الشيباني ن ط:١، ١٩٨٧م، مكتبة ابن تيمية – الكويت .

(١٤٧) العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل . حسن الباش، ط:١،٢٠٠١م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق، بيروت .

(١٤٨) العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي . أ . د فاروق حمادة، ط: ١، ٢٠٠٥، دار العلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت .

(١٤٩) العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى. د. عادل زيتون، دار دمشق – سوريا، ط:١، ١٤٠٠هـ.

(١٥٠) العلاقات بين الشرق والغرب تجارية– ثقافية– صليبية . د. عزيز عزيز سوريال عطية، تر: فيليب صابر، دار الثقافة المسيحية: الفجالة – مصر، ط:١، ١٩٧٢م.

(١٥١) العلم يدعو للإيمان كرسي موريسون،تر:محمود صالح الفلكي، دار العلم: بيروت، ط:٢٠٠٥م .

(١٥٢) العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة د.عبدالوهاب المسيري،ط:٢، ٢٠٠٥م، دار الشروق – القاهرة

(١٥٣) العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة . سفر بن عبدالرحمن الحوالي، ط:٢، ١٩٩٩م، توزيع: مكتب الطيب لخدمة التراث الإسلامي والرسائل العلمية – القاهرة .

(١٥٤) العلمانيون والقرآن الكريم (تاريخية النص) . د.أحمد إدريس الطعان، ط:١، ٢٠٠٧م، دار ابن حزم للنشر والتوزيع: الرياض .

(١٥٥) العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية، ط: ٤، ٢٠٠٧م، دار الكتاب المقدس: مصر.

(١٥٦) الغصن الذهبي (دراسة في السحر والدين) . سير جمس فريزر، تر: د . أحمد أبو زيد، ط: ٢، ١٩٩٨م، الهيئة العامة لقصور الثقافة .

(١٥٧) الفاتيكان والإسلام أ.د زينب عبدالعزيز،ط:١،٢٠٠٥م، دار الكتاب العربي: دمشق، القاهرة .

(١٥٨) الفاتيكان والإسلام أهي حماقة أم عداء له تاريخ؟ . د . محمد عمارة، ط: ١، ٢٠٠٧م، مكتبة الشروق الدولية – القاهرة .

(١٥٩) الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام . نهاد خياطة، ط:١، ٢٠٠٤م، الأوائل للنشر والتوزيع: دمشق .

(١٦٠) الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية . القس ابراهيم عبدالسيد، ط: ١٣، مطبعة المحبة، بدون .

(١٦١) الفصل في الملل والأهواء والنحل . ابن حزم الأندلسي الظاهري، وضع حواشيه أحمد شمس الدين، ط:١، ١٤١٦هـ، دار الكتب العلمية: بيروت .

(١٦٢) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع . عبدالمجيد الشرفي، ط:٢، ٢٠٠٥م، دار المدار الإسلامي: بيروت، توزيع: دار أوديا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية والثقافة: طرابلس – ليبيا .

(١٦٣) الفكر الكنسي الأرثوذكسي . الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس، تر: الأب: أنطوان ملكي، تعاونية النور الأرثوذكسية للنشر والتوزيع: بيروت، ٢٠٠٢م .

(١٦٤) القداس الإلهي . يوحنا الذهبي الفم، بدون .

(١٦٥) القداسة الشخصية في وقت التجربة (أفكار وتأملات) . د . بروس ويلكنسون، ط: ١، ٢٠٠٣م، الناشر: معهد تدريب القادة بالشرق الأوسط .

(١٦٦) القداسة في الرسالة إلى رومية . د . أ . م . هلز، تر: ألفي رزق الله عبدالنور، مطبعة النصر بشبرا، بدون.

(١٦٧) القداسة في العهد الجديد . توماس كوك، تر: القس توفيق مشرقي، مكتبة النيل المسيحية، بدون .

(١٦٨) القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي . القمّص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة الشهيد مار جرجس بأسبورتنج، بدون .

(١٦٩) القرآن دعوة نصراني. الأستاذ الحداد، منشورات المكتبة البولسية: بيروت-لبنان، ط:٣، ١٩٩٣م.

(١٧٠) الكتاب الأسود للرأسمالية . مجموعة من المؤلفين، تر: د . أنطوان حمصي، ط:١، ٢٠٠٦م، دار الطليعة الجديدة: دمشق .

(١٧١) الكتاب المقدس .إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط: ٣، ٢٠٠٤م، القاهرة – مصر، نسخة أخرى بحواشي،طبعة دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(١٧٢) الكتاب المقدس والاستعمار . القس: مايكل بريور، تر: وفاء بجاوي، مراجعة وتقديم: احمد الشيخ، ط: ١، ٢٠٠٤م، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة .

(١٧٣) الكتاب المقدس والسيف . بار بارا توخمان، تر: د . منى عثمان – محمد طه، ط:١، ٢٠٠٦م، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة .

(١٧٤) الكنيسة الأرثوذكسية . الأب: بول آقدوكيموف، تر: لجنة التعريب في المنشورات الأرثوذكسية، توزيع: مكتبة السائح: طرابلس – لبنان، ١٩٨٣م .

(١٧٥) الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر . تيموثي وير، تر: هاشم الحسيني، منشورات النور ١٩٨٢ .

(١٧٦) الكنيسة القبطية الأرثوذكسية . الراهب القمّص سمعان، بدون .

(١٧٧) الكنيسة الكاثوليكية والإسلامية، الآب ميشال لولون، تر: فاطمة الحبابي وعادل الحبابي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: الأردن – عمان، ط:١، ٢٠٠١م.

(١٧٨) الكنيسة الكاثوليكية والبدع . العصر الجديد تعاليمه ومعتقداته ورد الكنيسة الكاثوليكية . الأب: جورج رحمة – أنطوان عبيد، ط: ١،٢٠٠٣م، الناشر: مركز الدراسات والأبحاث المشرقية: أنطلياس – لبنان .

(١٧٩) الكنيسة الكاثوليكية والبدع . الماسونية بقلم دعاتها ورافضيها . الأب: جورج رحمة – أنطوان عبيد، ط: ١، ٢٠٠٣م، الناشر: مركز الدراسات والأبحاث المشرقية: أنطلياس – لبنان .

(١٨٠) الكنيسة الكاثوليكية والبدع . المانوية والآريوسية، الأب: جورج رحمة – أنطوان عبيد، ط: ١، ٢٠٠٤م، الناشر: مركز الدراسات والأبحاث المشرقية: أنطلياس – لبنان .

(١٨١) الكنيسة الكاثوليكية والبدع . النورانيون . الأب: جورج رحمة – أنطوان عبيد، ط: ١، ٢٠٠٣م، الناشر: مركز الدراسات والأبحاث المشرقية: أنطلياس – لبنان .

(١٨٢) الكنيسة الكاثوليكية والبدع . شهود يهوه . الأب: جورج رحمة – بول حصري، ط: ١، ٢٠٠٤م، الناشر: مركز الدراسات والأبحاث المشرقية: أنطلياس – لبنان.

(١٨٣) الكنيسة الكاثوليكية والبدع . مقدمة عامة – المسيحيون المتهودون – الغنوصية – الدوسيتية . الأب: جورج رحمة، ط: ١، ٢٠٠٤م، الناشر: مركز الدراسات والأبحاث المشرقية: أنطلياس – لبنان .

(١٨٤) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل . مثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس، ط: ٤/ ١٩٩٩م، مطبعة الأنبا رويس الأوفست – القاهرة .

(١٨٥) الكنيسة أو مملكة المسيح . الأب: خليل أدَّه اليسوعي،المطبعة الكاثوليكية:بيروت .

(١٨٦) الكنيسة جسد المسيح . القس حمدي سعد، ط: ١، ١٩٣٥م، دار الثقافة – القاهرة .

(١٨٧) الكنيسة في التاريخ، الخوري ناصر الجميل، بيروت – لبنان،ط:٢٠١٠م.
(١٨٨) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها. دنتسنغر- هونرمان، ترجمة: المطران يوحنا منصور- الأب حنَّا الفاخوري، منشورات المكتبة البولسية، ط:٢٠٠١م .
(١٨٩) الكهنوت . عوض سمعان، ط: ٢، دار الثقافة المسيحية – القاهرة، بدون.
(١٩٠) الكهنوت المسيحي وسر الدرجة . الأب صلاح أبو جودة اليسوعي، ط: ١، ١٩٩٩م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .
(١٩١) الكوميديا الإلهية (الجحيم) . دانتي أليجيري، تر: حسن عثمان،دار المعارف: القاهرة، ط: ١٩٥٥م.
(١٩٢) اللآلِيء النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة . القمّص يوحنا سلامة، مكتبة مار جرجس: شبرا، بدون.
(١٩٣) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر . الأب: سليم بسترس البولسي، ط: ٤، ٢٠٠٢م، منشورات المكتبة البولسية: جونية – لبنان .
(١٩٤) اللاهوت المقارن . البابا شنودة، ط: ١، ١٩٩١م، الناشر: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .
(١٩٥) الله في الفلسفة الحديثة . جيمس كولنز، تر: فؤاد كامل، ط: ٢، ١٩٩١م، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة بالاشتراك مع الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية – القاهرة .
(١٩٦) الله واحد أم ثالوث . المستشار الدكتور محمد مجدي مرجان (مهتدي إلى الإسلام)، ط:٢، ٢٠٠٥م، مكتبة النافذة .
(١٩٧) الله والإنسان على امتداد٤٠٠٠ سنة من ابراهيم الخليل حتى العصر الحاضر . كارين آرمسترونق، تر: محمد الجورا، ط: ١، ١٩٩٩م، دار الحصاد للنشر والتوزيع: دمشق .
(١٩٨) المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي . القديس يوحنا الدمشقي، تر: الأرشمندريت أدريانوس شكور، ط: ٢، ١٩٩١م، منشورات المكتبة البولسية: بيروت .

(١٩٩) المجمع المسكوني الأول (نيقيا الأول ٣٢٥) - الأب ميشال أبرص – الأب أنطوان عرب، ط: ١، ٢٠٠٣م، توزيع: المكتبة البولسية: بيروت – لبنان .

(٢٠٠) المجمع المسكوني الثاني (القسطنطينية الأول ٣٨١) . الأب ميشال أبرص – الأب أنطوان عرب، ط: ١، ٢٠٠٣م، مؤسسة دكاش للطباعة، توزيع: المكتبة البولسية: بيروت .

(٢٠١) المجوسية الزرادشتية . ر.س زيهنر، تر: د. سهيل زكار، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق، ط:٢٠٠٢م .

(٢٠٢) المجيء الثاني والدينونة . القس أبانوب حنا ابراهيم – راعي كنيسة مار مرقس كوم مطاي،تقديم: نيافة الأنبا جورجيوس أسقف مطاي وتوابعها، مراجعة: أنطونيوس كمال، ط: ١، ٢٠٠٦م، الناشر: مكتبة مار جرجس: شبرا .

(٢٠٣) المختار في الرد على النصارى مع دراسة تحليلية تقويمية . الجاحظ، تحقيق ودراسة محمد عبدالله الشرقاوي، ط:١، ١٩٩١م، دار الجيل: بيروت .

(٢٠٤) المدخل إلى العهد الجديد . د . موريس تاوضروس، ط: ٥، ٢٠٠٨، دار القديس يوحنا الحبيب للنشر: مصر الجديدة .

(٢٠٥) المدخل إلى العهد القديم . د . القس صموئيل يوسف، ط: ٢، ٢٠٠٨م، دار الثقافة: البانوراما – القاهرة .

(٢٠٦) المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي . د . جورج حبيب بباوي، ط: ١، ١٩٨٢م، الناشر: أسرة القديس كيرلس عمود الدين الإكليريكية .

(٢٠٧) المذهب الروحاني عبدالله إباحي ط: ١، ٢٠٠٣م، فراديس للنشر والتوزيع: مملكة البحرين .

(٢٠٨) المرشد الأمين في شرح الإنجيل المبين – شرح بشارة يوحنا – . القس ابراهيم سعيد، ط: ١، ١٩٣٧م، مطبعة النيل المسيحية – مصر .

(٢٠٩) المرشد الأمين في شرح الإنجيل المبين – شرح رسالة أفسس – . القس ابراهيم سعيد، ط: ١، مطبعة النيل المسيحية، بدون .

(٢١٠) المسلمون وأوربا- التطور التاريخي لصورة الآخر. د. قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط، ١٤٢٩هـ.

(٢١١) المسند . الإمام أحمد بن حنبل، شرحه ووضع فهارسه: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ط:١٩٧٢م .

(٢١٢) المسيح إنسان أم إله . المستشار الدكتور محمد مجدي مرجان (مهتدي إلى الإسلام)، ط:٢، ٢٠٠٣م، مكتبة النافذة .

(٢١٣) المسيح بين الأسطورة والحقيقة . أ . كريفيلون، تر: رامز نعيمة، ط:١،٢٠٠٥م، الشعاع للنشر والتوزيع: شارع الجزائر – المعادي .

(٢١٤) المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين وحقيقة الثالوث . د.عبدالمنعم جبري ط:١، ٢٠٠٧م، صفحات للدراسات والنشر: دمشق .

(٢١٥) المسيح في الإسلام ومحاورة مع قسيس حول ألوهية المسيح . أحمد ديدات، تر: علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير – القاهرة، ط:١٩٨٨م.

(٢١٦) المسيح في مصادر العقائد المسيحية . خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب . مهندس أحمد عبدالوهاب، مكتبة وهبة – القاهرة، ط:٢٠٠١م .

(٢١٧) المسيح والتثليث . د . محمد وصفي، تقديم: محمد عبدالله السمان، مراجعة: علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير – القاهرة، بدون .

(٢١٨) المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل . ساجد مير، ط: ١، ٢٠٠٢م، دار السلام للنشر والتوزيع: الرياض .

(٢١٩) المسيحية . أحمد شلبي، ط:١١، ٢٠٠٢م، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة .

(٢٢٠) المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها . د.عبدالمنعم فؤاد، ط:١، ٢٠٠٢م، مكتبة العبيكان: الرياض .

(٢٢١) المسيحية في عقائدها . نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا . تر: المطران كيرلس سليم بسترس، ط: ١، ٢٠٠٥م، منشورات المكتبة البولسية: بيروت – لبنان .

(٢٢٢) المسيحية نشأتها وتطورها . شارل جنيبير (أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان – جامعة باريس)، المكتبة العصرية: صيدا – بيروت – لبنان، بدون .

(٢٢٣) المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم اليونان سوريا مصر .دانييل إ.باسوك، تر: سعد رستم، ط:١،٢٠٠٢م، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية:دمشق .

(٢٢٤) المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية . إ . س . سيفينسيسكايا، تر: حسان ميخائيل إسحاق، ط: ٢، ٢٠٠٧، دار علاء الدين: دمشق .

(٢٢٥) المعتقدات الدينية لدى الغرب . د.عبدالراضي محمد عبدالمحسن، ط:٢، ٢٠٠٧م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: الرياض .

(٢٢٦) المعجم الشامل للعلماء والمخترعين، إعداد:فوزي اليازجي وراغدة شربل، إشراف: د. موريس شربل، مكتبة السائح: طرابلس – لبنان، دار الفارابي: بيروت – لبنان، ط:١، ٢٠٠٧م .

(٢٢٧) المعجم الفلسفي . مجمع اللغة العربية، تصدير: د . إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – مصر، ط:٢٠٠٢م .

(٢٢٨) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي . رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين، نشره: أ . ي . ونسنك، مكتبة بريل في مدينة ليدل، ط:١٩٣٩م .

(٢٢٩) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، ط: ٤، ١٤١٤هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار المعرفة: بيروت .

(٢٣٠) المعمودية . الأصول الأولى للمسيحية . الأب: متّى المسكين، ط: ٢، ٢٠٠١م، مطبعة دير القديس أنبا مقار – القاهرة .

(٢٣١) الملل والنحل . الشهرستاني، صححه وعلق عليه أ.أحمد فهمي محمد، ط:٢، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية: بيروت .

(٢٣٢) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل . أبو الفضل السعودي المالكي، قدم له وحققه رمضان الصفنادي البدري، راجعه مصطفى الذهبي، دار الحديث – القاهرة، ط:١٩٩٧م.

(٢٣٣) المنجد في اللغة والأعلام. دار المشرق: الأشرفية-بيروت، ط:٤٢،عام ٢٠٠٦م.

(٢٣٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . إشراف وتخطيط ومراجعة:د.مانع بن حماد الجهني،ط:٣، ١٤١٨هـ، الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع: الرياض .

(٢٣٥) الميزان في مقارنة الأديان . المستشار محمد عزت الطهطاوي، ط:٢، ٢٠٠٢م، دار القلم: دمشق، الدار الشامية: بيروت، توزيع: دار البشير: جدة .

(٢٣٦) الناصرة . منزل عيسى وأمه البتول وعاصمة العروبة في الجليل وميراث بني إسماعيل . محمد محمد حسن شُرَّاب، ط: ١، ٢٠٠٧م، الأهلية للنشر والتوزيع: عمان .

(٢٣٧) النصارى في القرآن والتفاسير، تحرير: عواد علي وزملاؤه، إشراف يوسف قزما خوري، المعهد الملكي للدراسات الدينية، ط: ١، ١٩٩٨م، دار الشروق للنشر والتوزيع: عمان .

(٢٣٨) النصرانية في الميزان . دراسة نقدية موثقة للعقائد والأفكار التي اشتملت عليها النصرانية، المستشار محمد عزت الطهطاوي، دار القلم: دمشق، الدار الشامية: بيروت، توزيع: دار البشير: جدة، ط:٢٠٠٤م .

(٢٣٩) النصرانية في ميزان العقل والإسلام . محمد سليم الفاضلي، مراجعة وتحقيق وتبويب: نبيل حامد خضر، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع: إربد – الأردن، ط:٢٠٠٣م .

(٢٤٠) النصرانية من التوحيد إلى التثليث . د.محمد أحمد الحاج، ط:٢، ٢٠٠٢م، دار القلم: دمشق – سوريا، الدار الشامية: بيروت – لبنان، توزيع: دار البشير: جدة .

(٢٤١) النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها . د.عرفان عبدالحميد فتاح، ط:١، ١٩٩٥م، دار عمار للنشر والتوزيع: عمان – الأردن .

(٢٤٢) النهاية في غريب الحديث والأثر . ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة العلمية: بيروت، بدون .

(٢٤٣) إله الشمس الحمصي والديانات الشرقية في الإمبراطورية الرومانية . فرانتس النهاريم، تر: إيرينا داوود، مراجعة وتقديم: فراس السواح، ط: ١، الناشر: دار المنارة: دمشق .

(٢٤٤) الهجوم على الإسلام والمسلمين، د. ماجد عرسان الكيلاني، مركز الناقد الثقافي – دمشق – سوريا، ط:١، ٢٠٠٨م .

(٢٤٥) الهرطقة في المسيحية . ج . ويتلر، تر: جمال سالم، ط: ١، ١٤١٦م، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت – لبنان .

(٢٤٦) إلهنا يتألم . الأب: فرنسوا فاريون اليسوعي، تر: الأب: كميل حشيمة اليسوعي، ط: ٢، عام ٢٠٠٣م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٢٤٧) الوثائق المجمعية للمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، تر: يوسف بشارة وآخرين، ط:١٩٩١م .

(٢٤٨) الوثنية والمسيحية مرحلة الصراع الحاسمة وإيقاف الأولمبيادات في العصر القديم عام ٣٩٣ . ألكسندر كرافتشوك، تر: د . كبرولحدو، ط: ١، دار الحصاد للنشر والتوزيع: دمشق، ط:١٩٩٦م .

(٢٤٩) الوجه الآخر لأدولف هتلر . فريد الفالوجي – حسن حمدي، ط: ١،٢٠٠٧م، دار الكتاب العربي: دمشق – القاهرة .

(٢٥٠) الوحي عند أهل الكتاب دراسة نقدية على ضوء الإسلام . عبدالله بن عثمان الكوكي، رسالة دكتوراة غير مطبوعة .

(٢٥١) ألوهية السيد المسيح والرد على الآريوسية . الشماس الإكليريكي مكرم عزيز فهمي، تقديم نيافة الأنبا متاؤس – أسقف ورئيس دير السريان –، ط: ١،عام ٢٠٠٢م .

(٢٥٢) اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد. فيصل بن علي الكاملي، مجلة البيان: مركز البحوث والدراسات، ط:١، ١٤٣١هـ.

(٢٥٣) إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم . د.حسن عز الدين الجمل، ط:١، عام ١٩٨٤م، دار الكتاب العربي: بيروت .

(٢٥٤) انتشار الإسلام في أوربا وأوضاع الأقليات الإسلامية المعاصرة فيها، د. عبدالحميد سليمان، مكتبة المتنبي: الدمام – السعودية.

(٢٥٥) إنجيل برنابا . تر: د . خليل سعادة، عرَّف به أحمد حجازي السقا، تقديم: محمد رشيد رضا، بدون تاريخ، بدون، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة.

(٢٥٦) إنجيل برنابا بين المؤيدين والمعارضين د. فريز صموئيل، ط:٢، عام٢٠٠٤، مطبعة أوتو برنت .

(٢٥٧) إنجيل برنابا مزيف . عوض سمعان، مراجعة: د . القس منيس عبدا النور، ط: ١ عام٢٠٠١م، دار النشر الأسقفية .

(٢٥٨) إنجيل يهوذا الإسخريوطي والبحث عن خائن المسيح . حسن حمدي، ط:١، عام ٢٠٠٧م، دار الكتاب العربي: دمشق، القاهرة .

(٢٥٩) انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح . أحمد زكي، ط:١، ١٩٩٥م، توزيع: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة الشقيري: الرياض .

(٢٦٠) أهل الذمة بالأندلس في ظل الدولة الأموية، محمد الأمين ولد آن، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية: دمشق سوريا، ط: ١، ٢٠١١م.

(٢٦١) أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك . د.قاسم عبده قاسم، ط:٢٠٠٣، عين للدراسات والبحوث الإنسانية .

(٢٦٢) أوربا التنوير . بيار – إيف بورويير، تر: د . محمد علي مقلد، ط: ١، عام ٢٠٠٨م، دار الكتاب الجديد المتحدة، رياض الصلح، بيروت – لبنان.

(٢٦٣) أوربا المسيحية (المرحلة الصليبية) . يان دوبراتشينسكي، تر: د . كبرولحدو، ط: ١، عام ٢..٥م، دار الحصاد للطباعة والنشر: دمشق .

(٢٦٤) أوربا المسيحية (تمزق الكنيسة) . يان دوبراتشينسكي، تر: د . كبرولحدو، ط: ١، عام ٢٠٠٥م، دار الحصاد: دمشق .

(٢٦٥) أوربا المسيحية (زمن المسيحيين الفاترين) . يان دوبراتشينسكي، تر: د . كبرولحدو، ط: ١، عام ٢٠٠٥، دار الحصاد للطباعة والنشر: دمشق .

(٢٦٦) إيمان الكنيسة الأولى . صادرة عن إرسالية كنيسة الله بمصر، مطبعة رعمسيس بالفجالة بمصر، بدون .

(٢٦٧) باباوات يهود من غيتو روما . واكيم برنز، تر: أ . د . سهيل زكار، ط: ١، عام ٢٠٠٥م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق .

(٢٦٨) بالسيف والصليب . ميخائيل زابوروف، تر: د.هاشم حمادي، ط: ١، عام ٢٠٠٦م، الناشر: دار الرأي، توزيع: دار الحصاد – دمشق، دار السوسن – دمشق .

(٢٦٩) برهان جديد يتطلب قراراً . إجابات لأسئلة تتحدى المسيحيين في القرن الحادي والعشرين . جوش ماكدويل، ط: ٢،٢٠٠٥، دار الثقافة – القاهرة .

(٢٧٠) بستان القديسين . القديسان بلاديوس وجيروم، ترجمة وتعليق: دياكون د . ميخائيل مكسي إسكندر، طبع بشركة هارموني للطباعة، بدون .

(٢٧١) بولس الرسول . جوزيف هولزنز، تر: البطريرك إلياس الرابع، ط: ٢، عام ١٩٨٦م، منشورات: معهد القدّيس يوحنا الدمشقي اللاهوتي: البلمند – لبنان.

(٢٧٢) بولس رسول يسوع وقلبه ولسانه . أديب مصلح، منشورات اليوبيل المئوي الأول لتأسيس الجمعية البولسية، عام ٢٠٠٠م، منشورات المكتبة البولسية .

(٢٧٣) بين الإسلام والمسيحية . أبو عبيدة الخزرجي، حققه وقدم له: د.محمد شامة، ط:٤، عام ٢٠٠٧، مكتبة وهبة .

(٢٧٤) بين الدين والعلم . أندروكسون وايت، تر: إسماعيل مظهر، طبعة عام١٩٣٠، دار العصور للطبع ولنشر: شارع الخليج المصري بالظاهر بمصر .

(٢٧٥) بين روما ومكة. هاينز يواكيم فيشر، تر: سامي أبو يحي وفؤاد إسماعيل، أبو ظبي للثقافة والتراث(كلمة)، ط:١، ١٤٣١هـ.

(٢٧٦) تأثر المسيحية بالأديان الوضعية . د.أحمد عجيبة،ط:١، عام ٢٠٠٦م، دار الآفاق العربية – القاهرة.

(٢٧٧) تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر . ميرل دوبينياه، ط: ٣، عام ٢٠٠١م، ترجم عن الإنجليزية، ملخص بقلم الشيخ ابراهيم الحوراني، منشورات مكتبة المشعل في بيروت، إشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط .

(٢٧٨) تاريخ الأمة القبطية. لجنة التاريخ القبطي، وزارة المعارف العمومية ط: ١٩٣٢م .

(٢٧٩) تاريخ الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية من القرن الأول إلى القرن الحادي عشر . الأرشمندريتي جراسيموس مسرة اللاذقي، بدون .

(٢٨٠) تاريخ الثورة الفرنسية . ألبيرسوبول، تر: جورج كوسي، ط: ٤، منشورات بحر المتوسط: بيروت – باريس، منشورات عويدات: بيروت – باريس، ط:١٩٩١م .

(٢٨١) تاريخ الحركة المسكونية بعد المجمع الفاتيكاني الثاني. الأب روبير كليمان اليسوعي، تر: صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق: بيروت – لبنان، ط:١، ١٩٩١م .

(٢٨٢) تاريخ الرقابة على المطبوعات . روبرت نيتز، تر: د . فؤاد شاهين، ط: ١، عام ٢٠٠٨م، دار الكتاب الجديد المتحدة: رياض الصلح – بيروت – لبنان .

(٢٨٣) تاريخ العصر الوسيط في أوربا . د . نور الدين حاطوم، دار الفكر: دمشق، ط:٢٠٠٤م .

(٢٨٤) تاريخ الفكر المسيحي . د . القس حنا جرجس الخضري، دار الثقافة: القاهرة، ط:١٩٩١م .

(٢٨٥) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة . المطران كيرلس سليم بسترس وزملائه، ط: ١، عام ٢٠٠١، منشورات المكتبة البولسية: بيروت .

(٢٨٦) تاريخ الفلسفة العربية . د . جميل صليبا، ط: ٣، عام ١٩٩٥م الشركة العالمية للكتاب: ش . م . ل .: بيروت .

(٢٨٧) تاريخ القرن السابع عشر في أوربا . د .نور الدين حاطوم،ط: ١، عام ٢٠٠٢م، دار الفكر: دمشق.

(٢٨٨) تاريخ الكنيسة . جون لوريمر، ط: ١، عام ١٩٩٠م، دار الثقافة: القاهرة .

(٢٨٩) تاريخ الكنيسة . يوسابيوس القيصري، تر: القمّص مرقص داوود، ط: ٣، عام ١٩٩٨م، مكتبة المحبة: القاهرة .

(٢٩٠) تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا وأمريكا الجنوبية . إصدار بطريركية موسكو ١٩٥٩، دار ومكتبة ببليون – جبيل ببلوس - لبنان، مكتبة السائح: طرابلس – لبنان .

(٢٩١) تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر . أديب نجيب سلامة، دار الثقافة: القاهرة، بدون

(٢٩٢) تاريخ الكنيسة الشرقية . المطران ميشيل يستيم – الأرشمندريت إغناطيوس ديك، ط: ٤، عام ١٩٩٩م، منشورات المكتبة البولسية: بيروت .

(٢٩٣) تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة. العلامة يوحنا لورنس فان موسهيم، تر: العلامة يعقوب مردوك الأمريكاني، طبع: المطبعة الأميركانية في بيروت، ١٨٧٥ .

(٢٩٤) تاريخ الكنيسة المسيحية، أفغراف سمير نوف، تر: الكسندروس مطران حمص وتوابعها، مكتبة السائح : طرابلس – لبنان، ط: ١٩٦٤م .

(٢٩٥) تاريخ الكنيسة المفصل . مجموعة من المؤلفين، ترجمه عن الفرنسية، الأب صبحي حموي اليسوعي، ط: ١، عام٢٠٠٢، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٢٩٦) تاريخ المسيحية الشرقية . عزيز سوريال عطية، تر: إسحاق عبيد، ط: ١، عام ٢٠٠٥م، ترجمة ونشر: المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة .

(٢٩٧) تاريخ المسيحية وآثارها في أسوان والنوبة . نبيه كامل داوود – عاطف نجيب، مراجعة: د . جودت جبرة . ط: ١، عام ٢٠٠٣، مؤسسة القديس مرقص لدراسات التاريخ القبطي .

(٢٩٨) تاريخ المسيحية وآثارها في الخمس مدن الغربية . ارشيدياكون د . ميخائيل مكسي إسكندر، مراجعة: د . جودت جبرة، ط: ٢،٢٠٠٥م، مطبعة دار العالم العربي للطباعة، مؤسسة القديس مرقص لدراسات التاريخ القبطي .

(٢٩٩) تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني . د . أسد رستم، ط: ٢،١٩٩١م، منشورات المكتبة البولسية: بيروت .

(٣٠٠) تاريخ أوربا (العصور الوسطى) . د . السيد الباز العريني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر: بيروت، ط:٢٠٠٣م .

(٣٠١) تاريخ أوربا (العصور الوسطى) . هـ . أ . ل . فشر، تر: محمد مصطفى زيادة – السيد الباز العريني، ط: ٣، دار المعارف – مصر، بدون .

(٣٠٢) تاريخ أوربا (العصر الحديث) . هـ . أ . ل . فشر، تر: أحمد نجيب هاشم – وديع الضبع، ط: ٩، بدون، دار المعارف: القاهرة .

(٣٠٣) تاريخ أوربا الحديث . جفري برون، تر: علي المرزوقي، ط: ١، عام ٢٠٠٦م، الأهلية للنشر والتوزيع: عمان

(٣٠٤) تاريخ أوربا الحديث والمعاصر . د . عبدالفتاح أبو علية – د . إسماعيل أحمد ياغي، ط: عام ٢٠٠٤، دار المريخ: الرياض .

(٣٠٥) تاريخ أوربا المسيحية (الألفية الأولى) . يان دوبرا تشينسكي، تر: كبرولحدو، ط: ٢، دار الحصاد للطباعة والنشر: دمشق – سوريا .، ٢٠٠٢ .

(٣٠٦) تاريخ أوربا المعاصر . د . اسماعيل أحمد ياغي، ط: ١، عام ٢٠٠٣م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع: الرياض .

(٣٠٧) تاريخ أوربا في العصور الوسطى . د . سعيد عاشور، دار النهضة العربية:بيروت، ط:٢٠٠١م .

(٣٠٨) تاريخ عصر النهضة الأوربية . د . نور الدين حاطوم، دار الفكر: دمشق، ط:١٩٩٩م .

(٣٠٩) تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ . د . نصر الله أبو طالب، ط: ١، عام ٢٠٠٥، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة .

(٣١٠) تثبيت دلائل النبوة . القاضي عبدالجبار الهمذاني، حققه وقدم له: د.عبدالكريم عثمان، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، بدون .

(٣١١) تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه . أ . بسمة جستنية، ط:١ ، ٢٠٠٠م، دار القلم: دمشق، الدار الشامية – بيروت، توزيع: دار البشير: جدة .

(٣١٢) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب . أبو محمد عبدالله الترجمان الميورقي (مهتدي إلى الإسلام) . دراسة وتحقيق وتعليق: عمر توفيق الداعوق، ط:١، عام ١٩٨٨م، دار البشائر: بيروت .

(٣١٣) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة . أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، تقديم: د . محمود علي مكي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط:٢٠٠٣م.

(٣١٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل . تقي الدين الجعفري، دراسة وتقديم خالد محمد عبده، ط:١، عام ٢٠٠٦م، مكتبة النافذة .

(٣١٥) ترجمات الكتاب المقدس في الشرق . بحوث بيبليَّة مهداة إلى لوسيان عقاد . ط:١، عام٢٠٠٦م، الناشر: الأب أيوب شهوان، توزيع: المكتبة البولسية: جونية – لبنان.

(٣١٦) تفسير العهد الجديد (متى – مرقص) . وليم باركلي، تر: د . القس فايز فارس – د . القس فهيم عزيز، ط: ١، دار الثقافة – القاهرة، ط:٢٠٠٢م

(٣١٧) تفسير القداس الإلهي . الأب المتوحد غريغوريوس، تر: الشماس سلوان موسى، ط: ١، عام ١٩٩٩م، منشورات دير سيدة البلمند البطريركي .

(٣١٨) تفسير القرآن العظيم . ابن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، ط:١، عام ١٤٢٢هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع: الرياض .

(٣١٩) تفسير المنار . الإمام محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:١٩٩٠م .

(٣٢٠) تفسير إنجيل متَّى . متَّى هنري، تر: القمص مرقص داوود، مكتبة المحبة – الفجالة، بدون.

(٣٢١) تفسير رسالتي بولس الرسول الأولى والثانية إلى تيموثاوس . متَّى هنري، تر: القس مرقس داود، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية: القاهرة، بدون .

(٣٢٢) تفسير قداس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية . القمُّص مرقص داوود، ط:٥، مكتبة المحبة، بدون .

(٣٢٣) تفسير كلمات الكتاب المقدس – معجم الألفاظ العسرة – . سعيد مرقص إبراهيم، مراجعة: القس منيس عبدالنور، ط: ٧، عام ٢٠٥م، مطبعة مكتب النصر للطباعة .

(٣٢٤) تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان . علي بن محمد بن عبدالله الفخري، تحقيق وتقديم: د.رشيد البندر، ط:١، عام ١٩٩٤م، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع: لندن

(٣٢٥) تمهيد لدراسة الأناجيل الأربعة وإنجيل برنابا . د.السيد محمد عقيل المهدلي،ط:١، عام ١٤١٤ هـ، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع: القاهرة .

(٣٢٦) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث . سعد بن منصور بن كمونة اليهودي، الناشر: أحمد سيد أحمد، توزيع: دار الأنصار، بدون .

(٣٢٧) توما الأكويني، ميخائيل ضومط، دار المشرق: بيروت – لبنان، ط: ٤، ٢٠٠٥م.

(٣٢٨) ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي . يوسف رياض، ط:٢٠٠٥م .

(٣٢٩) جاذبية الإسلام، مكسيم رودنسون، تر: إلياس مرقص، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت – لبنان، ط: ٢/ ٢٠٠٥م .

(٣٣٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن . ابن جرير الطبري، تقديم: خليل الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ط:١٤١٥هـ .

(٣٣١) جمان من فضة . قاموس أعلام الكتاب المقدس . مكرم مشرقي، ط: ٢٠٠٣، مكتبة الأخوة: شبرا .

(٣٣٢) جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين . د.محمد إبراهيم أبا الخيل، ط: ١، عام ٢٠٠٠م، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، القصيم .

(٣٣٣) جهود من أسلم من النصارى في كشف فضائح الديانة النصرانية . مامادوكارامبيري، رسالة دكتوراة غير مطبوعة .

(٣٣٤) حرب في الكنائس . د . أسد رستم، ط: ٣، منشورت المكتبة البولسية: بيروت، ١٩٩١م .

(٣٣٥) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين. مجموعة من المؤلفين، إشراف وتقديم: محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية، القاهرة، ط:٢٠٠٠م.

(٣٣٦) حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي . ر . ك . سبرول، تر: نكلس نسيم سلامة، حقوق النشر للنسخة العربية مكتبة المنار: سانت فاتيما: مصر الجديدة، ط:١٩٦١م .

(٣٣٧) حقيقة الكتاب المقدس تحت مجهر علماء اللاهوت . د . روبرت كيل تسلر، تر: علاء أبو بكر، ط: ١، ٢٠٠٦م، مكتبة وهبة – القاهرة .

(٣٣٨) حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة . علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير – القاهرة، بدون .

(٣٣٩) حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين . إسماعيل الأنصاري، ط:١، ٢٠٠٤م، مكتبة دار الأرقم .

(٣٤٠) حواشي ابن المحرومة على كتاب تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، لابن كمونة، حققه وقدم له المطران حبيب باشا، مركز التراث العربي المسيحي، توزيع: المكتبة البولسية: جونية – لبنان ط:١٩٨٤م .

(٣٤١) حياة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من منظور إسلامي . دراسة مقارنة، ط:١، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١٤٢٥هـ .

(٣٤٢) حياة بولس . د . ف . ب . ماير، تر: القمّص مرقص داوود، مكتبة المحبة – القاهرة، ط:٢٠٠٥م .

(٣٤٣) حياة قسطنطين العظيم . يوسابيوس القيصري، تر: مرقص داوود، ملتزم الطبع والنشر: مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية – القاهرة، ط:١٩٧٥م .

(٣٤٤) حياة وفكر كنيسة الآباء . القس أثناسيوس فهمي جورج، الناشر: دار الكتاب المسيحي – شبرا – القاهرة، مطبعة مطابع كونكورد، ٢٠٠٦ .

(٣٤٥) خطيب الكنيسة الأعظم القديس يوحنا الذهبي الفم . الأب: إلياس كويتر المخلصي، ط: ٢، ٢٠٠٢م، منشورات المكتبة البولسية: جونية – لبنان .

(٣٤٦) خلاصة اللاهوت العقائدي . مكاريوس، ط: ٢٠٠٠، مكتبة السائح: طرابلس.

(٣٤٧) خلاصة اللاهوت المريمي . الأب أوغسطين دوبرة لاتور، تر: الأب يوسف قوشاقجي، ط: ٣، ٢٠٠٢، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت.

(٣٤٨) خلافاتنا مع البروتستانت . نيافة الأنبا تكلا – أسقف دشنا وتوابعها –ط:١، ٢٠٠٠م، يطلب من مطرانية دشنا للأقباط الأرثوذكس وسائر المكتبات المسيحية .

(٣٤٩) دائرة المعارف الكتابية، د. القس: منيس عبدالنور وزملائه، دار الثقافة – القاهرة، ط:١ .

(٣٥٠) دراسات في الأديان . اليهودية والنصرانية . د.سعود الخلف، ط:٤،٢٠٠٤م، مكتبة أضواء السلف: الرياض .

(٣٥١) دراسات في الأديان الوثنية القديمة . د . أحمد علي عجيبة، ط: ١،٢٠٠٤م، دار الآفاق العربية – القاهرة .

(٣٥٢) دراسات في الملل والنحل . أصول المسيحية الهلينية . د.محمد عبدالله الشرقاوي، ط:١، ١٩٩٣م، دار الفكر العربي .

(٣٥٣) دراسات في النصرانية . أ . د . محمود مزروعة، دار الطباعة المحمدية – القاهرة، بدون .

(٣٥٤) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند . د.محمد الأعظمي، ط:٢، مكتبة الرشد: الرياض .

(٣٥٥) دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية . د . محمد علي البار، ط:١، ٢٠٠٦م، دار القلم: دمشق، الدار الشامية: بيروت، توزيع: دار البشير: جدة.

(٣٥٦) دراسة في الأسكاتولوجيا . الموت والقيامة السماء والمطهر وجهنم . الأب: أوغسطين دوبرة لاتور، تر: صبحي حموي اليسوعي، ط: ٢، ١٩٩٩م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٣٥٧) دعوة التقريب بين الأديان . دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية . د.أحمد عبدالرحمن القاضي، ط:١، ١٤٢٢هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع: الدمام.

(٣٥٨) دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره. د. عبدالرحمن بدوي، تر: كمال جادالله ،الدار العالمية للكتب والنشر.

(٣٥٩) دليل إلى قراءة آباء الكنيسة . أدلبيرت . ج . همان، تر: الأب: صبحي حموي اليسوعي، ط: ١، ٢٠٠٢م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت.

(٣٦٠) دليل إلى قراءة الكتاب المقدس . الأب: اسطفان شربنتييه، تر: الأب: صبحي حموي اليسوعي، ط: ٤، ١٩٩٩مـم، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٣٦١) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة . الأب: جان كمبي، ط: ٢، ٢٠٠٢، دار المشرق: رياض الصلح – بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٣٦٢) دليل في ترتيب الخدم والصلوات . الأسقف د . يوحنا يازجي، ط:١،٢٠٠٥م، منشورات معهد القدّيس يوحنا الدمشقي اللاهوتي - جامعة البلمند – طرابلس – لبنان .

(٣٦٣) دليل في خدمة الكهنة وحياتهم . وثيقة صادرة عن مجمع الإكليروس حاضرة الفاتيكان ١٩٩٤، منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام – جبل الديب – لبنان، ط:١٩٨٤م .

(٣٦٤) دواعي الإيمان في عصرنا . الأب: جيوفاني مارتني، تر: جورج مصري، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت، ط:١٩٩٧م .

(٣٦٥) دولة الفاتيكان، جان نوفل، دار المكشوف: بيروت – لبنان، ط:١، ١٩٦٠ .

(٣٦٦) ديناميكية الرأسمالية . فرنان بروديل، تر: د . شفيق محسن، ط: ١،٢٠٠٨،دار الكتاب الجديد: رياض الصلح – بيروت .

(٣٦٧) رجاء جديد للبنان . وجهه بعد السينودس قداسة البابا يوحنا بولس الثاني إلى البطاركة والأساقفة والإكليروس والرهبان والراهبات وجميع المؤمنين في لبنان . منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام: جبل الديب – المتن – لبنان، ط:٢٠٠٠م .

(٣٦٨) رد القرآن والكتاب المقدس على أكاذيب القمّص زكريا بطرس . إيهاب حسن عبده، ط:١، ٢٠٠٥م، توزيع: مكتبة النافذة .

(٣٦٩) رسالة عبدالله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبدالمسيح بن إسحاق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام ورسالة الكندي إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية (في أيام أمير المؤمنين الخليفة العباسي المأمون سنة ٢١٧ هـ) . التكوين للنشر والتوزيع: دمشق، بدون.

(٣٧٠) روسو . ديف روبنسون وأوسكار زاريت، تر: إمام عبدالفتاح إمام، ط:١، ٢٠٠٥م، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة .

(٣٧١) روما . نظرة أخرى الأرثوذكسية والباباوية . أوليغييه كليمان، تر: كاترين سرور، تعاونية النور الأرثوذكسية للنشر والتوزيع، ط:٢٠٠٤ .

(٣٧٢) رؤية في أصول المسيحية . أحمد شيخ البساتنة، ط:١، ٢٠٠٦م، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق .

(٣٧٣) رينيه ديكارت عالم وفيلسوف العصور الحديثة . حمد الراشد، ط:١، ٢٠٠٨، دار المفردات للنشر والتوزيع: الرياض .

(٣٧٤) سبع مناظر للصليب . القمّص سيداروس عبدالمسيح، ط:٢٠٠٣، الناشر بأمريكا: كنيسة السيدة العذراء: كولومبس – أوهايو، الناشر بمصر: كنيسة مار جرجس – شبرا .

(٣٧٥) ستيفن هوكنج . ج . ب . ماك إيفوي، تر: ممدوح عبدالمنعم محمد، مراجعة: إمام عبدالفتاح إمام، ط: ١، ٢٠٠٣م، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة .

(٣٧٦) سر الإفخارستيا . الأب صلاح أبو جودة اليسوعي، ط: ١، ١٩٩٩م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٣٧٧) سر التجسد . براءة الإنذكتي في ترتيبات اليوبيل الكبير لعام ٢٠٠٠، منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام: جبل الديب – لبنان .

(٣٧٨) سر التوبة والمصالحة . الأب صبحي حموي اليسوعي، ط: ٢، ٢٠٠٢م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٣٧٩) سر الزواج . الخوراسقف ليون عبدالصمد، ط: ٣، ١٩٩٩م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٣٨٠) سر الكنيسة (الرسالة الرعوية الرابعة التي يوجهها بطاركة الشرق الكاثوليك إلى مؤمنيهم في شتى أماكن تواجدهم، مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك – بكركي، ط:١ ٢٠٠١م.

(٣٨١) سر الله . الثالوث – الأحد . الأب: فاضل سيداروس، ط: ٣، ٢٠٠٠م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٣٨٢) سر المعمودية . الأب صلاح أبو جودة اليسوعي، ط: ١،٢٠٠٠م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٣٨٣) سر الميرون أو التثبيت . الأب: فاضل سيداروس، ط: ١، ١٩٩١م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٣٨٤) سر مريم بين الإنجيل والقرآن . حسني يوسف الأطير، ط: ٢، ٢٠٠٣م، مكتبة النافذة: الجيزة – القاهرة .

(٣٨٥) سر مسحة المرضى . الأب فاضل سيداروس، ط: ٣، ٢٠٠١م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٣٨٦) سطور مستقيمة بأحرف متعرجة . عن المسيحيين الشرقيين والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين . طارق متري، منشورات جامعة البلمند، دار النهار ٢٠٠٧ .

(٣٨٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط:٤، ١٩٩١م، المكتب الإسلامي: بيروت .

(٣٨٨) سلسلة تاريخ البطاركة . الشماس كامل صالح نخلة الإسكندري، تنقيح ومراجعة: الأنبا متاؤس، ط: ٢، ٢٠٠١م، حقوق الطبع لدير السيدة العذراء السريان .

(٣٨٩) سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان . نوفل بن نعمة الله بن جرجس نوفل الطرابلسي، ط: ٢، ١٩٨٧م، منشورت دار لحد خاطر: بيروت .

(٣٩٠) سيرة النبي ﷺ ، ابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ١٤٠١ .

(٣٩١) شرح صحيح مسلم . الإمام النووي، راجعه: الشيخ خليل هراس، ط: ١، ١٩٩٥م، دار القلم: بيروت .

(٣٩٢) شروحات مجموعة قوانين الكنائس الشرقية . لمجموعة من المؤلفين، تقديم الكاردينال البطريرك مار إغناطيوس موسى الأول، تنسيق: الأب: أنطوان راجح، منشورات المكتبة البولسية: بيروت٢٠٠٥م .

(٣٩٣) شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية وأهم مبادئنا في الأحوال الشخصية . البابا شنودة الثالث، ط: ١٠، ١٩٩٩م، مطبعة الأنبا رويس (الأوفست) – العباسية – القاهرة .

(٣٩٤) صار إنساناً . بعض تعاليم القديس بولس . ميشال العويط، مطابع الكريم الحديثة ١٩٩٨ عيد مارون .

(٣٩٥) صحف المسيح (كشف السر الأعظم في التاريخ) . ميشيل بيجنت وزملاؤه، تر: محمد الواكد، ط: ١، ٢٠٠٨م، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية: دمشق .

(٣٩٦) صحيح الجامع الصغير وزيادته . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه، زهير الشاوش، ط: ٣، ١٩٩٥م، المكتب الإسلامي: بيروت .

(٣٩٧) صحيح سنن ابن ماجة . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: ١، ٢٠٠١م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض .

(٣٩٨) صحيح سنن النسائي . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاوش، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج ٢٠٠٥م .

(٣٩٩) صلب المسيح ومسؤولية اليهود . قراءة جديدة في الأناجيل، نصري سلهب، ط: ١ ، ٢٠٠٢م، الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والإعلان: بيروت .

(٤٠٠) صلة الإسلام بإصلاح المسيحية . بحث أُلقيت خلاصته في مؤتمر تاريخ الأديان الدولي السادس المنعقد بمدينة بروكسل في ١٦-٢٠ سيبتمبر ١٩٣٥م . أمين الخولي، سنا الفاروق للنشر – السعودية .

(٤٠١) صناعة دين . بولس وأثره في تحريف النصرانية . طارق محمد الشافعي، ط:١، ٢٠٠٠م، منشورات نون – القاهرة.

(٤٠٢) صورة الإسلام في التراث الغربي(دراسات ألمانية) . هوبرت هيركومر و جيرنوت روتر، تر: ثابت عيد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط:١٩٩٩م.

(٤٠٣) صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى. ريتشارد سوذرن،ترجمة: رضوان السيد، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١: ٢٠٠٢م

(٤٠٤) طفولة عيسى عليه السلام بين الرواية الإسلامية ورواية الحواريين . د . الشفيع الماحي أحمد، ط: ١، ١٤٢٤هـ، دار الوراق للنشر والتوزيع: بيروت – دمشق، دار النيريين للطباعة والنشر والتوزيع – الرياض .

(٤٠٥) ظاهرة الحياة الرهبانية . نشأتها، طرقها، تنظيمها . الأب: جوزف قزي – الأب: إيميل عقيقي، ط: ٢، ١٩٩٩م، دير سيدة النصر: نسبية – غوسطا .

(٤٠٦) عبادة الأصنام في الكنيسة الأرثوذكسية. د. حنين عبدالمسيح، ط:١، ٢٠٠٩م .

(٤٠٧) عبقرية المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث . عباس العقاد، منشورات المكتبة العصرية: بيروت – صيدا، ط:١٩٩٥م .

(٤٠٨) عصر التنوير . ليود سبنسر – أندرزيجي كروز، تر: إمام عبدالفتاح، ط: ١، ٢٠٠٥م، المجلس الأعلى للثقافة: الجزيت – القاهرة .

(٤٠٩) عصر المجامع . دراسة علمية وثائقية للمجامع المسكونية الكبرى الأربعة الهامة . كيرلس الأنطوني، تنسيق وتعليق: دياكون د . ميخائيل مكسي إسكندر،الناشر مكتبة المحبة، ط:١ ٢٠٠١م .

(٤١٠) عصر أوغسطس قيصر وخلفاؤه. د.أسد رستم، ط: ٢، ١٩٩١م، المكتبة البولسية: بيروت.

(٤١١) عصر نابليون . ول وإيريل ديورانت، تر: عبالرحمن الشيخ، المجمع الثقافي: أبو ظبي – الإمارات، دار الجيل: بيروت، ط:٢٠٠٢ .

(٤١٢) عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية . حسني يوسف الأطير، ط:٣، ٢٠٠٤، مكتبة النافذة .

(٤١٣) علم اللاهوت المقارن . الأنبا غريغوريوس، توزيع: مكتبة السائح: طرابلس، الكلية الإكليريكية اللاهوتية للقبط الأرثوذكس، بدون .

(٤١٤) علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية . العلامة المتنيح القمُّص ميخائيل مينا .

(٤١٥) علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية . العلامة ميخائيل مينا، بدون .

(٤١٦) عيسى ومريم في القرآن والتفاسير، تحرير: رياض أبو وندي وزملاؤه، إشراف يوسف قزما خوري، المعهد الملكي للدراسات الدينية، دار الشروق للنشر والتوزيع: عمان، المركز العربي للمطبوعات: بيروت، ط:١٩٩٦م .

(٤١٧) غفران الذنوب – فلسفة الغفران في المسيحية – . عوض سمعان، مكتبة الأخوة: شبرا، بدون .

(٤١٨) غلو الأمم في معظميها وأثره على الطوائف الإسلامية . ثامر بن ناصر الغشيان، رسالة ماجستير غير مطبوعة .

(٤١٩) فابيولا . قصة المسيحية في القرن الرابع في روما . الكاردينال الكاثوليكي نقولا ويزمان، عرض وتلخيص: د . عزت زكي، صدر عن الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية . الفجالة مصر، بدون .

(٤٢٠) فتاوى وأحكام في نبي الله عيسى عليه السلام . أجاب عنها فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، اعتنى بها علي بن عبدالله العماري، ط:١ ، ١٩٩٠م.

(٤٢١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري . ابن حجر العسقلاني، ط: ١٤١٤، حقق أصولها: الشيخ عبدالعزيز بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت.

(٤٢٢) فتح السر المختوم – تفسير لسفر الرؤيا – . القس ابراهيم سعيد، صدر عن مطبعة النيل المسيحية، بدون.

(٤٢٣) فجر الإسلام . أحمد أمين، ط: ١٩٣٣،١٦م، طبع ونشر:مكتبة النهضة المصرية – القاهرة .

(٤٢٤) فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وآثارها في العقيدة . دراسة ونقد، د.محمد كبير احمد شودري، ط:١، ١٤٢٢هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع: الدمام

(٤٢٥) فضائح الكنائس والباباوات والقسس والرهبان والراهبات . مصطفى فوزي غزال، ط:٣، ١٩٩٤م، دار القبلة للثقافة الإسلامية: جدة – السعودية .

(٤٢٦) فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والعربية . مصطفى حسن النشار، ط: ٢، ٢٠٠٥م، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت .

(٤٢٧) فلسفة اللوغس (الكلمة) . الجزء الأول من رسالة الدكتوراة المقدمة باللغة اليونانية إلى جامعة أثينا . د . رشدي حنا عبدالسيد، رابطة خريجي الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس: الفجالة – القاهرة، بدون.

(٤٢٨) فلسفة ديكارت ومنهجه . دراسة تحليلية ونقدية . د.مهدي فضل الله، ط:٤، ٢٠٠٦م، دار الطليعة: بيروت .

(٤٢٩) فهرس الكتاب المقدس . د . جورج يوسف، ط: ١٢، ٢٠٠٢م، دار ومكتبة العائلة بالتعاون مع جمعية الكتاب المقدس في لبنان وبالاتفاق مع رابطة الإنجيليين في الشرق الأوسط .

(٤٣٠) في الكهنوت . رهبنة دير مار جرجس الحرف . منشورات النور، بدون.

(٤٣١) في مقارنة الأديان . بحوث ودراسات، د . محمد عبدالله الشرقاوي، ط: ٢، ١٩٩٠م، دار الجيل – بيروت .

(٤٣٢) قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي. وضعه: الأب جوزيف كميل جبارة، منشورات المكتبة البولسية: بيروت- لبنان، ط:١، ٢٠١٠م .

(٤٣٣) قاموس أكسفورد الحديث (إنجليزي – إنجليزي – عربي) . مركز السعوي للكتاب، ط:٢٠٠٧م .

(٤٣٤) قاموس الأديان الكبرى الثلاثة (اليهودية المسيحية الإسلام) . إنجليزي – عربي، نور الدين خليل، مراجعة: محمود آدم، الناشر: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع – سبورتنج – الإسكندرية، ط:٢٠٠٦م .

(٤٣٥) قاموس الكتاب المقدس . نخبة من اللاهوتيين، هيئة التحرير: بطرس عبدالملك وزملاؤه، ط: ١٣، ٢٠٠٧م، مكتبة العائلة بالتعاون مع جمعية الكتاب المقدس في لبنان وبالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق الأوسط، مطبعة الحرية: بيروت .

(٤٣٦) قانون الإيمان . البابا شنودة الثالث،ط: ٥، ٢٠٠٣م، الناشر: الكلية الإكليريكية – القاهرة .
(٤٣٧) قدّيسون وشهداء يسوعيون . سير مختصرة . الأب سامي حلاق اليسوعي، ط: ٢، ٢٠٠٤م، دار المشرق: الأشرفية – بيروت، توزيع المكتبة الشرقية: بيروت.
(٤٣٨) قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام . د . توفيق الطويل، ط: ١، ١٩٩١م، الزهراء للإعلام العربي – القاهرة .
(٤٣٩) قصة الحضارة . ول وإيريل ديورانت، تر: محمد بدران – زكي نجيب محمود، دار الجيل: بيروت، بالتعاون مع المنظمة العربية للثقافة والعلوم، ط:١٩٩٨م .
(٤٤٠) قصة الصراع بين الدين والفلسفة . د.توفيق الطويل، ط:٣، ١٩٧٩م، دار النهضة العربية .
(٤٤١) قصة الفلسفة (من أفلاطون إلى جون ديوي – حياة وآراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم) . ول ديورانت، تر: د .فتح الله محمد المشعشع، ط: ١، ٢٠٠٤م، مكتبة المعارف: بيروت .
(٤٤٢) قصة الكنيسة القبطية – وهو تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية التي أسسها مار مرقس البشير – . د . إيريس حبيب المصري، ط: ٧، مكتبة المحبة: القاهرة، بدون .
(٤٤٣) قضية صلب المسيح بين مؤيد ومعارض . عوض سمعان، مراجعة: د . القس منيس عبدالنور – أ . د داود رياض، ط: ١، بدون، دار النشر الأسقفية .
(٤٤٤) قيامة المسيح والأدلة على صدقها . عوض سمعان، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة – مصر، بدون .
(٤٤٥) كتاب أصول الدين . البطريرك إيليا الثاني، حققه عن المخطوطات وقدم له: الأب جان ماريا جانتسا، ط: ١، ٢٠٠٥م، مركز التراث العربي المسيحي، توزيع: المكتبة البولسية: جونية – لبنان .
(٤٤٦) كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . البطريرك أفتشيوس المكنى بسعيد ابن البطريق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٥ .

(٤٤٧) كتاب الصلوات . يحتوي على أهم الخدم الطقسية في الكنيسة الأرثوذكسية، ط:٢، ٢٠٠٣م، منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس – بيروت .

(٤٤٨) كتاب العقائد للكنائس الإنجيلية المصلحة. ترجمة وتقديم: جورج صبرا، بدون معلومات .

(٤٤٩) كتاب الليترجيات الإلهية المقدسة . اللجنة الليترجية البطريركية ٢٠٠٧ .

(٤٥٠) كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية . الأب لويس شيخو، ط: ٢، ٢٠٠٦م، دار المشرق: بيروت، توزيع المكتبة الشرقية: بيروت .

(٤٥١) كتاب قناة السلام بين المسيحية والإسلام .القمّص بطرس إسحاق،ط:١، بدون.

(٤٥٢) كفاحي . أدولف هتلر، قراءة جديدة في مذكرات هتلر ونهايته، عرض وتحليل: فريد الفالوجي، دار الكتاب العربي: دمشق – القاهرة، ط:٢٠٠٨م .

(٤٥٣) كنائس المشرق . د . عزت زكي، ط: ١، ١٩٩١م، دار الثقافة – القاهرة .

(٤٥٤) كنيسة المشرق العربي . الأب جان كوربون، تر: المطران إغناطيوس هزيم (راعي أبرشية اللاذقية) التابعة لكنيسة أنطاكية للروم الأرثوذكس ورئيس مجلس كنائس الشرق الأوسط، مراجعة: أولفا حجار، ط: ٢، منشورات مجلس كنائس الشرق الأوسط، ط:١٩٩٦م .

(٤٥٥) كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك . الشماس الإكليريكي الدكتور سامح حلمي، مطبعة: الراعي برنت هاوس، ط:٢ ، عام ٢٠٠٥م.

(٤٥٦) لماذا القيامة؟ . البابا شنودة الثالث،ط:١٩٩٩،٢م، مطبعة الأنبا رويس (الأوفست)، الناشر: الكلية الإكليريكية: العباسية – القاهرة .

(٤٥٧) لماذا نرفض المطهر؟ . البابا شنودة الثالث، ط: ١، ١٩٨٨م، مطبعة الأنبا رويس (الأوفست) – الكاتدرائية – العباسية .

(٤٥٨) لماذا يكرهونه (الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام)، د. باسم خفاجي، المركز العربي للدراسات الانسانية، ط:١، ١٤٢٧هـ.

(٤٥٩) ليتقدس اسمك – صلوات الأزمنة الطقسية – الأبوان يوحنا ويوسف العنداري م . ل . منشورات الرسل، ط: ، ٢٠٠٥ .

(٤٦٠) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . أبو الحسن الندوي، ط: ٨، ١٩٨٤م، دار الكتاب العربي: بيروت .

(٤٦١) مارتن لوثر والإسلام. محمد أبو حطب، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية- القاهرة، ط:٢٠٠٨م.

(٤٦٢) ماهية الحروب الصليبية، د. قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: الهرم - القاهرة، ط:١٤٣١ هـ.

(٤٦٣) مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية . نيافة الحبر الأنبا بيشوي . إعداد الإكليريكي الدكتور: سامح حلمي، ط: ١، ٢٠٠٤م.

(٤٦٤) مباديء أولية في الفلسفة . جورج بوليتزر، ط: ٥،٢٠٠١م، ترجمة وتقديم: فهيمة شرف الدين، ضبط مصطلحاته الفلسفية: د . موسى وهبة، دار الفارابي: بيروت .

(٤٦٥) مجادلة الأنبا جرجي الراهب السمعاني مع ثلاثة شيوخ من فقهاء المسلمين بحضرة الأمير مشمر الأيوبي . عُني بمقابلتها وتحريرها أحد الرهبان المرسلين الكاثوليك في أفريقيا، بدون.

(٤٦٦) مجالات انتشار العلمانية وأثرها في المجتمع الإسلامي . محمد زين الهادي، ط:١، ١٤٠٩هـ، دار العاصمة: الرياض .

(٤٦٧) مجامع كنيسة المشرق . أ . يوسف قبي، مركز النشر والتوزيع: جامعة الروح القدس: الكسليك - لبنان ط:١٩٩٩م، .

(٤٦٨) مجتمع يسوع . يسوع تقاليده وعاداته . الأب: سامي حلاق، ط: ١، ١٩٩٩م، دار المشرق: بيروت .

(٤٦٩) مجلة المنار . إشراف: محمد رشيد رضا، النسخة الإلكترونية .

(٤٧٠) مجموعة قوانين الكنائس الشرقية . نقله عن اللاتينية مجموعة من المؤلفين، ط:٢، ٢٠٠٢م، منشورات المكتبة البولسية: بيروت .

(٤٧١) محاضرات في مقارنة الأديان . إبراهيم خليل أحمد (مهتدي إلى الإسلام)، ط:٢، ١٩٩٢م، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة .

(٤٧٢) محاضرات في النصرانية الإمام محمد أبو زهرة، ط:٣، ١٩٨٣م، دار الفكر العربي – القاهرة .

(٤٧٣) محاكم التفتيش . غي تستاس –جان تستاس، تر: ميساء السيوفي، مراجعة: د . جمال شحيد، ط: ١،٢٠٠٧م، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق .

(٤٧٤) محمد (ﷺ) . كارين أرمسترونق، تر: د.فاطمة نصر و د. محمد عناني، ط:١٩٩٨ .

(٤٧٥) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن . إبراهيم خليل أحمد (مهتدي إلى الإسلام)، دار المنار للنشر والتوزيع – القاهرة، ط: ١٩٨٩م .

(٤٧٦) محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود . البروفسور عبدالأحد داوود (مهتدي إلى الإسلام)، تر: محمد فاروق الزين، ط: ١ ، ١٩٩٧م، مكتبة العبيكان: الرياض.

(٤٧٧) محنة الإيمان . اجتهادات ومسائلات في الفكر الديني المسيحي . الأب: مشير باسيل عون، ط: ١،٢٠٠٥م، دار المشرق: بيروت – لبنان، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت – لبنان .

(٤٧٨) مختصر تاريخ الأساقفة الذين رقوا مرتبة رئاسة الكهنوت الجليلة في مدينة بيروت . عبدالله بن طراد البيروتي، تحقيق وتقديم: نائلة قائد بية ن ط: ١ ، ٢٠٠٢م، دار النهار للنشر: بيروت، بالتعاون مع منشورات جامعة البلمند – قسم التوثيق والدراسات الأنطاكية.

(٤٧٩) مختصر تاريخ الكنيسة . أندروملر، تر: ناشد ساويرس، ط: ٤، ٢٠٠٣م، مكتبة الأخوة: شبرا .

(٤٨٠) مدخل إلى أسرار الكنيسة . الأب كميل حشيمة اليسوعي، ط: ٣، ٢٠٠٣م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٤٨١) مدخل إلى التنوير الأوربي . هاشم صالح، ط:١، ٢٠٠٧م، دار الطليعة للطباعة والنشر: بيروت .

(٤٨٢) مدخل إلى الرتب اللتروجية ورموزها في الكنيسة الشرقية . المطران لطفي لحام – النائب البطريركي للروم الملكيين الكاثوليك في القدس الشريف، بدون.

(٤٨٣) مـدخل إلى العقيـدة المسيحية . كوسـتي بنـدلي ومجموعـة مـن المـؤلفين . ط: ٤، منشورات النور، بدون .

(٤٨٤) مـدخل إلى المجـامع المـسكونية . الأب ميـشال أبـرص . الأب أنطـوان عـرب، ط:١، ١٩٩٦م، توزيع المكتبة البولسية: بيروت .

(٤٨٥) مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، القس د. عيسى دياب، مدرسة اللاهوت المعمدانية العربية: المتن – لبنان، ط:١، ٢٠٠٩م.

(٤٨٦) مـذاهب فكريـة معـاصرة . عـرض ونقـد . أ.د. محمـود محمـد مزروعـة، ط:١، ٢٠٠٦م، مكتبة كنوز المعرفة: جدة .

(٤٨٧) مذاهب فكرية معاصرة . محمد قطب، ط:٥، ١٤١١هـ، دار الشروق – القاهرة

(٤٨٨) مريم أم الرب ورمز الكنيسة . ماكس توريـان، تـر: الأب خليـل رسـتم، ط: ٤، ٢٠٠٦م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٤٨٩) مسألة الله في التاريخ من الكتاب المقدس إلى الظاهرة الدينيـة المعـاصرة . الأب فيكتور شلحت، ط: ١، ١٩٩٨م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٤٩٠) مسيحية بلا مسيح . د.كامل سعفان، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتـصدير – القاهرة، بدون .

(٤٩١) مسيحية ضد الإسلام (حوار انتهى إلى الإخفاق) . لودفيغ هـاغمن، تـر: محمـد جديد، قدمس للنشر والتوزيع: دمشق- سوريا، ط:٢، ٢٠٠٥م .

(٤٩٢) مشكلة التأليه في فكر الهند الـديني . د.عبـدالراضي محمـد عبدالمحسن، ط: ١، ٢٠٠٢م، دار الفيصل الثقافية: الرياض .

(٤٩٣) مصادر النـصرانية دراسـة ونقـداً . د . عبـدالرزاق بـن عبدالمجيـد ألارو، ط: ١، ٢..٧، دار التوحيد للنشر: الرياض .

(٤٩٤) مـصر الفرعونيـة .أحمـد فخـري، ط: ١، ملتـزم الطبـع والنـشر: مكتبـة أنجلـو المصرية، بدون .

(٤٩٥) مصرع الدارونية .محمد علي يوسف،ط:١،دار الشروق للنشر والتوزيـع: جـدة، ط: ١٩٨٣م .

(٤٩٦) مع أسئلة السائلين عن كسر الخبز . د . حليم حسب الله، مكتبة الأخوة: شبرا، ٢٠٠٥م .

(٤٩٧) معالم تاريخ الإنسانية . هـ . ج . ويلز، تر: عبدالعزيز توفيق جاويد، ط: ٤، بدون، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٤٩٨) معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير . إبراهيم بن سليمان الجبهان، ط: ٦، ٢٠٠٥م، دار المجتمع للنشر والتوزيع: جدة .

(٤٩٩) معجم الأديان. جون ر. هينليس، تر: هاشم أحمد محمد، المركز القومي للترجمة: القاهرة،ط: ٢٠١٠م.

(٥٠٠) معجم الأفكار والأعلام. هتشنسون، تر: خليل راشد الجيوشي، دار الفارابي، ط:١٩٩٧م .

(٥٠١) معجم الإيمان المسيحي . اختيار: الأب: صبحي حموي اليسوعي، أعاد النظر فيه الأب: جان كوربون، ط: ٢، ١٩٨٩م، دار المشرق: بيروت بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط .

(٥٠٢) معجم الباباوات . خوان داثيو، تر: أنطوان سعيد خاطر، ط: ١، ٢٠٠٦م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٥٠٣) معجم اللاهوت الكتابي . لجنة من المؤلفين، تر: د . ارنست وزملاءه، ط: ٤، ١٩٩٩م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٥٠٤) معجم المصطلحات الكنسية . أثناسيوس (راهب من الكنيسة القبطية) ، ط:١، ٢٠٠٤م، مطبعة دار نوبار – شبرا .

(٥٠٥) معمودية الأطفال في الكتاب المقدس والتاريخ . الأب بيتر مدروس، ط: ٢، ٢٠٠٠م، دار المشرق: بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية: بيروت .

(٥٠٦) معنى أنَّ يسوع المسيح هو ابن الله . د . هاني رزق الله، دار النشر الأسقفية، ط:٢٠٠٠م .

(٥٠٧) مقارنة الأديان . دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام والأديان الوضعية الهندوسية والجينية والبوذية . د.طارق خليل السعدي، ط:١، ٢٠٠٥م، دار العلوم العربية: بيروت .

(٥٠٨) مقارنة بين الأناجيل الأربعة . د . محمد علي الخولي، ط: ٢٠٠١، بدون، دار الفلاح للنشر والتوزيع – الأردن .

(٥٠٩) مقالة قصيرة في العشاء المقدس . جون كالفن، تر: جورج صبرا، ط: ١، ٢٠٠٦م، دار الثقافة – القاهرة .

(٥١٠) ملح الأرض (الكاردينال جوزيف راتسينجر البابا بندكتوس السادس عشر) . محاورات مع بطرس زيفالد، تر: د. نبيل الخوري، منشورات المكتبة البولسية: بيروت – لبنان، ط:٢٠٠٩م .

(٥١١) ملحدون محدثون ومعاصرون . د . رمسيس عوض، ط: ١، ٢٠٠١م، سينا للنشر، مؤسسة الانتشار العربي: لندن – بيروت – القاهرة .

(٥١٢) من دحرج الحجر . المحامي فرانك مورسون، تر: حبيب سعيد، نداء الرجاء – شرق ألمانيا، بدون .

(٥١٣) مناظرة العصر بين العلامة أحمد ديدات والقس الدكتور أنيس شروش بقاعة ألبرت بلندن . تر: علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، ط:١٩٨٣م .

(٥١٤) مناظرتان في استكهولم بين داعية العصر أحمد ديدات وكبير قساوسة السويد ستانلي شوبيرج، تر: علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، ط:١٩٨٥م.

(٥١٥) منصور بن سرجون (يوحنا الدمشقي)، الاكسرخوس جوزف نصرالله، تر: الأرشمندريت أنطوان هبي، منشورات المكتبة البولسية: بيروت – لبنان، ط:١، ١٩٩١م .

(٥١٦) موجز تاريخ الأديان . فيليسيان شالي، تر: حافظ الجمالي، ط: ٢، ١٩٩٤م، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر: دمشق – سوريا .

(٥١٧) موجز تاريخ الكنيسة . الأب الدكتور توماس هبكو، تر:المطران سابا إسبر ٢٠٠٥.

(٥١٨) موسوعة آباء الكنيسة، إعداد: عادل فرج عبدالمسيح، دار الثقافة – القاهرة،ط:٢٠١٠م .

(٥١٩) موسوعة الأديان الميسرة، ط:١، ٢٠٠١م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع:بيروت .

(٥٢٠) موسوعة الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين . موسى مخول، ط:٢، ٢٠٠٨م، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام: بيروت .

(٥٢١) موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم . محمود شاكر، ط:١، ٢٠٠٨م، دار أسامة للنشر والتوزيع: عمان .

(٥٢٢) موسوعة الحقائق الكتابية . برسوم ميخائيل، مكتبة الأخوة: شبرا – مصر.، ط:٢٠٠٤م .

(٥٢٣) موسوعة الفلسفة . د.عبدالرحمن بدوي، ط:١، ١٩٨٤م، المؤسسة العلمية للدراسات والنشر: بيروت .

(٥٢٤) موسوعة الكتاب المقدس . دار منهل الحياة، منصورية المتن – لبنان – دار الكتاب المقدس، نيوروضة – لبنان، ط:١٩٩٣م .

(٥٢٥) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية . زكي شنودة، ط: ١، ١٩٦٨م، مكتبة النهضة المصرية .

(٥٢٦) موسوعة طقوس الكنيسة القبطية . دياكون د . ميخائيل مكسي إسكندر، إشراف: الأنبا متاؤس، مكتبة المحبة، بدون .

(٥٢٧) موسوليني . أسطورة لا تريد أن تموت . أحمد ناصيف، ط: ١، ٢٠٠٨م، دار الكتاب العربي: دمشق القاهرة .

(٥٢٨) موقف الإسلام والكنيسة من العلم . عبدالله المشوخي، ط:١، ١٩٨٢م، مكتبة المنار: الزرقاء – الأردن .

(٥٢٩) موقف الكنيسة الغربية من الإسلام ونبوة محمد ﷺ . د. راجح السباتين، ط:٢٠١٠م.

(٥٣٠) موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله . د. سارة العبادي، ط:١، ٢٠٠٥م،مكتبة الرشد: الرياض .

(٥٣١) نبذة في تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية وخفايا دور أخوية القبر المقدس . جرجس عبدالله العيسى، ط: ٢٠٠٥، دار ومكتبة ببليون: جبيل – لبنان .

(٥٣٢) نحن والفاتيكان . د . أسد رستم، ط: ٣، ١٩٩٢م، منشورات المكتبة البولسية: بيروت .

(٥٣٣) نحو وحدة التراث السرياني الأنطاكي . المطران غريغوريوس ابراهيم وزملاؤه، دير سيدة النصر: نسبية – غوسطا ١٩٩٧ .

(٥٣٤) نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة . د . أحمد علي عجيبة، ط: ١،٢٠٠٤م، دار الآفاق العربية – القاهرة .

(٥٣٥) نصوص من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط . (أوغسطين أنسليم توما الأكويني) د.حسن حنفي، ط: ١، ٢٠٠٨م، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت .

(٥٣٦) نقض دعوى عالمية النصرانية . د. فرج الله عبدالباري، ط:١،٢٠٠٤م، دار الآفاق العربية: مدينة نصر – القاهرة .

(٥٣٧) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى . ابن القيم، دراسة وتحقيق: د.محمد أحمد الحاج، ط:١، ١٤١٦هـ، دار القلم:دمشق، الدار الشامية: بيروت، توزيع: دار البشير: جدة .

(٥٣٨) هكذا تكلم زرادشت . فريدريش نيتشه، تر: علي مصباح، ط: ١، ٢٠٠٧م، منشورات الجمل – ألمانيا .

(٥٣٩) هكذا يكتبون تاريخنا (يوحنا الدمشقي أنموذجا) . دار الفكر: دمشق، ط:١، ١٤٢٩ هـ.

(٥٤٠) هل افتدانا المسيح على الصليب؟ . د. منقذ السقار، ط:١، ٢٠٠٦م، مكتبة النافذة.

(٥٤١) هل الكتاب المقدس وحده يكفي (كلمات حول التقليد الكنسي) . إعداد: أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية، نشر: كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس- سبورتنج، ط:١، ٢٠٠٣م .

(٥٤٢) هم ونحن . دراسة مقارنة بين المسيحية وسائر المذاهب والديانات . الأب: جبرائيل كليجا – أ . كبريال زرازير، دار ببليون – باريس،٢٠٠٦م .

(٥٤٣) هوية الكتاب المقدس . جون دارين، دار منهل الحياة: منصورية المتن – لبنان ١٩٩٦م .

(٥٤٤) وزراء النصرانية وكتابها في الإسلام. لويس شيخو، حققه وزاد عليه وقدم له الأب كميل حشيمة اليسوعي، مركز التراث العربي المسيحي، توزيع: المكتبة البولسية: جونية – لبنان، ط:١٩٨٧م .

(٥٤٥) يا إخوتنا البروتستانت هلموا نتحاور في الماضي . ط: ٢، صدر عن كنيسة القديسين مار مرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء، بدون.

(٥٤٦) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء . دراسة مقارنة للمسيحية . د.رؤف شلبي، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية: المنصورة – مصر، بدون .

(٥٤٧) يسوع التاريخ . لطفي حداد، ط: ١،٢٠٠٥م مؤسسة جذور الثقافة: الولايات المتحدة الأمريكية، توزيع: الدار العربية للعلوم: بيروت، .

(٥٤٨) يسوع المسيح . فالتر كاسبر، تر: المطران يوحنا منصور، ط: ١، منشورات: المكتبة البولسية: جونية – لبنان ٢٠٠٥م .

(٥٤٩) يسوع المسيح بالإنجيل والأيقونة، ط: ٢، ٢٠٠٠م، دار النهار للنشر: بيروت .

۞ فهرس المواقع الإلكترونية:

(١) أتباع المرسلين.

(٢) الألوكة.

(٣) الموسوعة الحرة (ويكبيديا).

(٤) الموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية.

(٥) بطريركية الإسكندرية.

(٦) بطريركية السريان.

(٧) بطريركية القسطنطينية.

(٨) بطريركية أنطاكية وسائر المشرق.

(٩) بطريركية أورشليم.

(١٠) مفكرة الإسلام.

(١١) موقع إذاعة الفاتيكان (عربي).

(١٢) موقع البابا تواضروس.

(١٣) موقع البابا شنودة الثالث.

(١٤) موقع الحياة الكلمة (بروتستانتي).

(١٥) موقع الدكتور راغب السرجاني.

(١٦) موقع الرهبنة الكرملية.

(١٧) موقع الكتاب المقدس.

(١٨) موقع الكنيسة الإنجيلية.

(١٩) موقع بطريركية الروم الأرثوذكس المقدسية الأورشليمية.

(٢٠) موقع جامعة الروح القدس.

(٢١) موقع كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك.

(٢٢) موقع كنيسة القديسة تيريزيا بحلب.

(٢٣) موقع كنيسة مارجرجس.

(٢٤) موقع مجلس الكنائس العالمي.

(٢٥) موقع مجلس كنائس الشرق الأوسط.

(٢٦) موقع منظمة الأمم المتحدة.

(٢٧) موقع تاريخ الكنائس الغربية.

فهرس الموضوعات